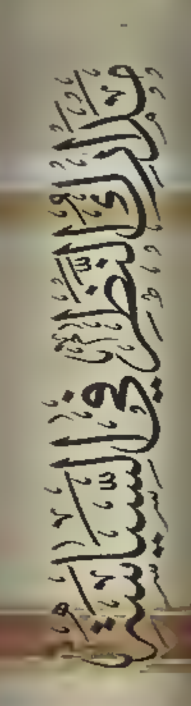
الكتاب الأول عن ملف الجزائر



مدارك النظر في السياسة



بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية

لفضيلة الشيخ

عبد المالك بن أحمد بن المبارك رمضاني الجزائري

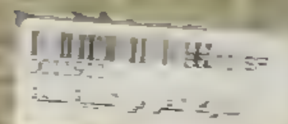
تقديم وتقريظ

العلامة الإمام

محمد ناصر الدين الألباني

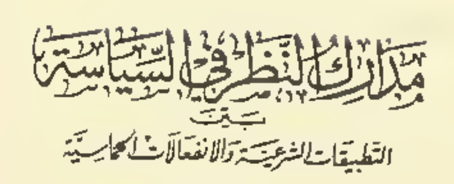
الشيخ العلامة

عبد المحسن بن حمد العباد البدر








مدارك النظر في السياسة
بين
التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية

الطبعة الثامنة

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٣٢٢٢م



دار الفرقان للنشر والتوزيع

لأبي عبد المصور محمد عبد الله

القاهرة – مساكن عين شمس – ش مسجد الهدي المحمدي

هاتف وفاكس: ٢٢٩٥٣٢٩٧ /٠٠٢٠٢

محمول: ٠١٠١٦٣٥٠٣٦ – ٠١٠٥٦١٨١٧٩

البريد الإلكتروني: Abdel_m2005@yahoo.com

(الكتاب الأول عن ملف الجزائر)

مدارك النظر في السياسة

بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية

تأليف

عبد المالك بن أحمد بن المبارك رمضاني الجزائري

قرأه وقرظه

العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

والعلامة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تجد في هذا الكتاب

❊ تأصيلاً لقاعدة: الفتوى في النوازل السياسية قاصرة على المُجتهد:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

وقال ابن القيم -رحِمه الله-: "العالِم بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة فهو المجتهد في النوازل، فهذا النوع الذي يسوغ لَهم الإفتاء ويسوغ استفتاؤهم ويتأدى بهم فرضُ الاجتهاد، وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدِّد لَها دينها»".

❊ وبيان أنه لا يفتي في دقائق الجهاد إلا هو، وأنه يَحرُم استفتاء طلبة العلم فيها -فضلاً عن غيرهم- مهما زعموا أنَّهم فقهاء الواقع:

قال ابن تيمية -رحِمه الله-: "وفي الجملة فالبحث في هذه الدقائق -أي: دقائق أحكام الجهاد- من وظيفة خواص أهل العلم ...".

❊ وبيان أنه لو أفتى فيها من ليس في رتبة العالم المجتهد أفسد البلاد، وأرهق العباد؛ لأن العالِم يشمّ الفتنة قبل وقرعها، وأما غيره فلا يعرفها إلا إذا وقع فيها، وقد لا يعرفها:

قال الحسن البصري -رحِمه الله-: "إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كلُّ عالِم، وإذا أدبرت عرفها كلُّ جاهل".

❊ وتحذيرًا من مسالك الحركيين من الإسلاميّين الذين اتَّخذوا من السياسة جارحة

صيد، واتَّخذها الأعداء آلة كيد:

قال عبد الحميد بن باديس -رحِمه الله-: "فإننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها عن علم وبصيرة ... ولو أردنا أن ندخُل الميدان السياسي لدخلناه جهرًا ... ولقُدنا الأمة كلها للمطالبة بِحقوقها، ولكان أسهل شيء علينا أن نسير بها على ما نرسمه لَها، وأن نبلغ من نفوسها إلَى أقصى غايات التأثير عليها؛ فإن مِمَّا نعلمه، ولا يخفى على غيرنا أن القائد الذي يقول للأمة: "إنك مظلومة فِي حقوقك، وإنَّني أريد إيصالك إليها". يَجد منها ما لا يَجد من يقول لَها: "إنك ضالة عن أصول دينك، وإنَّني أريد هدايتك"، فذلك تلبِّيه كلها، وهذا يقاومه معظمُها أو شطرُها...".

* وتحذيرًا من الحزبية الَّتِي فرقت شمل المسلمين:

قال مُحمَّد البشير الإبراهيمي -رحِمه الله-: "أوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات الَّتِي نَجَم بالشر ناجِمُها، وهجم -ليفتك بالخير والعلم- هاجِمُها، وسَجَم على الوطن بالملح الأُجاج ساجِمُها، إن هذه الأحزاب كالميزاب؛ جمع الماء كدرًا وفرقه هدرًا، فلا الزُّلال جمع، ولا الأرض نفع!".

وتحذيرًا من مسالك الثوار:

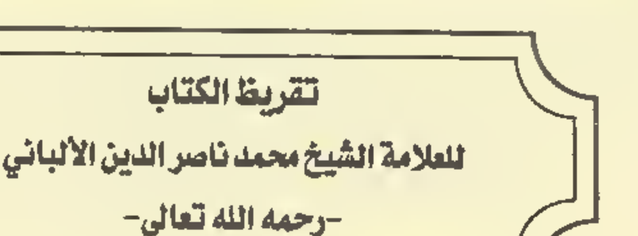
قال ابن خلدون -رحِمه الله-: "ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء؛ فإن كثيرًا من المنتحلين للعبادة وسلوك الدين يذهبون إلَى القيام على أهل الجور من الأمراء، داعين إلَى تغيير المنكر والنهي عنه، والأمر بالمعروف رجاءً فِي الثواب عليه من الله، فيكثُر أتباعُهم والمتشبِّثون بِهم من الغوغاء والدهماء، ويُعرِّضون أنفسهم فِي ذلك للمهالك، وأكثرهم يهلكون فِي تلك السبيل مأزورين غير مأجورين؛ لأن الله سبحانه لَمْ يكتب ذلك عليهم ...".

* وبيان مغبَّة الخروج على السلطان:

قال الحسن البصري -رحِمه الله-: "والله! لو أن الناس إذا ابتُلوا من قبل سلطانِهم

صبروا، ما لبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم؛ وذلك أنّهم يفزعون إِلَى السيف فيوكَلوا إليه! ووالله! ما جاءوا بيوم خير قط!". ثُمَّ تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



تقريظ الكتاب
للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني
-رحمه الله تعالى-

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخ الفاضل عبد المالك بن أحمد رمضاني.

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته.

أما بعد؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله لنا ولك التوفيق فيما نقول ونذر.

وجوابًا على خطابكم المؤرخ في: ١٥/١٠/١٤١٥هـ.

أقول: أولاً: أنا شاكرٌ لك حسن ثنائك عليَّ بما لا أستحقه، متذكِّرًا وداعيًا بقول الصدِّيق الأكبر ﷺ: «اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا مِمَّا يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون». ومذكِّرًا لك بقوله ﷺ: **«إن كان أحدكم مادِحًا أخاه لا مَحالة فليقل: أحسبُ فلانًا كذا وكذا -إن كان يُرى أنه كذلك- ولا أزكي على الله أحدًا»** رواه مسلم[1].

---

(١) قال الشيخ -حفظه الله- هذا مع أنني ما زدتُ على وصفه ببعض ما يَجب على أمثالي تجاه أهل العلم! وكذلك فعل الشيخ عبد المحسن العباد، فقد كره لي تصدير اسمه بـ: "العلامة الشيخ" على رأس تقريظه الذي تجده هنا في (ص:١٣) تواضعًا منه!

أكتب هذا تذكيرًا لطلبة العلم بمثل هذا الخلق، ليُجنِّبوا أنفسهم النفخ الفارغ! فقد قيل: إن مُحدثًا =

ثانيًا: لقد رغبتَ فِي أن تعلم رأيِي فِي كتابك: "السياسة بين فراسة المجتهدين وتكيس المراهقين"[1] قبل أن تطبعه.

ورغم ضيق وقتِي، وضعف نشاطي الصحي، وكثرة أعمالي العلمية، فقد وجدت نفسي مشدودًا لقراءته، وكلما قرأت فيه بَحثًا مُعلّلاً نفسي أن أكتفي به، كلما ازددتُ مُضيًّا فِي القراءة حَتَّى أتيت عليه كله، فوجدته بِحقٍّ فريدًا فِي بابه؛ فيه حقائق عن بعض الدعاة ومناهجهم المخالفة لما كان عليه السلف الصالح، واستفدتُ أنا شخصيًّا فوائد جَمَّةً حول ثورة الجزائر وبعض الرءوس المتسببين لَها، والمؤيِّدين لَها بعواطفهم الجامِحة، والمبالغين فِي تقويمها مِمَّن لا يهتمون بقاعدة التصفية والتربية.

ولقد سررت جدًّا من إشادتك بِها، ودندنتك حولَها كثيرًا، فِي الوقت الذي لَمْ ينتبه لدورها الهام أكثر الدعاة فِي تَحقيق المجتمع الإسلامي وإقامة حكم الله فِي الأرض، بل إنَّها الأساس فِي ذلك، فجزاك الله خيرًا.

وأخيرًا: ونظرًا لتلهّفكم الشديد للجديد من مؤلفاتِي، فإنِّي أبشِّركم بأنَّ تَحت الطبع منها:

١- المجلد الثالث من "مختصر صحيح البخاري".

٢- المجلد الخامس من "سلسلة الأحاديث الضعيفة".

قرأ على العلامة إبراهيم بن سعيد الحبال فقال: "ورضي الله عن الشيخ الحافظ...". فقال: "قل: رضي الله عنك؛ إنَّما الحافظ الدارقطني وعبد الغني!". انظر: السير (١٨/٤٩٨).

وفيه أيضًا (١٩/١٠٧) فِي ترجمة ابن خيرُون -الذي كان يُشبَّه بابن معين- أنَّهم كتبوا له مرة: "الحافظ"، فغضب وضرب عليه، وقال: "قرأنا حَتَّى يُكتب لي الحافظ؟!".

(١) كان عنوان كتابِي ما أثبته الشيخ أعلاه، ثُمَّ شاء الله أن يتغير مع بعض التصحيحات والزيادات، وليعلم من كان فِي قلبه مرض أنَّها قد قُرئت على الشيخ كلها، فأقرَّهاجزاه الله خيرًا، والحمد لله على توفيقه.

٣- المجلد السادس من "سلسلة الأحاديث الصحيحة".

٤- "صحيح موارد الظمآن".

٥- "ضعيف موارد الظمآن".

٦- "الرد على ابن حزم ومقلّديه في إباحة المعازف".

٧- المجلد الثاني من "صحيح الترغيب والترهيب".

وختامًا: أسأل الله تعالى أن يستعملنا في طاعته، وأن يوفقنا جميعًا لخدمة سنة نبيه، وأن يصرف عنا شر الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب

محمد ناصر الدين الألباني

عمان/صباح الثلاثاء

١٤١٥/١١/٢٥هـ

هذه صورة تقريظ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخ الفاضل عبد المالك بن أحمد رمضاني

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته

أما بعد؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله لنا ولك التوفيق فيما نقول ونذر.

وجواباً على خطابك المؤرخ في (١٠/١٠/١٤١٥هـ) أقول:

أولاً: أنا شاكر لك حسن ثنائك عليّ بما لا أستحقه، متذكراً ومتعجباً بقول الصديق الأكبر رضي الله عنه: «اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون»، ومتذكراً أيضاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن كان أحدكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً [كذا وكذا] -إن كان يرى أنه كذلك- ولا أزكي على الله أحداً» رواه مسلم.

ثانياً: لقد رغبت مني أن تعلم رأيي في كتابك: «السياسة بين فقه المجتهدين وتلبيس المراهقين» قبل أن يطبع. ورغم ضيق وقتي، وضعف نشاطي الصحي، وكثرة أتعاب الطلبة، فقد وجدت نفسي مندفعاً لقراءته، وكلما قرأت منه شيئاً [illegible]

...، كلما ازددت مضياً في الغربة [illegible] ...
[illegible] ... الخالص الذي كان
عليه السلف الصالح ... [illegible]
الجزائر ... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
الأساس في ذلك. فجزاك الله خيراً

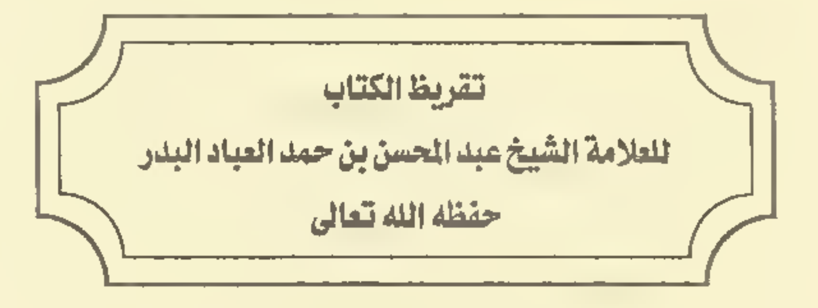
... : [illegible] ... من مؤلفاتي، والتي
هي الآن تحت الطبع ما يلي:

١ - المجلد الثالث من «مختصر صحيح البخاري»
٢ - المجلد الخامس من «سلسلة الأحاديث الضعيفة»
٣ - المجلد السادس من «سلسلة الأحاديث الصحيحة»
٤ - «صحيح موارد الظمآن».
٥ - «ضعيف موارد الظمآن».
٦ - «الرد على ابن حزم ومقلديه في إباحة المعازف».
٧ - المجلد الثاني من «صحيح الترغيب والترهيب»

وختاماً أسأل الله تعالى أن يستعملنا في طاعته، وأن يرزقنا
جميعاً [illegible] ... [illegible]
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب
محمد ناصر الدين
الألباني

عمان ... [illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحْمة للعالمين، نبيِّنا مُحمَّد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إِلَى يوم الدين.

أما بعد: فقد اطَّلعتُ على كتاب "مدارك النظر فِي السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية" فِي طبعته الأولى، الذي ألفه أخونا الشيخ عبد المالك بن أحمد المبارك بن الرمضاني الجزائري، فألفيته كتابًا مفيدًا، مشتملاً على التأصيل للمنهج القويم الذي يليق بالمسلم الناصح لنفسه أن يسلكه، ومشتملاً أيضًا على تصحيح مفاهيم خاطئة لبعض الشباب فِي داخل البلاد السعودية وفِي خارجها، وخاصة تصحيح مفاهيم بعض أصحاب الفقه الجديد: فقه الانْهِمَاك فِي السياسة والأحداث السياسية، فقه واقع القصاصات من الصحف والمجلات، وتَتبُّع الإذاعات الكافرة، وتلقف أخبارها، وتَحليلهم إياها تَحليلات اعتبروها أمورًا مسلمة، وقد أثبت الواقعُ فِي الغالب خطأ نتائج هذا التحليل، ولَمْ يقف الأمرُ بِهم عند هذا الحد، بل تجاوز إِلَى النيل من أجلة علماء هذا العصر ذوي الفقه فِي الدين، وحملة ميراث النَّبِي الكريم ﷺ، وفِي مقدمتهم سماحة شيخنا العلامة الجليل الشيخ: **عبد العزيز بن عبد الله ابن باز** –حفظه الله–، وفضيلة الشيخ العلامة الجليل: **مُحمَّد بن صالح العثيمين** –حفظه الله–،

الذين نفع الله بعلمهم وفتاويهم.

ويرحم الله الإمام الطحاوي إذ يقول في عقيدة أهل السنة والجماعة: "وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من اللاحقين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل".

وفي الكتاب فوائد عظيمة، ودفاع عن الحق وحملة العلم الشرعي، وتوضيح لبعض الحقائق من خبير بها، كالأوضاع في الجزائر بلاد المؤلِّف.

وفي الكتاب ذكرُ كلامٍ في صفحتي: (٢٤٣، ٣٥١)[1] لاثنين من شباب هذه البلاد -هداهما الله- اتَّهم كلٌّ منهما كبار علماء العصر في هذه البلاد بالقصور؛ لأنَّهم أفتوا بتسويغ مجيء قوات أجنبية للمشاركة في الدفاع عن البلاد إثر الهجوم الغاشم من طاغية العراق على الكويت، وكانت نتيجة ذلك دحر العدو المعتدي والإبقاء -بحمد الله تعالى- على الأمن والاطمئنان، وكان الأليق بهما -وقد أعجبهما الرأي المخالف لما رآه العلماء- أن يتَّهما رأيهما، ويتذكرا نتيجة الرأي الذي رآه بعض الصحابة ﷺ في أحد شروط صلح الحديبية، حيث تبين لَهم أخيرًا خطأ ذلك الرأي، فكان الواحد منهم يقول فيما بعد: "يا أيها الناس! اتهموا الرأي في الدين". وتسويغ كبار العلماء مَجيء تلك القوات في حينه إنَّما كان للضرورة، وهو نظير استعانة المسلم بغير المسلم في التخلص من اعتداء لصوص أرادوا اقتحام داره وممارسة أنواع الإجرام فيها وفي أهلها، أفيُقال لِهذا المعتدَى عليه: لا يسوغ لك الاستعانة بكافر في دفع ذلك الضرر؟!.

ثُمَّ إن الخلاف حاصل في أكثر مسائل العلم منذ زمن الصحابة ﷺ، ولَمْ يكن بعضهم يُسفه بعضًا فضلاً عن أن يكون الصغار هم الذين يجترءون على تسفيه رأي الكبار كما حصل من هذين الشابين -أصلحهما الله-.

(١) وهي في هذه الطبعة في صفحتي (٣٠٢، ٤١٣).

وفِي صفحة (٣٧٦)[1] ذكرُ كلام لثلاثة من شباب هذه البلاد أتوا فيه بالغريب العجيب؛ ألا وهو التنويه والإشادة بخروج النساء إلَى الشوارع للمظاهرات، وقد أوضح المؤلف -جزاه الله خيرًا- قبل هذه الصفحة فساد ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

وفِي صفحة (٢٨٧)[2] نقلُ كلام لأحد الشباب فِي هذه البلاد يقرِّر فيه خلاف مذهب أهل السنة والجماعة فِي معاملة ولاة الأمر، ويهيج الغوغاء من الرجال والنساء على الإقدام على ما يثير الفتن وما يئول بغير أهل العقل والثبات والرزانة إلَى تعريض أنفسهم للضرر، ومنه إيداعهم السجون، ولا شك أن من عرَّض غيره للضرر يكون له نصيب من تبعة ذلك.

وهذا الكلامُ المثيرُ للفتنة قد فاحت ريْحُه منذ سنوات فِي حفل أُقيم لتكريم حفظة السنة أشرف عليه هذا الشابُّ؛ وقد سمعتُ تسجيلَ ذلك الحفل، ومع كون أحاديث الصحيحين تبلغ عدة آلاف فإن اختيار الأحاديث القليلة الَّتِي أُلقيت على الطلبة لاختبار حفظهم ملفتٌ للنظر؛ لتعلُّق جُملة منها بالولاة! يُضاف إلَى ذلك كون هذا الشاب -أصلحه الله- عند ذكر هذه البلاد لا يصفها بالسعودية، بل يعبر بالجزيرة! أخبرنِي بهذا من أثق به.

ومن الخير لِهذا الشاب ومن يطأ عقبه من الشباب أن يكونوا مع الجماعة ويَجتنبوا الشذوذ والخلاف والفُرقة، وأن يفيئوا إلَى الرشد؛ فإن الرجوع إلَى الحق خير من التمادي فِي الباطل، كما قال ذلك المحدث الملهم عمر بن الخطاب ﷺ.

وفِي صفحة (٢٦٩)[3] تَجد كلامًا ساقطًا لمهيِّج الغوغاء المشار إليه آنفًا، ينعى

---

(١) وهي فِي هذه الطبعة فِي صفحة (٤٣٩).

(٢) وهي فِي هذه الطبعة فِي صفحة (٣٤٤).

(٣) وهي فِي هذه الطبعة فِي هامش صفحة (٣٢٦).

فيه على خطيب لا يتكلم فِي الأحداث السياسيَّة، ويُعنَى فِي خطبته بذكر أحوال الآخرة والقبر والموت والجنة والنار والبعث والحساب وغيرها!! فإن مجرد اطلاعك على هذا الكلام يغنيك عن أي تعليق عليه، ولَمْ يُخْلِه المؤلف من التعليق.

وفِي الكتاب صفحة (١٩٤)[1] صورة منشور لشخص حاقد موتور، لا علاقة له بالعلم الشرعي والفقه فِي الدين، هرب إِلَى عاصمة الاستعمار، وفيها عُش رُويبضات الزمن -كما قال المؤلف- نال فِي منشوره من ثلاثة أعلام أفذاذ.

الأول: صاحب رسول الله ﷺ معاوية بن أبِي سفيان ﷺ أمير المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين، وأول ملوك المسلمين وخير ملوكهم، وهو أحد الخلفاء الذين قال فيهم النَّبِي ﷺ: «لا يزال الإسلامُ عزيزًا إِلَى اثنَي عشر خليفة». أخرجه مسلم فِي "صحيحه" من حديث جابر بن سمرة ﷺ، وقد دَوَّنْتُ جملةً من أقوال أهل الإنصاف فِي هذا الصحابِي الجليل ﷺ فِي رسالة مطبوعة بعنوان: **"من أقوال المنصفين فِي الصحابِي الخليفة معاوية ﷺ"**.

الثاني: شيخ الإسلام مُجدد القرن الثانِي عشر الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحِمه الله-.

الثالث: شيخنا العلامة الجليل مفتِي الأنام مُجدد القرن الخامس عشر الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -حفِظه الله-.

وليس بغريب أن يصدر من مثله هذا المنشور، وإنَّما الغريب أن يوجد فِي بعض شباب بلاد التوحيد -هداهم الله وأصلحهم- من يتلقَّفُه ويفرح به!.

يُقضى على المرء فِي أيام مِحنته ... حتَّى يرى حسنًا ما ليس بالحسن

اللهم أرنا وإياهم الحق حقًّا ووفقنا لاتباعه، والباطل باطلاً ووفقنا لاجتنابه، ولا تَجعله ملتبسًا علينا فنضل.

---

(١) وهي فِي هذه الطبعة فِي صفحة (٢٤٣).

وقد أفصح صاحب المنشور عن حزبه الذي ينتمي إليه، وأكد أنه سوف يظل وفيًا لمبادئه: ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وإذا كانت هذه الوقيعة الشنيعة فِي ثلاثة من خيار الناس من الأموات والأحياء صدرت ممن زعم نفسه ناطقًا رسميًّا للجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية المزعومة، فكيف سيكون الدفاع المزعوم؟! وهل هؤلاء الأخيار لا يستحقون أن يُذب عنهم، أو أن نصيبهم من هذا الناطق الذم بوقاحة وفقد حياء، والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

ويقول الرسول الكريم ﷺ: «إن مِمَّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لَمْ تستح فاصنع ما شئت». أخرجه البخاري فِي "صحيحه".

وكلُّ ذي عقل سليم يطَّلع على ما سطره فِي النيل من هؤلاء الثلاثة الأخيار يُدركُ المستوى الهابط الذي تردى فيه صاحب المنشور دينًا وعقلاً وخلقًا.

فدعوة الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحِمه الله- الإصلاحية المباركة المبنية على اتباع الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، آثارها الحميدة الطيبة واضحة بينة فِي الأقطار الإسلامية المختلفة، وقد مضى على وفاته أكثر من مائتي عام، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧].

وجهود سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحِمه الله- العظيمة، وجهاده المتواصل فِي الدعوة إِلَى الله ونفع العباد وبذله العلم والنصح والمال والجاه كلُّ ذلك معلوم لا يخفى على منصف.

أما فتواه فِي صلح الفلسطينيين مع اليهود الَّتِي لمزه فيها هذا المفتون مشيرًا إِلَى اعتراض بعض المعترضين عليها، فمن المعلوم أنَّها فتوى فِي صلح بين ظالم ومظلوم، بين مُغتصب أرضًا وبين من اغتُصبت أرضُهم، وصاروا مشردين مشتتين عشرين

عامًا، ثُمَّ اغتصب جزءٌ كبير من أرضهم ومضى على الاغتصاب الأخير أكثر من ربع قرن، ولَمْ يستطيعوا استرجاع أرضهم، فإذا رأى المظلوم أن يَحصُل على بعض أرضه من ظالمه ليعود إليها، ويستقر فيها، فأي مانع يمنع من ذلك؟ وإذا اعتدى لصوصٌ على شخص وسلبوا كلَّ ما معه من مال ولَمْ يتمكن من استعادته وهو مضطرٌّ إلَى بعضه، وأمكنه الحصول عليه أفيُقال له: لا يحلُّ لك ذلك؛ بل إما كله وإما لا شيء؟!

وإذا كان أحد المعترضين على الفتوى قد قال: "فنحن لا نقاتل اليهود من أجل العقيدة، إنَّما نقاتلهم من أجل الأرض؛ لا نقاتلهم لأنَّهم كفار! إنَّما نقاتلهم لأنَّهم اغتصبوا أرضنا وأخذوها بغير حق!!"، فكيف يُعترض على الفتوى للمظلوم بأن يأخذ بعض أرضه؛ إذ لَمْ يمكنه الحصول على أرضه كلِّها؟!

وأقبح شيء تقيَّأه فِي منشوره قوله فِي معاوية ﷺ وفِي خلافته: "إنِي أعتبر معاوية مغتصبًا، وإنِي أعتقد أنه سيلقى جزاءه من الله يوم القيامة على ما ارتكبه من جرائم!!" ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف:٥]. وخلافة معاوية ﷺ حصلت فِي قرن الصحابة خير القرون، وقد رضي الصحابة بِخلافته، واعتبر عام واحد وأربعين عام ولايته عام الجماعة؛ إذ تَحقق فيه ما أخبر به النَّبِي ﷺ عن سبطه الحسن بن علي ﷺ حيث قال: «**إن ابنِي هذا سيدٌ، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين**». أخرجه البخاري فِي "صحيحه".

ومع هذا كله يَجيء هذا الرويبضة فِي القرن الخامس عشر ويقول فيه هذا الإفك المبين، والبهتان العظيم.

وإذا كان هذا زعمه فِي معاوية ﷺ وفِي خلافته، فأيُّ حاكم يعجبه؟ وأيُّ ولاية ينشُدُها ويحلم بِها؟ نعوذ بالله من الخذلان!.

وقد قال الحافظ ابن حجر فِي "فتح الباري": "اتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لَهم من ذلك -يعني: الحروب- ولو عُرِف

المحق منهم؛ لأنَّهم لَمْ يقاتلوا فِي تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ فِي الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجرُ أجرًا واحدًا، وأن المصيب يؤجر أجرين".

وما أحسن قول أبِي زرعة الرازي -رحِمه الله- فِي الوالغين فِي أعراض الصحابة ﷺ؛ إذ قال كما رواه عنه الخطيب البغدادي فِي "الكفاية": "**إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حقٌّ، والقرآن حقٌّ، وإنَّما أدَّى إلينا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنَّما يريدون أن يَجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا القرآن والسنة، والجرح بِهم أولى وهم زنادقة**".

وأثناء قراءتِي للكتاب بدا لِي ملاحظات يسيرة ذكرتُها للمؤلف، ووعد بتلافيها فِي الطبعات التالية.

❊ **وفِي الختام**: أوصي بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، وأوصي شباب هذه البلاد السعودية أن يَحذروا الأفكار الفاسدة الحاقدة الوافدة إلَى بلادهم لإضعاف دينهم، وتمزيق شملهم، والتنكر لما كان عليه أسلافهم، وأن يأخذ كلُّ شاب ناصح لنفسه العبرة والعظة من قول عبد الله بن مسعود ﷺ كما فِي "الإبانة" لابن بطة: "**إنَّها ستكون أمور مشتبهات! فعليكم بالتؤدة؛ فإنك أن تكون تابعًا فِي الخير خيرٌ من أن تكون رأسًا فِي الشرِّ**".

ولرغبة المؤلف كتابةَ شيء بعد قراءتِي للكتاب، جرى تحريرُ ذلك، وأسأل الله للمؤلف جزيل المثوبة وعظيم الأجر، ولمن نبه على أخطائهم الهداية لطريق الحقِّ والهدى، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه.

كتبه

عبد المحسن بن حمد العباد البدر

المدرس بالمسجد النبوي وبالجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٨/٣/٢٥هـ



دفع شبهة

سئل الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد -حفظه الله- في مستهل شوال (١٤٢١هـ)، كما في تسجيلات ابن رجب بالمدينة عمَّا يأتي:

فضيلة الشيخ قد أُشيع أخيرًا بأنَّك لَمْ تقرأ من كتاب: "مدارك النظر" إلاَّ مقدمته فقط، وأنكم لا تُوافقون صاحبه وكاتبه فيما انتقده على بعض من انتقده فما رأيكم؟.

❊ **الجواب:** "من أين علم هذا قائل هذا الكلام؟!

أنا قرأت الكتاب من أوله إلَى آخره، وأنا لا يُمكن أن أكتب كتابةً عن شيء إلاَّ وقد اطَّلعتُ عليه من ألفه إلَى يائه، ما يُمكن أضع كتابتِي أو قلمي أو أكتب كتابًا عن شيء قرأتُ بعضه وتركتُ بعضه أبدًا، هذا لا يُمكن أن يكون، وكثيرًا ما يُطلب منِّي أن أُقرِّظ بعض الكتبَ فأعتذر لعدم تمكُّنِي من قراءة الكل -يعنِي: كونِي أقرأ الكتاب كلَّه- أما كونِي أقرأ بعضه ثُمَّ أسكتُ، لو كنت فعلتُ ذلك لقلت: إنِّي قرأتُ بعضه، ووجدتُ أنه طيِّب، وحيث ما ذكرت هذا الشيء، فأنا قد قرأته من ألفه إلَى يائه.

وأنا قراآتِي وتعليقاتِي أو تقريراتِي قليلة نادرة جدًّا، وكثيرًا ما يُطلب منِّي وأعتذر، أعتذر عن التقرير من أجل عدم التمكن من القراءة الكاملة، فكلام الذي قاله هذا كلامُه غير صحيح، وهو رجمٌ بالغيب، وهو إفكٌ وافتراءٌ وكذب، ما حصل هذا، ما قلتُه ولا فعلتُه". اهـ.

وللشيخ -حفظه الله- مثل هذا على سؤال تكرَّر فِي يومين متتاليين من شهر رجب (١٤٢١هـ) عقب درسه فِي شرح سنن أبِي داود بالمسجد النبوي، فليطلبه من شاء من المكتبة الصوتية للمسجد، والله ولِيُّ التوفيق.

ملاحظتان

❊ **الأولى**: اطّلع العلامة الشيخ **مُحمَّد بن صالح بن عثيمين** -رحِمه الله- على فتاواه المدرجة فِي هذا الكتاب ووافق عليها فِي ليلة الأحد (٢٢ ربيع الثاني ١٤١٦هـ)، فجزاه الله خيرًا.

توقيع الشيخ

❊ **الثانية**: قال كاتبه -عفا الله عنه-: لما كانت هذه الكتابة الخطيرة في موضوع الكتاب قد أقْدَم عليها العبدُ الضعيف -وهو قاصر عنها- فقد تأنّيْتُ في طبعه حتى يطّلع عليه من أهل العلم من يُرضى، وقد كان هذا والحمد لله، ولا أعلم أحدًا منهم إلا وأثنى عليه، منهم: **الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، والشيخ صالح الفوزان** عضوا هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ومن الأساتذة الكبار: **الشيخ حماد بن محمد الأنصاري** -رحِمه الله-، **والشيخ ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ محمد بن عبد الله ابن سبيل** الرئيس العام لشئون المسجد الحرام وإمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء، **والشيخ عبد الله الزاحم** رئيس المحاكم الشرعية بالمدينة، وإمام وخطيب المسجد النبوي، **والشيخ صالح العبود** مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وغيرهم كثير ... فضلاً عن كبار طلبة العلم الذين لا يُحصون كثرة، فجزاهم الله خيرًا جَميعًا.

وقد ذكرت هذا -لا ليمدحني القارئ!- ولكن ليطمئن قلبُه؛ فإن الفضل لله وحده، وهو الذي حمدُه زَيْنٌ، وذَمُّه شَيْنٌ على الحقيقة.

مقدمة الطبعة السابعة

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّه مُحمَّد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد؛ فهذه هي الطبعة السابعة لكتاب: "**مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية، والانفعالات الحماسية**"، قد ضمَّنْتُها بعض الزيادات والتصحيحات، وحتَّى لا أُثقل على القرَّاء، فإنني أُنبِّه هاهنا على أن أهمَّ الإضافات هي ما في باب أثر غزو حزب "**الإخوان المسلمين لأهل السنة**"، وفي فصل الرَّد على الشيخ سلمان العودة، تحت عنوان: "**نصيحة**".

ثُمَّ لابدَّ لي أن أقول كلمةً هاهنا، وهي أنَّ قومًا جعلوا يُشَوِّشون على الكتاب لَمَّا لَمْ يَجدوا فيه مغمزًا، فزعموا أن الشيخ الألباني لَمْ يُقَرِّظ الكتاب، والحقيقة أن الذين لا يكادون يُصدِّقون أن الشيخ قدَّم لكتابي قسمان:

- قسمٌ أصحاب مكرٍ وتدليس، يعلمون أنَّ الشيخ يُخالفهم في أصول دعوتهم، لكنَّهم يتظاهرون بالانتساب إليه تدليسًا، ويتعلَّقون بسمعته الطيِّبة؛ كيلا يسقطوا من أعين الناس، وليَضمنوا لدعوتهم العيش، فهم يبذلون جهدَهم لئلاَّ يُفطَن لانحرافهم عن منهجه، ويتحيَّنون الفرصة المواتية لخطف تزكية منه قبل لحده، وطريقهم إلَى ذلك أن يظلُّوا له في المشهد مادحين، وإن كانوا في الغيب قادحين، وعلى أنفاسه متعاقبين؛ لئلاَّ يسبق إليه غيرُهم من غيرهم!

- وقسمٌ تابعٌ لسابقه، يُكاد له ولا يدري، تربَّى على الإثارة السياسية، حتَّى حسبها من صميم دعوة المرسلين، وأن من لَمْ يتخرَّج من السجن -مدرسة يوسف ﷺ عندهم- ليس بشيء، يتوهَّمون أن الشيخ وغيره من أولي العلم يؤيِّدون هذا

المسلك، وأن قيام الخطيب على المنبر بأساليب التهييج التقليدية اليوم هو حقيقة الدعوة وزبدة الجهاد وغاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونهاية علم العلماء العاملين ...!!

والأغرب في هذا أن هؤلاء جميعًا لَمْ يُحاولوا الاتِّصالَ بالشيخ إذ كان حيًّا؛ ليتأكَّدوا هل الخبر صدق أم لَجَج، وقد دعوتُهم إلَى هذا طيلة خَمس حِجَج؟!

كما حاول آخرون من بني جلدتهم الطعن في الكتاب بادِّعاء أنَّ الشيخ لَمْ يطَّلع على الزيادات الَّتي فيه، ولا قرَّظها.

وجوابي عليه من وجوه ثلاثة:

الأول: أنَّني أرسلتُ جميع الطبعات إلَى الشيخ، وتلاميذ الشيخ أحياء شهود.

الثاني: أن الزيادات الَّتي أضفتها قُرئت على الشيخ -رحِمه الله-، كما سبق.

الثالث: أن الزيادات الَّتي أقَضَّت مضاجع القوم هي من كلام الشيخ نفسه؛ فليس لي فيها إلاَّ النقل، فيُقرِّظ الشيخُ ماذا؟!

واعلم أن الذي دعاهم إلَى التشويش على الكتاب هو انْحِرافهم عن منهجه أولاً، وعدم قبولهم لأدنى نقد يوجَّه إلَى شيوخهم كسلمان العودة، وسفر الحوالي، ومن معهما ثانيًا، وهم في هذا يُحاولون إلصاق تلك الزيادات بقلمي لا بقلم الشيخ ولسانه، مع أنه هو الذي قال فيهم: **"خارجية عصريَّة"**، وقال: **"خالَفوا السلف في كثير من مناهجهم!"**، وقال: **"كلامهم ينحو منحى الخوارج في تكفير مرتكب الكبائر"**، وقال: **"غفلة منهم أو مكر منهم!"**، إلَى غير ذلك مِمَّا تراه في موضعه.

فالمتكلِّم بهذه الكلمات الشديدات هو الشيخ نفسه -رحِمه الله-، فلماذا لَمْ يرجعوا إلَى المصدر المحال عليه حتَّى يتحقَّقوا؟! ولماذا لَمْ يراجعوا الشيخ حيث لَمْ يقبلوا قوله؟! ولماذا لَمْ يردُّوا عليه إن كان فيهم وضوحٌ وصراحة؟!

وإنَّما أبعدوا النجعة، وقالوا: الشيخ لَمْ يطَّلع على الزيادات ...!!

وكيف لَمْ يطَّلع عليها وهو صاحبها؟!

ونصيحتي لهؤلاء ومن يُحسِّن ظنّه بهم أن: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]. وذروا التَّمويه والتظاهر بالانتماء إِلَى الشيخ واحتواء دعوته، وأنتم تعلمون أنَّ ما بينكم وبين الشيخ كما بين دعوة "الإخوان المسلمين" ودعوة أهل السنة، ومن يُنكر الحرب الشعواء الَّتي يشنُّها "الإخوان" ضدَّ أهل السنة منذ ميلادهم؟!

وليعلم القرَّاء حقيقة ما عليه دعوة هؤلاء فليمتحنوهم بالآتي:

- إن علماء السنة -الذين تتظاهرون بتوقيرهم- يركِّزون على التوحيد والسنة تنويهًا، وعلى الشِّرك والبدعة تنديدًا، فلِمَ خالفتموهم؟!

- إن علماء السنة لا يُركِّزون على السياسة، مع أنَّهم أهلُها والقادرون عليها، فلم خالفتموهم وركَّزتم على السياسة مع أنَّكم لستم أهلها؟!

- إن علماء السنة يركِّزون على بثِّ العلم الشرعيِّ، فلماذا خالفتموهم وركَّزتم على ما تسمُّونه: فقه الواقع؟!

- إن علماء السنة يَجتنبون الإثارة السياسية، ولاسيما عند العوام، فلماذا خالفتموهم وجعلتم لذلك مَجالس عامة مفتوحة؟!

وإذا زعمتم أنكم على خطِّ الشيخين ابن باز، وابن عثيمين -رحِمهما الله-، فهل وجدتم هذين الإمامين ينقلان للناس مثالبَ الحكَّام كما تفعلون أنتم؟!

وإذا زعمتم أنَّكم على خطِّ الشيخ الألباني -رحِمه الله-، فهل تقبلون نصيحته للدُّعاة اليوم حين قال: "أرى الآن: **من السياسة ترك السياسة**"، وأنتم تعلمون أنَّه بنى عليها دعوته؟!

وهذه لَمْ يقبلوها ولن يقبلوها أبدًا؛ لأنَّهم ما عاشوا إلاَّ بها، ولا عاشت إلاَّ بِهم، ولو تَجرَّدت دعوتُهم عن التركيز على السياسة الَّتي يصطادون بها الشباب لما كان لَهم إِلَى منبر المسجد حاجة!!

بل لو لَمْ يكن لَهم مَجال للحَوْم حول توحيد الحاكمية -كما هو اصطلاحهم- لَما كان لَهم إلَى الحديث عن التوحيد حاجة!!

ولذلك تراهم عند موضوع سياسي فِي إرعاد وإزباد، وإذا تبرَّعوا بموضوع عقديٍّ فببرودة واقتصاد!! وإذا غُلِبوا على التنديد بالشِّرك فَرَشٌّ خفيف، وأمَّا السنَّة فتزهيدٌ وتطفيف.

والبدعةُ تعربد بين أيديهم فلا إنكار، بل اخترعوا لأهلها قواعد وشدُّوا الإسار، فمن جاء ليكشف حالَهم للأمَّة قالوا: غير مُنصف؛ لأنَّ للقوم حسنات لا يَجوز كِتمانُها، والقاعدة عندهم تقول: لابدَّ من الموازنة بين حسنات المنتقَد وسيِّئاته!!

ومن جاء ليفضح مناهجَهم قالوا: ينشغل بزلاَّت إخوانه المسلمين، ويسكت عن أعدائه العلمانيين!!

ومن جعله الله على ثغر السنة يردُّ عنها الخطوب، كادوه بقاعدتِهم: الردودُ تقسِّي القلوب!!

وإنه ليعجبنِي من التابع يُقال له: أخطأ متبوعُك، فيقول: أين؟

وإنه ليُريبنِي من التابع يُقال له: أخطأ متبوعُك، فيقول: وأنَّى ذلك؟! ولعلَّ له فيها مسالك؟! أو يفرُّ ليكرَّ قائلاً: له جهودٌ لا تُنكَر!!

قلنا: وفتاوى لا تُشكَر!!

وأضلُّ منهم سعيًا من قال: كتابُك هذا يفرح به العلمانيُّون!!!

مع أنَّ فتوى الشيخ سلمان العودة، والشيخ سفر الحوالي فِي مباركة الدِّماء الجزائريَّة اليوم هي الَّتِي فرح بِها العلمانيُّون؛ لأنَّها بعثت فِي نفوس العطشى إلَى الدِّماء نفسًا وأي نفس، ومن ثَمَّ قدمت للعلمانيِّين "الشرعية القانونيَّة!" للهجوم على الإسلام والمسلمين باسم مُحاربة الإرهاب وحِماية حقوق الإنسان!.

ألا فقولوا لهؤلاء المفتين: أوقِفوا هذه الدِّماء الَّتِي ركبت متنَ فتواكم، وأشفقوا

على إخوانكم، فطالَما تَحدَّثتم عن غيرتكم على أعراضهم، واحترموا أهل العلم، فلا تُقدِّموا بين أيديهم، إن كنتم تقرُّون لَهم بالاقتدار على الفتوى في النوازل صدقًا!

إن هؤلاء القتلة في بلادنا قد تشجَّعوا بفتاواكم؛ إذ لَمْ يَجدوا عند أهل العلم من يؤيِّدهم سواكم، فأفزعوا العباد، وأرعبوا البلاد، وغرَّقوا أرضها بالدِّماء، وصيَّروا أهلها قطعًا من الأشلاء، ويتمت الولدان، وأرملت النسوان، وقطعت السُّبل...

فهل من الحكمة في شيء أن يُصان عرض داعية تولَّى كبر هذا كلِّه، ولا يُشفق على شعب ذهب ضحية فتواه؟! بل وشعوب أخرى تنتظر دورَها؛ لأنَّها لا تزال تُحسِّن ظنَّها به وبمثله؟!!

وسواءٌ أصدَّقتم بأنَّ للجماعات الإسلامية اليد الطولى في تلك الدِّماء الزكيَّة أم كذَّبتُم فالمسئولية عليكم؛ لأنَّكم إذا علمتُم بأنَّهم أراقوا الدِّماء ثُمَّ استمررتم على تلك الفتاوى، فكيف يكون حالكم إذا قامت قيامتُكم، وتعلَّق بكم القاتلُ والمقتول، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من أُفتي بفتيا غير ثبت فإنَّما إثْمه على من أفتاه**». رواه ابن ماجه (٥٣)، وهو صحيح.

وإذا زعمتم -ظنًّا وتَخمينًا وعصبيَّةً- أنه ليس لهذه الجماعات يدٌ في تلك الدِّماء، فقد أقررتُم إذن عيونَ من يريدها، وكنتم أداةً في يد من يصيدُها؛ لأنَّكم أعنتم العدوَّ على الوصول إلَى دماء إخوانكم بأيسر سبيل، وهو الفتوى "الشرعية!"، وبدلاً من أن تَجتهدوا في حقن الدِّماء، زدتُم أهلَها عمى على عمى، وأخذتموهم إلَى الشراك المنصوب بأرخص ثمن!!

فمن ذا الذي يُبرِّئكم إذن من تبعاتها، وقد قال أوَّلُكم لجبهة الإنقاذ الجزائريَّة: "**تصبر وتتحمَّل وتبذل المزيد من القتلى!!**".

وقال ثانيكم بأن المظاهرة النِّسوية أسلوبٌ من أساليب الدعوة والتأثير!!

ومثل هذه الكلمات هو الذي مهَّد لثالث أن يصدر: "**فتوى عظيمة الشان في**

قتل الذرية والنّسوان"!!!

وسيكون لنا ولِهذه الفتوى شأن فِي كتاب: "تخليص العباد من وحشيَّة أبِي القتاد فِي قتله النسوان وفلذات الأكباد" يسَّر الله إتمامه.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

كتبه
عبد المالك بن أحمد رمضاني
في ٢٠ محرم ١٤٢٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فقد منَّ الله تعالى على أمة نبيه مُحمَّد ﷺ بإكمال دينها، وإتمام نعمته عليها، ورضاه عنها بالإسلام الذي لا يقبل منها دينًا سواه، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

عن طارق بن شهاب قال: «جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين! إنكم تقرءون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتَّخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: وأيُّ آية؟ قال: قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾. فقال عمر: والله! إنِّي لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ

والساعة الَّتي نزلت فيها على رسول الله ﷺ: عشية عرفة في يوم جمعة». رواه أحمد والبخاري ومسلم.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد، وهي نعمة الإسلام والسنة".

ثُمَّ قال -بعد ذكر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين-: "فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة، وأصحابُها أيضًا هم المعنيُّون بقول الله تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾**"[(١)].

قال أبو العالية -رحمه الله-: "قرأت المحكم بعد وفاة نبيكم ﷺ بعشر سنين، فقد أنعم الله عليَّ بنعمتين، لا أدري أيهما أفضل: أن هداني للإسلام، ولَمْ يَجعلني حروريًّا"[(٢)].

يريد نعمة الهداية إلَى الإسلام من بين الملل الكافرة، ونعمة الهداية إلَى السنة من بين الطوائف المبتدعة؛ وكانت بدعةُ الخوارج الحروريين أشدَّها خطفًا للقلوب وترويعًا للمسلمين! والله العاصم.

ثُمَّ أما بعد، فقد أحكمَ الله ﷻ كتابه وأحسن تفصيله، وفصَّل لنا فيه كل ما ينفعنا ويضرنا، وهو القائل: **﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾** [هود:١]. وقال: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾** [الإسراء:١٢]. وقال: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾** [النحل:٨٩]. وقال: **﴿وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ**

---

(١) "اجتماع الجيوش الإسلامية" (ص:٣).

(٢) رواه عبد الرزاق (١٥٣/١٠)، وابن سعد (١١٤/٧)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد رقم (٢٣٠)، وابن أبي زمنين في أصول السنة رقم (٢٤٠)، وأبو نعيم (٢١٨/٢)، والهروي في ذم الكلام (ق٨٩/ب)، وذكره الذهبي في السير (٢١٢/٤)، وهو صحيح.

عظيمًا﴾ [النساء:١١٣]. وقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩].

وعن ابن مسعود ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من عمل يقرِّب إلَى الجنة إلا قد أمرتكم به، ولا عمل يقرِّب إلَى النار إلا قد نَهيتكم عنه، لا يستبطئن أحد منكم رزقه، إن جبريل ﷺ ألقى في روعي أن أحدًا منكم لن يَخرج من الدنيا حَتَّى يستكمل رزقه، فاتقوا الله أيها الناس! وأجْمِلوا في الطلب، فإن استبطأ أحد منكم رزقه، فلا يطلبه بمعصية؛ فإن الله لا يُنال فضلُه بمعصية**». رواه الحاكم وغيره، وهو صحيح.

وإذا كان النَّبِي ﷺ بيَّن لنا الهدى وحثَّنا عليه، وبيَّن لنا الضلال وحذَّرنا منه، لَمْ يبق لأحد عذر فِي الطمع فِي غير هذه الشريعة الكاملة.

قال ابن القيم -رحِمه الله-:

"**وأما الرضا بنبيِّه رسولاً:** فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره ألبتة، لا فِي شيء من أسْماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا فِي شيء من أذواق حقائق الإيْمان ومقاماته، ولا فِي شيء من أحكام ظاهره وباطنه، لا يرضى فِي ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه، فإن عجز عنه كان تَحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لَمْ يَجد ما يقيته إلا من الميتة والدم، وأحسن أحواله أن يكون من باب التراب الذي إنَّما يُتيمَّم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

وأما الرضا بدينه: فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى، رضي كل الرضا، ولَمْ يبق فِي قلبه حرج من حكمه، وسلَّم له تسليمًا، ولو كان مُخالفًا لمراد نفسه أو هواها، أو قول مقلده وشيخه وطائفته"[١].

---

(١) مدارج السالكين (٢/١٧٢-١٧٣).

وكما أن الله أكمل دينه علمًا، فقد أكمله عملاً؛ إذ كما لا يَخلو زمن من قائم بحجته، فلا يَخلو زمن من طائفة مؤمنة تعمل بهذا الدين، فعن حُميد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية خطيبًا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يُرد الله به خيرًا يفقِّهه في الدين، وإنَّما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال من هذه الأمة أمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حَتَّى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك**». متفق عليه.

ثُمَّ اعلم -أيها القارئ!- أن الذي دفعني إلَى هذه الكتابة على الرغم من القصور، أنني رأيت شباب المسلمين يردون مواقع الحِمام، يرشفون سمه بسقي أيديهم ولا يُحسون بملام، فدعوتُ إلَى صون العمل السياسي عن العبث الذي هو أحد أسباب هذا الواقع المشئوم، بتأصيل احترام التخصص انطلاقًا من قاعدة: ﴿**وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ**﴾. ثُمَّ تنفَّلتُ بضرب المثل بتجربة الجزائر؛ زيادة في البيان، وإمعانًا في الإعذار لذوي البصائر.

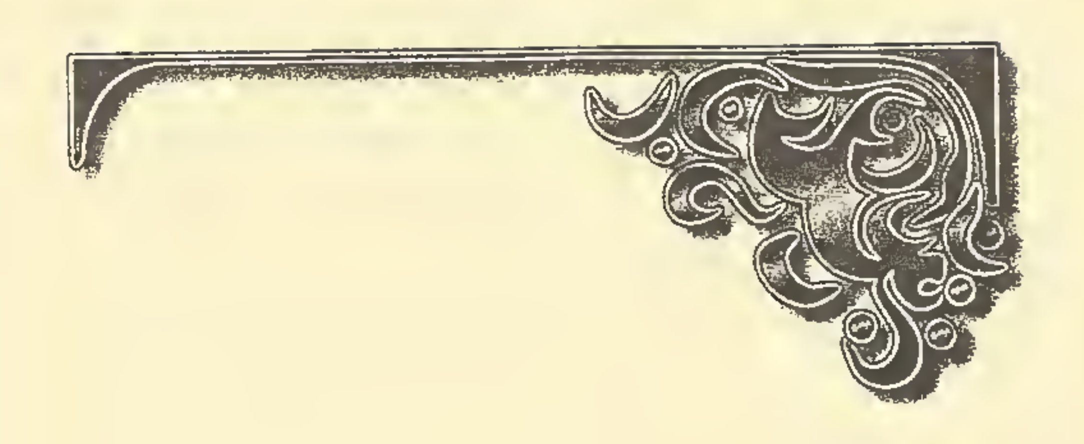
ولعلك واجد في هذه النافلة أخبارًا لا تروقُك، أو لا يُصدِّقها ظَنُّك، فتجاوزْها! فإن ذلك لا يضرك؛ لأنني لست ممن يُحكِّم الواقع في الشرع الحنيف، وقف عند القواعد العلمية؛ فإنَّها أصل هذا التصنيف، والله الموفق لسلوك هدي خير البرية.

ثُمَّ إنِّي شاكر للشيخ العلامة الألباني، وللشيخ العلامة عبد المحسن العبَّاد -حفظهما الله تعالى- تفرُّغهما لقراءة هذا الكتاب المتواضع وحسن عنايتهما بالنصيحة للمسلمين، وشاكر لسائر المشايخ والإخوة الذين لَمْ يبخلوا عليَّ بإرشاداتهم وتنبيهاتهم القيمة، فجزاهم الله خيرًا.

وقبل الخوض في الموضوع، إليك تنبيهات سريعة على أصول مهمة، لا أستقصي بَحثها وجمع أدلتها، وإنَّما هي لفت انتباه وتذكير.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊





الأصـــل الأول:

الطريق واحـد



الأصل الأول: الطريق واحد

اعلم -رحمك الله!- أن الطريق الذي يضمن لك نعمة الإسلام واحد لا يتعدد؛ لأن الله كتب الفلاح لحزب واحد فقط فقال: ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]. وكتب الغلبة لهذا الحزب وحده فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦].

ومهما بَحثت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلن تَجد تفريق الأمة إلى جَماعات وتَحزيبها في تكتلات إلا مذمومًا، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

وكيف يُقِرُّ ربنا ﷻ أمة على التشتت بعدما عصمها بحبله، وهو يُبَرِّئ نبيه ﷺ منها حين تكون كذلك وتوعَّدها عليه فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: **«ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»**[1].

---

(١) رواه أحمد (١٠٢/٤)، وأبو داود (٤٥٩٧)، والدارمي (٢٤١/٢)، والطبراني (٣٧٦/١٩، ٨٨٤-٨٨٥)، والحاكم (١٢٨/١)، وغيرهم، وهو صحيح.

ورواه أحمد (٣٣٢/٢)، وأبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٢)، وابن ماجه (٣٩٩٠)، وأبو يعلى (٥٩١٠، ٥٩٧٨، ٦١١٧)، وابن حبان (٦٢٤٧/١٤)، و(٦٧٣١/١٥)، والحاكم (٦/١، ١٢٨)، وغيرهم من حديث أبي هريرة، وله روايات أخرى كثيرة عن أنس، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وغيرهما ﷺ.

=

قال الأمير الصنعاني -رحمه الله-: "ليس ذكر العدد في الحديث لبيان كثرة الهالكين، وإنَّما هو لبيان اتِّساع طرق الضلال وشُعبها، ووحدة طريق الحق، نظير ذلك ما ذكره أئمة التفسير في قوله: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. أنه جمع السُّبُل المنهي عنْ اتِّباعها لبيان تشعب طرق الضلال وكثرتها وسعتها، وأفرد سبيل الهدى والحق لوحدته وعدم تعدُّده"[(١)].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: «خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثُمَّ قال: هذا سبيل الله. ثُمَّ خطَّ خطوطًا عن يمينه، وعن شماله، ثُمَّ قال: هذه سبل، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه». ثُمَّ قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣][(٢)].

فدلَّ هذا الحديث بنصه على أن الطريق واحد.

قال ابن القيم: "وهذا لأن الطريق الموصل إلَى الله واحد، وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه، ولا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب، فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة، إلا من هذا

وصححه الترمذي والحاكم والذهبي والجوزجاني في الأباطيل (٣٠٢/١)، والبغوي في شرح السنة (٢١٣/١)، والشاطبي في الاعتصام (٦٩٨/٢-الهلالي)، وابن تيمية كما في المجموع (٣/ ٣٤٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٨/٨)، وابن كثير في تفسيره (٣٩٠/١)، وابن حجر في تخريج الكشاف (ص٦٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣٢٤٠)، والبوصيري في مصباح الزجاجة (١٨٠/٤)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٣)، وغيرهم كثير جدًّا.

وإنَّما ذكرتُ هذا لإفحام بعض أهل البدع، الذين يحاولون عبثًا تضعيف هذا الحديث العظيم الذي قال فيه الحاكم -رحمه الله-: "هذا حديث كبير -أو كثّر كما ضبطه بعضهم- في الأصول".

(١) حديث افتراق الأمة إلَى نيِّف وسبعين فرقة (ص:٦٧-٦٨).

(٢) رواه أحمد (٤٣٥/١) وغيره وهو صحيح.

الطريق الواحد، فإنه متصل بالله موصل إلَى الله"[١].

❊ قلت: ولكن كثرة بُنياته العاديات تشكك فيه وتُخذِّل عنه، وإنَّما انْحَرف عنه من انْحَرف من الفرق استئناسًا بالتعدُّد، وتوحُّشًا من التفرُّد، واستعجالاً للوصول، وجُبْنًا عن تَحمل الطول.

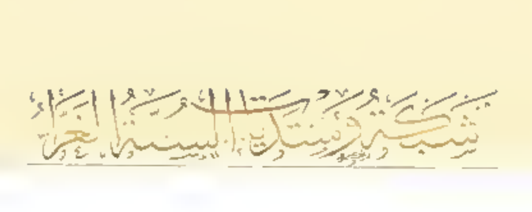
قال ابن القيم: "من استطال الطريق ضعف مشيه"[٢].

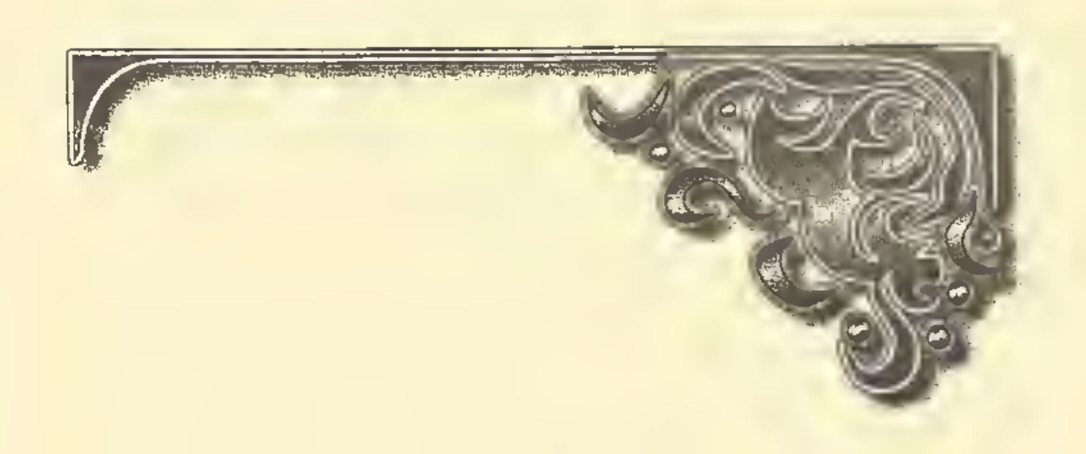
والله المستعان.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) التفسير القيم (ص:١٤-١٥).

(٢) الفوائد (ص:٩٠) ط. دار الكتب العلمية.





الأصــل الثاني:
اتباع الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح



الأصل الثاني
اتباع الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح [1]

إن الذي لَم يَختلف فيه المسلمون قديمًا وحديثًا هو أنَّ الطريق الذي ارتضاه لنا ربنا هو طريق الكتاب والسنة، فإليه يردون ومنه يصدرون، وإن اختلفوا في وجوه الاستدلال بهما.

ذلك؛ لأنَّ الله ضَمن الاستقامة لمتبع الكتاب فقال على لسان مؤمني الجن: ﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:٣٠].

كما ضمنها لمتبع الرسول ﷺ الذي قال له ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

لكن الذي جعل الفرق الإسلامية تنحرف عن الصراط هو إغفالها ركنًا ثالثًا جاء التنويه به في الوحيين جميعًا، ألا وهو فَهْمُ السلف الصالح للكتاب والسنة.

وقد اشتملت سورة الفاتحة على هذه الأركان الثلاثة في أكمل بيان:

فقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]. اشتمل على ركنَي الكتاب والسنة، كما سبق.

وقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧]. **اشتمل على فهم السلف لهذا الصراط، مع أنه لا يشك أحدٌ في أنَّ من التزم بالكتاب والسنة فقد اهتدى إلى الصراط المستقيم، إلا أنه لما كان فهم الناس للكتاب والسنة منه الصحيح ومنه السقيم، اقتضى الأمرُ ركنًا ثالثًا لرفع الخلاف، ألا وهو تقييدُ فهم الأخلاف بفهم الأسلاف.**

---

(١) راجع: الاعتصام للشاطبي (٢/٢٥٢).

قال ابن القيم: "وتأمل سرًّا بديعًا في ذكر السبب والجزاء للطوائف الثلاثة بأوجز لفظ وأخصره؛ فإن الإنعام عليهم يتضمن إنعامه بالهداية الَّتي هي العلم النافع والعمل الصالح"[1].

وقال: "فكلُّ من كان أعرف للحق وأتبع له كان أولى بالصراط المستقيم، ولا ريب أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم هم أولى بهذه الصفة من الروافض ... ولهذا فسَّر السلف "الصراط المستقيم وأهله" بأبي بكر وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ..."[2].

وفي هذا تنصيص منه -رحمه الله- على أن أفضل من أنعم الله عليه بالعلم والعمل هم أصحاب رسول الله ﷺ؛ **لأنَّهم شهدوا التنْزيل، وشاهدوا من هدي الرسول الكريم ما فهموا به التأويل السليم**، كما قال ابن مسعود ﷺ: **«من كان منكم مُسْتَنًّا فليستنَّ بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب مُحمَّد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرَّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلُّفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لَهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتَمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم؛ فإنَّهم كانوا على الهدي المستقيم»**[3].

وقال أيضًا: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب مُحمَّد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثُمَّ نظر في قلوب العباد بعد قلب مُحمَّد

---

(١) مدارج السالكين (١٣/١).

(٢) المصدر السابق (٧٢/١-٧٣)، وقد صح هذا التفسير موقوفًا على أبي العالية والحسن، ذكره ابن حبان في الثقات (٢٢٩/٦) تعليقًا، ووصله ابن نصر في السنة (٢٧)، وابن جرير في تفسيره (١٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١/١-٢٢)، والحاكم (٢٥٩/٢)، وصحَّحه هو والذهبي. وانظر أيضًا: الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم (٧٣)، فقد ورد فيه مثله عن ابن مسعود ﷺ.

(٣) أخرجه بنحوه ابن عبد البر في جامع البيان (٩٧/٢) ورواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر (٣٠٥/١).

فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ"(١).

إذن فالمسلمون المقصودون لابن مسعود هم الصحابة ﷺ.

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: "أصول السنة عندنا التمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم"(٢).

ومن حظيَ برضا الله من بعدهم فلاقتدائه بهديهم، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠](٣).

وقد جاء تحديد زمن السلف الذين لا تجوز مُخالفتهم بإحداث فهم لَمْ يفهموه، في حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ الناس قَرني، ثُمَّ الذين يلونَهم، ثُمَّ الذين يلونَهم، ثُمَّ يَجيءُ قومٌ تسبقُ شهادةُ أحدهم يَمينه، ويَمينه شهادته»(٤). متفق عليه(٥).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس -رحمه الله-: "الإسلام إنَّما هو في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه سلفُها من أهل القرون الثلاثة المشهود لَهم بالخيرية على لسان الصادق المصدوق"(٦).

ولهذا الأصل نظائر وأدلة من الكتاب والسنة، منها قول الله تعالى: ﴿وَمَن

(١) رواه أحمد (٣٧٩/١) وغيره، وهو حسن.

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣١٧)، وابن الجوزي في مناقب أحمد (ص: ٢٣٠) في كلام طويل، وساق الخلال إسناده في السنة (١٦٨)، واختصره.

(٣) انظر تخريج استدلال مالك بهذه الآية في إعلام الموقعين لابن القيم (٩٤/٤-٩٥).

(٤) ومن ارتاب في عدد القرون فليرجع إلى الصحيحة للألباني رقم (٧٠٠).

(٥) البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٦) آثار الإمام عبد الحميد بن باديس (٧٣/٥).

يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

والشاهد هنا في ضمِّ مُجانبة سبيل المؤمنين إلى مشاقَّة الرسول لاستحقاق هذا الوعيد الشديد، مع أنَّ مشاقَّة الرسول ﷺ وحده كفيلةٌ بذلك كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [مُحمَّد:٣٢][(١)].

ومنها ما رواه عبد الله بن لحي عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فينا فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة**». رواه أبو داود وغيره وهو صحيح، وقد تقدم.

والشاهد هنا في وصف الفرقة الناجية بالجماعة، والعدول عن إضافتها إلى الكتاب والسنة، مع أنَّها لا يُمكن أن تخرج عنهما قط؛ والسر في ذلك يكمن في التنبيه على الجماعة الَّتي فهمت نصوص الوحيين، وعملت بهما على مراد الله ورسوله، ولَم يكن يومئذ جماعة إلا أصحاب رسول الله ﷺ؛ ولذلك صحح أهل العلم -في الشواهد- اللفظ الآخر الوارد في هذا الحديث من رواية الحاكم وغيره وهو قوله ﷺ في وصف الفرقة الناجية: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

ومنها ما رواه العرباض بن سارية قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودِّع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإنْ عبدًا حبشيًا؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تَمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩/١٩٤).

الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». رواه أبو داود وغيره، وهو صحيح، وقد تقدم.

والشاهد هنا في الجمع بين اتباع السنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين المهديين[١]، ثُمَّ تأمل كيف جعل النَّبي ﷺ كلمته هذه وصيته لأمته من بعده لتعلم صدق القول بأصالة هذا المنهج، ثُمَّ تأمل كيف قابل الاختلاف بالتزام هذا المنهج لتعلم أن ضابط "فهم السلف الصالح" سبب النجاة من التفرُّق.

قال الشاطبي -رحمه الله-: "فقرن ﷺ -كما ترى- سنة الخلفاء الراشدين بسنته، وأن من اتباع سنته اتباع سنتهم، وأن المحدثات خلاف ذلك، ليست منها في شيء؛ لأنهم ﷺ فيما سنُّوا: إما متبعون لسنة نبيهم ﷺ نفسها، وإما متبعون لما فهموا من سنته ﷺ في الجملة والتفصيل على وجه يَخفى على غيرهم مثله، لا زائدة على ذلك"[٢].

وقد جعلتُ هذه النصوص من النظائر والأدلة على تأصيل ما أنا بصدده؛ لأنني وجدت ابن أبي العز نزع بها عند شرحه قول الطحاوي: "ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة"[٣].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) وإليه أشار ابن قدامة -رحمه الله- في لمعة الاعتقاد (برقم ٦-البدر).

(٢) الاعتصام (١/١٠٤).

(٣) (ص٣٨٢-٣٨٣) ط. المكتب الإسلامي.

* تطبيق:

لبيان ضرورة تقييد فهم الكتاب بالسنة، وتقييد فهم الكتاب والسنة بما كان عليه السلف الصالح، أُورد هنا قصة جرت أيام مِحنة الإمام أحمد -رحمه الله-؛ لأبيِّن بها المقصودين في آن واحد.

قال الآجري -رحمه الله-: "بلغني عن المهتدي -رحمه الله تعالى- أنه قال: ما قطع أَبي -يعني: الواثق- إلا شيخ جيء به من المصيصة، فمكث في السجن مدة، ثُمَّ إن أَبي ذكره يومًا فقال: علي بالشيخ، فأُتي به مقيَّدًا، فلما أُوقف بين يديه سلم عليه، فلم يرُدَّ عليه السلام.

فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين! ما استعملت معي أدب الله تعالى، ولا أدب رسوله ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء:٨٦]. وأمر النَّبي ﷺ برد السلام!!

فقال له: وعليك السلام. ثُمَّ قال لابن أبي دُؤاد: سلْهُ، فقال: يا أمير المؤمنين! أنا مَحبوس مقيَّد، أُصلي في الحبس بتيمم، مُنعتُ الماء، فمُر بقيودي تُحل، ومر لي بماء أتطهر وأصلي، ثُمَّ سلني.

قال: فأمر فحُل قيده، وأمر له بماء، فتوضأ وصلى، ثُمَّ قال لابن أبي دؤاد: سله.

فقال الشيخ: المسألة لي، تأمره أن يُجيبني، فقال: سل، فأقبل الشيخ على ابن أبي دؤاد يسأله فقال: أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه، أشيء دعا إليه رسول الله ﷺ؟

قال: لا!

قال: فشيء دعا إليه أبو بكر الصديق ﷺ بعده؟

قال: لا!

قال: فشيء دعا إليه عمر بن الخطاب ﷺ بعدهما؟

قال: لا!

قال الشيخ: فشيء دعا إليه عثمان بن عفان بعدهم؟

قال: لا!

قال: فشيء دعا إليه علي بن أبي طالب ﷺ بعدهم؟

قال: لا!

قال الشيخ: فشيء لَمْ يدعُ رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي -رضي الله تعالى عنهم- تدعو أنت الناس إليه؟! ليس يَخلو أن تقول: علِموه أو جهلوه.

فإن قلت: علِموه وسكتوا عنه. وسِعَنا وإياك ما وَسِع القوم من السكوت.

فإن قلت: جهلوه وعلمتُه أنا. فيا لُكَعُ بن لكع! يَجهل النَّبي ﷺ والخلفاء الراشدون -رضي الله تعالى عنهم- شيئًا وتعلمه أنت وأصحابك؟!

قال المهتدي: فرأيت أبي وثب قائمًا ودخل الحيرى[1]، وجعل ثوبه في فيه يضحك، ثُمَّ جعل يقول: صدق، ليس يَخلو من أن نقول: جهلوه أو علموه.

فإن قلنا: علموه وسكتوا عنه. وسعنا من السكوت ما وسع القوم.

وإن قلنا: جهلوه وعلمته أنت. فيا لكع بن لكع! يَجهل النَّبي ﷺ وأصحابه -رضي الله تعالى عنهم- شيئًا تعلمه أنت وأصحابك؟!

ثُمَّ قال: يا أحمد! قلت: لبيك، قال: لستُ أعنيك، إنَّما أعني ابن أبي دُؤاد،

---

(١) هكذا في بعض النسخ، فلعله: "الحيرى" من الحير، جاء في لسان العرب لابن منظور بتحقيق علي شيري (٤١٧/٣): "والحير بالفتح: شبه الحظيرة أو الحمى، وأنشد عن بعض الهذليين:

فيا ربَّ حيرى جمادية تحدَّر فيها الندى الساكبُ

وقال: "فإنه عنى روضة متحيِّرة بالماء" (٤١٥/٣).

وفي بعض النسخ ما يقرأ: "الحيزى"، ولَمْ أجد له معنى، فالله أعلم.

فوثب إليه فقال: أعط هذا الشيخ نفقة، وأخرجه عن بلدنا".

وفِي رواية أوردها الذهبي فِي السير: "... وسقط من عينه ابن أبِي دُؤاد، ولَمْ يَمتحن بعدها أحدًا".

وفِي رواية: "قال المهتدي: فرجعتُ عن هذه المقالة، وأظن أنَّ أبِي رجع عنها منذ ذلك الوقت"[1].

* قلت: تأمل! فإن ردَّ الشيخ هذا الأمر العظيم إلَى سيرة السلف الصالح رفع الخلاف مباشرة، وكان سبب هداية الواثق والمهتدي إلَى ما جاء ذكره فِي القصة، فهذا يدلك على أنه تأصيل دقيق، فاحفظه!.

ولذلك لا يزال أهلُ العلم يُردِّدون كلمة إمام دار الهجرة مالك بن أنس -رحمه الله-: "لا يُصْلح آخرَ هذا الأمر إلاَّ ما أصلح أوَّله"[2].

* * * * *

---

(١) قال الذهبي: "هذه القصة مليحة، وإن كان فِي طريقها من يُجهل ولَها شاهد" السير (١١/٣١٣).

* قلت: وقد رواها الآجري فِي الشريعة بلاغًا (١/٤٥٥)، ثُمَّ أسندها (رقم:١٩٣)، وعنه ابن بطة فِي الإبانة الرد على الجهمية (٤٥٢).

وأخرجها أيضًا من طرق أخرى ابن بطة تحت الرقم السابق و(٤٥٣)، والخطيب فِي تاريخ بغداد (٤/١٥١-١٥٢)، و(١٠/٧٥-٧٩)، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص:٤٧٥-٤٨٠)، وعبد الغني المقدسي فِي المحنة (ص:١٦٩-١٧٤) و(١٦٧-١٦٩)، وابن قدامة فِي التوابين (ص: ٢١٠-٢١٥).

(٢) وهذه العبارة العظيمة أخذها مالك من شيخه وهب بن كيسان، رواها الجوهري فِي مسند الموطأ (ق ١٣٨ ب)، من طريق إسماعيل بن أبِي أويس، وابن عبد البر فِي التمهيد (٢٣/١٠) من طريق أشهب بن عبد العزيز، كلاهما عن مالك قال: "كان وهب بن كيسان يقعد إلينا ولا يقوم حتَّى يقول لنا: اعلموا ...". وذكرها ، وإسنادها صحيح، ودونك هذا التكرار.

❋ تنبيه:

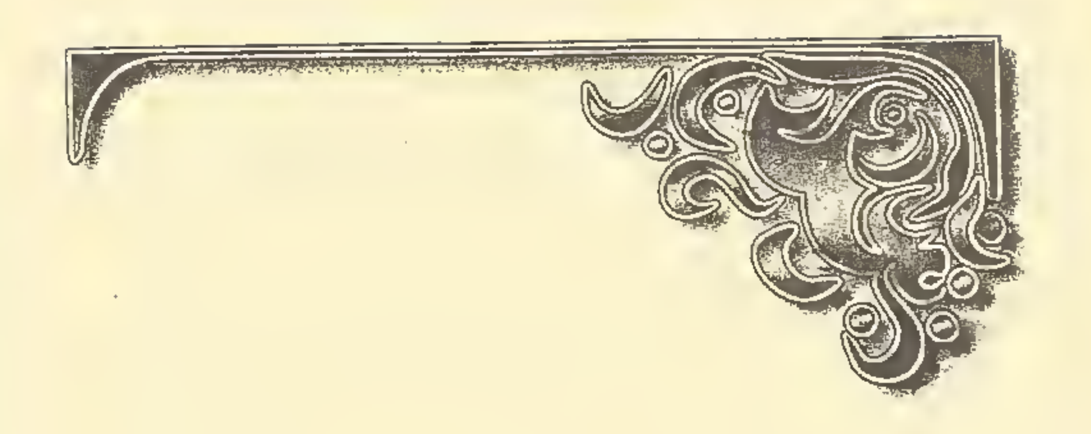
إذا اختلف سلفنا الصالح في مسألة ما كان تحكيم الدليل من الكتاب والسنة هو المسلك الوحيد، لقول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء:٥٩]. وكلمة "شيء" هنا نكرةٌ في سياق الشرط، فتعم كل اختلاف التضاد في الأصول والفروع، كما أشار إليه العلامة مُحمَّد الأمين الشنقيطي[١].

وقال ابن القيم: "ولو لَمْ يكن في كتاب الله وسنة رسوله بيانُ حكم ما تنازعوا فيه ولَمْ يكن كافيًا، لَمْ يامر بالرَّدِّ إليه؛ إذ من الممتنع أن يامر تعالى بالرد عند النِّزاع إلَى من لا يوجدُ عنده فصلُ النِّزاع"[٢].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) أضواء البيان (٣٣٣/١).

(٢) إعلام الموقعين (٤٩/١).



الأصـــل الثالث:

نيل السؤدد بالعلم



الأصل الثالث: نيل السؤدد بالعلم

هذا الفصل من أنفس ما في هذه الأصول الستة؛ لأن الغرض منه هو تبيان أصل العمل الذي ينبغي أن تكرَّس له الجهود، فإن قومًا رأوا النشاط الرهيب الذي تَجتهد فيه قُوى الكفر والضلال، فظنوا أن سيادتَهم ترجع إليهم بمجرد مقابلة نشاطهم بنشاط أقوى منه، فوجَّهوا كل ما يَملكون من وسائل لمجاراتهم وأهملوا العلم الشرعي إهمالاً فاحشًا! والحقيقة أنَّهم مهما أحكموا التنظيم وأحسنوا التدبير وكثّفوا النشاط وحفظوا من مكائد العدو، فلن يُكتب لَهم سؤدد ولا رفعة حتَّى يؤسِّسوا عملهم على العلم ويعرفوا له ولأهله قدره؛ قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]. وقال: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ [الأنعام:٨٣].

قال مالك -رحمه الله-: "بالعلم"(١).

وهذا أخذه مالك من شيخه زيد بن أسلم -رحمه الله-، فقد قال -رحمه الله-: سمعت زيد بن أسلم يقول في هذه الآية: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ [الأنعام:٨٣] "إنه العلم؛ يرفع الله به من يشاء في الدنيا"(٢).

وهذه الرفعة تكون في الدنيا قبل الآخرة؛ كما قال الله تعالى عن اصطفائه طالوت لسيادة الملأ من بني إسرائيل: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ

---

(١) شرح السنة للبغوي (٢٧٢/١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٣٥/٤)، و(٢١٧٦/٧)، وأبو الفضل الزهري في حديثه (٥٤٥) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٩٠١)، وهو صحيح.

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٧].

وفي صحيح مسلم[1] عن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعُسْفان، وكان عمر يستعمله على مكة[2]، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى[3] من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷻ، وإنه عالم بالفرائض[4]، قال عمر: أما إنَّ نبيكم ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين».

ولذلك أخبر الله ﷻ أنه رفع الربانيين من بني إسرائيل حتَّى جعلهم حكّامًا عليهم ينفِّذون فيهم أمر الله فقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة:٤٤].

وهؤلاء الربانيون الممكَّن لهم جاء وصفهم بالعلم والتعليم، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

وفي كتاب الله ﷻ آيتان تشابهتا في اللفظ، يقول الله في الأولى عن إبراهيم ﷺ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣].

وفي الثانية يقول عن يوسف ﷺ: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ

(١) برقم: (٨١٧)، ورواه أيضًا ابن ماجه (٢١٨).

(٢) أي: جعله واليًا عليها.

(٣) أي: عبد مملوك.

(٤) أي: عالم بالمواريث، وفي طريق زيادة: "قاض".

عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦].

وفِي هذا سرٌّ بديعٌ من أسرار الكتاب العزيز ذكره ابن تيمية فِي كلام نفيس جدًّا، حيث يقول:

"ذكر الله أنه يرفع درجات من يشاء فِي قصة مناظرة إبراهيم، وفِي قصة احتيال يوسف، ولِهذا قال السلف: بالعلم؛ فإن سياق الآيات يدل عليه، فقصة إبراهيم فِي العلم بالحجة والمناظرة لدفع ضرر الخصم عن الدين، وقصة يوسف فِي العلم بالسياسة والتدبير لتحصل منفعة المطلوب.

فالأول: علم بِما يدفع المضار فِي الدين.

والثانِي: علم بِما يَجلب المنافع.

أو يقال: الأول: هو العلم بِما يدفع المضرة عن الدين، ويَجلب منفعته.

والثانِي: علم بِما يدفع المضرة عن الدنيا، ويَجلب منفعتها.

أو يقال: قصة إبراهيم فِي علم الأقوال النافعة عند الحاجة إليها.

وقصة يوسف فِي علم الأفعال عند الحاجة إليها، فالحاجة جلب المنفعة ودفع المضرة قد تكون إِلَى القول، وقد تكون ... [١].

ولِهذا كان المقصِّرون عن علم الحجج والدلالات وعلم السياسة والأمارات مقهورين مع هذين الصنفين تارة بالاحتياج إليهم إذا هجم عدو يفسد الدين بالجدل أو الدنيا بالظلم، وتارة بالاحتياج إليهم إذا هجم على أنفسهم من أنفسهم ذلك، وتارة بالاحتياج إليهم لتخليص بعضهم من شر بعض فِي الدين والدنيا، وتارة يعيشون فِي ظلهم فِي مكان ليس فيه مبتدع يستطيل عليهم ولا والٍ يظلمهم، وما ذاك إلا لوجود علماء الحجج الدامغة لأهل البدع، والسياسة الدافعة للظلم ..."[٢].

---

(١) بياض بالأصل.

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/٤٩٣-٤٩٤).

فدار أمر الرئاسة الدينية والدنيوية على العلم؛ لأنه أصل لَهما.

ولذلك قال ابن تيمية أيضًا: "وذلك أن الله يقول في كتابه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد:٢٥]. فأخبر أنه أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنه أنزل الحديد كما ذكره.

فقوام الدين بالكتاب الهادي والسيف الناصر ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:٣١]. والكتاب هو الأصلُ، ولهذا أول ما بعث الله رسوله أنزل عليه الكتاب، ومكث بمكة لَمْ يأمره بالسيف حتَّى هاجر وصار له أعوانٌ على الجهاد"[١].

إذن فالذين يتصوَّرون قيام دولة الإسلام بمجرد عاطفة إسلامية، وفكر مُجرد عن حجة الشرع يسمُّونه "فكرًا إسلاميًا!"، ونتفٍ من العلم يسمُّونها "ثقافة إسلامية!" وأن التعليم مرحلة قادمة بعدها، فهؤلاء طالبوا سراب؛ لأنَّهم يتخيَّلونَها بلا قوة ولا أسباب.

وأُولى القوَّتين قوةُ الدِّين الذي عليه وعد الله المؤمنين بالنصر فقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

ولهذا قال ابن القيم: "ولَمَّا كان جهادُ أعداء الله في الخارج فرعًا على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النَّبِي ﷺ: «المجاهدُ من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجرُ من هجر ما نَهى الله عنه»[٢]. كان جهادُ النفس مقدَّمًا على جهاد العدو في الخارج وأصلاً له؛ فإنه من لَمْ يُجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أُمرت به وتترك ما نُهيت عنه ويحاربُها في الله، لَمْ يمكنه جهادُ عدوِّه في الخارج، فكيف يُمكنه جهاد عدوِّه والانتصاف منه، وعدوُّه الذي بين

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٣٤).

وأحبّ أن أُنبِّه القارئ هنا إِلَى أنني وجدتُ من ابتُلي بفكر ثوري يبتر كلام ابن تيمية هذا عند آية الفرقان؛ لأن ما بعدها يُحطم له المراد من استغلال كلام الشيخ! فتنبه!

(٢) رواه أحمد (٣/٢١) وغيره وهو صحيح.

جنبيه قاهرٌ له، متسلط عليه، لَمْ يُجاهده ولَمْ يُحاربه فِي الله؟! بل لا يمكنه الخروج إلَى عدوِّه حَتَّى يُجاهد نفسه على الخروج.

فهذان عدوان قد امتُحن العبدُ بجهادهما، وبينهما عدوٌّ ثالثٌ، لا يُمكنه جهادهما إلا بجهاده، وهو واقفٌ بينهما يثبِّطُ العبد عن جهادهما ويُخذِّلُه ويرجف به، ولا يزال يُخيِّل له ما فِي جهادهما من المشاقِّ وترك الحظوظ وفوت اللذات والمشتهيات، ولا يمكنه أن يُجاهد ذَيْنك العدوَّيْن إلا بجهاده، فكان جهاده هو الأصل لجهادهما، وهو الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦]. والأمر باتِّخاذه عدوًّا تنبيهٌ على استفراغ الوسع فِي مُحاربته ومُجاهدته، كأنه عدوٌّ لا يفتر ولا يقصر عن مُحاربة العبد على عدد الأنفاس"[1].

هذا الكلام فِي غاية الجودة والوضوح، وهو تصحيح لمنهج الذين يرمون غيرهم بالحجارة، وبيوتُهم من زجاج! وفِي الوقت نفسه يُعظمون الأسباب المادية حَتَّى يروا أنَّ عدوَّهم تَمكَّن لقوته، والحق أنه لا يدخل عليهم العدوُّ بيوتَهم إلا إذا وَهَى بنيانُها؛ أي لا ينهزم المسلمون لقوة عدوهم ولكن لضعف إيْمانهم، حَتَّى ولو عريت أيديهم من الأسباب -بعد بذل الوسع- كفاهم الله ما نابَهم.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "ومن سنة الله أنَّ من لَمْ يُمكن المؤمنون أن يعيذوه[2] من الذين يؤذون الله ورسوله؛ فإن الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه، كما قدَّمنا بعض ذلك فِي قصة الكاتب المفتري، وكما قال سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٤-٩٥]."[3].

---

(١) زاد المعاد (٦/٣).

(٢) تصحف فِي المطبوع إلَى: "أن يعذبوه" وهو غير مستقيم، وما أثبته أعلاه هو الموافق للأصول المخطوطة؛ كما فِي المطبوع حديثًا (٣٥٧/٢).

(٣) الصارم المسلول (ص:١٦٤).

وقال ابن القيم: "تالله! ما عدا عليك العدوُّ إلا بعد أن تولّى عنك الولِيُّ، فلا تظن أن الشيطان غلب، ولكن الحافظ أعرض"[١].

وقد عرفت أنك تُحرَم ولاء ربك إذا تركت المأمور، وركبت المحظور، كما أنك منصور بِحفظك الله فِي أمره ونَهيه، فعاد الأصل إلَى العلم؛ لأنه لا يُعرف الأمر والنهي إلا به.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) الفوائد (ص:٧٩).

* لطيفة:

عن الزبير بن عدي قال: دخلنا على أنس بن مالك قال: «فشكونا إليه ما نلقى من الحجَّاج، فقال: ما من عام إلا والذي بعده شرٌّ منه حتَّى تلقوا ربَّكم. سمعت هذا من نبيكم»[1].

قال ابن حجر: "وقد استُشكل هذا الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون الَّتِي قبلها، ولو لَمْ يكن فِي ذلك إلا زمن عمر بن عبد العزيز، وهو بعد زمن الحجاج بيسير، وقد اشتهر الخير الذي كان فِي زمن عمر بن عبد العزيز ... وأجاب بعضهم أنَّ المراد بالتفضيل تفضيل مَجموع العصر على مَجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة فِي الأحياء، وفِي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا، والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده لقوله ﷺ: «خير القرون قرني...». وهو فِي الصحيحين"[2].

ثُمَّ قال: "ثُمَّ وجدت عن عبد الله بن مسعود التصريح بالمراد، وهو أولى بالاتباع، فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: «لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شرٌّ من اليوم الذي قبله حتَّى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه، ولا مالاً يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علمًا من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس، فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون».

ومن طريق الشعبي عن مسروق عنه قال: «لا يأتي عليكم زمان إلا وهو شر مِمَّا كان قبله، أما إنِّي لا أعني أميرًا خيرًا من أمير، ولا عامًا خيرًا من عام، ولكن علماؤكم

(١) رواه أحمد (١١٧/٣)، والبخاري (٧٠٦٨)، والترمذي (٢٢٠٦).

(٢) لفظ الصحيحين: «خير الناس قرني ...». وقد أشار الشيخ الألباني فِي تعليقه على التنكيل للمعلمي (٢٢٣/٢) إلَى أنه لا أصل للفظ الذي ساقه الحافظ هنا.

وفقهاؤكم يذهبون، ثُمَّ لا تَجدون منهم خلفاء، ويَجيء قوم يفتون برأيهم»[(١)].

❊ قلت: رفعُ الإشكال بالأثر هو قرة عيون أهل الأثر، خاصة وهو جار على الأصول؛ لأن غالب الخلق لِرَحم المال والسلطان وصول، ألم تسمع الله تعالى يُخبر عن أهل الشمال حسرتَهم قائلين: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٨-٢٩].

ولو تأمَّلت فتنة الحركات الإسلامية -فضلاً عن غيرها- لوجدتَها مجموعة فِي هاتين النعرتين:

- تصوُّرُ أن خيرية أمة على أخرى تابعة لخيريَّة حكّامها.

- أو وفرة اقتصادها.

ألا ترى أنَّ أكثرهم لا يردُّون من عرش الملك يَدَ لامس، ولو كانت طماعة من ديمقراطية الوساوس! وآخرين يرون أن عودة عز المسلمين مرهونة بالتفوق الحضاري، ولذلك لا يبرحون عليه عاكفين!.

وهذا يبيِّن لك سر عناية ابن مسعود بِمعالجتهما دون غيرهما، وتالله إنه لفقه النفس الذي فتح الله به عليه، فلتعرف -أخا الإسلام- للسلف فضلهم، واستمسك بغرزهم تسترح من شبهات بُنَيات الطريق.

❊ واخيرًا: إلَى العلم! يا من ينشد عز الإسلام، فعن تَميم الداري قال: تطاول الناس فِي البناء فِي زمن عمر، فقال عمر: «يا معشر العريب! الأرض الأرض! إنه لا إسلام إلا بِجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوَّده قومه على الفقه كان حياة له ولَهم، ومن سوَّده قومه على غير فقه كان هلاكًا له ولَهم»[(٢)].

---

(١) الفتح (٢١/١٣) وهناك حسَّن ابن حجر الأثر؛ ورواه الفسوي كما فِي ذيل المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٩٣)، وابن عبد البر فِي جامع بيان العلم وفضله (١٣٦/٢) وغيرهما.

(٢) رواه الدارمي رقم (٢٤١).

وعن الحسن قال: "كانوا يقولون: موت العالِم ثُلْمة في الإسلام لا يسدُّها شيء ما اختلف الليل والنهار"[1].

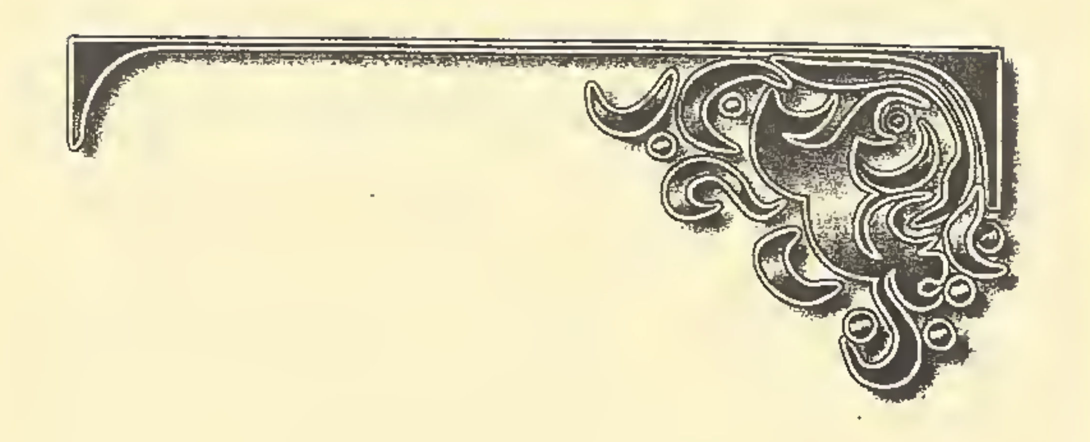
وعن هلال بن خباب قال: سألت سعيد بن جبير قلت: «يا أبا عبد الله! ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا هلك علماؤهم» [2].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) المصدر السابق رقم (٣٢٤)، وأحمد في الزهد (ص:٢٦٢)، وابن عبد البر في جامع البيان (١/ ١٥٣)، وهو صحيح، فإنَّ هشام بن حسان تابعه أبو الأشهب جعفر بن حيان العطاردي كما في المصدر الأخير.

وفي شرح السنة للبغوي أنه من قول ابن مسعود.

(٢) رواه ابن سعد (٦/٢٦٢)، وابن أبي شيبة (١٥/٤٠)، والدارمي (٢٥١)، وأبو نعيم (٤/٢٧٦)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٤٨)، وابن عبد البر في جامعه (١/١٥٣)، وهو حسن، وإن كان فيه هلال بن خباب؛ لأنَّ هلالاً هو السائل، ومثلُ هذا يُضبط عادة.



الأصـــل الرابع:

صمام الأمان من الكفر والهزيمة

باتباع الكتاب والسنة



الأصل الرابع: صِمَام الأمان من الكفر والهزيمة باتِّباع الكتاب والسنة

لست أعني بهذا الفصل ظاهره المتبادر إلَى الذهن فحسب؛ لأنه شيء معلوم للمسلمين علمًا نظريًّا على الأقل، ولكنه كلمة إلَى أولئك الذين لَمْ يقنعوا بدعوة الكتاب والسنة، حين رأوا تألُّب قُوَى الكفر والنفاق على ديار المسلمين، من يوم الأندلس وفلسطين الفقيدتين، إلَى يوم البوسنة والهرسك الجريْحتين، وازداد المسلمون وهنًا على وهن حين قلَّت عنايتهم بِمصدر قوتهم: الكتاب والسنة، وهانوا على الله حين ساء ظنهم بِهما، إذ تصوَّروا ضعف أثرهما فِي النفوس، وأن دعوة المنجد قاصرة عن بعث الأمة إلا ببطء لا يكافئ النشاط الرهيب والمتنوِّع الوسائل الذي يقوم به الشيوعيون واليهود والنصارى ...

وهذه الدعوى -إن كان فيها حق- فيكفي أصحابُها إثْمًا أن صرفوا وجوه النشء عن العكوف على الوحيين حفظًا وتعلُّمًا وتعليمًا، ولئن حبس بعضُهم أنفسهم لتعليم الناس دينهم، فقلَّما ينزعون بآية أو حديث إلا تبرُّكًا، وإلا فحسن ظنهم بكلامهم زهَّدهم فِي كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

ووالله! ثُمَّ والله إن أحدهم ليجد فِي أُنشودة من الخشوع، ما يفقده مع كلام رب الأرباب، ولو كانت الطير لكانت مَحشورة كل له أواب.

أين هم الذين يعلمون القرآن بتفسيره الأثري؟!

أين هم الذين أحيوا طريقة السلف فِي تسميع الحديث النبوي، والتقليل من الكلام البشري؟!

ألا تعلمون أن الكفار لا يقدرون عليكم ما دمتم تتلون الوحيين؟ قال الله

تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠٠-١٠١].

وفي هذا السياق الكريم فائدتان هما:

الأولى: عصمة أتباع الوحيين من الكفر، قال ابن كثير -رحمه الله-: "يعني أن الكفر بعيدٌ منكم وحاشاكم منه؛ فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلاً ونهارًا، وهو يتلوها عليكم ويُبلّغها إليكم"[١].

والثانية: أن الله تعالى اقتصر على ذكر أعظم كيد يدبِّره الكفار للمسلمين وهو إرادة تكفيرهم، كما قال سبحانه في الآية الأخرى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]. فكأن الله يقول: مهما كان مكرهم الكبار الذي تزول منه الجبال قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦]. فإن إيمانكم لا يزول ما أقمتم على تلاوة الوحي كتابًا وسنة.

وليس هذا غريبًا على من أيقن بقلبه أن الله جعل معين الحياة في الوحي فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤].

وأعظم الحياتَيْن حياةُ القلب، وأحيا الناس أتبَعُهم للوحي، وهو آمَنُهم من الضلال، وبهذا يدق فهمك لقول الرسول ﷺ: «تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتّى يردا عليَّ الحوض». رواه الحاكم ومالك وهو حسن.

وقال أبو بكر الصديق ﷺ: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ به، فإنّي أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ»[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٩٧/١) ط. دار الفكر.

(٢) رواه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).

فهذا صدِّيق الأمة يَخشى على نفسه الانحراف عن الصراط المستقيم إن هو فرَّط في شيء من هدي النَّبي ﷺ -مع أنه كان شديد التمسك بما دقَّ وجلَّ من سنة نبيه ﷺ- فكيف قرَّت أعيُن المبتدعة وهدأت جفونُهم، وقد روى الشيخان عن أبي هريرة أنه قال: «لما توفي رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر بعده، كفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: **أُمرتُ أن أقاتل الناس حتَّى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم منِّي ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله.** فقال: والله! لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. فقال عمر: فوالله! ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفتُ أنه الحق»[(١)].

فتأمل هذا الحرص الشديد على أداء الواجب بكل تفاصيله الَّتي كانت على عهد رسول الله ﷺ، ولو كانت في تقديم أحقر شيء.

ولما كان الرسل -عليهم الصلاة والسلام- أتبع الخلق للوحي اقترن بهم من تأييد الله أكمله، كما قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة:٢١]. وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣]. وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١][(٢)].

ومن كان لَهم متَّبعًا كان له مثل ما لَهم من التأييد والنصرة، قال الله تعالى لموسى وهارون -صلى الله عليهما وسلم- ولأتباعهما: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥]. وقال لعيسى ﷺ ولأتباعه: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ

(١) البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٣٢).

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح لابن تيمية (١٧٩/٢) ط. دار العاصمة.

مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:٥٥].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "فلما كان للنصارى نصيبٌ ما من اتِّباعه؛ كانوا فوق اليهود إلَى يوم القيامة، ولما كان المسلمون أتبع له من النصارى كانوا فوق النصارى إلَى يوم القيامة"(١).

وقال ابن تيمية: "ولهذا كل من كان متبعًا للرسول كان الله معه بحسب هذا الاتباع قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤]. أي: حسبك وحسب من اتَّبعك، فكلُّ من اتبع الرسول من جميع المؤمنين فالله حسبه، وهذا معنى كون الله معه، والكفاية المطلقة مع الاتِّباع المطلق، والناقصة مع الناقص، وإذا كان بعض المؤمنين به المتبعين له قد حصل له من يعاديه على ذلك فالله حسبه، وهو معه، وله نصيب من قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]. فإن هذا قلبه موافقٌ للرسول وإن لَمْ يكن صحبه ببدنه، والأصل فِي هذا القلب، كما فِي الصحيحين عن النَّبِي ﷺ أنه قال: «إن بالمدينة رجالاً ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم. قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة، حبسهم العذر»(٢). فهؤلاء بقلوبهم كانوا مع النَّبِي ﷺ وأصحابه الغزاة، فلهم معنى صُحبته فِي الغزاة، فالله معهم بحسب تلك الصحبة المعنوية"(٣).

وقد صدق -رحمه الله-؛ فإن فِي القرآن ما يدل على أنَّهم صحبوهم بباطنهم، وذلك أنَّهم حين أتوا ليحملهم النَّبِي ﷺ معه إلَى الجهاد ردَّهم؛ لأنه لا يَملك ما يَحملهم عليه، رجعوا وقلوبُهم متحرِّقة وعيونُهم دامعة على ذلك حتَّى وصفهم الله بقوله: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:٩٢].

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/١٩٧-١٩٨)، وانظر: الجواب الصحيح (٢/١٧٨).

(٢) البخاري (٢٨٣٩)، ومسلم (١٩١١)، وفِي صحيح مسلم زيادة: «إلا شركوكم فِي الأجر».

(٣) منهاج السنة (٨/٤٨٧-٤٨٨) ط. جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود.

ثُمَّ قال -رحمه الله-: "ولو انفرد الرجل فِي بعض الأمصار والأعصار بحق جاء به الرسول، ولَمْ تنصره الناس عليه، فإن الله معه، وله نصيب من قوله: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

فإن نصر الرسول هو نصر دينه الذي جاء به حيث كان ومتى كان، ومن وافقه فهو صاحبه عليه فِي المعنى، فإذا قام به ذلك الصاحب كما أمر الله فإن الله مع ما جاء به الرسول ومع ذلك القائم به، وهذا المتبع له: حسبه الله، وهو حسبُ الرسول كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤]"[(١)].

وعن ابن مسعود قال: «صلى رسول الله ﷺ العشاء ثُمَّ انصرف، فأخذ بيد عبد الله بن مسعود حَتَّى خرج به إلَى بطحاء مكة فأجلسه ثُمَّ خطَّ عليه خطًّا ثُمَّ قال: لا تبرحن خطك فإنه سينتهي إليك رجالٌ، فلا تكلمهم فإنَّهم لا يكلمونك. قال: ثُمَّ مضى رسول الله ﷺ حيث أراد، فبينا أنا جالس فِي خطي إذ أتاني رجال كأنَّهم الزُّطُّ[(٢)] أشعارهم وأجسامهم، لا أرى عورة ولا أرى قشرًا، وينتهون إلَيَّ لا يُجاوزون الخط، ثُمَّ يصدرون إلَى رسول الله ﷺ، حَتَّى إذا كان من آخر الليل، لكن رسول الله ﷺ قد جاءنِي وأنا جالس، فقال: لقد أراني[(٣)] منذ الليلة. ثُمَّ دخل علي فِي خطي فتوسَّد فخذي، فرقد وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ، فبيْنا أنا قاعد ورسول الله ﷺ متوسد فخذي، إذا أنا برجال عليهم ثياب بيض، الله أعلم ما بِهم من الجمال، فانتهوا إلي، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفة منهم عند رجليه، ثُمَّ قالوا بينهم: ما رأينا عبدًا قط أوتِي مثل ما أوتِي هذا النَّبِي: إن عينيه تنامان وقلبه

(١) المصدر السابق.

(٢) الزط: قوم من السودان أو الحبشة فِي سوادهم.

(٣) أراني منذ الليلة: أي لَمْ أنَم منذ الليلة.

يقظان، اضربوا له مثلاً مَثَلَ سيِّد بنى قصرًا، ثُمَّ جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه، وشرب من شرابه، ومن لَمْ يُجبه عاقبه، أو قال: عذَّبه. ثُمَّ ارتفعوا، واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك فقال: **سمعت ما قال هؤلاء؟ وهل تدري من هؤلاء؟** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **هم الملائكة. فتدري المثل الذي ضربوا؟** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **المثل الذي ضربوا: الرحمن -تبارك وتعالى- بنى الجنة، ودعا إليها عباده، فمن أجابه دخل الجنة، ومن لَمْ يُجبه عاقبه، أو عذبه»**[1].

فأنت ترى في هذه القصة العظيمة أن استجابة ابن مسعود لرسول الله ﷺ حين أمره بلزوم مكانه دفعت عنه شر قوم جاءوه في أبشع صورة، مع أنه لَمْ يكن بينه وبينهم سوى خط لو جاءت عليه الريح لعفى أثره، لكنه ليس كبقية الخطوط، إنه خط السنة، من لزمه كفاه الله ما نابه.

وإذ قد بيَّنتُ أدلة تثبيت الله لأمة المتابعة ونصره إياها، فلا بأس أن أسوق هنا قصة تشهد للأمرين جميعًا، وفيها منقبة عظيمة لأبي بكر الذي حفظ الله به الدين ونصره بعد رسول الله ﷺ، حتَّى قال أبو هريرة ﷺ: «والله الذي لا إله إلا هو لولا أبو بكر استُخلف ما عُبد الله. ثُمَّ قال الثانية، ثُمَّ قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة!. فقال: إن رسول الله ﷺ وَجَّه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بذي خشب قُبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر! رُدَّ هؤلاء، توجَّه هؤلاء إلى الروم، وقد ارتدَّت العرب حول المدينة؟! فقال: **والذي لا إله غيره، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشًا وجَّهه رسول الله ﷺ، ولا حللت لواء عقده رسول الله. فوجَّه أسامة، فجعل لا يَمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أنَّ لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتَّى يلقوا الروم. فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين، فثبتوا على**

---

(١) صحيح سنن الترمذي للألباني رقم (٢٢٩٦).

الإسلام»[١].

هذا هو تمسك أَبي بكر بالسنة على الرغم من فاجعة موت رسول الله ﷺ وفاقرة ارتداد العرب، أضف إليهما تثبيط الناس له انطلاقًا من العقل الذي يقضي بِما قضوا به، ولكن الشرع الذي تعلّمه أبو بكر من النّبِي ﷺ هو الذي هداه إِلَى ما شحَّت به قرائحُهم، ألا وهو خوفه ﷺ من تأخير ما قدَّمه رسول الله ﷺ، فكانت عاقبة التمسك بالسنة الانتصار على العدو والثبات على الإسلام.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) العواصم من القواصم لابن العربي (ص:٦٣)، وانظر إن شئت التوسع: تاريخ الطبري، وسيرة ابن هشام، والإمتاع للمقريزي.

❊ تنبيه:

قال الشيخ مُحمَّد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: "وقد حقق العلماء أن غلبة الأنبياء على قسمين: غلبة بالحجة والبيان، وهي ثابتة لجميعهم، وغلبة بالسيف والسنان، وهي ثابتة لخصوص الذين أُمروا منهم بالقتال فِي سبيل الله ..."[١].

ولِهذا قرر العلماء أن المؤمنين المستضعفين اليوم فِي مُجتمعاتِهم، الذين لا يؤمرون بالقتال، هم منتصرون بالحجة العلمية الَّتِي تدمغ كل باطل وجدال، وأما الذين لَهم القوة والسلطان فيؤمرون به لتتأيَّد الحجة بالسنان، وعلى هذا فالحجة العلمية غالبة فِي كل زمان، والحمد لله على هذا.

ولما كان أهل الحديث أقوى الناس حجة؛ لأنَّهم أعلمهم بالقرآن كما قال عمر بن الخطاب: «إن ناسًا يُجادلونكم بشُبَه القرآن، فخذوهم بالسنن؛ فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله ﷻ»[٢]. ولَمَّا كانوا أعلمهم بهدي النَّبِي ﷺ، كانوا أتبعهم للكتاب والسنة، فلا يستغربنَّ خلفي أن تَجتمع كلمة أهل العلم على تفسير الطائفة المنصورة بأهل الحديث فِي قوله ﷺ: **«من يُرد الله به خيرًا يفقِّهه فِي الدين ... ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ...[٣]»**[٤].

مع أنه لا يَخفى على الحصيف ارتباط الجملة الأولى -الَّتِي هي الفقه فِي الدين- بالأخرى -الَّتِي هي انتصار هذه الطائفة- وهو من جوامع كلمه ﷺ[٥].

---

(١) انظر: أضواء البيان (٣٥٣/١) وما بعدها.

(٢) رواه الدارمي (٤٩/١)، والآجري فِي الشريعة (٩٣)، وابن بطة فِي الإبانة/ الإيمان (٨٣)، وغيرهم.

(٣) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٤) انظر: الجواب الصحيح (١٨٠/٢).

(٥) راجع: "شرف أصحاب الحديث" للخطيب البغدادي، والصحيحة للألباني (٢٧٠)، وأهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية للشيخ ربيع بن هادي المدخلي.

تهديد مخالف الرسول بالزيغ أو الكفر

ما دام قد كتب الله لأتباع نبيه ﷺ الثبات على الدين، فقد جعل مُخالفيه على خطر من دينهم فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦١-٦٢].

قال ابن القيم: "توعَّدهم بأنَّهم إذا أصابتهم مصيبة في عقولهم وأديانهم وبصائرهم وأبدانهم وأموالهم بسبب إعراضهم عما جاء به الرسول، وتحكيم غيره، والتحاكم إليه كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة:٤٩]. اعتذروا بأنَّهم إنَّما قصدوا الإحسان والتوفيق ..."[(١)].

وثالثة الأثافي أن هذه المصيبة قد تصيب من دين المرء مقتلاً حتَّى يكفر، قال ابن تيمية عند قول الله ﷻ : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]: "أمر من خالف أمره أن يَحذر الفتنة، والفتنة: الرِّدة والكفر، قال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة:١٩٣].....

قال الإمام أحمد في رواية الفضل بن زياد: "نظرتُ في المصحف فوجدتُ طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا، ثُمَّ جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]. وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ، فيزيغُ قلبه فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥]".

---

(١) إعلام الموقعين (١/٥٠).

وقال أبو طالب المشكاني: وقيل له: إن قومًا يَدَعُون الحديث، ويذهبون إلَى رأي سفيان؟ فقال: "أعجب لقوم سمعوا الحديث، وعرفوا الإسناد وصحته، يَدَعُونه ويذهبون إلَى رأي سفيان وغيره، قال الله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].! وتدري ما الفتنة؟ الكفر، قال الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة:٢١٧]. فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ وتغلبهم أهواؤهم إلَى الرأي، فإذا كان المخالف عن أمره قد حُذِّر من الكفر والشرك أو من العذاب الأليم، دل على أنه قد يكون مفضيًا إلَى الكفر أو العذاب الأليم ..."[1].

ومن الكلمات السائرة عند السلف قولهم: "**أسرع الناس ردَّة أصحابُ الأهواء**"[2].

ولما كان أصل كفر أهل الكتاب من جهة مُخالفة الرسل قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة:٣١].

وفي هذا السياق الكريم فائدتان:

الأولى: أن سبب كفرهم هو تعظيمهم علماءهم حتَّى غضوا من حق الله ورسوله في التحاكم إليهما، فعن عدي بن حاتم قال: أتيتُ النَّبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عديّ! اطرح عنك هذا الوثن**». وسمعته يقرأ من سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: «**أما إنَّهم لَمْ يكونوا يعبدونَهم، ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لَهم شيئًا استحلوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئًا حرَّموه**»[3].

والثانية: أن في الاقتصار على التنديد بصنيع اليهود والنصارى تنبيهًا على

(١) الصارم المسلول (ص:٥٦-٥٧) والأثر الأول عن أحمد تجده في الإبانة لابن بطة رقم (٩٧).

(٢) صح عن ابن سيرين كما في المعرفة والتاريخ للفسوي (٣/٣٨٨-٣٨٩) والإبانة لابن بطة (٣٥٣) وشرح أصول الاعتقاد للالكائي (٢٣٤).

(٣) صحيح سنن الترمذي للألباني رقم (٢٤٧١).

قسمي المخالفة للرسل لا ثالث لَهما، وهما:

- التفريط: الذي هو النصيب الأوفر لليهود مؤذي الأنبياء وقَتَلَتهم.

- الإفراط: الذي هو النصيب الأوفر للنصارى ذوي الغلو.

وهذا من إعجاز القرآن العظيم، وقد جاء التحذير منهما مقترنين فِي حديث واحد، هو قول الرسول ﷺ: **«دعوني ما تركتكم؛ فإنَّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نَهيتُكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»**(١).

فقوله: **«بكثرة سؤالهم»**. فِي الإفراط والغلو.

وقوله: **«واختلافهم على أنبيائهم»**. فِي التفريط والتقصير.

ولذلك أورده البخاري فِي كتاب "الاعتصام بالكتاب والسنة"، وهو من جوامع كلمه ﷺ.

ولما كانت المتابعة بهذه الدقة لَمْ يمدح الله تعالى المؤمنين بمجردها، بل بإحسانِها فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. أي هي متابعة ظاهرة وباطنة، ومن كان كذلك فأخذ منه الشيطان نصيبًا من الطاعة، أسرع الأوبة ونفعته التوبة؛ كما وصف الله المهاجرين والأنصار بذلك؛ لأن مُخالفتهم لَمْ تكن متأصِّلة فِي قلوبِهم، وسر هذه العناية الربانية بِهم ما عُرفوا به من المتابعة التامة.

فتأمَّل إخبار الله عن حفظ قلوبِهم من الزيغ بسبب صدقهم فِي المتابعة فِي وقت العسرة قال الله ﷻ : ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ

(١) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة:١١٧]. فليحذر الذين هم على ظاهر السنة دون باطنها، وكذا العكس.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

تعجيل الهزيمة لمخالفي الرسل

كما أن أتباع الرسل منصورون، فإن مُخالفيهم مَخذولون قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة:٢٠]. وقال رسول الله ﷺ: «... وجعل الذلة والصَّغار على من خالف أمري»[١].

وتفسيره ما قاله ابن تيمية: "والبدعةُ مقرونةٌ بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة فيقال: أهل السنة والجماعة. كما يقال: أهل البدعة والفرقة"[٢].

وقد أجمع العقلاء على أن أعظم أسباب الهزيمة هو التنازع، وأشده -ولا شك- التنازع في الدين، ولما كان التنازع ناشئًا عن التقصير في طاعة الله ورسوله قرن الله بينهما في آية واحدة، فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦].

ولما كان الالتزام بالسنة هو سفينة النجاة في بحر الاختلاف، أمر النَّبي ﷺ بلزومها عند وقوعه فقال: «... وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور»[٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران:١٠٥]. أي جاءهم من الوحي ما يَجمعهم، فلما تركوه اختلفوا.

---

(١) رواه أحمد (٢/٥٠)، وابن أبي شيبة (٥/٣٢٢) وغيرهما، وهو حسن؛ انظر: السير للذهبي (١٥/ ٥٠٩)، والفتح لابن حجر (٦/٩٨).

(٢) الاستقامة (١/٤٢) وانظر إن شئت: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص:٦).

(٣) رواه أحمد (٤/١٢٦، ١٢٧)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٨)، وابن ماجه (٤٢-٤٤)، والدارمي (١/٤٤، ٤٥)، وهو صحيح.

وهذا مبيَّن في سيرة اليهود والنصارى مع رسلهم، فالنصارى اتَّبعوا رهبانية ابتدعوها وتركوا بعض ما أُمروا به فأغرى الله بينهم العداوة والبغضاء، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة:١٤].

قال ابن تيمية: "فهذا نصٌّ في أنَّهم تركوا بعض ما أُمروا به فكان تركه سببًا لوقوع العداوة والبغضاء المحرَّمين"[١].

وكذلك اليهود تركوا بعض ما أُمروا به كما قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة:١٣]. لكن تركهم له كان ناشئًا عن تقصيرهم المعروف بسبب كراهيتهم لما أنزل الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة:٦٤][٢].

وقال ابن تيمية: "والخلاف الواقع في غير أهل الملل أكثر منه في أهل الملل، فكل من كان إلى متابعة الأنبياء أقرب كان الخلاف بينهم أقل؛ فالخلاف المنقول عن فلاسفة اليونان والهند وأمثالهم أمر لا يُحصيه إلا الله، وبعده الخلاف عن أعظم الملل ابتداعًا كالرافضة فينا، وبعد ذلك الخلاف الذي بين المعتزلة ونحوهم، وبعد ذلك خلاف الفرق المنتسبة إلى الجماعة، كالكلابية والكرامية والأشعرية ونحوهم، وبعد ذلك اختلاف أهل الحديث، وهم أقل الطوائف اختلافًا في أصولهم، لأن ميراثهم من النبوة أعظم من ميراث غيرهم، فعصمهم حبل الله الذي اعتصموا به، فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران:١٠٣]"[٣].

ومن الدرر الغوالي لأبي المظفر السمعاني قوله: **"ومِمَّا يدلُّ على أنَّ أهل الحديث**

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/١٠٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى أيضًا (١٣/٢٢٧).

(٣) منهاج السنة (٦/٣١١).

هم على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنَّفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتَهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يَجرون فيه على طريقة لا يَحيدون عنها ولا يَميلون فيها، قولُهم في ذلك واحدٌ ونقلُهم واحدٌ، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟ قال الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]. وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣].

وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرِّقين مُختلفين أو شيعًا وأحزابًا؛ لا تكاد تَجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدِّع بعضهم بعضًا، بل يرتقون إلى التكفير؛ يكفِّر الابن أباه، والرجلُ أخاه، والجارُ جاره، تراهم أبدًا في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارُهم ولَمْ تَتَّفق كلماتُهم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤]"[١].

والغرض من هذا كله بيان لحوق الهزيمة بمن خالف الرسول ﷺ وتعجيلها لَهم، بسبب الاختلاف المضروب عليهم، وقد روى ابن سعد وأحمد والبيهقي وغيرهم بأسانيد عن جمع من الصحابة دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي -وهو أحد الستة- إلَى كسرى يدعوه إلَى الإسلام وكتب معه كتابًا، قال عبد الله: فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ، ثُمَّ أخذه فمزَّقه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «اللهم مزِّق ملكه»[٢].

---

(١) من الحجة لقوَّام السنة (٢/٢٢٥).

(٢) إلَى هنا رواية البخاري في صحيحه (٦٤) لكن زيادة هذا الدعاء هي عنده مرسلة.

وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلَى هذا الرجل الذي بالحجاز فليأتياني بخبره، فبعث باذان قهرمان ورجلاً آخر، وكتب معهما كتابًا، فقدما المدينة، فدفعا كتاب باذان إلَى النَّبي ﷺ، فتبسم رسول الله ﷺ، ودعاهما إلَى الإسلام وفرائصهما ترعد.

وفِي رواية: فلما رأى شَواربَهما مفتولة وخدودهما مَحلوقة، أشاح عنهما وقال: «ويْحكما من أمركما بِهذا». قالا: أمرنا ربنا -يعنيان: كسرى-. فقال النَّبي ﷺ: **«ولكنِّي أمرني ربِّي ﷻ أن أُعفي لحيتي، وأن أُحفي شاربِي وقال: ارجعا عنِّي يومكما هذا حتَّى تأتيانِي الغد، فأخبركما بِما أريد. فجاءاه من الغد فقال لَهما: أبْلغا صاحبكما أن ربِّي قد قتل ربه كسرى فِي هذه الليلة»** فوجدوه كما قال[1].

وفِي هذه القصة أن النَّبي ﷺ علم هلاك كسرى لما تَجرَّأ على رسالته، ولَمْ يُراع له حرمته؛ لأن الله قضى بقطع دابر شانئ رسوله وتعجيل بتره فقال: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ [الكوثر:٣]. ومن حسن الموافقة أن قاتل كسرى ابنه، كما ذكر ذلك الحافظ فِي الفتح[2]، وهو من تَمام الإعجاز فِي إلقاء العداوة بين أفراد الأمة الواحدة، كيف وهي عداوة أهل بيت واحد؟! تَحقيقًا لقول الله تعالَى: ﴿**وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [المائدة:٦٤].

وقارن قصة كسرى هذه بقصة قيصر الَّتِي رواها البخاري وغيره، وفيها قول قيصر لأبِي سفيان فِي رسول الله ﷺ: **«... فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنتُ أعلم أنه خارج، لَمْ أكن أظن أنه منكم، فلو أنِّي أعلم أنِّي أخلص إليه لتجشَّمْتُ لقاءه، ولو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدمه ...»**[3].

---

(١) رواه ابن سعد (١/٢٥٩-٢٦٠)، وأحمد (٥/٤٣)، والبيهقي فِي دلائل النبوة (٤/٣٨٧-٣٩٤).
وانظر: الصحيحة للألباني (١٤٢٩)، وتَخريْجه على فقه السيرة للغزالي (ص:٣٨٨-٣٨٩).

(٢) انظر: (٧/٧٣٣-٧٣٤).

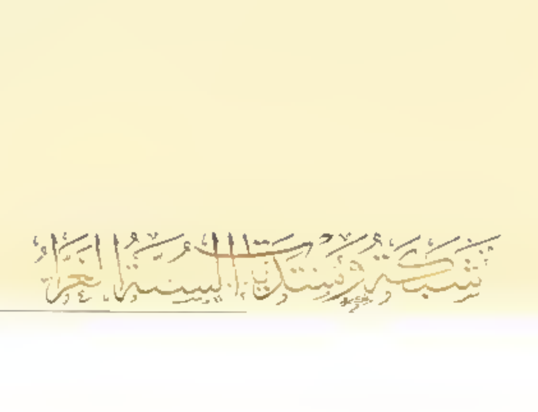
(٣) صحيح البخاري (٧).

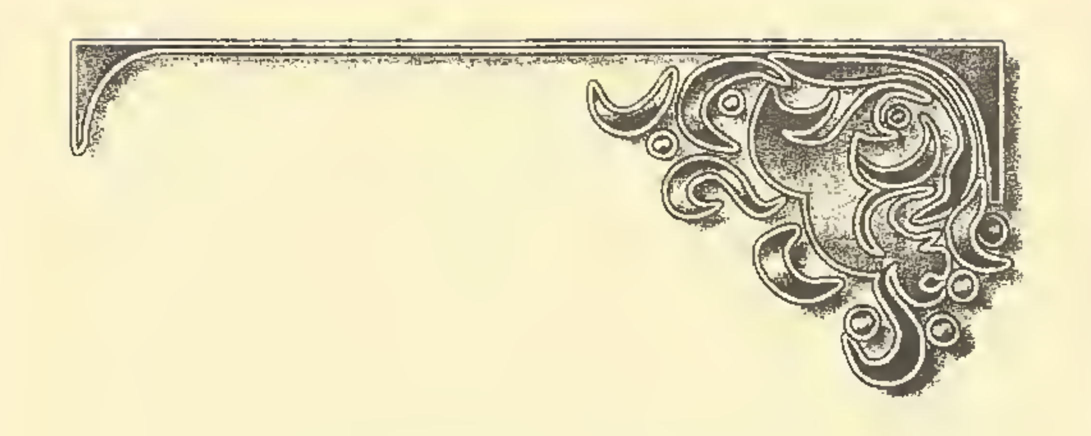
قال ابن تيمية: "وقد كتب النَّبِي ﷺ إلى كسرى وقيصر، وكلاهما لَمْ يُسلم، لكن قيصر أكرم كتاب النَّبِي ﷺ وأكرم رسوله، فثبت ملكه، فيقال: إن الملك باق فِي ذريته إِلَى اليوم، وكسرى مزَّق كتاب رسول الله ﷺ، واستهزأ برسول الله ﷺ، فقتله الله بعد قليل، ومزَّق ملكه كل ممزق، ولَمْ يبق للأكاسرة ملك، وهذا -والله أعلم- تحقيق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣]. فكل من شنأه وأبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره ويَمحق عينه وأثره، وقد قيل: إنَّها نزلت فِي العاص بن وائل أو فِي عقبة بن أبِي معيط، أو فِي كعب بن الأشرف، وقد رأيت صنيع الله بهم، ومن الكلام السائر: "لحوم العلماء مسمومة" فكيف بلحوم الأنبياء -عليهم السلام-؟!"[1].

❁ قلت: تأمل قوله: "إن الملك باق فِي ذريته إِلَى اليوم". مع قول هرقل بعد قراءته كتاب رسول الله ﷺ فِي الرواية السابقة: «يا معشر الروم! هل لكم فِي الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النَّبِي ؟..».

وقال ابن تيمية: "ونظير هذا ما حدَّثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جرَّبوه مرات متعددة فِي حصر الحصون والمدائن الَّتِي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بنِي الأصفر فِي زماننا، قالوا: كنا نَحن نَحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حَتَّى نكاد نيأس، إذ تعرَّض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة فِي عرضه فعجلنا فتحه وتيسر، ولَمْ يكد يتأخر إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك، ثُمَّ يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حَتَّى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظًا عليهم بما قالوه فيه، كما حدثني بعض الأصحاب الثقات أن المسلمين من أهل الغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده، وتارة بأيدي عباده المؤمنين"[2].

(١) الصارم المسلول (ص:١٦٤-١٦٥)، وانظر: الفتح لابن حجر (٤٤/١).
(٢) المصدر السابق (ص:١١٧).





الأصـــل الخامس:

الرد على المخالف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



الأصل الخامس: الرد على المخالف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

احتجت إِلَى أن أُوَصِّل لبحثي بِهذا الفصل؛ لأن بعض ضعفاء النفوس وقليلي العلم تضيق صدورُهم عند مطالعة الردود، ظنًّا منهم أن ذلك أقرب إِلَى الورع وصيانة أعراض المسلمين.

وإطلالةٌ سريعة على تاريخ العلماء تُنبيك على أنه لَمْ يَخلُ عصرٌ من العصور من الردِّ على المخالف، ولو كان من خيرة المسلمين.

ولما كان جل الأحزاب الإسلامية يعمل على وَأْد ما يسمى "بالنقد الذاتِي"، وإجهاض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإخلاء أعظم ثغور المسلمين من مرابط، بِحجّة الستر على المسلمين تارة، وجمع الكيد للكافرين تارة أخرى، وغيرها من الحجج العاطفية الَّتِي تَجعل العقول تتخطف من أصحابِها فِي زمن الوهن العلمي، كان لابد من ردِّ الحق إِلَى نصابه: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

"والذين يلوُون ألسنتهم باستنكار نقد الباطل وإن كان فِي بعضهم صلاح وخير، ولكنه الوهن وضعف العزائم حينًا، وضعف إدراك مدارك الحق والصواب أحيانًا، بل فِي حقيقته من التولي يوم الزحف عن مواقع الحراسة لدين الله، والذب عنه، وحينئذ يكون الساكت عن كلمة الحق كالناطق بالباطل فِي الإثم.

قال أبو علي الدقاق: "الساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق".

والنَّبِي ﷺ يُخبر بافتراق هذه الأمة إِلَى ثلاث وسبعين فرقة، والنجاة منها لفرقة



واحدة على منهاج النبوة، أيريد هؤلاء اختصار الأمة إلى فرقة وجماعة واحدة مع قيام التمايز العقدي المضطرب؟!.

أم أنّها دعوة إلى وحدة تصدّع كلمة التوحيد؟! فاحذروا!.

وما حجتهم إلا المقولات الباطلة:

لا تصدّعوا الصف من الدّاخل!.

لا تثيروا الغبار من الخارج!.

لا تُحركوا الخلاف بين المسلمين!.

"نلتقي فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه!" وهكذا.

وأضعف الإيمان أن يقال لهؤلاء: هل سكت المبطلون لنسكت، أم أنّهم يهاجمون الاعتقاد على مرأى ومسمع، ويُطلب السكوت؟ اللهم لا ...

ونُعيذ بالله كل مسلم من تسرب حجة اليهود، فهم مُختلفون على الكتاب، مُخالفون للكتاب، ومع هذا يظهرون الوحدة والاجتماع، وقد كذبهم الله تعالى فقال سبحانه: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر:١٤]. وكان من أسباب لعنتهم ما ذكره الله بقوله: ﴿كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة:٧٩]"[1].

"ولهذا فإذا رأيت من ردَّ على مُخالف في شذوذ فقهيّ أو قول بدعي، فاشكر له دفاعه بقدر ما وسعه.

ولا تُخذّله بتلك المقولة المهينة "لماذا لا يرد على العلمانيّين؟!"، فالناس قدرات ومواهب، وردُّ الباطل واجب مهما كانت رتبته، وكل مسلم على ثغر من ثغور ملته"[2].

وأصل هذا الباب النصوص الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

(١) من الرد على المخالف من أصول الإسلام (ص:٧٥-٧٦).

(٢) الرد على المخالف من أصول الإسلام (ص:٥٧).

كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

قال ابن تيمية: "والأمر بالسنة والنهي عن البدعة هو أمرٌ بمعروف ونَهيٌ عن منكر، وهو من أفضل الأعمال الصالحة..."[١].

ولا ينبغي للجماعات الإسلامية اليوم أن تضيق صدورها بالنقد؛ لأنه من القيام بالقسط والشهادة لله اللذين أمرنا بهما ولو مع أنفسنا وأهل ملتنا كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقَيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥]. واللَّيُّ: هو الكذب. والإعراض: هو الكتمان كما قال ابن تيمية[٢]. فكيف يطيب لمؤمن دعوةٌ مع كتمان الأخطاء تسترًا بالمجاملات السياسية بعد هذا؟!

ولا شك أن الغيرة الَّتِي أودعها الله فِي قلب كلِّ مؤمن على مَحارمه هي الَّتِي تُحركه إلَى القيام بهذا الواجب، كما قال النَّبِي ﷺ: **«إن الله تعالى يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتِي المؤمن ما حرَّم الله عليه»**[٣].

وإذا كان كلما أراد المؤمن أن يقوِّم المسار قيل له: ليس ذا الوقت والكفار متربصون!.

فمتى يعرف أخطاءه؟ ومتى يَحجم عنها؟ ومتى يصحّ المريض ويقوَّى الضعيف؟ وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: **«المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفُّ عليه ضيعته، ويَحوطه من ورائه»**[٤].

(١) منهاج السنة (٥/٢٥٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٣٥).
(٣) رواه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١).
(٤) رواه أبو داود (٢/٣٠٤) وهو صحيح.

وليس من الموالاة للمؤمنين في شيء أن تنصُر أخاك في باطله مُحتجًا بمواجهته الشيوعيين، فعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا. قيل: يا رسول الله! هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم»[1].

وفي رواية لمسلم من طريق جابر بلفظ: «إن كان ظالمًا فلينهه؛ فإنه له نصر»[2].

قال ابن تيمية في هذا المعنى: "ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم أو ذب عنهم أو أثنى عليهم أو عظم كتبهم أو عرف بمساعدتهم ومعاونتهم أو كره الكلام فيهم أو أخذ يعتذر لَهم، بأن هذا الكلام لا يُدرى ما هو؟ أو من قال إنه صنف هذا الكتاب؟

وأمثال هذه المعاذير الَّتي لا يقولها إلا جاهل أو منافق، بل تَجب عقوبة كل من عرف حالهم ولَمْ يعاون على القيام عليهم، فإنَّ القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات؛ لأنَّهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء والملوك والأمراء، وهم يسعون في الأرض فسادًا ويصدُّون عن سبيل الله"[3].

وفي الرد على المخالف دفاع عن الإسلام من جبهتين:

"الأولى: الخطر الخارجي وهو الكافر المتمحِّض، الذي لَمْ يعرف نور الإسلام، بما يكيده للإسلام والمسلمين من غزو يُحطم في مُقَوِّماتهم العقدية والسلوكية والسياسية والحكمية ...

الثانية: مواجهة التصدُّع الداخلي في الأمة بفشُوِّ فرق ونحل طاف طائفها في أفئدة شباب الأمة ... إذ التصدُّع الداخلي تَحت لباس الدين يُمثِّل انكسارًا في رأس

(١) رواه البخاري (٢٤٤٤، ٦٩٥٢).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٨٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/١٣٢).

المال: المسلمين، وقد كان للسالكين في ضوء الكتاب والسنة -الطائفة المنصورة- الحظ الوافر والمقام العظيم في جبر كسر المسلمين بردهم إلى الكتاب والسنة، وذلك بتحطيم ما قامت عليه تلك الفرق المفرقة من مآخذ باطلة في ميزان الشرع"[١].

ومن ضنائن العلم ما قرأته لابن تيمية في التمييز بين معاملة الخوارج ومعاملة الكفار، وهو يرفع اللبس المتبادر إلى الأذهان الكليلة من بعض الأحاديث التي يظهر منها أن الخوارج شر من الكفار مطلقًا، مع أن الصحابة لم يكفروهم.

قال -رحمه الله-: "وما زالت سيرة المسلمين على هذا، ما جعلوهم مرتدين كالذين قاتلهم الصديق رضي الله عنه، هذا مع أمر رسول الله ﷺ بقتالهم في الأحاديث الصحيحة، وما رُوي من أنهم: «شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتيل من قتلوه». في الحديث الذي رواه أبو أمامة، رواه الترمذي وغيره[٢]؛ **أي أنهم شرٌّ على المسلمين من غيرهم؛ فإنهم لم يكن أحد شرًا على المسلمين منهم: لا اليهود ولا النصارى؛ فإنهم كانوا مُجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم**[٣] **مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل**

---

(١) اختصار من كتاب "حكم الانتماء إلى الأحزاب" (ص:٥٣-٥٤).

(٢) صححه الألباني في تحقيقه لسنن الترمذي برقم (٢٣٩٨)، ولعل سبب تصدير ابن تيمية له بصيغة التمريض هو روايته له بالمعنى كما يظهر من سياقه، وهو مسلك معروف عند بعض المتقدِّمين من المحدِّثين كالبخاري في صحيحه، ولا يعنون به -حينئذ- تضعيف الحديث. انظر: الفتح (٤٦/٢، ٢٠٥).

ولفظه عند الترمذي من رواية أبي غالب قال: رأى أبو أمامة رءوسًا منصوبة على درج دمشق، فقال أبو أمامة: «كلاب النار، شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه». ثُمَّ قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]. إلى آخر الآية، قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: «لو لَمْ أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا أو أربعًا حتَّى عد سبعًا ما حدثتكموه». وعند ابن ماجه (٦٢/١) بلفظ: «وخير قتيل من قتلوه».

(٣) أي: أنَّهم يُجهدون أنفسهم في قتل المسلمين كما سيأتي.

أولادهم، مكفرين لّهم، وَكانوا متديّنين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة ..."[(١)].

أي أن الخوارج أقل جريمة من الكفار فِي الميزان العام الأخير، يكفي أنَّهم "من الكفر فرُّوا"[(٢)]، لكن بالنسبة لما يعانِي منهم المسلمون، وما يوقعون بِهم من المحن والبلايا فهم أعظم شرًّا من الكفار، بل لا يَخلص الكفار إلَى المسلمين كما يّخلص إليهم هؤلاء، ولذلك قد تُقدَّم عقوبتهم فِي الدنيا قبل غيرهم.

وتأمل فقه ابن تيمية حين قال بعد كلامه السابق بصفحتين: **"والعقوبة فِي الدنيا تكون لدفع ضرره عن المسلمين، وإن كان فِي الآخرة خيرًا ممن لَمْ يعاقب كما يعاقب المسلم المتعدي للحدود ولا يعاقب أهل الذمة من اليهود والنصارى، والمسلم فِي الآخرة خير منهم".**

فاحفظ هذا، وعضَّ عليه بالنواجذ تتهاوى بين يديك عساكرُ الباطل المعطلة لمجاهدة البدع وأهلها، كأولئك القائلين: **"إن لَمْ تكونوا معنا فأنتم معهم!!".**

أو كأولئك القائلين: "توجِّهون سهامكم إلَى إخوانكم، والعلمانيون والشيوعيون أنشط ما يكونون فِي نشر الخلافات بينكم؟!".

قال ابن تيمية: "إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانِهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، **وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لَمْ يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء، وقد قال النَّبِي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلَى صوركم وأموالكم، وإنَّما ينظر إلَى قلوبكم وأعمالكم»[(٣)]...."[(٤)].**

---

(١) منهاج السنة (٥/٢٤٨).

(٢) انظر: مصنف ابن أبِي شيبة (١٥/٣٣٢)، وعبد الرزاق (١٠/١٥٠)، وصحيح ابن حبان (١٥/١٣٤).

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٣٢).

لماذا عُنيت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالرد على الفرق المنحرفة كالطرق الصوفية أكثر من عنايتها بالرد على الإلحاد مع وجود الاستعمار الفرنسي؟

هذه شبهة ترد كثيرًا على لسان من لَمْ يتضلّع بمنهج السلف يُجيب عنها الشيخ مُحمَّد البشير الإبراهيمي -رحمه الله- بقوله: "وإنك لا تُبْعد إذا قلت: إن لفشوِّ الخرافات وأضاليل الطرق بين الأمة أثرًا كبيرًا في فشوِّ الإلحاد بين أبنائها المتعلمين تعلُّمًا أوروباويًّا الجاهلين بحقائق دينهم، لأنَّهم يحملون من الصغر فكرة أن هذه الأضاليل الطرقية هي الدين، وأن أهلها هم حملة الدين، فإذا تقدم بهم العلم والعقل لَمْ يستسغها منهم علم ولا عقل، فأنكروها حقًّا وعدلاً، وأنكروا معها الدين ظلمًا وجهلاً، وهذه إحدى جنايات الطرقية على الدِّين.

أرأيت أن القضاء على الطرقية قضاء على الإلحاد في بعض معانيه وحسم لبعض أسبابه؟!

وقد قرأت في هذه الأيام لكاتب تونسي مقالاً ينعى فيه على جَمعية العلماء إهمالها لهذه الجهة من جهات الفساد وهي الإلحاد، واعتذر عن علماء جامع الزيتونة بأنَّهم -وإن قعدوا في نواحي الإصلاح الَّتي تخب فيها جمعية العلماء وتضع- قاموا في حرب الإلحاد بما شكرهم عليه، ولكنه حصر عملهم في هذا السبيل في خطب جمعية يندِّدون فيها بالإلحاد ويحذرونه، وفات هذا الكاتب الفاضل أن جمعية العلماء لَمْ تسكت عن الإلحاد، بل هاجمته في أمنع معاقله، ونازلته في أضيق ميادينه، كما فاته أن صرعى الإلحاد لا يغشون المساجد، فما تأثير الخطب الجمعية الَّتي تلقى على المصلين؟!.

وهل يداوى المريض بتحذير الأصحاء من المرض أو أسباب المرض؟



إلا أن العالِم المرشد كالطبيب لا ينجح في إنقاذ المريض من الموت إلا بغشيان مواقع الموت ومباشرة جراثيم الموت"[(١)].

فالله أكبر ما أقوى المنهج السلفي! وما أبْخَس الأحزاب لقدره!

إذن فمواجهة هؤلاء حماية لديار المسلمين من أن تُغتال من تحتها، بجهاد المنافقين الذين يتسللون الصفوف لواذًا، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة:٧٣].

قال ابن القيم: "وكذلك جهاد المنافقين إنَّما هو بتبليغ الحجة...".

إلَى أن قال: "فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل، والقائمون به أفراد في العالم، والمشاركون فيه والمعاونون عليه -وإن كانوا هم الأقلين عددًا- فهم الأعظمون عند الله قدرًا ..."[(٢)].

ولوما كان هؤلاء منضوين تحت صفوف المسلمين، فإن أمرهم قد يخفى على كثير من الناس، فكان بيان حالهم -لمن ولاؤنا لَهم فرض علينا- آكد، ولذلك قال ابن تيمية: "وإذا كان أقوام ليسوا منافقين، ولكنهم سماعون للمنافقين، قد التبس عليهم أمرهم حَتَّى ظنوا قولهم حقًّا، وهو مُخالف للكتاب، وصاروا دعاة إلَى بدع المنافقين، كما قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧]. فلابد من بيان حال هؤلاء، بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم، فإن فيهم إيْمانًا يوجب موالاتهم، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين الَّتِي تفسد الدين، فلابد من التحذير من تلك البدع، وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينُهم، بل ولو لَمْ يكن قد تلقَّوْا تلك البدعة عن منافق، لكن قالوها ظانِّين أنَّها هدى، وأنَّها خير، وأنَّها دين، ولو لَمْ تكن كذلك لوجب بيان حالِهم"[(٣)].

(١) آثار مُحمَّد البشير الإبراهيمي (١/١٣٢-١٣٣).

(٢) زاد المعاد (٣/٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٣٣).

وأما مواجهتهم من الخارج؛ فلأن العدو لا يدخل عليك بيتك إلا إذا كانت منافذه مفتوحة أو ضعيفة، والفرق الإسلامية المنحرفة عن الناجية هم منافذ الكفار، وهل يجهل المسلمون أثر المتصوفة فِي استعمار البلاد الإسلامية وإعانتهم الكفار على ذلك؟!.

وقد قال ابن تيمية فِي الشيعة الروافض: "وهم يستعينون بالكفار على المسلمين، وقد رأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتُلي المسلمون بعدو كافر كانوا معه على المسلمين، كما جرى لجنكزخان ملك التتر الكفار، فإن الرافضة أعانته على المسلمين.

وأما إعانتهم لهولاكو ابن ابنه لَمَّا جاء إِلَى خراسان والعراق والشام فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى على أحد، فكانوا بالعراق وخراسان من أعظم أنصاره ظاهرًا وباطنًا، وكان وزير الخليفة ببغداد الذي يقال له: ابن العلقمي منهم، فلم يزل يَمكر بالخليفة والمسلمين، ويسعى بقطع أرزاق عسكر المسلمين وضعفهم، وينهى عن قتالهم ويكيد أنواعًا من الكيد، حَتَّى دخلوا فقتلوا من المسلمين ما يقال: إنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل .... ولما انكسر المسلمون سنة غازان أخذوا الخيل والسلاح والأسرى وباعوهم للكفار النصارى بقبرص، وأخذوا من مرَّ بهم من الجند، **وكانوا أضر على المسلمين من جميع الأعداء**..."[(١)].

❊ **قلت**: ولذلك كان أئمتنا أفقه من أن يداهنوا المنحرفين عن منهج السلف، بل رأوا جهادهم أكبر الجهادين، كما قال يحيى بن يحيى شيخ البخاري ومسلم: "**الذب عن السنة أفضل من الجهاد**"[(٢)]. رواه الهرويُّ بسنده إِلَى نصر بن زكريا قال: سمعت مُحمَّد بن يحيى الذهلي يقول: سمعتُ يحيى بن يحيى يقول: "**الذبُّ عن السنة أفضل من الجهاد فِي سبيل الله**. قال مُحمَّد: قلتُ ليحيى: **الرجلُ ينفقُ ماله ويتعب نفسه**

---

(١) منهاج السنة (٥/١٥٥-١٥٩)، وانظر: مدارج السالكين لابن القيم (١/٧٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/١٣).

ويجاهد، فهذا أفضل منه؟! قال: نعم بكثير!"[١].

وقال الحميدي شيخ البخاري: "والله! لأن أغزو هؤلاء الذين يردُّون حديث رسول الله ﷺ أحبُّ إلي من أن أغزو عِدَّتهم من الأتراك"[٢]. يعني بالأتراك: الكفار.

وقد وجدتُ مثل هذا عند من هو أعلى طبقةً من الحميدي؛ قال عاصم بن شُميخ: فرأيتُ أبا سعيد -يعني: الخدري- بعدما كبر ويداه ترتعش يقول: «**قتالهم -أي: الخوارج- أجل عندي من قتال عِدَّتهم من الترك**»[٣].

---

(١) ذم الكلام (ق ١١١-أ).

(٢) رواه الهروي بسنده في ذم الكلام (٢٢٨-الشبل).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٣٠٣/١٥)، وأحمد (٣٣/٣)، هكذا وقع عنده: عاصم بن شميخ بالخاء وهو الصحيح، وقد رواه ابنه عبد الله في كتاب السنة (٦٣٥/٢) بإسناد أبيه نفسه إلا أنه جاء في المطبوع بتحقيق مُحمَّد بن سعيد القحطاني: عاصم بن شميج بالجيم، وقد كنت حسبته خطأ مطبعيًّا لولا أنِّي وجدته مُثبتًا كذلك مرتين! قال مُحققه في أولاهما (٦٣٤/٢): "عاصم بن شميج! بمعجمتين مصغرًا وتشديد الجيم!! الغيلاني... التقريب (٣٨٤/١)!!!". فرجعت إلى التقريب فإذا فيه: "عاصم بن شميخ بمعجمتين مصغرًا، أبو الفرجَّل بفتح الفاء والراء وتشديد الجيم ...". فعرفت أن هذا الخطأ من تصرف المحقق حين انقلبت عليه خاء اسم أبي عاصم إلى جيم كنيته، وقول ابن حجر: "وتشديد الجيم" راجع إلى كنية ابن شميخ الَّتي هي "أبو الفرجل" لا شميج المحرفة عن شميخ عند المحقق، مع أن قراءة شميج بجيم مشددة متعذِّرة!

وهذه الرواية أعلها المحقق بعكرمة بن عمار، إلا أنني وجدت لَها متابعًا عند ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣١/١٥) من طريق يزيد بن هارون قال: أخبرنا العوام بن حوشب قال: حدثني من سمع أبا سعيد الخدري ﷺ يقول في قتال الخوارج: «لهو أحب إلي من قتال الديلم». ومثل هذه المتابعة تنفع على الرغم من جهالة من روى عنه العوام بن حوشب، كما أجابني به شيخاي الفاضلان: عبد المحسن العباد، وربيع المدخلي إذا لَمْ يكن في الإسناد مقال آخر، ولاسيما وأن المجهول من أهل القرون المشهود لَها بالخيرية كما نبه عليه ابن كثير في الباعث الحثيث (ص:٩٧) مع العلم أنه ممن ثبت سماعه من أبي سعيد -كما مر- وليس هو عاصم بن شميخ الذي في إسناد أحمد؛ لأنه ليس في شيوخ العوام، وحديث عكرمة ينجبر؛ لأن ضعفه يسير، فقد قال فيه الحافظ =

❊ قلت: ولذلك قال ابن هبيرة في حديث أبي سعيد في قتال الخوارج: "وفي الحديث أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين؛ والحكمة فيه أن قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح؛ وحفظ رأس المال أولى"[1].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: "المتبع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من الضرب بالسيوف في سبيل الله"[2].

وقال ابن القيم: "والجهاد بالحجة واللسان مقدَّم على الجهاد بالسيف والسنان"[3].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

في التقريب رقم (٢٧٦): "صدوق يغلط" والله أعلم.

فائدة: نقل ابن منظور في لسان العرب في مادة: "دلم" عن ابن سيده أن الديلم جيل من الناس من الترك

(١) فتح الباري لابن حجر (٣٠١/١٢).

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٤١٠/١٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٩/٤٩).

(٣) شرح القصيدة النونية للشيخ مُحمَّد خليل هراس (١٢/١)، وانظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (١/ ٢٣٧).

استعمال الشدة في الإنكار على المبتدعة لا يعني الولاء للكفار

من وجد في بحثي هذا شيئًا من القسوة على المخالف فلم يستسغه، بل ربما قال: "يتكلم في إخوانه ويسكت عن أعدائه"!.

فليعلم أن الأصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللين والرفق كما قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]. وقال لموسى وهارون -صلى الله عليهما وسلم-: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:٤٣-٤٤].

وعن عائشة زوج النّبي ﷺ عن النّبي ﷺ قال: **«إن الرِّفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»**(١).

لكن إذا كان المنكر لا يغيِّر إلا بنوع من الخشونة فلا بأس باستعماله، ولو كان مع المسلمين، ألا ترى أن الله أباح القتال لذلك، وليس فوق القتال خشونة، فقال سبحانه: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات:٩].

وقد يشتد المؤمن في إنكاره على أخيه أكثر منه مع عدوه، ألم تر كيف لان موسى ﷺ مع فرعون، واشتد على أخيه هارون ﷺ، حتّى كان منه ما قصه الله تعالى بقوله: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف:١٥٠]. **فهل لأحد أن يَحتج عليه بالولاء والبراء، متهمًا له بأنه يبسط لسانه ويده على أخيه ويلطف بالطواغيت؟!**

بل ربّما كان النّبي ﷺ يُعنِّف العلماء من أصحابه إذا أخطئوا أكثر من غيرهم،

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٤).

وخذ على سبيل المثال قوله لمعاذ حين أطال الصلاة بالناس: «**أفتان أنت يا معاذ؟!**»[١]. ويقابله تلطفه بالأعرابي الذي بال في المسجد كما في صحيح البخاري وغيره[٢].

وقال لأسامة بن زيد حين قتل في المعركة مشركًا بعد أن نطق بكلمة التوحيد: «**يا أسامة! أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!. قال أسامة: فما زال يكررها حتّى تمنيت أنّي لَمْ أكن أسلمت قبل ذلك اليوم**»[٣].

وقد استفاد أسامة من هذا التعنيف في النصح أيام الفتنة الّتي كانت بعد مقتل عثمان ﷺ، فأورثه تورُّعًا عن دماء المسلمين.

قال الذهبي -رحمه الله-: "انتفع أسامة من يوم النّبيﷺ، إذ يقول له: «كيف بلا إله إلا الله يا أسامة؟!» فكفَّ يده، ولزم بيته، فأحسن"[٤].

* قلت: الله أكبر! ما أعظم التربية النبوية! وما أحقر التربية الحزبية! الّتي من يوم أن حرّمت أصل (الرد على المخالف) وأبناؤها لا يتورَّعون عن دماء المسلمين، اتّخذوها هدرًا باسم الجهاد، ولا تكاد تقوم فتنة إلا وهم وقودها أو موقدوها.

هذه نتيجة مداهنة بعضهم بعضًا لوهْم الاشتغال بالكفار!! ولذلك قال ابن تيمية: "**المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما نحمد معه ذلك التخشين**"[٥].

إذن فهذا اللين الذي تستعمله كثير من الجماعات الإسلامية مع أفراد أو جماعات من حمقى المتهوِّرين -الذين كثيرًا ما يتسببون في استعداء الأعداء على

---

(١) رواه البخاري (٦١٠٦)، ومسلم (٤٦٥).

(٢) البخاري (٢٢٠).

(٣) رواه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

(٤) السير (٢/٥٠٠-٥٠١).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/٥٣-٥٤).

المسلمين- ليس من الولاء في شيء؛ لأنه يزيدهم إغراقًا في ضلالِهم لعدم شعورهم بعظم الجناية.

ثُمَّ إن الشدة المسلوكة مع المسلمين أحيانًا، باعثها الغيرة عليهم من أن يُرَوا ملطخين بشيء من القاذورات، والسعي في تَمتين الصف وصد خروقه حَتَّى لا يؤتى من قبله، فليُعلم.

ولِهذا قال العلامة عبد العزيز بن باز تحت عنوان: "الأدلة الكاشفة لأخطاء بعض الكُتاب":

"ولا شك أن الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت بالتحذير من الغلو في الدين، وأمرت بالدعوة إلَى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ولكنها لَمْ تُهمل جانب الغلظة والشدة في مَحلها حيث لا ينفع اللين والجدال بالتي هي أحسن؛ كما قال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣]. وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:١٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦]. الآية.

أما إذا لَمْ ينفع واستمر صاحب الظلم أو الكفر أو الفسق في عمله ولَمْ يبال بالواعظ والناصح، فإن الواجب الأخذ على يديه ومعاملته بالشدة وإجراء ما يستحقه من إقامة حد أو تعزير أو تَهديد أو توبيخ حَتَّى يقف عند حده وينْزجر عن باطله"[1].

مع أن الذي يظهر من مجاملات الأحزاب الإسلامية لأهل البدع والسكوت عن أخطائهم هو أنَّهم لما حصروا طريق عودة عز المسلمين في صندوق الانتخابات تذمَّروا من النقد، لأنه ربَّما أتلف لَهم الأصوات، وهكذا السيئة تتبعها أخوات.

هذا ومن أجل أن الله فرض علينا قَدَرًا وجود المخالف -الذي يُحسب على

---

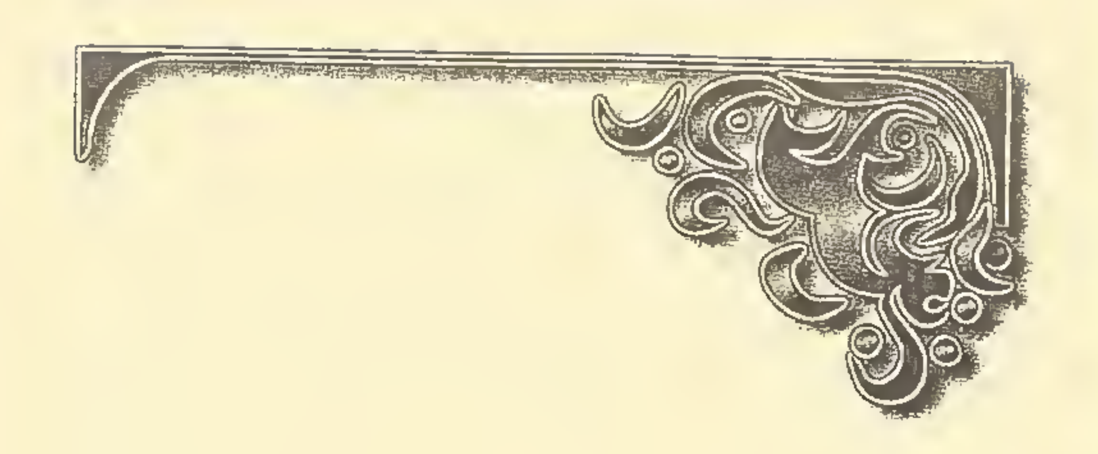
(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوّعة للشيخ عبد العزيز بن باز (٣/٢٠٢-٢٠٣).

الإسلام- سلكنا **طريق التصفية**؛ لأن الله فرض علينا شرعًا الرد عليه، كما بيَّنته فِي هذا الأصل.

ومن أجل أن الله كتب الرفعة لأهل العلم والتعليم -كما بيَّنته فِي الأصلين اللذين قبل هذا- سلكنا **طريق التربية**، وشرحه يأتي فِي الورقات الآتية.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊





الأصـــل السادس:

التصفية والتـربية



الأصل السادس: التصفية والتربية

إذا تبيَّنا أن رفعة الأمة مرهونة بالعلم والعمل، وأن الأمة قد اختلفت فيهما اختلافًا كثيرًا، وأنه قد علق بالإسلام ما ليس منه، وأنه لا سبيل إلَى التخلص من الذل المضروب علينا من قرون إلا بالرجوع إلَى الدين الصحيح، كما روى ابن عمر عن النَّبي ﷺ أنه قال: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذلاًّ لا ينزعه عنكم حَتَّى ترجعوا إلَى دينكم»[1]. وجب المسارعة إلَى تحقيق ما يرفع عنا الذل، وهو الرجوع إلَى صفاء الوحيين: الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح الذين هم أهل القرون الثلاثة الأولى.

وإذ قد امتدت يد التحريف إلَى صفاء الإسلام حَتَّى لوَّثته، وإلَى جَماله حَتَّى شوَّهته، كانت تصفيته من كل دخيل من أوجب الواجبات، ما دام الحق الذي بعث الله به نبيه ﷺ مضمون البقاء إلَى يوم تبدل الأرض والسموات، بضمان الله القائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

وإذا دبَّ التحريف إلَى قوم، وشحَّت مناهجهم عن التصفية، أصابتهم حيرة لا يفرقون معها بين حلال وحرام، كما روى مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فِي خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلّمكم ما جهلتم مِمَّا علّمني يومي هذا: كل مالٍ نَحلته عبدًا حلالٌ، وإنِّي خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنَّهم أتتهم الشياطين فاجْتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لَهم، وأمرتْهم أن يشركوا

(١) رواه أبو داود (٣٤٦٢)، وهو صحيح: انظر الصحيحة للألباني رقم (١١).

بي ما لَمْ أنزل به سلطانًا، وإن الله نظر إِلَى أهل الأرض فمقتهم: عربَهم وعجمَهم، إلا بقايا من أهل الكتاب»[١].

ولما كانت الجاهلية على هذا الوصف الذي في الحديث، بعث الله نبيه مُحمَّدًا ﷺ مُخلِّصًا لَها دينها من الشوائب، ومربيًا لَها على الإسلام الذي ارتضاه لَها ربُّها، وعلى قاعدة "التصفية والتربية" وإن شئت قل: "التخلية والتحلية". قامت دعوة الإسلام.

ففي التوحيد لا يتربى المرء عليه سليمًا حَتَّى يتخلص من رواسب الشرك، ولذلك قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦].

وفِي التشريع لا يتربَّى المرء عليه سليمًا حَتَّى يتخلَّص من البدع، ولذلك كان النَّبِي ﷺ فِي كل خطبة جمعة يأمر بلزوم الدين الصحيح المتمثل فِي الكتاب والسنة ويُحذر مِمَّا يغشُّه ويُكدِّر صفاءه وهو البدع؛ فقد روى مسلم عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش، يقول: «صبحكم ومساكم».

ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين». ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي مُحمَّد، وشر الأمور مُحدثاتُها، وكل بدعة ضلالة»[٢]. وتكراره لهذه الجملة دليل تأصيلها وشد العناية إليها.

وخلاصة هذه القاعدة: "أنَّها تعني تصفية الإسلام من كل دخيل، وتربية الناس على هذا الإسلام الأصيل؛ أي: تصفية التوحيد من الشرك، والسنة من البدعة، والفقه من الآراء

(١) صحيح مسلم (٢٨٦٥).
(٢) صحيح مسلم (٨٦٧).

الحادثة المرجوحة، والأخلاق من سلوك الأمم الهالكة المقبوحة، والأحاديث النبوية الصحيحة من الأحاديث المكذوبة المفضوحة ... وهكذا"[١].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) من أراد بسطًا في الموضوع فليرجع إلى كتاب التصفية والتربية لأخينا علي بن حسن بن عبد الحميد في طبعته الجديد لعام (١٤١٥هـ).

❊ **تطبيق:**

اجتمع الشيخ مُحمَّد ناصر الدين الألباني بعلي بن حاج القائد الروحي -كما يقولون- للحزب الجزائري: الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وكان الشيخ على دراية دقيقة بحوادثهم، وبلغه أن مؤيِّديهم يُعَدُّون بالملايين.

فكان ممَّا سأله عنه ما أُثبتُه هنا اختصارًا أن قال له الشيخ: "أكُلُّ الذين معك يعرفون أن الله مستوٍ على عرشه؟".

وبعد أخذ وردّ، وتهرّب وصد، قال المسئول: نرجو ذلك!

قال له الشيخ: "دَعْك من الجواب السياسي!"، فأجابه بالنفي.

فقال الشيخ: "يكفيني منك هذا!"[1].

هذا السؤال تفرضه قاعدة التصفية والتربية الَّتي هي أدق ميزان تعرف به الدعوات الجهادية اليوم؛ لأن من عجز عن تصفية عقائد مؤيِّديه ومُحبيه وتربيتهم على العقيدة السليمة، يكون أعجز عن تصفية ثمراتها في أخلاقهم وسائر أعمالهم، وفيهم مبغضوه ومُحاربوه، فكيف بتربيتهم بعد ذلك والله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]؟!.

ثُمَّ الجهاد نفسه لا يكون إلا بأمة مؤتلفة القلوب؛ لأن الائتلاف رافد النصر كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣].

والقلوب إن لَمْ تجتمع على العقيدة السلفية كان أصحابُها في شقاق لا يَجبره اجتماعهم في صناديق الاقتراع، قال الله ﷻ مُخاطبًا أصحاب النَّبي ﷺ: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة:١٣٧].

---

(١) شريط مسجل من سلسلة الهدى والنور رقم (١/٤٧٥) و(١/٤٧٦).

ومهما تكن عليه الغثائية السياسية من تجميع، فإن بداية أمر عقيدتها إلى تمييع، ونهاية تجميعها إلى تفرق وتبديع؛ لأن اجتماع الأبدان لن يكون إلاَّ مؤقّتًا، إذا كان عقد القلوب مشتّتًا، ولَمْ أجد لهؤلاء أصدق وصف من قول الله تعالى في اليهود: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر:١٤].

وجماع الأمر: أن الله وعد بالاستخلاف الحسن من عبده وحده بلا إشراك فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور:٥٥]. ولا يَجوز أن يدفع في صدر هذا النص بضرب الأمثال التاريخية على نقضه؛ لأن المسلم وقاف عند النص، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤].

وأما تَحديد الشيخ سؤاله في مسألة الاستواء؛ فلأنَّها مفترق الطرق بين أهل السنة وأصحاب الأهواء، ولأنَّها العقيدةُ السهلة الَّتِي كان يعرفها مجتمع النَّبِي ﷺ الذي فتح الدنيا وقاد الأمم، حتَّى الجواري من رعاة الغنم.

وامتحان الشيخ بها ذلك الحزب السياسي الزاعم أنه مكتمل في دينه وعلى مستوى جاهلية وقته، هذا الامتحان مسلك سلفي، وإن رغم أنف كل خَلَفي؛ فقد روى مسلم وغيره عن معاوية بن الحكم السلمي قال: «كانت لي غنم بين أُحد والجوانية فيها جارية لي، فاطلعتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة، وأنا رجل من بني آدم، فأسفت، فصككتها، فأتيت النَّبِي ﷺ فذكرت ذلك له، فعظم ذلك عليَّ، فقلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال: ادعها. فدعوتُها فقال لَها: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها؛ فإنَّها مؤمنة»[1].

فتأمل -يرحَمك الله- هذا المجتمع الذي كان يُجاهد به النَّبِي ﷺ؛ اكتمل في

(١) رواه أحمد (٥/٤٤٧)، ومسلم (٥٣٧).

عقيدته حتَّى عند رعاة الغنم الذين تقلُّ صحبتهم للنبيﷺ كهذه الجارية!

وتأمل حقيقة المجتمعات الإسلامية اليوم الَّتِي يُطمع تسلُّق عرش الحكم بِها، لتدرك البون الشاسع بين جهاد أولئك وجهاد هؤلاء.

فهل استطاعت الدعوات الجهاديِة أن تَجمع الأتباع -فضلاً عن الرِّعاع- على "أين الله؟".

أم هو سؤال أضحى أُضحوكةً تتندَّر بِها الأحزاب فِي زمن تأثير الحضارات، ومُحل سخرية عند منظِّري الجماعات؟

أم أنَّهم فهموا ضرورة الحكم بِما أنزل الله ولو أنَّهم ضيَّعوا الله؟!

فمتى يأذن الله بعتق رقابِهم مِمن استذلوهم، كما عتقت الجارية بعد أن عرفت الله؟ ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١].

لكن حقيقة هذا السؤال هي استخراج حقيقة الدعوات، وتبيِّن مدى خلوص النيات؛ لأن فِي الاهتمام بالحكم بالشريعة، وفِي الاهتمام بِمسألة الاستواء اهتمامًا بِحق الله تعالى، لكن بين الأولى والثانية فرق، وهو أن للعبد فِي الأولى حظًّا لنفسه، وهو ما يتكرر على الألسن من استرجاع المظالِم واستيفاء الحقوق، والعيش الرغد الموعود به حقًّا فِي قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦]. أي: أن حظ العبد خالط حقَّ الرب.

وأما الاهتمام بصفة الاستواء لله فهو اهتمام بِحق الله الخالص، ليس للداعي إليها أدنى نصيب من حظ نفسه.

فتأمل هذا الفرق تدرك عزة الإخلاص؛ **لأن الدندنة حول قضية الحكم بِما أنزل الله، مع إهْمال قضايا صفات الرب الخالصة أو تأخيرها أو تهميشها -وهي أشرف ما أنزله الله؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم كما سبق- لأكبر دليل على أن فِي الأمر شائبة،** تؤكد ضرورة الرجوع إلَى دعوة الأنبياء الذين قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ

غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٥٩]. فقدَّموا الاهتمام بشرك القبور على الاهتمام بشرك القصور -إن صح هذا التعبير-، لِهذا لَمْ تكن الإمامة من أصول الإيْمان فتدبَّر![1].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) لابن تيمية كلام نفيس فِي ذلك فِي منهاج السنة (١/١٠٦-١١٠) فراجعه، وفِي قتال الولاة من أجل الدنيا والتباسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فِي (٥/١٥٢)، ومثله عنه فِي العقود الدرية لابن عبد الهادي (ص:١٤٧).



تنبيه

أرسل علي بن حاج رسالة سرية بتاريخ: (٢٠صفر ١٤١٥هـ) إلى الجماعات المسلحة يقول في ق(٢) منها: "ولذلك رأينا في تاريخ علماء المسلمين **أنه يكون بينهم خلاف حتَّى في بعض المسائل العقائدية فضلاً عن الفرعية، ولكن يخرجون في الجهاد صفًا واحدًا أمام العدو الكافر، فكان الجيش يضم في جنباته من شتى المذاهب الفرعية ومُجاهدين من الفرق الإسلامية!....**".

بل قعَّد بعدها قاعدة غريبة من حيث إطلاقها ادعى فيها الاتفاق، وهي قوله: **"إن المسائل المختلفة لا إنكار فيها!!"**[1].

قلت:

أولاً: لا ريب أن المسلمين -بعد الرعيل الأول- قد اختلفوا في أعظم ما في هذا الدين، ألا وهو اختلافهم في ربِّهم: في أسمائه وصفاته، فضلاً عما دونها، فيكون حينئذ إنكار السلف على المخالفين في ذلك جهدًا ضائعًا عند هذا؛ لأنه خلاف الاتفاق المدَّعَى!

ثانيًا: ليس غريبًا أن يُخالف ابنُ حاج العلامة الألباني في عدم اشتراط المعتقد الصحيح للنهوض بالأمة؛ للفوارق العلمية والمنهجية الَّتي بينهما، ولكن الغريب ألا يصدع ابن حاج برأيه عند الشيخ! وأن يكتم عنه "كلمة الحق هذه"، ويُظهر الوفاق له؛ تمويهًا على السلفيين! ثُمَّ يكتبها في الظلام!! ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [البروج:٢٠].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) قد تكلمتُ على بعض ما في هذه الرسالة في حاشية (ص:٣٨٣-٣٨٦) من هذا الكتاب.

الخاتمة

هذا، وأسأل الله تعالى أن يشرح صدور المسلمين عامة، ودعاتهم خاصة لاقتفاء أثر سلفهم الصالح في العمل بهذه الأصول الستة؛ لأنه لا مَجال للوصول إلَى خير الدنيا والآخرة إلاَّ باتباعها، كما أنه لا مَجال لتخطِّيها إلَى غيرها؛ لأنَّها ركائز بنى عليها من تقدَّمَنا دينهم فقام لَهم بُنيانُهم، واشتدَّ عودهم، وقويت شوكتهم، وذلك من توفيق الله لَهم، لَمَّا رأى قلوبَهم منطوية على الصدق والإخلاص، وبها حفظوا لنا هذا الدِّين نقيًّا صافيًا كأنَّه أُنزل اليوم.

وصدق إمام دار الهجرة مالك بن أنس -رحمه الله- إذ يقول: "لا يُصلح آخر هذا الأمر إلاَّ ما أصلح أولَه". وقد تقدم، وصدق أصدق القائلين سبحانه إذ يقول: ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٧٠].

والحمد لله أولاً وآخرًا

*** *** ***

مختصر تاريخ الدعوة الحديث في الجزائر

لما كان حديثي عن أوضاع الجزائر في هذا الزمن، لَزمني أن أقدم للقارئ إلماحة عنها ليفهم ما يأتي بيانه، وقد أوجزتُ في ذلك جدًّا حرصًا على تصغير حجم الكتاب، ولذلك فقد تلحظ أنني خنقتُ الكلمات خنقًا! إلا أنني حرصت على الأهم فيما أظن.

ثُمَّ لعلك تاركٌ بعض ما كُتب هاهنا في انتقاد بعضهم بأسْمائهم وضائقٌ به صدرُك أن يقال: إنَّما هي غيبة وأكل لحم جيفة؟! فاطمئنَّ؛ فإن نيَّتي في ذلك الدفاع عن الدين، وما كان كذلك فذكاته شرعية شريفة.

وقد اكتفيت في ذلك بالإحالة على الأحياء، والذمة تبرأ بالإسناد، وما نَدَّ عنه قلمي أو شرَد عنه ذهني فعذر الاختصار فيه باد.

❊ فأقول –وعلى الله الاعتماد–:

عَرَفَت الدعوة السلفية نشاطًا كبيرًا في الجزائر أيام الاستعمار الفرنسي على يد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الَّتي كان يرأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس –رحمه الله– وكان من علمائها المبرزين الشيخ: الطيب العُقْبي، والشيخ: مُحمَّد البشير الإبراهيمي، والشيخ: مبارك الميلي، والشيخ: العربي التبسي، وغيرهم ....

وقد توفي جلُّهم –رحمهم الله– أيام الاستعمار، ومن بقي منهم فقد انْحَسر نشاطه السلفي جدًّا من يوم أن حُلَّت الجمعية بعد الاستقلال.

وأضحت الدعوة لدى الإخوان المسلمين موضع استغلال، على حين جهل الأمة، وقلة المعارض من أهل البدعة وأهل السنة.

مع العلم أنه لتصلب الجزائريين في دينهم لَمْ ينجح فيهم التهويد ولا التنصير،

ولا كان للقاديانية وجود ولا لجماعة الهجرة والتكفير، ولا سُمع فيها بدعوة رافضية، بل كل ما هنالك دير تصوف وصوامع إباضية.

بدأت الدعوة ساذجة على نشاط ملحوظ من أتباع فكر مالك بن نبي -رحمه الله-، يَرون أن العمل الأكبر يكمن في مسابقة الحضارة.

ثُمَّ انقسم الإخوان المسلمون -بسبب التنافس على الإمارة- إلَى إخوان عالميين وآخرين إقليميين اشتهروا باسم "الجَزْأَرة"[1]، بينهم بأس شديد وتبديع، ثُمَّ عن العالميين

(١) "الجزأرة": عَلَم على المحليِّين من "الإخوان المسلمين"، انشقوا عنهم بسبب أن هؤلاء يرون عالمية الإمارة، وهم يرون جَزْأرة الدعوة أي: أنَّها جزائرية العمل والإمارة، وعقيدتُهم أشعرية يدافعون عنها بقوة، وهم أشد تعصبًا لَها من تَميع الإخوان العالميين، وقد كان لَهم مَجلة "النفير" وغيرها، بل لَهم اليوم جريدة "العقيدة" الَّتي وقَّفت أقلامها لحرب العقيدة السلفية بلا هوادة، ومذهبهم الفقهي مالكي على احتراق شديد في التعصب له وهم كـ"الإخوان" في تَهميش السنة والاستخفاف بدعاتها، والتساهل مع البدعة وأهلها إلاَّ من خالفهم في الوجهة السياسية، وتصوفهم كتصوف سعيد حوى، صاحب الكتاب المشئوم "تربيتنا الروحية" وغيره من الكتب الغوية.

وهم -مع تظاهرهم بالسماحة مع المخالف- من أسرع الناس لجوءًا إلَى العنف مع المخالف من المسلمين وغيرهم؛ إذ يبدءون بالطعن في نيته للوصول إلَى إبعاده من المجتمع، فيقولون: هو عميل أو يُلصقونه بذيل السلطان! فإن أعياهم ذلك وكان للمخالف لسان صدق في الناس، قذفوه بأي سيِّئة خلقية من الفواحش المنفرة! فإن أعياهم ذلك أغروا به السلطة الَّتي يُحاربونَها في الخفاء! فإن أعياهم ذلك سلَّطوا عليه سفهاءهم بالضرب والتنكيل ...! هذا ولَهم تأييد قوي للشيعة الإيرانية، ولئن زعموا أنه مُجرد تأييد سياسي، وليس تأييدًا عقديًّا!

❊ قلنا: هو عين التفريق بين الدين والدولة؛ وهل الدين إلا العقيدة؟! وهل السياسة الرشيدة إلا ثَمرة العقيدة السليمة؟!

قال ابن القيم: "وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلَى شريعة وسياسة كتقسيم غيرهم الدين إلَى شريعة وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلَى عقل ونقل، وكل ذلك تقسيم باطل، بل السياسة والحقيقة والطريقة والعقل كل ذلك ينقسم إلَى قسمين: صحيح وفاسد ..". "إعلام الموقعين" (٣٧٥/٤).

انشقت جماعة النهضة وهي أبعدها عن التمييع، وأقربُها عناية بالتربية، لكن بلا تصحيح ولا تصفية.

وظهرت دعوة جَماعة التبليغ، على ضعف حيث برَّز العلم، وقوة حيث ضعف، إلا أن انتشارها ليس بذاك.

ولما كان جميع الإخوان بعقد السياسة يتناكحون، وبِماء التصويت يتناسلون، وفي علم الكتاب والسنة يتزاهدون، وُلِد لَهم مولود عاق، سَمَّوه بـ"الهجرة والتكفير"، كيلا يكون بينه وبين نسبهم إلحاق! وادَّعوا أنه خرِّيج السلفية وأهل الأثر!!

ولكن الحق أن: «الولد للفراش وللعاهر الحجر». وقد شهد العدول يوم كان يُلقَم بأيديهم ثدي التكفير من صحف سيد قطب، كما قيل:

فإن لَمْ تكُنْهُ أو يكُنْها فإنه   أخوها غَذَتْه أُمُّه بلبانها

وهم جميعًا وإن كانوا لا يرضون بحسن البنا بديلاً، فلا يقبلون في سيد قطب جرحًا ولا تعديلاً.

أما تفرقهم فنتيجة حتمية لمن غاب عنده أصل "التصفية والتربية".

عاش هؤلاء آنذاك في صراع ضائع مع الشيوعية، أمضى سلاحهم: المسرحيات والأناشيد ورياضة ركضٍ كركض الوحشي في البرية.

ولغياب أصل الرد على المخالف، مع ظهور قرن الشيطان في إيران وتتابع التأييد المجازف، تلقَّى هؤلاء -على بكرة أبيهم- دعوة الخميني بكل ترحاب وتحنان، ولغياب أصل السلفية عندهم لَمْ يشعروا بأدنى إثم وهم يجتمعون بمن يكيل لأصحاب رسول الله ﷺ أفظع السباب وأقذع الشنآن!

فما أوسع صدورهم لكل خلاف عقدي ما لَمْ يكن سلفيًّا!

وما أضيقها على كل خلاف حزبي خاصة إذا كان النقد سلفيًّا!

وتراهم من كل حدب ينسلون إلَى محاضرات الرافضي رشيد بن عيسى،

يأتيهم في عقر دارهم، بل بدعوة منهم! وهو لا يفتر على التَّفَكُّه بأعراض السلف الصالح وهم يضحكون!!! ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:١٤][(١)].

---

(١) أخبرني الثقة أنه حضر مُحاضرة له بفرنسا، فلما سمعه كثير السخرية بأئمة السلف وأتباعهم سأله: أليس الإمام مالك عالمًا؟! قالها باللغة الفرنسية:

"I' imam Malek n'est-ce pas un savant?!"

فأجابه بصيغة تَهكُّميَّة قائلاً: "oui! oui! c'est un savon!"، ومعنى جوابه: "نعم! نعم! هو صابون!!"، وأشار بيديه كالذي يغسلهما!! والحضور المساكين يضحكون! أي أنه سئل عن كلمة "savant" الَّتِي تعني "عالِم"، فأجاب بكلمة تشاكلها في النطق مسجوعة كسجع الكهان؛ وهي: "savon" الَّتِي تعني: "صابون"، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١١٤].

ثُمَّ لابد من ملاحظة أن هذا الرجل أراد تنقص الإمام مالك؛ فاستنكف أن يُسميه عالِمًا، لكنه وصفه بالصابون الذي هو طاهر في نفسه ومطهِّر لغيره، وهذا أصدق وصف يليق بالعالِم وإن رغم أنف هذا الشانئ؛ لأنه طاهر من الأخطاء الَّتِي يقع فيها الجاهل، وهو مطهِّر لغيره بما أُوتي من علم بنشره في الناس، فكأن الله أراد لهذا العالِم السني -ولكل صاحب سنة- أن يكون له نصيب من الحفظ الذي خصَّ به نبيَّه ﷺ من أن تناله الألسن بسوء؛ فقد روى البخاري (٣٥٣٣ - الفتح) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمَّمًا، ويلعنون مذمَّمًا، وأنا مُحمَّد**».

وابتليت بسماعه مرة في وكر من أوكار الإخوان "العالميين والجزأرة" بالعاصمة: المدرسة الوطنية العليا بالقبة، يذكر أنه عتب على المودودي قبوله جائزة الملك فيصل؛ لأنه -عنده- لا يجوز قبول هدية سعودية!! مع أنه يعيش في أوربا بين أظهر الكفار، يثلم نعماءهم، متضمِّخًا بجوائزهم، لا يكف يديه عنهم! فإذا جاءت هدية مسلم تورع عنها!! إن مثله كمثل عمر عبد الرحمن المصري نشأةً الأمريكي مهاجرًا!!! ينادي بملء فيه: "قاتلوا الطواغيت! فاتلوهم"، وهو يعيش عند الأمريكان يحتمي بقوانينهم، ويستنصر بمحاميهم، ويتملق قضاءهم!! قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:١٨].

وللروافض اليوم نشاط خبيث في مدينة باتنة بالخصوص، بعد أن طاردهم السلفيون من مروانة، وهم مندسون في جامعاتها مع "الجزأرة"، يصطادون ضعاف النفوس ببعض الخلق المصطنع والخدمات الاجتماعية!

ثُمَّ لَمْ يلبثوا مليًّا حَتَّى نَجم التشيع بعد أفول، وأخذ بعضُ أفذاذهم للرفض يتشيَّعون، عن اعتقاد جازم وحماس قوي! فتدارك الأمر الإقليميُّ مُحمَّد سعيد الونَّاس، لكن بصوت خفي وعلم غير حفي؛ لأَنَّهم لا يزالون يلقّنون ويلقّنون: "لا تُظهروا الخلاف بينكم؛ فإن العدو متربِّص بكم!!".

وقد كانوا من قبل هذا يرمون السلفيين -إذا حذَّروهم من الشيعة الروافض- بتفريق الصف!!

وايْم الله! إنه لبسبب تأييد هؤلاء سياسيًّا صار للروافض فِي الجزائر وجود؛ وإلا فمن الذي فتح لَهم الباب غيرُ ذلك الحزبي، وكل حزبي للمبتدعة وَدود!

فهل يرجعون بنا إِلَى تشيُّع بني عبيد؟ وليس فيهم من يقطع دابرهم كالقيروانِيِّ ابن أبِي زيد؟

أم لَمْ يعرفوا فقيهَهم هذا إلا بالمالكي صاحب الرسالة؟ فلِمَ يكتمون حربه للتشيع وأشاعرة الضلالة؟!

ولما كان العمل السياسي طاغيًا على هذه الأحزاب، لَمْ تجد العقيدة بِها فِي دعوتِهم مَحلاًّ من الإعراب، ومن كان يعلّمها يومذاك -كعلي بن حاج- كان يعلِّمها على الطريقة الأشعرية، وعلى رسلكم قبل أن تجيء قلوبكم ناكرة؛ فإن كراريس تلاميذه الأولين شاهدة سافرة.

وقبيل سنة (١٤٠٠هـ) تعلَّم شيئًا من السلفية، ودعا إليها على تقصير ملحوظ فِي جنب العقيدة، وكان بينه وبين عباسي مدني ردود عنيدة، أوشكت على تحبيب السنة للشباب لولا أن أذهب بركتها تدخّلاته السياسية، منها: دخوله فِي الصراع المستمر فِي الجامعات بين الطلبة الإسلاميين والشيوعيين.

وفِي السنة الَّتِي بعدها نشب اقتتال بين هؤلاء، حمل على إثره مصطفى أبو يعلى وجماعته الإسلامية السلاح، وورَّطوا معهم علي بن حاج مع أنه كان يتظاهر

بنهيهم عن مثل هذا الكفاح.

وقامت هذه الجماعات كلها -ولَمْ تبرز الفُرقة بينها بعدُ- بِمظاهرة في الجامعة المركزية بالجزائر العاصمة، يطالبون فيها بتحكيم الشريعة، وكان -يومها- علي بن حاج يقول: "أعطوني دليلاً واحدًا من الكتاب أو السنة على مشروعية المظاهرات وأنا معكم"!!

لكن مشكلته أنه إذا خطب أظهر الوفاق للمتظاهرين، والله أعلم بِما هو في قلبه دفين.

من أجل ذلك ضيَّق عليه النظام، حتَّى خطب في الناس قائلاً: "لقد خُيِّرتُ بين ترك الخطابة أو السجن، وأنا أختار ما اختار يوسف -عليه الصلاة والسلام- حين قال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣].!!

وكانت هذه الدروشة مضرب المثل في الشجاعة لدى الرعاع، إلا أن أحد الفطناء اعترض عليه بعد ذلك قائلاً: "لقد تلوْتَ في خطبتك آية في غير محلها؛ وذلك أن يوسف -عليه الصلاة والسلام- قال ذلك حين خُيِّر بين الفاحشة والسجن، أما أنت فخُيِّرت بين ترك وسيلة من وسائل الدعوة وبين السجن، وقد علَّمتنا مرارًا أن الحكومة لو منعتك من كلمة المسجد، فلن تَحُول بينك وبين الدعوة، فلك الكلمة في المقهى والوليمة والمأتم وغيرها، فلا أظنك بِهذا الخطأ تدخل السجن إلا عقوبة من الله ...!".

وأُدخل السجن هو وكثير من الدعاة، وأُرْغم بعضهم على الإقامة الجبرية، وضُيِّق على الدعوة بعدما كانت في غنًى عن ذلك.

ولابدَّ من التذكير هاهنا أن عباسي مدني من غلاة حزب (الجزْأرة)! وهو كذلك إلَى الآن من حيث الانتماء الفكري، وإن فارقهم ببدنه! وإنَّما الذي جمعه بعلي بن حاج هو أمران:

- **الأول**: أن المنظِّرين الحقيقيين للجزأرة منعوه من القيادة بعد نازلة الجامعة المركزية المذكورة آنفًا؛ يوم أن أجْمعوا فِي السجن على أنه -بِحمقه وتسرعه- أوردهم شر الموارد!! فنكايةً منه بِهم انضم إِلَى ابن حاج.

- **الثانِي**: النَّزعة السياسية الغالبة عليهما لَمْ تُبق للولاء العقديِّ محلاًّ!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

المرحلة الذهبية للدعـوة

* أقول بصراحة: إن أزهى أيام الدعوة الَّتِي عرفتُها عندنا هي السنوات الخمس الَّتِي تلت هذه النازلة، وقد كان قبلها الجماعاتُ المذكورة آنفًا تجمع غثاءً بلا علم ولا تربية، ثُمَّ تفرِّقه؛ إما أن تفرِّقه هي بتحزباتِها، وإما أن تزُجَّ به فِي مغامرات خطيرة لتقدِّمه فِي الأخير للأنظمة قرابين سياسية، ولا يرْعَوون!

وكأن دعوتَهم لا تزيد على تجميع هذا الغثاء السياسي، وبطن السياسة بأضعاف أمثاله وَلود، وبعد كل عملية إجهاض يعلِّق بعضهم لبعض وسام المجاهد ويُنادي عليه بالخلود!!

لكن بعد أن ولَّت الدعوات السياسية إِلَى الخِسَار، تعلَّمنا على أيدي طلبة العلم علمًا جمًّا، وكثرت المساجد وازدحمت بأهلها.

وكادت العقيدة السلفية تتبوَّأ من الديار الجزائرية مبوَّأ صدق، وأُخفيت مظاهر الشرك فِي كثير من المدن، وعضَّت الطرقية الأنامل من الغيظ، حَتَّى رأينا منهم من لا يلبس عباءته -عباءة التصوف- إلا متخفيًا فِي زاويته، فإذا خرج منها خلعها!

وطُمس على كثير من البدع، بل ربَّما دخلت مسجدًا فلم تصادف فيه بدعة، لا فِي بنائه، ولا فِي تزويقه، ولا فِي صلاة إمامه، وتعلَّم الناس كثيرًا من الآداب الإسلامية الَّتِي شحَّت بِها التخطيطات السياسية!

وعظُمت ثقة الناس بدعاتِهم، الذين كان الواحد منهم ينتقل من قرية إِلَى قرية فِي أنصاف الليالي لا يخاف إلا الذئب على نفسه، بل كان ينتقل بين الثكنات العسكرية يُعلِّم الهدي حَتَّى انتشر الوعي فِي أوساطها.

والسر فِي ذلك هو أن هذه المرحلة كانت أكثر الأزمنة نشرًا للعلم الشرعي منذ

الاستقلال، ومن عجيب الموافقات أن هذا العمل قد اجتمع عليه ثلاث فئات هي:

١- السلفية: لأن العلم أصل دعوتِها ونشر كتب السنة أكبر نَشْوتِها، خاصة من قبل بعض خرِّيجي الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الذين لَمْ تَغْتَل عقولَهم الدعواتُ الحزبية، كما كان لرسائل الدعوة الَّتي يرجع بِها المعتمرون أثر بالغ فِي نشر العلم الصحيح؛ لأن جلَّها فِي أبواب العقيدة وأنعم بِها عقيدة!

وأعظم منه قيام الملحق الثقافي السعودي بتوزيع مجموع فتاوى ابن تيمية فِي الأوساط العلمية عن طريق بعض الفضلاء بوزارة الشئون الدينية، واستفاد الأئمة منه استفادة عظيمة لولا أن منعته بعدها يد طُرُقية مذهبية شقيَّة!

وأعظَم من هذا كله أن الديار الجزائرية حظيت بعناية أكبر مُحدِّثي هذا العصر، ألا وهو الشيخ مُحمَّد ناصر الدين الألباني -رحِمه الله-؛ فقد أُخبر الثقة أنه حضر عنده فِي بيته، فجاءته خَمسون مكالمة هاتفية من الجزائر فِي مجلس واحد!

فكان -رحِمه الله- غرسه بالأردن، وثمار دعوته ممتدة إلَى الجزائر، فسبحان الله الهادي!

أقول هذا لأن الكثير ظن أن سلفية الجزائر هي مولود "الجبهة الإسلامية للإنقاذ"، كلا! فإنه لا وجود لِهذه الجبهة يومئذ، بل كان علي بن حاج فِي السجن الأول نسيًا منسيًّا.

٢- **جلُّ الجماعات الأخرى الَّتِي سبق الحديث عنها**: وهي وإن كانت لا تؤصِّل دعوتَها إلا على السياسة، فقد أرغمتها سياسةُ الحديد والنار -بعد نازلة الجامعة- على احتراف العلم وترك السياسة إلا فِي الظلام!

وقد كنتُ انبهرتُ يوم دخلت مساجد بعض الجامعات، فرأيتُ فيها لأول مرة لوحة منصوبة على الجدار، كتب عليها فِي يوم: أحكام التجويد، وفِي آخر: فقه، وفِي ثالث: علوم القرآن ... إلخ. مع أنني لَمْ أكن أسمع فيها من قبلُ إلا قال المودودي، وقال سيد قطب، وقال سعيد حوَّى...

وأقرب علم إلى الشرع عرفته عنهم هو السيرة النبوية، لكن دراستهم لها كانت لأغراض سياسية، حتَّى لكأنَّهم لا يعرفون منها إلا الغزوات! ولذلك فإن أشد ما يكرهون عند تدريسها هو أن يشوَّش عليهم بدراسة أسانيد الروايات، لاسيما إذا كانت تُفوِّت عليهم استنباطات حركية!! أو توقفهم عند أحكام فقهية قد تقيِّد حريَّتهم الحركية أو تشلُّها! أو تأخذ من وقتهم، والقطار السياسي لا "يبرمج" لتوقُّفه مثل هذه المحطات! إنه لا يرضى إلا بمحطة البرلمان!

المهم أنه مهما تكن نيَّتهم في تحوُّلهم العلمي، فقد كانت مرحلة أفضل من سابقتها[1].

٣- وافق هذا إقامة الدولة معارض كبيرة للكتاب بأسعار رمزية للغاية، مع إقبال على المؤلفات الإسلامية يفوق الوصف، وربَّما بيع ألف ألف كتاب في أسبوعين فقط!

وظهرت ثمرة الدعوة العلمية في سرعة فائقة، وكانت الصدارة فيها للدعوة السلفية الَّتي لقيت في العاصمة حفاوة رائقة.

وبدأت تبسط أجنحتها خارجها على الرغم من قلة دعاتها وكثرة عداتها، وقلة مراجعها العلمية، وكثرة محاربيها بالمؤتمرات الرسمية، لكن مساجدها هي المطروقة، ونشراتها هي الموثوقة، فقد كان الطلبة يحضرون دروسها بانتظام ومواظبة، وربَّما بلغ عددهم الألفين في المجلس الواحد، ليس في الجمعة، بل في درس الليل، أما الجمعة فيسافر لها من مئات الأميال.

وظهر من الشباب السلفي من عُلِّقت عليه آمال وآمال: في شغفه العلمي، والتزامه العملي، واشتهر بحفظ القرآن، حتَّى كان موئل الباحثين عن أئمة رمضان.

---

(١) وإنَّما اخترت التمثيل بمساجد الجامعات؛ لأنَّها عُش الإخوان والنهضويين والإقليميين، لا يسمحون فيها لغيرهم بنصف كلمة ولو كانت تلاوة إمام في صلاة سرية! وهم يركِّزون على الجامعات؛ لظنهم أن الدعوة تنتصر بالماديات والشهادات لا بالمستضعفين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم». رواه البخاري.

مع التنبيه على أنه الوقت الذي أفلست فيه الجماعات الأخرى، وكل من أضحى سلفيًا من رموزهم ففي هذه المدة القصيرة، وفيها برز انقسام الإخوان بجلاء إِلَى الكتل الثلاثة الَّتِي ذكرتُها فِي أول هذا الفصل.

وإذا رأيتني هنا أُلحَى باللوم الشديد على بعض الدعاة وأغض الطرف عن حسناتهم؛ فلأنني لا أرى من تسبَّب فِي وَأْد هذا الخير العظيم إلا جانيًا على الإسلام والمسلمين أعظم جناية، ولو رأيت ما رأيتُ لقلت: ليس الخبر كالمعاينة!

ومن بركة العلم أن كثيرًا من القوانين الوضعية أخذ فِي انحسار سريع، على الرغم من ندرة التعرض لنقضها، فقد أدرك الناس -بتعلم السنة- مناهضتها للشرع، حَتَّى الإداري الذي يحفظها أضحى لا يعرفها إلا حبرًا على ورق؛ لأنه يسمع فِي مسجده أو فِي مكتبه ما يُضْعف قناعته بها.

وأعرف من هدم ستين قبة فِي منطقة واحدة من الغرب الجزائري، ووجد من المسئولين من يدعمه على الرغم من إرجاف الصوفية القبوريين.

وأضحت المحافظة على الصلوات فِي العمل لا تقبل الجدل، بل فرض القانونُ بناءَ مسجد فِي كل مؤسسة.

وكاد يُقضى على مشكلة الصيام بالحساب، بل قضي عليها لولا تقصير بعض الثقات الموكَّلين بترقب الهلال.

كما قلَّت بيوت الفساد والخمارات، وعوقب المفطر فِي رمضان بلا عذر عقوبة رسمية، بل لقد نوقش فِي البرلمان لأول مرة بشكل مفتوح: منع الخمور، ورياضة المرأة، وغيرها من القضايا وفق الأحكام الشرعية.

أما المظاهر الإسلامية كالجلباب للمرأة والزي الإسلامي للرجل، فلم تعُد محل نقاش، حَتَّى اللحية الَّتِي يمنعها القانون العسكري على الجنود، قد رُئِيَ منهم أنفسهم

من يوفِّرها، وحظي ذوو المظاهر الإسلامية بتوقير كبير لدى الناس.

وأما من الناحية الأمنية فقد كانت الجزائر من آمَن بلاد الله؛ وقد كان الواحد منا يمكث سنوات متتابعات لا يَحمل معه أوراقه الثبوتية!

وكانت الشُّرط نادرًا ما يحملون معهم السلاح، بل ذُكِر لي أن بعضهم كان يضع في حزامه خشبة تُشبه المسدس بدله!

أكتب هذا تذكيرًا بالنعمة الَّتي حوَّلَتْها الذنوب؛ وأظهرُ ذنب هاهنا هو مُخالفة الدعاة للرسول ﷺ وتنكُّب طريقه فِي الإصلاح.

وأكتب هذا أيضًا تذكيرًا بأصل "نيل السؤدد بالعلم"، ليقصر الدعاة من زهدهم فِي نشر العلم الصحيح؛ لأنَّهم إن لَمْ يَحرموا الناس من بركته، وظهر فِي الأمة الإخلاص لله فِي العمل به، غيَّر الله ما بِهم من بأس.

وإنَّما عربون الفتنة فِي انصراف العلماء عن تعليم أمتهم الكتاب والسنة أي: العلم الذي يعني الجميع، إلَى الجهد الضائع فِي السياسات العصرية الَّتي لا تعني إلا فئة محصورة على أكبر تقدير.

وهذا خلاف سيرة النَّبِي ﷺ؛ فعن جابر قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين، يتبع الناس بعكاظ ومجنة، وفي المواسم بِمنى يقول: «**من يؤويني؟ من ينصرني حَتَّى أبلِّغ رسالة ربي وله الجنة؟**». حَتَّى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر -كذا قال- فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك!

ويَمشي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حَتَّى بعثنا الله إليه من يثرب، فآويْناه وصدَّقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن، ويُقرئه القرآن، فينقلب إلَى أهله فيُسلمون بإسلامه، حَتَّى لَمْ يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها من المسلمين يُظهرون الإسلام.

ثُمَّ ائتمروا جميعًا، فقلنا: حَتَّى متى نترك رسول الله ﷺ يُطرَد فِي جبال مكة

ويخاف؟

فرحل إليه منا سبعون رجلاً حَتَّى قدِموا عليه فِي الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حَتَّى توافينا، فقلنا: يا رسول الله! نبايعك؟ قال: **تبايعوني على السمع والطاعة فِي النشاط والكسل، والنفقة فِي العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا فِي الله، لا تخافون فِي الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني، فتمنعوني إذا قدمت عليكم مِمَّا تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة....»**[1].

من مظاهر رفع الله لأمة العلم أن الشيوعيين -الذين كانوا يحاولون التسلل فِي الدولة الَّتِي كانت لَهم بالمرصاد آنذاك- قلُّوا بصفة مدهشة، واعتزلهم الناس! إلا أنَّهم لَمْ ييأسوا، فحاولوا بكل وسيلة ضرب الإسلام!

فلم يَجدوا أنفع لَهم من استفزاز شخصية إسلامية ثورية، يستطيعون التحكم فيها بالتهييج السياسي!

ويبدو أنَّهم لَمْ يَجدوا أحسن من علي بن حاج فِي شبابه وقوة نشاطه، وسحر بيانه وشدة نقمة سجين على نظامه!

فأُخرج من السجن قبل انتهاء مدته، ثُمَّ هُيِّئت له ثورة شعبية! عُرفت بثورة (٥ أكتوبر ١٩٨٨م)، وزُعِم أنَّها شعبية شعبية!!

وزُعم أن أمن الدولة مُنع من التدخل!! وقُرْقِر فِي أذن علي بن حاج أن "الشعب" ينتظر كلمة المسجد!!

فجعل يقذف بلسانه ذات اليمين وذات الشمال، وكان جل حديثه -بل قل

(١) رواه أحمد والبيهقي والحاكم وهو صحيح كما فِي الصحيحة (٦٣) للألباني.

كل حديثه- عن السجن والحكومة، فنصح له الدعاة السلفيون بل وغيرهم لكن بلا جدوى.

ثُمَّ نُصب له الفخ السياسي: التعددية الحزبية، وقيل للناس: هل أنتم متحزِّبون؟! لعلنا نتَّبع الكثرة إن كانوا هم الغالبين؟!

فاستجاب لَهم أصحاب "الوعي السياسي!!" على بكرة أبيهم، من الجماعات الإسلامية الَّتي هي على مستوى تحديات العصر، فيما يُزعَم!!

والحقيقة؛ أن هؤلاء لَمْ يُجيبوا لذلك إلا لأنَّهم يكثرون عند الطمع، ويقلُّون عند الفزع! الفزع الذي هو أكبر الجهاد، ألا وهو بثُّ العلم.

و"اليد الشعبية!" تتصيَّدهم حزبًا حزبًا، وخطب العدوُّ دعاة الحماسة، وتَمَّ النكاح حَتَّى تخلَّقت الحزبية فِي ظلمات ثلاث: ظلمة الجهل بالشريعة، وظلمة إغلاق العقل عند شباب حديد بالطبيعة، وظلمة الاستفزاز الخارجي الذي لا يألوهم خبالاً ولا مكرًا ولا خديعة!

وكوَّن علي بن حاج حزبه فِي ليل من السياسة غاسق، وسمَّوه: "جبهة الإنقاذ الإسلامية"، ومن يومها والجزائر تستغيث: هل من منقذ؟!

حقيقة! إن فتنة هؤلاء الخطباء فِي قومهم أعظم فتنة؛ لأنَّهم ملقِّحوها!

ويا عجبًا! كيف لا يُقلَّدون عارها وقد أضرموا نارها؟!

وهم أدوات فِي أيدي عدوِّهم يُحرِّكها كيف يشاء، قال خبير الفتن حذيفة ابن اليمان ﷺ: «إن الفتنة وُكلت بثلاث: بالحادِّ النحرير الذي لا يرتفع له شيء إلا قمعه بالسيف، وبالخطيب الذي يدعو إليها، وبالسيِّد؛ فأما هذان فتبطحهما لوجوههما، وأما السيد فتبحثه حَتَّى تبلو ما عنده»[1].

---

(١) رواه نعيم بن حماد فِي الفتن (٣٥٢)، وابن أبي شيبة (١٥/١٧-١٨)، وأحمد فِي الزهد (٢/١٣٦)، وأبو نعيم فِي الحلية (١/٢٧٤)، واللفظ له، وأبو عمرو الداني فِي السنن الواردة فِي الفتن (٢٨).

وطبيعة التحزب تغنيك عما يتبعها من عنف، كانت تُستدرج إليه الجبهة فِي سرعة جعلت "الأحزاب الإسلامية" الأخرى مقبوضة اليد، توجس من التحزب السياسي خيفة، ولكن ما دام لابد عندهم من البديل -ولو لَمْ يكن مشروعًا- فقد أنشأوا لَهم: "رابطة الدعوة الإسلامية" لتكون لَها الوصاية الدعوية على غيرهم، وأوغلوا فيها عباسي مدني وعلي بن حاج ليكُونا تحت عينهم ومُلْجَمَيْن بلجامهم، وتوَّجوا الإقليمي الشيخ أحمد سحنون كرئيس شرفي، والرئاسة الحقيقية ترجع إلَى حِرَفِيِّي الاحتيال فِي حلبة النطاح الحزبي: إما إقليمي، أو إخواني، أو نَهضوي، أو رافضي...!

وما سُميت رابطة إلا لأنَّهم يربطون عُقَدها، وكلٌّ فيها بسحر السياسة نافث، فنعوذ بالله من شر النفاثات فِي العقد!

لكن رُقيتها لَمْ تفلح طويلاً فِي علي بن حاج رغم اجتماع النافخين فيه، فكان كلما أراد أن يُخالفهم فعل ولَمْ يبال بِمخالفيه، من أجل ذلك استشارنِي بعض الإقليميين فِي أن يتخلَّلوا صفوف جبهة الإنقاذ، فقلت: ولِمَ؟ قال: "لنُخَفِّف من جنون الرجلين: مدني وابن حاج!".

فقلت: "إذن سيُورِّطانكم فيما تكرَهون!".

فلم يقبلوا النصيحة، وانخرط كبيرهم مُحمَّد سعيد الونّاس، وزعموا: "أنه لا يزيد على وظيفة الحماية المدنية: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة:٦٤]. بأيدينا!"

واتَّخذ الجميعُ من السياسة جارحة صيد يَجْمعون بها الرغوة، واتَّخذها أعداؤهم آلةَ كيد يَجهضون بِها الدعوة، ولذلك لَمْ يَمض إلا زمن يسير، وإذا بالجميع بِحمأة الفتن يُكوَى، والله يهديهم.

أما الإخوان العالميون فقد أظهروا بقوة رفضهم للتحزب، وتظاهروا بسلوك طريق التربية، وأعلن ذلك أميرهم مَحفوظ نحناح فِي الجرائد بلا خفاء، وهم يترقّبون يوم مذبحة الجبهة ليقال لَهم: يا لكم من حكماء!

ولكن ذلك لَمْ يحصل، بل هالهم أن نجحت الجبهة فِي الانتخابات البلدية وامتدّ سلطانُها، وظنوا الملك غنيمة باردة، فلم يلبثوا إلا قليلاً حَتَّى قصروا عمر الحكمة وخلعوا برقع التربية، وقالوا: السياسة من الدين ولابد من الحزبية!

لكن قطار الجبهة حشد الحشود، ولَمْ يُبق لَهم من الأصوات ظهرًا مركوبًا إلَى الحكم إلا بحة شيوعية وأخرى وطنية، فكانوا كالشاة العائرة بين غنمين.

وأخيرًا، تحالفوا مع الأحزاب الشيوعية والوطنية! نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

وفِي آخر سنة (١٤١١هـ) غيَّر النظام الحاكم قانون الانتخابات، ورأت جبهة الإنقاذ أنَّها مكيدة مدبَّرة، **فدعت إلَى إضراب عام عن العمل، واعتصموا ببعض الساحات العامة.**

وبدأ الْجِدُّ يظهر بعد هذه "المسرحية"، فمن الجبهة عنف اللسان، ومن مُخالفيهم عنف السِّنان.

وبينما أنا فِي بيتي فِي حي يقال له: جسر قسنطينة، إذ سمعت صارخًا من مكبِّر صوت المسجد يندِّد بفعل بعض عسكر الدولة، لكنه أرشد إلَى الصبر، فحمدت الله.

ولَمْ ألبث إلا قليلاً فإذا بصارخ آخر فِي مسجد ثان يكرِّر التنديد، لكنه مصحوب بالنداء إلَى الجهاد!!

فقلت فِي نفسي: هذا "حزب إسلامي" يريد إقامة دولة الإسلام، وقد عجز عن توحيد كلمة مسجدين متجاورين فِي هذا الظرف العصيب؟! يا لَها من مغامرة

يُساق إليها بلد مسلم! قد فعلْتَها بِهذه الأمة يابن حاج!

ففزعت إِلَى الصلاة، ولَمْ أشعر حَتَّى فاضت عيناي بالدمع، وجال فِي مُخَيِّلتِي قصة حماة بسورية، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الأنفال:٤٣].

وفِي سنة (١٤١٢هـ) دخلت الأحزاب الترشيحات البرلمانية، وفازت جبهة الإنقاذ فِي الدور الأول منها، ثُمَّ تغيَّرت الأوضاع فجأة، واستقال رئيس الجمهورية ابن جديد، واستبدلت الحكومة بأخرى ...

فلجأ خطباء الجبهة إِلَى منابر المساجد مستنفرين الأمة إِلَى الجهاد؛ يتلثَّم الخطيب كيما يُعرف، فيشتم المسئولين ويُقذع فِي الكلام، ثُمَّ يصلي بالناس الجمعة ثُمَّ يفرّ! وربَّما فرَّ قبل الصلاة!! وإذا حضرت الشرطة لَمْ تجد إلا الأبرياء، فتأخذهم بجريرة أولئك الأبطال! أبطال هذه اللعبة الصبيانية، وإن رأوها مناورة حركيَّة!!

ودخلوا فِي "مضاربة بلا رمح، وليل بلا صبح!".

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

علي بن حاج والعلماء

لَمْ يتعلم هذا الشاب على أيدي أهل العلم، فتكوينه العلمي حصيلة دراسته على الكتب، ومن زعم أنه تتلمذ على يدي الشيخ: عبد اللطيف سلطاني، أو الشيخ: العرباوي -رحمهما الله- فقد غلط، بل ماتا وهما ساخطان عليه، وهذا شيء يعرفه كل من يسكن عاصمة الجزائر، ثُمَّ كل ما هنالك أن الرجل حضر -بصفة متقطعة جدًّا- بعض الدروس الَّتِي كان يُلقيها الشيخ العرباوي فِي مسجد "جنان المبروك" فِي شرح كتاب "بداية المجتهد" لابن رشد[1].

وقد بدا لِي من خلال معرفتِي به الطويلة أن السجن الأول -قبل فتنة الأحزاب هذه- أثَّر فيه أثرًا بالغًا، وذلك من ناحيتين:

* **الأولى**: أنه أخبرني هو أنه عكف على كتب الإخوان المسلمين وقلاها قَلْيًا، بغرض انتقادها -كما زعم- وسَمى لِي منها كتب مُحمَّد الغزالي، والقرضاوي وسيد قطب، لكنه لَمْ يلبث أن تأثر بِها؛ يدلُّ عليه انقباضه من العلماء بعد خروجه من السجن الأول، ومن العلماء السلفيين خاصة!.

ولئن قلت: كيف يستقيم هذا ونَحن نسمع عنه أنه سلفيّ؟!.

قلت: إن الذي لَمْ يقنع بِما عليه السلفيون منذ عهدهم الأول حتَّى يبتدع سلفية حركية، لن يَجيء -مهما طوَّر الأسلوب وحوَّر فِي العبارات- إلا ببنت الإخوانية!.

---

(١) كان يحضرها للمناقشة، لا الفائدة!

وأما الشيخ: سلطاني فكان شديد التحذير منه؛ بل كان ينهى الناس عن حضور دروس هذا الشاب؛ وسَمعته مرة يقول: كيف يُفتِي الناس من لا يُحسنُ قراءة القرآن؟! ومثل لذلك بآية: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً...﴾ [النساء:١]، ويقول: "إنه يقرؤها بمد الثاء: "وبثَّا"!!

ولو قرأت لهذا الرجل ما كتب لما استغربت، كيف وجلُّ نقولاته عن الإخوان، من سيد قطب وأخيه مُحمَّد وعبد القادر عودة وصلاح الخالدي وحسن البنا، وحتَّى من مُحمَّد عبد القادر أبي فارس وغيرهم ممن تقرأ أسْماءهم في كتبه مثل كتاب "فصل الكلام في مواجهة ظلم الحكام".

ولئن أخذ ومضة من كتب ابن تيمية فمن باب قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور:٤٩]. مع ذلك فيُفصِّل كلامه على قده ببتر نصوصه، واقرأ إن شئت ما كتبه في حكم الإضراب، ينكشف لك ما قلته بلا ارتياب.

وهذه عاقبة من لَمْ يسعه ما وسع السلف، وشبَّهتُ حاله في تأثره بـ"الإخوان المسلمين" -حيث قرأ كتبهم وهو يريد انتقادهم فيما زعم- بحال الغزالي الذي قال فيه أبو بكر بن العربي: "شيخنا أبو حامد: بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيَّأهم فما استطاع"[(١)].

وهاك -أخي القارئ- بيان ذلك فيما يلي:

*****

(١) السير للذهبي (٣٢٧/١٩)، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣٨/١٣).

أثر غزو حزب "الإخوان المسلمين" لأهل السنة

لا يخفى على من جرَّب الجماعات المعاصرة ما فِي منهج "الإخوان" من الازدراء بأهل العلم، وما لَهم فِي ذلك من زخرف القول؛ بغية إقناع الأغرار من طلبة العلم بأن علم الكتاب والسنة قاصرٌ عن الاستجابة لحاجات العصر، وأن التفقه فيهما لا يُرشِّح صاحبَه لقيادة العالَم، أو ليكون على مستوى تحدِّيات العصر...!!

كما لا يَخفى أيضًا أن ذلك يُقابله انبهارُهم بـ"فقه الواقع"، وتلميعهم البالغ لمدَّعيه، ولو كانوا أبخس الناس حظًّا من علم الشريعة! ولو كان ذلك فِي أصل علوم الشريعة، ألا وهو التوحيد!!

ودعوتُهم الصريحة إلَى انتقاصِ جبال أهل العلم بسبب التقصير فيه -زعموا!- دعوة مكشوفة؛ وإلا فخبِّروني بأول من نبز العلماء الحقيقيِّين: حملة الوحيين بعلماء الحيض والنفاس؟! وبعلماء القشور؟! وبعلماء البلاط؟! وبالذين يعيشون القرون الوسطى؟! وبعلماء الكتب الصفراء؟! وبعلماء البدو؟!! .

انظر مثالاً على ذلك كتاب: "لا إله إلا الله عقيدةً ومنهجًا..." (ص:١٧٤)؛ لترى كيف يغمز مؤلفُه مُحمَّد قطب من قناة علماء الكتاب والسنة، ويستهجن عمل من يقوم بتحقيق المخطوطات! ويستنكف أن يسمِّيهم علماء!!

مع ذلك فهو عند قوم "من الإخوان المعتدلين! بل من السلفيين!!"، لكنه -عندهم- سلفيُّ المعتقد، عصريُّ المواجهة!!! لأنه لا يُضيِّع وقته فِي مواجهة الفرق العقدية القديْمة بزعم اندراسها! وهي -كما يقال-: "شنشنة أعرفها من أخزم"؛ وإلا فلماذا إصراره على الردّ على المرجئة -وهي فرقة قديْمة- لولا أنه وجماعته يريدون تنفير الشباب السلفي من علمائهم؛ بسبب أن هؤلاء يُفَصِّلون فِي قضية

الحكم بغير ما أنزل الله، ولا يُكفِّرون مطلقًا.

بل لا أدري هل تنبه القارئ إلَى أن هذا الرجل ضاعف حديثه عن الإرجاء فِي كتبه الأخيرة بعد أن استوطن السعودية!! فانظر مثلاً كتبه: "الصحوة الإسلامية"، و"التفسير الإسلامي للتاريخ"، و"واقعنا المعاصر"....

مع أنك لا تكاد تعثر على هذه الكلمة -الإرجاء- فِي كتبه القديْمة! مِمَّا يدلك على أنه استلَّها من قاموس السلفيين بعد أن سكن ديارهم ليحاربَهم بِها، ولعله لَمْ يسمع بِها من قبل!

وقد كان نائب علي بن حاج فِي الجبهة الجزائرية المسمَّى الهاشمي سحنوني يُلقِّب كلَّ من لا يُكفِّر الحكام بِهذا اللقب: "مرجئ!" فلما سألتُه عن مصدره قال: مُحمَّد قطب وعبد الرحمن عبد الخالق!!

ولَمْ يقف مُحمَّد قطب عند هذا حَتَّى أغرى أحد أبناء الجزيرة العربية ليكتب فِي ذلك؛ كل ذلك توكيدًا منه للاهتمام بِمعالجة داء الإرجاء المسيطر على علمائها فِي زعمه!! ولا تكاد تجد كتابًا أُلِّف اليوم فِي الإرجاء إلا وعليه بصماته: من تقديْم أو استشهاد مؤلِّفه بأقواله؛ فانظر مقدِّمته الحافلة لكتاب تلميذه الحميم سفر الحوالي: "ظاهرة الإرجاء فِي الفكر الإسلامي"، ثُمَّ هي حُذفت الآن فِي طبعته الرسمية!!

بل تجد هذا الأخير فِي كتابه "العلمانية" يأتِي بآية الحكم بغير ما أنزل الله من غير تعريج على تفسير السلف لَها، وعلى رأسهم التفسير المشهور، والصحيح الإسناد عن حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيره! فهل يعنِي هذا أنه غير راض بالتفصيل السلفي المأثور فِي المسألة؟!.

انظر (ص:٦٨٥): وما بعدها لترى كيف يُنَزِّل الحكم من ظاهر الآية السابقة على عموم حكام المسلمين حَتَّى يُخيِّل إلَى القارئ أن لا تأويل للآية عند السلف إلا ذلك التعميم! وتأمل فِي كتابه هذا عدد النقولات الهائلة عن شيخه إلَى جنب نقولاته

الهزيلة عن السلف تفهم ما قُلته!

وقد وجدتُ عند الشيخ الألباني كلامًا رصينًا فِي المسألة، فقد سئل عما يأتِي:

"فضيلة الشيخ! لا يَخفى عليكم ما احتوته الساحة الأفغانية من الجماعات والفرق الضالة الَّتِي كثرت فِي ذلك الحين فِي صفوفها، والَّتِي استطاعت -وللأسف- أن تبث أفكارها الخارجة عن منهج السلف الصالح فِي شبابنا السلفي الذي كان يُجاهد فِي أفغانستان، ومن هذه الأفكار: **تكفير الحكام**، وإحياء السنن المهجورة، **كالاغتيالات** كما يدَّعون، والآن وبعد رجوع الشباب السلفي إلَى بلادهم "بعد الجهاد" قام بعضهم ببث هذه الآراء والشبه بين الشباب فِي مُجتمعاتِهم...؟".

فأجاب -بعد أن بيَّن خطورة تنكّب تفسير السلف للوحيين-: "فكان أمرًا طبيعيًّا جدًّا أن ينحرفوا كما انحرف من سبقهم عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ومنهج السلف الصالح، ومن هؤلاء: **الخوارج قديمًا وحديثًا؛ فإن أصل التكفير الذي ذكرناه فِي هذا الزمان: الآية الَّتِي يُدَندِنون حولها؛ ألا وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾** [المائدة:٤٤]...

فمن جهل الذين يحتجون بِهذه الآية .. أنَّهم لَمْ يُلِمُّوا على الأقل ببعض النصوص الَّتِي جاء فيها ذكر لفظة **الكفر**؛ فأخذوها على أنَّها تعني الخروج من الدين، وأنه لا فرق بين هذا الذي وقع فِي الكفر، وبين أولئك المشركين من اليهود والنصارى ... ويُسلِّطون هذا الفهم الخاطئ على كثيرين وهم بريئون منه ...".

ثُمَّ تحدث عن تفسير ابن عباس -الذي يُحاول مُحمَّد قطب وأتباعه جعله بلا دليل وصفًا خاصًّا بخلفاء بني أمية!- فقال: "وكأنه **-أي: ابن عباس- طرق سمعه يومئذ ما نسمعه اليوم تَمامًا**، أن هناك أُناسًا يفهمون الآية على ظاهرها دون تفصيل، فقال ﷺ: ليس الكفر الذي تذهبون إليه؛ إنه ليس كفرًا ينقل عن الملة، **هو كفر دون كفر** ...".

إلَى أن قال: "فابن تيمية -يرحمه الله- وتلميذه وصاحبه ابن قيم الجوزية

يدندنان دائمًا حول ضرورة التفريق بين الكفر الاعتقادي والكفر العملي؛ وإلا وقع المسلم من حيث لا يدري في فتنة الخروج عن جماعة المسلمين الَّتي وقع فيها الخوارج قديْمًا، وبعض أذنابهم حديثًا ...".

ثُمَّ ذكر بعض ما جرى بينه وبين بعض المخالفين أنه قال لَهم: "فأنتم أوَّلاً لا تستطيعون أن تحكموا على كل حاكم يحكم بالقوانين الغربية الكافرة أو بكثير منها أنه لو سئل لأجاب بأن الحكم بهذه القوانين هو الحق والصالح في هذا العصر، وأنه لا يجوز الحكم بالإسلام، لو سئلوا .. لا تستطيعون أن تقولوا بأنَّهم يُجيبون بأن الحكم بِما أنزل الله اليوم لا يليق؛ وإلا لصاروا كفارًا دون شك ولا ريب، فإذا نزلنا إلَى المحكومين وفيهم العلماء، وفيهم الصالحون، وإلخ ... فكيف تحكمون عليهم بالكفر؛ بمجرد أن تروهم يعيشون تحت حكم يشملهم كما يشملكم أنتم تمامًا، لكنكم تعلنون أن هؤلاء كفار بِمعنى: مرتدين ...؟!".

ثُمَّ تكلم عن الحاكم بغير ما أنزل الله، فقال: "فلا تستطيع أن تقول بكفره حتَّى يعرب عما في قلبه؛ بأنه لا يرى الحكم بِما أنزل الله ﷻ، وحينئذ فقط تستطيع أن تقول: إنه كافر كفر ردة...

ثُمَّ كنت ولا أزال أقول لِهؤلاء الذين يدندنون حول تكفير حكام المسلمين: هبُوا أن الحكام كفار كفر ردة، ماذا يُمكن أن تعملوه؟ هؤلاء الكفار احتلوا من بلاد الإسلام، ونَحن هنا مع الأسف ابتلينا باحتلال اليهود لفلسطين، فماذا نستطيع نَحن وأنتم أن نعمل مع هؤلاء، حتَّى تستطيعوا أنتم مع الحكام الذين تظنون أنَّهم من الكفار؟ هلا تركتم هذه الناحية جانبًا، وبدأتم بتأسيس القاعدة الَّتي على أساسها تقوم قائمة الحكومة المسلمة؟ وذلك باتباع سنة رسول الله ﷺ الَّتي ربَّى أصحابه عليها ... وذلك ما نعبِّر عنه في كثير من مثل هذه المناسبة بأنه لابدَّ لكل جماعة مسلمة تعمل بحق لإعادة حكم الإسلام، ليس فقط على أرض الإسلام، بل على

الأرض كلها، تحقيقًا لقوله -تبارك وتعالى-: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣]. وقد جاء في بعض الأحاديث الصحيحة أن هذه الآية ستتحقق فيما بعد.

فلكي يتمكن المسلمون من تحقيق هذا النص القرآني: هل يكون الطريق بإعلان الثورة على هؤلاء الحكام الذين يظنون أن كفرهم كفر ردَّة؟!

ثُمَّ مع ظنهم هذا -وهو ظنٌّ خاطئ- لا يستطيعون أن يعملوا شيئًا! ما هو المنهج؟ ما هو الطريق؟ لاشك أن الطريق هو ما كان رسول الله ﷺ يدندن حوله ويذكِّر أصحابه به في كل خطبة: «وخير الهدي هدي مُحمَّد ﷺ».

فعلى المسلمين كافة، وخاصة منهم من يهتم بإعادة الحكم الإسلامي أن يبدأ من حيث بدأ رسول الله ﷺ: وهو ما نكني نحن عنه بكلمتين خفيفتين: "التصفية والتربية"؛ ذلك لأننا نَحن نعلم حقيقة يغفل عنها أو يتغافل عنها في الأصح أولئك الغلاة الذين ليس لَهم إلا إعلان تكفير الحكام، ثُمَّ لا شيء!

وسيظلون يعلنون تكفير الحكام ثُمَّ لا يصدر منهم إلا الفتن؛ والواقع في هذه السنوات الأخيرة الَّتي يعلمونها، بدءًا من فتنة الحرم المكي، إلَى فتنة مصر، وقتل السادات، وذهاب كثير من المسلمين الأبرياء، بسبب هذه الفتنة، ثُمَّ أخيرًا في سورية، ثُمَّ الآن في مصر والجزائر مع الأسف، إلخ ...

كل هذا بسبب أنَّهم خالفوا كثيرًا من نصوص الكتاب والسنة، وأهمها: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]....

بِماذا بدأ رسول الله ﷺ؟

تعلمون أنه بدأ بالدعوة بين الأفراد الذين كان يظن فيهم الاستعداد لتقبل الحق، ثُمَّ استجاب له من استجاب كما هو معروف في السيرة النبوية، ثُمَّ التعذيب

والشدة الَّتِي أصابت المسلمين فِي مكة، ثُمَّ الأمر بالهجرة الأولى والثانية، إلَى آخر ما هنالك، حَتَّى وطَّد الله ﷺ الإسلام فِي المدينة المنورة، وبدأت هنالك المناوشات، وبدأ القتال بين المسلمين وبين الكفار من جهة، ثُمَّ اليهود من جهة أخرى، وهكذا ..

إذن لابد أن نبدأ نحن بتعليم الناس الإسلام كما بدأ الرسول -عليه الصلاة والسلام-، لكن نحن الآن لا نقتصر على التعليم؛ لأنه دخل الإسلام ما ليس منه، ولا يَمُتُّ إليه بصلة ... فلذلك كان من الواجب على الدعاة أن يبدءوا بتصفية هذا الإسلام مِمَّا دخل فيه.

والشيء الثانِي: **أن يقترن مع هذه التصفية تربية الشباب المسلم الناشئ على هذا الإسلام المصفَّى، ونحن إذا درسنا الجماعات الإسلامية القائمة الآن منذ نحو قرابة قرن من الزمان، لوجدنا كثيرًا منهم لَمْ يستفيدوا شيئًا، برغم صياحهم، وبرغم ضجيجهم بأنَّهم يريدونها حكومة إسلامية، وسفكوا دماء أبرياء كثيرين بهذه الحجة دون أن يستفيدوا من ذلك شيئًا؛ فلا نزال نسمع منهم العقائد المخالفة للكتاب والسنة، والأعمال المنافية للكتاب والسنة** ..."[١].

قال العلامة عبد العزيز بن باز معلِّقًا على هذا المقال: "فقد اطَّلعتُ على الجواب المفيد القيِّم الذي تفضَّل به صاحب الفضيلة الشيخ: مُحمَّد ناصر الدين الألبانِي -وفقه الله- المنشور فِي صحيفة "المسلمون"، الذي أجاب به فضيلته من سأله عن تكفير من حكم بغير ما أنزل الله من غير تفصيل، **فألفيتُها كلمة قيِّمة قد أصاب فيها الحق، وسلك فيها سبيل المؤمنين، وأوضح -وفقه الله- أنه لا يجوز لأحد من الناس أن يكفر من حكم بغير ما أنزل الله بمجرد الفعل من دون أن يعلم أنه استحلَّ ذلك بقلبه، واحتجَّ بما جاء فِي ذلك عن ابن عباس ﷺ، وعن غيره من سلف الأمة**.."[٢].

---

(١) من جريدة "المسلمون" (٥/٥/١٤١٦هـ- عدد: ٥٥٦، ص٧)، "مجلة البحوث الإسلامية" (٤٩/ ٣٧٣-٣٧٧).

(٢) جريدة "المسلمون" (١٢/٥/١٤١٦هـ عدد: ٥٥٧، ص٧).

* وعودًا على بدء أقول: إن هذا الانحراف العقدي الذي عند قطب قد انتقلت عدواه إِلَى أتباعه؛ ومن تتبَّع نشراتهم يَجدهم فِي تخبُّط ذريع فِي مسائل العقيدة، خاصة منها أصل التوحيد؛ وهو مباحث الإِيْمان وما يقابله من الكفر وما يتبعه من حكم بالتكفير، ولست الآن بصددها، مع أنه قد جاء أشراطها! ولست أعني أتباعه من "الإخوان المسلمين"؛ فإن أولئك لا هُم فِي العير ولا هم فِي النفير!

ولكنني أعني قومًا عاشوا بين أظهر علماء السنة بحقٍّ، فما زال الشيطانُ بِهم حَتَّى زهَّدهم فيهم، وأرضاهم بِما رضيه لَهم من "صُحفيِّين"، إذا نظر إليهم العاقلُ فإنه لا يُرضيه منهم شيءٌ من مظهرهم ولا مَخبَرهم؛ لأن مظاهرهم إفرنْجيَّة! ومخابرهم -أي: عقائدهم- غير سلفية!!

فانظر مثلاً كتاب: "المسك والعنبر فِي خطب المنبر" **لعائض القرني**:

فقد أتى فيه بخرافات المتصوفة؛ كدعوته إِلَى **الاحتفال بيوم الهجرة النبوية -وهو احتفال مبتدع شبيهٌ باحتفال المبتدعة بالمولد النبوي-** مضاهاةً للكافرين؛ كما نصَّ عليه فِي (١٨٩/١) حيث قال: "ماذا قدَّمنا للعام الهجري المنصرم...؟ ولك أن تتعجَّب معي! وإن تعجب فعجبٌ فِعلُهم فِي هجرة مُحمَّد -عليه الصلاة والسلام-!! **أين هي الصحف الصباحية؟! أين هي الشاشة؟! أين صُحُفٌ لا تُحيِّي مُحمَّدًا -عليه الصلاة والسلام-...؟! بلادٌ ما أشرقت عليها شمسٌ إلا بدعوته ولا تُحييه؟!! لا كلمة ولا عمودًا صغيرًا! ولا زاوية تُحيِّي المصلحَ العظيم؟!!**".

* **قلت**: إن هذا الكلام يقع على قرَّة عين الخرافيين والصوفية، الذين لا حجة لَهم إلاَّ مثل هذا الكلام العاطفي، وهذا التهييج ضد الدولة هو قرَّة عين الحركيِّين، الذين يشعرون بأنَّهم خُلقوا لمصاولة الأنظمة ولو بالبدع والخرافات، فانظر -وفَّقك الله- إِلَى خرافيٍّ حركيٍّ كيف اجتمعا فِي شخص واحد؟!!

ولا ينفعه ادِّعاؤه فِي آخر كلمته أنه لا يريد -بدعوته إِلَى إحياء هذه الذكرى!-

الدعوةَ إِلَى الاحتفال بها؛ لأنه من تسمية الأشياء بغير اسمها لتمريرها، والحقيقة أنَّها هي هي!! وإلا فما معنى دعوته إِلَى إحياء هذه المناسبة؟ حَتَّى إنه شدَّ انتباهه احتفالُ الكفار بعيد كلابهم، والمسلمون -فِي رأيه- مقصِّرون فِي حقِّ يوم هجرة نبيِّهم ﷺ!!!

فقد قال فِي الصفحة السابقة: "**والله! لقد قرأتُ أخبارًا عن كلاب حدثت لَها وقائعُ ومصائبُ فِي الغرب، وترجموا لها، ولكن مُحمَّدًا -عليه الصلاة والسلام- لا يَجد من يترجم له!!!**".

* **قلت:** هنيئًا لك بترجمتك لـ"مُحمَّد" ﷺ حين قرنتَ ذكراه بذكرى الكلاب!!

ومن غريب المتناقضات فِي هذه الخطبة الفريدة من نوعها أن ينتقل القرنِي إِلَى الغلوِّ فِي النَّبِي ﷺ فِي (١٩٠/١) فيقول: "**أما المحرِّر الأول، أما إنسان عَيْن الكون**، أما الرجل الذي أصلح الله به الأمة: فلا كلام، ولا ترجمة"!!

ثُمَّ زاد فِي الغلوِّ فِي مسألة الاحتفال بيوم الهجرة النبوية حَتَّى جعلها من الواجبات الَّتِي مَن أَخلَّ بها حاسبه عليها الرسولُ ﷺ نفسُه يوم القيامة؛ حيث قال بعد كلامه الأخير: "**فبماذا يعتذر هؤلاء أمامه -عليه الصلاة والسلام- غدًا؟!!!**".

* **قلت:** هذا -والله!- غريبة الغرائب هاهنا؛ إذ كيف يكون الرسول ﷺ خصمًا لمن أمات بدعة؟!

ولو كان القرنِي لأهل الخير شاكرًا لشكر لأولياء أموره حرصهم على إماتة هذه البدعة، ولشجَّعهم على ذلك، ولكنني أعلم أنه غير حاصل من هذا الصنف من الدعاة؛ لأن العقدة الحركية تجاه السلطان تحول دون ذلك، وإنا لله!

وهكذا أهل السنة إذا أصغوا إِلَى المذاهب الحركية جمعوا المتناقضات؛ فالشيخ عائض دعاه مذهب شيوخه "الإخوان" إِلَى ضرورة استغلال هذه المناسبة، ولكن

دينه الصافي الذي يطرق سمعه في بلاده: بلادِ السنة والتوحيد جعل يؤنِّبه، ولذلك أمر بالاحتفال بيوم الهجرة النبوية، ونفاه في خطبة واحدة، وكتب كل ذلك في فصل واحد!!! فتأملوا؛ فإنَّها عبرة.

ولو أنه رضي بما علَّمه الله على أيدي أهل السنة السلفيِّين ما أصابه هذا التناقض، ولتجاوزته الحيرة، ولكن الله يفعل ما يريد[1]!

وفي (١/٧٤-٧٥) منه: تهييجه على شدِّ الرحال إلَى قبر النَّبي ﷺ؛ عازيًا هذا الفعل إلَى بلال ﷺ في قصة مشهورة هي، عمدة الخرافيين، وقد استنكرها الذهبي في "السير" (١/٣٥٨)، وابن عبد الهادي في "الصارم المنكي" (ص:٣١٤-٣٢٠)، وقال فيها ابن حجر في "لسان الميزان" (١/١٠٨): "**وهي قصة بيِّنة الوضع**".

ولسماحة مفتي الديار السعودية الشيخ مُحمَّد بن إبراهيم -رحمه الله- ردٌّ

---

(١) لا يكبر على المتعصِّبة للرجال أنني نسبت الشيخ عانضًا إلَى التمشيخ على "الإخوانيَّة"؛ فإنني قد قرأت له استجوابًا صحفيًّا مع مجلة المعالم الَّتِي يُصدرها الملتقى الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية العدد (٢) (ص:٥٢-٥٣)، ما ترك فيه أحدًا من رءوس "الإخوان المسلمين" إلا أثنى عليه ثناءً ما بعده ثناء! حتَّى منهم الدعاة إلَى وحدة الأديان!! **بل وصف فيه حسن البنا بالمجدِّد!!!**

فإذا كان الداعي إلَى الطواف بالقبور كما في كتابه مذاكرت الدعوة والداعية (ص:٦٤-٦٥) وهو نقضٌ لدعوة جميع الأنبياء -يُعدُّ مُجدِّدًا عند من نظن أنه تربَّى في حجر الموحِّدين منذ نعومة أظفاره، لَمْ يبق للدِّين معلم يُعرف به، والأمر لله!

وزكَّى في استجوابه المذكور جمعًا كبيرًا من رءوس الفتن، كعلي بن حاج وعباسي مدني، والغنوشي، والترابي ...

وذكر فيه أنه يحرص على قراءة مجلة البيان، ثُمَّ المجتمع، ثُمَّ الدعوة!!

وفي كتابه كتب في الساحة الإسلامية (ص:٦٦) مدح فيه رءوس "الإخوان المسلمين"، مثل: سيد قطب وأخيه، والمودودي، ومنظِّرهم المتستر مُحمَّد أحمد الراشد في كتبه "المنطلق" و"الرقائق" و"العوائق" وسمَّاهم بأئمة الهدى العلماء الناصحين الصالحين!

فهل يفعل هذا صاحب ولاءٍ للسُّنَّة، مُحبٌّ للدعوة السلفية؟!

وافر عليها في "شفاء الصدور في الردّ على الجواب المشكور" (ص:١٣-٢١)، وكذا الشيخ الألباني في "دفاع عن الحديث النبوي والسيرة" (ص:٩٤-١٠٢)، وقال: "فهذه الرواية باطلة موضوعة؛ ولوائح الوضع عليها ظاهرة من وجوه عديدة..." إلى أن قال: "قوله: ويُمرِّغ وجهه عليه". قلت -أي: الألباني-: وهذا دليل آخر على وضع هذه القصة وجهل واضعها؛ فإنه يصوِّر لنا أن بلالاً ﷺ من أولئك الجهلة الذين لا يقفون عند حدود الشرع إذا رأوا القبور، فيفعلون عندها ما لا يجوز من الشركيات والوثنيات، كتلمس القبر والتمسح به وتقبيله ..." (ص:٩٦).

❋ قلت: وتقبيل القبر الذي جعله الشيخ الألباني من دين القبوريين -كما ترى- هو عين ما أمر به القرنيُّ المسلمين؛ حيث قال في (ص:٥٧) من كتابه "لحن الخلود" بصراحة:

فحيِّ القبور الماثلات تحية ... وضعْ قُبْلة يا صاح منك على اللحد

على خير من مسَّ الثرى بعبيره ... أكرم ميت في الورى لُفَّ في بُرد

وجعل رجاءه الشفاعة من الرسول ﷺ مباشرةً؛ سائلاً ذلك منه لا من الله، فقال فيها أيضًا:

وأرجو بحبِّي من رسولي شفاعة ... إذا طاشت الأحلامُ في موقف مردي

عساه بقرب الحب يذكرني به ... وراحته السمحاء تأبى عن الرد

❋ قلت: قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وقال: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤].

وجعل النجاة من فزع الصراط بيد النَّبي ﷺ فقال فيها أيضًا:

أريد بمدحي أن يُبَلِّغني النجا ... مرور صراط مفزع مصلت الحدِّ

❋ قلت: يا هذا! أقصر عن هذا الغلوِّ المهلك؛ فقد قال الله لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلاَ رَشَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ

مُلْتَحَدًا﴾ [الجن:٢١-٢٢].

والذي تشيب له رءوس أهل التوحيد وصفه النَّبِيﷺ بأنه:"إنسان عين الكون". فِي كتابه "المسك والعنبر" (١/١٩٠)؛ وهذا عين قول غلاة الصوفية أصحاب وحدة الوجود؛ فقد قال الجزولي فِي "دلائل الخيرات" (ص:٧١): "وهو -يعني: النَّبِيﷺ- إنسان عين الوجود، والسبب فِي كل موجود"[1].

وفِي (ص:٣٣٥) من "المسك والعنبر" ترى القرني يكفِّر بالكبيرة؛ حيث يقول: "وهي -أي: المسكرات والمخدرات- أعظم ما عُصِيَ الله تعالى به فِي أرضه!!".

❊ قلتُ: هذا نَتَنُ مذهب الخوارج الصريح! فهل ترى قد شابه مسك وعنبر؟ أم هل ينفع أن يقال: سبقُ لسان من خطيب منبر؟ فلماذا إذن يطبعه فِي ذاك الدفتر؟! وهل يُقبل من صاحبه أن يدَّعي أن كلام الخوارج مفتر؟! وهو يُكفِّر علماء المسلمين حين خاطبهم بقوله فِي (ص:٤٧) من "لحن الخلود":

صَلِّ ما شئت وصُمْ فالدِّين ... لا يعرف العابد من صلى وصاما
واجعل السبحة مترين وخذ ... عمة بيضاء واصبغها رخاما
واترك العالم فِي غوغائه ... يستلظَّى فِي لياليه اضطراما
أنت قسيس من الرهبان ما ... أنت من أحمد يكفيك الملاما
لا تُخادعني بزي الشيخ ما ... دامت الدنيا بلاءً وظلامًا
أنت تأليفك للأموات ما ... أنت إلا مدنف حب الكلاما
كل يوم تشرح المتن على ... مذهب التقليد قد زدت قتاما
والحواشي السود أشغلت بِها ... حينما خفت من الباغي حُساما
لا تقل شيخي كلامًا وانتظر ... عمر فتوى مثلكم خمسون عاما
والسياسات حِمى محذورة ... لا تدانيها فتلقيك حطاما

(١) نقلاً عن كتاب: فضل الصلاة على النَّبِيﷺ، لفضيلة الشيخ عبد المحسن العباد -حفظه الله- (ص:٢٢).

❊ قلت: إذن لا تنفع عنده عبادةُ السلفي، ولا تسبيحُ الصوفي ماداما عازفين عن الفقه الحركي المبتدع، وبسببه خرج كلٌّ منهما: ليس من دائرة العلم فقط، بل ومن دائرة الإسلام؛ لأنه صرَّح بلا تشبيه، ولا تأويل أنّهما صارا من النصارى، بل من قساوستهم؛ وذلك قوله: "**أنت قسيس من الرهبان!!**"، وأكَّده حين أخرجه من ملة أحمد ﷺ في قوله: "**ما أنت من أحمد!!**".

وهذا -والله!- جُرم عظيم في حق إخوانه المسلمين! فكيف وهو حُكْم على علماء المسلمين!!!

فهل تجرؤ أيها القارئ! على تسمية أحد من المسلمين -فضلاً عن علمائهم- باليهودي أو النصراني؛ لأنه لَمْ يلتفت إِلَى "فقه الواقع؟!" -أعاذك الله-.

هذا تكفيره بالكبيرة وبالوهم أيضًا نثرًا وشعرًا!

وذاك تَحريفه نثرًا وشعرًا! فبأي حديث بعده يؤمنون؟!

ثُمَّ رأيت العلامة الشيخ أحمد النجمي -وهو المرجع فِي الفتوى فِي جنوب المملكة- جمع للشيخ عائض هذه الملاحظات فِي كتابه العظيم: "المورد العذب الزلال فيما انتُقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال" (ص:٣٢-٣٨)، وبيَّن فيه مبلغ صدق ما يقال عن تراجعه، فليراجعه من شاء، أسأل الله له عودًا حَميدًا.

ومثله أو أفظع منه فِي التكفير بالكبيرة قولُ سلمان العودة -كما فِي شريط "جلسة على الرصيف" فِي مُغَنٍّ يُجاهر بفسقه-: "**هذا لا يغفر الله له! إلا أن يتوب؛** لأن النَّبِي ﷺ حكم بأنه لا يُعافَى: «كل أمَّتي معافَى ...»! **لأنَّهم مرتدُّون بفعلهم هذا!!.. هذه ردَّة عن الإسلام!! هذا مُخلد -والعياذ بالله- في نار جهنم إلا أن يتوب!! لماذا؟ لأنه** لا يؤمن بقول الله ﷻ: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء:٣٢]. بالله عليكم! الذي يعرف أنَّ الزنا حرام وفاحشة ويُسخط الله، هل يفتخر أمام الناس؟! أمام الملايين أو فئات الألوف من الناس؟! ... **لا يفعل هذا مؤمن أبدًا!...**".

* قلت: في قوله: "لا يغفر الله له!". جرأة عظيمة على الله! أَوَلَمْ يقرأ ما رواه جندب أن رسول الله ﷺ حدَّث: «أنَّ رجلاً قال: والله! لا يغفر الله لفلان! وإنَّ الله تعالى قال: من ذا الذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإنِّي قد غفرت لفلان وأحبطت عملك». أو كما قال، رواه مسلم.

قال ابن أبي زمنين –رحمه الله–: "ومَن مات من المؤمنين مُصِرًّا على ذنبه فهو في مشيئته وخياره، وليس لأحد أن يتسوَّر على الله في علم غيبه وبجحود قضائه؛ فيقول: أَبَى ربُّك أن يغفر للمُصرِّين، كما أَبَى أن يُعذِّب التائبين! ﴿مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦]"[١].

كنت أتمنَّى أن يكون هذا الكلام سبق لسان قد تاب منه صاحبه، ولزم بيته واشتغل بنفسه فعلَّمها ما ينفعها، إلاَّ أنِّي وجدته مدوَّنًا في كتاب له بعنوان الشريط نفسه! بل وأصرَّ عليه في شريط آخر بعد هذا عنوانه: "الشباب أسئلة ومشكلات" بتاريخ: (٢١/٥/١٤١١هـ)، فالله المستعان.

وفي الوقت الذي كنَّا نظن أنه سيُخفِّف على نفسه، يزيد الطين بلة؛ ويقول:

"... فمثل هؤلاء، لا شكَّ أن عملهم هذا ردة عن الإسلام! أقول هذا وأنا مرتاح، مطمئنُّ القلب إلى ذلك!!!"[٢].

وقد كنت أودُّ أن يتنبه الأخ سلمان لهذا الخطأ الواضح، ولا يسترسل في الإصرار عليه؛ فإنَّ الرجوع إلى الحقِّ فضيلةٌ، فإذا به يُعيد التكفير لهذا الشخص في شريط سَمَّاه تسميةً سياسية: "المراجعات!".

وما زاد فيه إلا أن وصفه ببعض الأوصاف الأخرى، وجاء فيه بأخطر ممَّا

---

(١) "أصول السنة" (ص:٢٥٧).

(٢) انظر كتاب: الأجوبة المفيدة على أسئلة المناهج الجديدة، لفضيلة الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله–، (ص:١٢٦) من الطبعة الثانية.

كان، ألا وهو التقعيد للتكفير بتعليل الاستخفاف؛ فجعل فيه المجاهر بالمعصية مستخفًا، والمستخفُ عنده كافر؛ لأنه عنده لا يؤمن بحرمة الزنا، وجعل دليله على ذلك الإصرار! وأوَّل من كفَّر المصرَّ على الذنب هم نجدات الخوارج.

انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/١٧٥- المكتبة العصرية).

فكان كما قيل: كحَّلها فأعماها! لأنَّ الرجل إذا أخطأ من غير تقعيد، أمكن أن يُعتذر له، ولكنه إذا قعَّد -لاسيما إذا قعَّد على مذهب بعض أهل البدع- فقد سدَّ عليك طريق الاعتذار له؛ فلا يقال: ألقَى الكلام على عواهنه! ولكنَّه ألقاه على قواعده!!

مع أنه قد أتى في قصة هذا الفنَّان بالاعتبارات الكاملة؛ وذلك أن:

- قوله: "يفتخر أمام الناس ..."، أي: بمعصيته، ويُجاهر بها، ويدعو إليها... فهذا وصف.

- وقوله: "هذه ردَّة عن الإسلام! هذا مخلَّد في نار جهنم..!"، فهذا حكم.

- وقوله: "هذا لا يغفر الله له إلا أن يتوب؛ لأن النَّبي حكم بأنه لا يُعافَى"، ثُمَّ نزع بحديث: «كل أمَّتي معافًى إلا المُجَاهرين»!! فهذا تعليل للحكم السابق واستدلال.

فمن كان خطؤه كذلك، لا يكفي في تراجعه أن يدعي أن العبارة غير مسبوكة أو غير محبوكة؛ لأن الخطأ ليس في التعبير، كما بيَّنتُ هنا من: الوصف والحكم والتعليل؛ لأن الذي يحكم بكفر المجاهرين بالمعصية بدليل الحديث السابق، لا يقال فيه: أخطأ في التعبير، ولذلك لما جاء لـ "يَحبِك العبارة ويَسبِكها" جاء بتلك القاعدة الغريبة!!

لقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- عمَّا يأتي:

"ذكر بعض الأشاعرة في كتبهم أنَّ مرتكبَ الكبيرة مستخفًا بها يكفر، فهل وافقهم على ذلك أحدٌ من أهل السنة؟

فأجاب: لا أعلم ذلك، إذا كان ما فيه استهزاء، هو ما ركبها إلاَّ مستخفًا،

لولا تهاونه ما ركبها، لولا تهاونه بالزنا والعقوق ما فعله، فالذي عليه أهل السنة والجماعة أنه عاصٍ ناقص الإيْمان، ولو تساهل، المستهترون يتساهلون"[١].

❊ قلت: تأمل بحثهم عمّا يُكفِّر به صاحب الكبيرة بأيِّ طريق ولو بالبحث عنه فِي كتب أهل البدع، وتلفيق شيء منه أو مِمّا يُشبهه عند أهل السنة، والأغرب فِي هذا أنَّ الشيخ سلمان كان حاضرًا فِي هذا المجلس!

والحقيقة؛ أنّني اكتفيتُ فِي الطبعة السابقة بهذا المثال؛ ليكون دليلاً على غيره، وإذ قد وجدتُ لدى بعض القوم من البلادة والتعصُّب ما حال دون ذلك، فهأنذا أضمُّ إليه مثالين آخرين، يوضّحان ما ترشح به محاضرات سلمان من تكفير.

فقد جاء فِي مُحاضرته: "تحرير الأرض أم تحرير الإنسان؟" ألقاها فِي جمادى الآخرة (١٤١٢هـ) ففي نهاية الوجه الأول من الشريط قال: **"فنجد أن الرقعة الإسلامية أصبحت نهبًا للمنافقين الذين احتلُّوها بغير سلاح**، وليس بالضرورة -يعني- عن طريق الثورات، هيمنوا على العالم الإسلامي باسم العلمانية تارة، وباسم الوحدة الوطنية، أو الوطنية تارة أخرى، وباسم **نظرية الحق التاريخي الذي يُخوِّلهم ذلك مرة ثالثة**، ولا بكاء، ولا دموع على هذه الأرض الإسلامية الَّتِي **أصبحت تُحكم بالمنافقين**، بل أصبح ذلك الواقع واقعًا شرعيًّا فِي نظر الكثيرين، ولعلَّه أحيانًا يكون مثيرًا للدَّهشة ...".

أقول: إنَّنِي ما سألت سعوديًّا عن قوله: **"الحق التاريخي"** إلاَّ أجاب بالبديهة: هو النظام الملكي، بل لقد اعترف لي بذلك أحدُ مُحبِّي سلمان، فقلت له: أليس النظام السعودي الآن هو فِي طوره الثالث؟ فقال: بلى. قلت: إذن فقوله: **"نظرية الحق التاريخي الذي يُخوِّلهم ذلك مرة ثالثة"** يعني: به: ولاة الأمر في بلده!!

مع أنه فِي مُحاضرته كلِّها جعل يُكرِّر الكلام عن الأرض الَّتِي ينبغي تحريرُها

(١) شريط سمعي بعنوان: "مناقشة حول مسألة الحكم بغير ما أنزل الله". تسجيلات ابن رجب بالمدينة.

من أيدي الكفار والمنافقين، وكان من قوله: "وهؤلاء المنافقون الذين حكموا في طول بلاد الإسلام وعرضها، يُعلنون في كثير من الأحيان أهدافًا ولا يُحقّقونها، والمسلمون يُفتنون على أيديهم في كلّ عام مرّة أو مرّتين، ثُمَّ لا يتوبون ولا هم يذَّكرون، فطالما رفع هؤلاء مثلاً شعار الدِّين والحكم بالإسلام وتحكيم الشريعة الإسلامية وعدم الخروج عنها قيد أُنملة، فإذا بهم يُحكمون الضربة من خلال هذا الكلام...".

ثُمَّ تكلَّم عن ليبيا ليُطوِّح بعيدًا عمَّا يريد!

وقلت للمشار إليه آنفًا: هذه بعظمة لسان من تتْبعون، فأيُّ تكفير أصرح من هذا تنتظرون؟!

فقال: أين قال هذا؟ فذكرتُ له الشريط، فقال: أنا استمعتُ للمحاضرة فلم أنتبه له. فقلت: لأنَّه قد قيل:

وعين الرضا عن كلّ عيب كليلة

وهذا يُوضّح لنا مقصود سلمان بالشعر الذي تلاه في أوّل مُحاضرته: "يا أُهيل الحرم"، حيث قال:

فبالله خلُّوا عبيد التراب ... وقبلتهم أختُ كُلُومُبُس

ففي كلّ يوم مزارٌ ودار ... من العرب إلى الأطلس

فبيت العتيق لنا قبلـــة ... نفدِّيه بالنفس والأنفس

ففي البيت الأول: حكمٌ على الدول الإسلامية بأنَّها لا تعبد إلاَّ أمريكا الَّتي سمَّاها "أخت كلومبس" على اعتبار مكتشفها "كريستوف كلومبس" إن صحّ التعبير.

وفي الثاني: حكمه بالكفر على هذه الدول جميعها من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي.

وفي الثالث: بكاؤه على البيت الحرام الذي يعتبره مُحتلاًّ إلى أن يُفدِّيه، والأمر لله!

ولتعلم -أخي القارئ- أنَّنا نُناقِش هنا قومًا قد استحكَمت فيهم شُبُهات الخوارج، فإنّني أدعوك إلى اقتناء شريط سمعي من تسجيلات "دار ابن رجب" بالمدينة، تحت عنوان: "مناقشة حول مسألة التكفير" راود فيها مجموعة من الدعاة شيخ الإسلام، ومفتيَ الأنام عبد العزيز بن باز -رحمه الله- على تكفير الحكام.

ولا أريد هاهنا أن أنقلَ نصَّ الحوار كلّه؛ لأنَّ الذي يَهمُّني -وأنا أُبيِّن حالة الشيخ سلمان العودة- هو اطلاعُك على الغريبة الآتية:

قال سلمان: "ما الدليل على أن كون الكفر المذكور في القرآن أصغر: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].؟! فما هو الصارف، مع أنَّها جاءت بصيغة الحصر؟!

قال الشيخ: هو مَحمولٌ على الاستحلال على الأصحِّ، وإن حُمل على غير الاستحلال فهو كما قال ابن عباس: «كفرٌ دون كفر». وإلا فالأصل: ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

قال متدخّل: ما فيه دليل ابن عباس، ما فيه أنَّه مستحلٌّ...

ثُمَّ قال سلمان: نعم، يعني ما الذي جعلنا نصرف النصَّ عن ظاهره؟!

قال الشيخ: نزلت في المستحل، والآية في الكفَّار الذين حكموا بغير ما أنزل الله حكموا بحلِّ الميتة، حكموا بأشباهه، أمَّا لو حكم زيدٌ أو عمرو برشوة، تقول: كفر؟ ما يكفر بهذا، أو حكم بقتل زيد بغير حقٍّ لهواه، ما يكفر بذلك[1].

---

(١) هذا هو الذي استظهره شيخ المفسِّرين ابن جرير الطبري -رحمه الله- حيث قال (١٠/٣٥٨):
"وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: نزلت هذه الآيات في كفَّار أهل الكتاب؛ لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ففيهم نزلت، وهم المعنيُّون بها، وهذه الآيات سياق الخبر عنهم، فكونُها خبرًا عنهم أولى.
فإن قال قائل: فإنَّ الله -تعالى ذكره- قد عمَّ بالخبر بذلك عن جميع من لَمْ يحكم بما أنزل الله، فكيف جعلته خاصًّا؟
=

ثُمَّ قال سلمان: نرجع -يا سماحة الوالد- إلى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، فعلق الحكم بترك الحكم؟!".

※ قلت: يريد أن الله علّق الحكم بالتكفير على من ترك الحكم بما أنزل الله مطلقًا دون مراعاة للاستحلال، وكلُّ هذا الاعتراض؛ لأنه غير راض بتفسير ابن عباس، وإلا فإن مُحبَّ السلف لا يرضى بتفسيرهم بديلاً.

قال الشيخ: حكم بغير ما أنزل الله مستحلاًّ له، يُحمل على هذا.

※ قلت: ولا يزال سلمان يعترضُ على الشيخ بشُبه الخوارج، حيث قال: "القيد هذا، من أين جاء؟!!".

قال الشيخ: من أدلّة أخرى دالّة عليه، الّتي دلّت أن المعاصي لا يكفُر صاحبُها، إلاّ إذا استحلّها صار كافرًا ...".

ثُمَّ أراد الشيخ -رحمه الله- أن يُحذِّره من اقتحام حِمى الخوارج فقال: "فاسق وظالم وكافر، هذا إذا كان مستحلاًّ له، أو يرى أنه ما هو مناسب، أو يرى الحكم بغيره أولى، فالمقصود أنه محمول على المستحلّ أو الذي يرى بعد ذا أنّه فوق الاستحلال، يراه أحسن من حكم الله، أمَّا إذا كان حكم بغير ما أنزل الله لهواه يكون عاصيًا، مثل من زنى لهواه لا لاستحلال، عقّ والديه للهوى، قتل للهوى، يكون عاصيًا، أما إذا قتل مستحلاًّ، عصى والديه مستحلاًّ لعقوقهما، زنى مستحلاًّ:

قيل: إن الله تعالى عمَّ بالخبر بذلك عن قوم كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين، فأخبر عنهم أنّهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرون، وكذلك القول في كل من لَمْ يحكم بما أنزل الله جاحدًا به، هو بالله كافر، كما قال ابن عباس".

※ قلت: ولَمْ يفلح القرضاوي في ردِّه على ابن جرير في كتابه: ثقافة الداعية، على هذه المسألة، بل لَمْ يفهم كلامه أصلاً، هذا على ما كتبه القرضاوي يوم أن كان الكلام على مسألة الحاكمية عند "الإخوان" مصدر تزكية لدى الجماهير، أما اليوم - وقد غيَّر جلده- فما أدري ما يقول؟!

كفر، وبهذا نخرج عن الخوارج، ونباين الخوارج، يكون بيننا وبين الخوارج حينئذ متّسع، وإلاّ وقعنا فيما وقع فيه الخوارج، وهو الذي شبَّه على الخوارج هذا: الإطلاقات هذه!".

فأراد سلمان إبعاد مصطلح الخوارج، فقال: "ذكرتم مسألة تكفير العاصي، وفاعل الكبيرة، هذا ليس موضع خلاف!!".

فقال الشيخ -وقد فطن له-: "المهمُّ: مسلك الخوارج، وعلّة الخوارج: الإطلاقات هذه؛ تركوا المقيّدات وأخذوا بالمطلقات، وكفَّروا الناس، قال فيهم النَّبيّ ﷺ: «يَمرقون من الإسلام، ثُمَّ لا يعودون إليه»".

ولما رأى سلمانُ أنَّ الشيخ شامخٌ في علمه لا يُراود، أراد أن يخرج من المسألة رأسًا برأس كما يُقال، فقال: "ترون المسألة هذه -سماحتكم!- اجتهادية؟!".

فجاء الجواب غير المنتظر؛ حيث إن الشيخ جعل الخلاف خارجًا عن دائرة أهل السنة، فقال -رحمه الله-: "والله! هذا الذي أعتقد من النصوص -يعني- من كلام أهل العلم فيما يتعلّق بالفرق بين أهل السنة وبين الخوارج والمعتزلة، بالخصوص الخوارج ...!!".

ومن استمع إلَى المراودة كلها من الشريط يتبين له أن الشيخ أُتيَ من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فظلّ صامدًا شامخًا في علمه، -رحمه الله رحْمة واسعة-.

ولعلّ القارئ لَمْ يَخف عليه هذا الأسلوب البعيد عن أسلوب أهل السنة؛ لأن صاحب هذه الأسئلة -بل الإعتراضات على الأصح- بدأ بالاستدلال بالآية رأسًا دون تعريج على تفسير السلف، وكذلك فعل الخوارجُ قديْمًا، ويفعلون حديثًا.

ثُمَّ انتقل إلَى الاستدلال منها بِمسالك أهل اللغة، مع أنّ السلف هم أهل اللغة لو كان يعرف لَهم قدرهم.

ثُمَّ انتقل إلَى الاستدلال منها بِمسالك أصول الفقه، فأخذ بظاهر النص فردَّ،

ثُمَّ أخذ بالحكم المعلَّق على الوصف فرُدَّ، ثُمَّ أخذ باللفظ المطلق فرُدَّ، وفي كلّها لا يُعرِّج على تفسير ابن عباس قط، ثُمَّ لاذَ بالخلاف الاجتهادي؛ حَتَّى يهرِّب المسألة من وضع "مُخالفة السلف" إِلَى وضع "الاجتهاد الذي يُعذَر فيه المخالف" فجاءه الجواب غير الموالِف، ولله فِي خلقه شئون!!

هذا، وقد كنتُ -من زمن بعيد- ألاحظ على أتباع هؤلاء الاشتراك فِي **التكفير بكبيرة الربا لشبهات توهَّموها قرائن دالة على استحلالها!** فعرفتُ أن، ليس ثَمَّ دخان بلا نار! ثُمَّ رأيتُ "**ناصر العمر**" يلمِّح له فِي كتابه: "التوحيد أوَّلاً" (ص:٦٦-٦٧)، تحت عنوان: **معاص أم كفر؟**

وصرَّح به **سفر الحوالي**، فقال: "... **واستبحنا الربا!!**"[١].

ثُمَّ أخذ هذا المذهبُ يُربي الريش حَتَّى كان منه ما ذكرته آنفًا!

وشبيه بهذا قول **سفر الحوالي** أيضًا فِي نهاية الوجه الأول وبداية الثاني من شريط: "دروس الطحاوية" (٢/٢٧٢): "... هذا المترو بوليتان عبارة عن فندق فِي دولة خليجية: دبَي .. فيها هذا الفندق، بكل صراحة يقول: إنَّ فيه مشروبات؛ اللي يسمونها المشروبات الروحية، يعني أنه يقدِّم الخمور بالإضافة إِلَى ما فيه من الشليهات أو -أيضًا- الفيديوات إِلَى آخره، فهذه دعوة صريحة إِلَى الخمر، ومملوءة الدعوة -أيضًا- مرفق بذلك: الصور اللي تثبت أنَّهم -والعياذ بالله- رقص مختلط وتعرِّي مع شرب للخمر، **نعوذ بالله من هذا الكفر؛ لأنَّ استحلال ما حرَّم الله -تبارك وتعالى- هو بلا ريب كفر صريح!!!**".

❊ **قلت**: تأمل! فقد قدَّم صورة مُجاهرات بالمعاصي، وسمى الدعاية لَها استحلالاً، ثُمَّ رتب على ذلك الحكم بالتكفير، الذي لَمْ يترك لَنا مجالاً لتأويله بـ"كفر دون كفر" حين قال: "**كفر صريح!!**".

---

(١) وعد كيسنجر (ص:١٣٨).

وهذا التخبط الذي عند القوم في مسألة الاستحلال وكذا مسألة الاستخفاف، وعدم التفريق بينهما وبين المجاهرة بالمعاصي، هو الذي جعلهم يرتعون في مذهب الخوارج؛ وإلا فما الفرق بين هذه المعاصي وغيرها؟! وهل يُمتنع أن ثَمَّ عاصيًا في الدنيا لَم يَدْعُ صاحبًا له إلَى مشاركته في إثْمه؟! وإنه ليؤسفنا أن يكون هذا هو الشرح للعقيدة الطحاوية!

وأعود إلَى قضية الاستحلال هذه لأنقل كلام الشيخ الألباني بعد رده على المتخبِّطين في التكفير بالاستحلال، حيث قال: "وقد نبتت نابتةٌ جديدة اتَّبعوا هؤلاء -أي: الخوارج والمعتزلة- في تكفيرهم جماهير المسلمين رءوسًا ومرءوسين، اجتمعتُ بطوائف منهم ... ولَهم شبهات كشبهات الخوارج؛ مثل النصوص الَّتي فيها "من فعل كذا فقد كفر"، وقد ساق الشارح -رحِمه الله تعالى- طائفة منها هنا، ونقل عن أهل السنة -القائلين بأن الإيْمان قول وعمل، يزيد وينقص- أن الذنب أي ذنب كان؛ هو كفر عملي لا اعتقادي، وأن الكفر عندهم على مراتب: كفر دون كفر؛ كالإيْمان عندهم، ثُمَّ ضرب على ذلك مثالاً هامًّا طالَمَا غفلَتْ عن فهمه النابتةُ المشار إليها، فقال -رحِمه الله تعالى- (ص: ٣٦٣): "وهنا أمر ينبغي أن يُتفطَّن له، وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا ينقل عن الملة، وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفرًا: إما مجازيًّا، وإما كفرًا أصغر، على القولين المذكورين؛ وذلك بحسب حال الحاكم ..."[1].

هذا وقد قرأ الشيخ الألباني جُملاً من كتاب: "ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي" لسفر الحوالي -وفيها التكفير ببعض الكبائر! بل واتِّهام الشيخ الألباني صراحة هو

---

(١) العقيدة الطحاوية: شرح وتعليق، للعلامة الألباني (ص: ٤٠-٤١).

ولفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ تفصيل طيب لمسألة الاستحلال في شريطين من شرحه لـ"كتاب التوحيد" للمجدِّد مُحمَّد بن عبد الوهاب، في "باب طاعة العلماء والأمراء" من تسجيلات طيبة بالمدينة الطيِّبة، فاطلبها.

وتلاميذه بالإرجاء؛ لعدم قولهم بكفر تارك الصلاة كسلاً!! - ثُمَّ سئل عن ذلك.

فقال الشيخ: "كان مني -أنا- رأيٌ، صدر مني يومًا ما، منذ نحو من ثلاثين سنة حينما كنت في الجامعة -يقصد الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية-، وسئلت في مجلس حافل عن رأيي في جماعة التبليغ، فقلتُ يومئذ: صوفية عصرية، فالآن خطر في بالي أن أقول بالنسبة لهؤلاء الجماعة الذين خرجوا في العصر الحاضر وخالفوا السلف، أقول هنا تجاوبًا مع كلمة الحافظ الذهبي: خالفوا السلف في كثير من مناهجهم، بدا لي أن أسميهم: خارجية عصرية.

فهذا يشبه الخروج الآن فيما -يعني- نقرأ من كلامهم؛ لأنَّهم -في الواقع- كلامهم ينحو منحى الخوارج في تكفير مرتكب الكبائر، لكنهم -ولعل هذا .. ما أدري؟ أن أقول: غفلة منهم، أو مكر منهم!! وهذا أقوله أيضًا من باب: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨]. ما أدري؟ لا يصرحون بأن كل كبيرة هي مكفِّرة! لكنهم يُدندنون حول بعض الكبائر، ويسكتون أو يمرون على الكبائر الأخرى!

ولذلك فأنا لا أرى أن نُطلق القول ونقول فيهم: إنَّهم خوارج إلا من بعض الجوانب، وهذا من العدل الذي أُمرنا به ...".

ثُمَّ أبدى الشيخ استغرابه من بعض ما في حواشي الكتاب؛ مثل رَمْي مَن لا يُكفِّر تارك الصلاة بالإرجاء!! واستغرب أن يكون هذا من سفر الحوالي؛ معلِّلاً إيّاه بقوله: "لأنَّ سفرًا -أقلّ ما أقول- يُظهر الإجلال للألباني!..."(١).

ولا أدري كيف كتب سفر كتابه هذا؟ ولا أدري بأيِّ عقلية رمى أهل السنة بالإرجاء، وادَّعى أنَّ القول بعدم تكفير تارك الصلاة كسلاً ما هو إلاَّ قولٌ لأهل البدع ومن شايعهم (٢/٦٥٧)، وزعم أنه لَمْ يقل به تابعي، مع أنَّ ابن نصر المروزي

(١) من شريط: "السرورية خارجية عصرية" نهاية الوجه الأول، تسجيلات بيت المقدس بالأردن.

قد روى فِي تعظيم قدر الصلاة (٩٥٧/٢)، والخلال فِي الجامع/ أهل الملل (١٤٠٢) بسند صحيح كالشمس أنَّ الإمام الزهريَّ -رحِمه الله- قال به!!

وأمَّا قول الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأبِي حنيفة -رحِمهم الله- فأشهر من أن يُذكر، بل ثَمَّ رواية قويَّةٌ عن أحمد -رحِمه الله- توافقهم، ذكرها عنه المرداوي فِي "الإنصاف"، فما هذه الجرأة على السلف يا سفر؟!

وكون المرجئة وافقوا هؤلاء الأئمة فِي هذه المسألة لا يعني وقوعَ الجميع فِي الإرجاء؛ لأنَّ المرجئة ينطلقون مِن بدعة إخراج العمل عن مُسمَّى الإيْمان، وأمَّا أهل السُّنَّة -مِمَّن لَمْ يُكفِّر تارك الصلاة كسلاً- فينطلقون من أدلَّة مستقلَّة فِي المسألة، دلَّت عندهم على ما ذكرنا، وتأمَّل إنصاف أهل العلم فِي قول ابن عبد البر -رحِمه الله- فِي التمهيد (٢٤٦/٤): "وهذا القول -يعنِي: عدم التكفير المذكور- قد قال به جَماعة من الأئمة مِمَّن يقول: الإيْمان قول وعمل، وقالت به المرجئةُ أيضًا، إلاَّ أنَّ المرجئة تقول: المؤمن المقرُّ مستكمل الإيْمان ...".

وإنَّه لَمِن المؤسف أن ينطلق الدكتور سفر الحوالي من استقلالية فِي الاستنتاج واستسلام للقطبية؛ ليصف أهل السنة بالإرجاء بسبب قضية الصلاة المذكورة، فيَذَرُه الله ﷻ بين أيدي فرقة المنصورية، فقد قال أبو الفضل عباس بن منصور السكسكي (٦٨٣هـ) -رحِمه الله- فِي كتابه "البرهان فِي معرفة عقائد أهل الأديان" (ص:٩٥-٩٦) وهو يذكر الألقاب الَّتِي يَلمزُ بِها أهلُ البدع أهل السنة، فقال: "وقد سَمَّتها كلُّ فرقة من فرق الضلال باسم غير موافق للحقِّ؛ حسدًا منهم لَها وافتراءً عليها، ونسبوها إلَى غير ما تعتقده ... وتسمِّيها المنصورية -وهم أصحاب عبد الله بن زيد- مرجئة؛ لقولها: إنَّ تارك الصلاة إذا لَمْ يكن جاحدًا لوجوبها مسلمٌ على الصحيح من المذهب، ويقولون: هذا يؤدِّي إلَى أن الإيْمان عندهم قولٌ بلا عمل، وجميع ذلك غير صحيح فِي حقِّها، بل هي الفرقة الهادية المهدية، واعتقادها هو الاعتقاد الصحيح

والإيمان الصريح الذي نزل به القرآن، ووردت به السنة، وأجْمع عليه علماءُ الأمة من أهل السُّنَّة والجماعة"[١].

قلت: إنَّ رميَ علماء السنَّة بالإرجاء سنةٌ قديْمةٌ لأهل الأهواء، انظر فيما يأتِي فصل: "كلمة فِي الإرجاء".

فهؤلاء أربعة من أبناء الجزيرة السلفية صاروا ضحايا فكر مُحمَّد قطب؛ انحرفوا فِي شيء من عقيدتهم، بل فِي أصل العقيدة -كما سبق- فانحرفت دعوتُهم، كما ستقرءون ذلك فِي موضعِه من هذا الكتاب إن شاء الله.

ثُمَّ كيف رضي هؤلاء لأنفسهم التتلمذ على يدي رجل عزَّ عليه التجرد من غزو لباس الفرنجة إلَى يوم الناس هذا، فأنَّى له التجرد من نظامهم؟!.

ثُمَّ هم أعلم منه بشرع الله؟! والأمر لله.

هذا وقد وجدتُ فِي كلام أحد متبوعي هؤلاء الشباب المذكورين التكفير الصريح بكبيرة اللواط؛ فقد قال مُحمَّد سرور زين العابدين: "فليس من المستغرب أن تكون مشكلة إتيان الذكران من العالمين أهمَّ قضية فِي دعوة قوم لوط ﷺ؛ لأن قومه لو استجابوا له فِي دعوته إلَى الإيمان بالله وعدم الإشراك به لما كان لاستجابتهم له أيُّ معنى إذا لَمْ يُقلعوا عن عاداتهم الخبيثة الَّتِي اجتمعوا عليها، ولَمْ يتستَّروا فِي فعلها!!!"[٢].

* قلت: فهل بعد هذا التصريح أدنى شك فِي التزامه مذهب الخوارج؟!

ثُمَّ لابد أن يُلاحظ تقييدُ المسألة عنده بالتستر من عدمه، وإدارته الحكم بالتكفير عليه لِيُربَط بكلام سلمان العودة السابق فِي تكفيره المجاهر بالفسق؛ فقد بلغني من أكثر من مصدر أن هذا الأخير كان -منذ صغره- كثير التردُّد على مُحمَّد سرور!

---

(١) هذه فائدة استفدتُها من مُحاضرة الشيخ الحبيب عبد السلام بن برجس عنوانُها: "ذمُّ الإرجاء والتحذير من المرجئة" -زاده الله توفيقًا-.

(٢) منهج الأنبياء فِي الدعوة إلَى الله (١/١٥٨).

وقد قال عمرو بن قيس الملائي معلِّم الثوري -رحمه الله-: "إذا رأيتَ الشابَّ أول ما ينشأُ مع أهل السنة والجماعة فارْجُه، وإذا رأيته مع أهل البدع فايْئَسْ منه؛ فإن الشاب على أول نشوئه"(١).

بل لَمْ يكتف مُحمَّد سرور بهذا حتَّى بيّن -بلا مواراة- أنه قال هذا من أجل إسقاط منهج السلف فِي ادِّعائهم أن الشرك هو أخطر ما عُصِي الله به! فقد قال فِي (ص:١٥٩) -وهو يتحدث دائمًا عن اللواط-: "ثَمة أمر لابدّ من التنويه إليه، وهو أن كل نَبِي بعثه الله لهداية قومه وإصلاح ما فسد من أخلاقهم وعاداتِهم، وهذا يقتضي أن يتصدَّى النَّبِي لعلاج ومواجهة أخطر المشكلات، مهما كلّفه ذلك من تضحيات!! وهذا يخالف سلوك بعض الدعاة فِي عصرنا؛ الذين يعالجون قضايا عفا عليها الزمن ...!!!".

❊ **قلت**: فهذا يدل على أنه يرى كبيرة اللواط أخطر من الشرك بالله!! فهل وصل الخوارج الأولون والآخرون إلَى هذا الضلال قبله؟!

وقد أحسن الرد عليه فضيلة الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- فِي شريط: "أهمية التوحيد".

وإنَّنِي أهتبلها فرصةً لتبيين أن سوقي لكلام هؤلاء المنتقَد عليهم ليس للحكم عليهم بوصف ما -وإن كان الشيخ الألباني قد حكم عليهم بقوله السابق: خارجية عصرية- بقدر ما هو لبيان سوء عاقبة من أسلس قياده للمنحرفين عن جادَّة السلف، ولَمْ يقنع بِما آتاه الله على أيدي علماء بلده أصحاب السمت الأول.

ولذا فإن توبة المخطئ منهم ليست فِي اصطناع اصطلاح سياسيٍّ يسمِّيه: "مراجعات!" ويقول: تراجعتُ عن كذا وكذا، أو لَمْ أتراجع .. وإنَّما عليه أن يتبرَّأ من المنهج الذي أملى عليه تلك الأخطاء؛ حتَّى يضمن لنفسه -إن شاء الله- عدم العَوْد لَها ولِمثلها، لاسيما ما كان منها فِي العقيدة، وهم يعيشون فِي بلاد العقيدة!!!

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (٤٤)، وهو صحيح.

وأقصد بهؤلاء المنحرفين "الإخوان المسلمين"؛ فإنَّهم هم الذين حرصوا على غزو بلاد التوحيد، بعد أن فتح الله عليها بالخيرات!! وفرَّقوا بين علمائها وأبنائها، وبين قيادتها من ولاة الأمور وشبابها بل وشعبها! وهم الذين أوقعوا من ذكرتُ في التهاون بأبواب العقيدة، حتَّى كان منهم ما سبق!

ولذلك لما أخذ الدكتور ناصر العمر يُبرِّئ الأخ سلمان العودة والدكتور سفر الحوالي من "الإخوانية" عند الشيخ الألباني.

سأله الشيخ: هل يردُّون على "الإخوان المسلمين؟".

فأجاب بإيجاب مُجمل!

ثُمَّ سأله: هل يُصرِّحون بتسميتهم؟

فأجاب بالنفي!

ثُمَّ سأله: فيما إذا كانوا ينتسبون بصراحة إلَى الدعوة السلفية؟

فأجاب بالنفي، وإنَّما ينتسبون إلَى أهل السنة!!

فكان هذا الجواب والذي قبله متمسَّك الشيخ في بقاء التهمة لاصقةً بهم، هذا من الحوار الذي دار بين الشيخ والدكتور ناصر العمر، كما سيأتي نشر بعضه إن شاء الله.

كلُّ هذا؛ لأنَّ الإصلاح إذا كان من الأساس أثمر، وأما إذا كان من الداخل مع المحافظة على البناء فهذا لا يفعله إلا من لَمْ يفارق ضلاله القديم؛ كما هو معلوم من ترميمات بعض "الإخوان" لـ"الإخوان"!!

* **وأقول أخيرًا:** إن بداية افتتان هؤلاء الشباب بهذه الأفكار، كان سببه وفادتَها عليهم من قبل "الأخوان المسلمين" بعد أن أثاروا زوابع القلاقل في أمصارهم، سواء أكانت هذه الإخوانية مصرية قطبية تكفيرية، أم كانت سورية صوفية تخريفية!!

فلما شُرِّد هؤلاء وضُرب عليهم جَميعًا بيد من حديد، فرّوا ولجئوا إلَى البلاد

الَّتي يُكِنُّون لَها العداء الأكبر؛ ألا وهي الدولة الوهابية، كما يُسمُّونها! واستغلوا فِي ذلك كون هذه الدولة هي الوحيدة فِي العالم الإسلامي الَّتِي تدعم قضايا المسلمين رسميًّا، كما استغلوا حسن ظن أهلها بِهم ومَحبتهم للمسلمين.

وبدلاً من أن يأخذوا التوحيد الفطري عن عجائز نجد، فضلاً عن أن يتعلّموه على أيدي علمائها، وبدلاً من أن يَحمدوا الله الذي آواهم، ثُمَّ يشكروا لصاحب الدار إكرامه لَهم، جعلوا ينشرون أفكارهم المنحرفة بألسنة سحَّارة، وبسطوا نفوذهم حَتَّى تصدَّروا المجالس، وتسلَّموا الإدارات بشهادات غرَّارة، فما زالوا بأبناء جزيرة التوحيد حَتَّى ربَّوا منهم أشكالاً غريبة! منهم أولئك الذين بيَّنا حيرتَهم العقدية آنفًا فِي أصل التوحيد! فماذا بعد العقيدة يا قوم؟!

ذكرتُ هذا استطرادًا بعد بيان تأثُّر علي بن حاج بكتب "الإخوان المسلمين"؛ فِي الوقت الذي ذكر لِي فيه بنفسه أنه أكَبَّ عليها لينقضها، فنقَضت بضاعته الهزيلة عن الدعوة السلفية!!

❋ وأما تأثر علي بن حاج من الناحية الثانية:

فهو أن ما لقيه فِي السجن ورَّثه الانتقام للنفس، وكرَّه إليه أهل العلم الذين لا يشاركونه الرأي فِي مصادمة الحكومات، وعلى هذا أمارات ظاهرة، أذكر منها:

١- عند خروجه من السجن نِهاية سنة (١٤٠٧هـ)، ألقى دروسًا فِي موضوع الكبائر من الكتاب المنسوب للذهبي -رحِمه الله- فِي ذلك، فقال فِي أول درس له: **"درج العلماء على البدء بكبيرة الشرك، وأنا أرى البدء بكبيرة "كتمان العلم"؛ لأنه لولا كتمان العلماء الحق ما ظهر الشرك..."!!**

وهذا مسجَّل فِي أول شريط له فِي "الكبائر" ومع أنه قد قيل: إنه تراجع عن مسألة الأولية، فهل تراجع عن نفرته من أهل العلم الَّتِي هي أصل البلية؟!

٢- فِي رمضان سنة (١٤٠٨هـ) كان يتجهَّز لأداء صلاة عيد الفطر قبل الدولة

من أجل رؤية الهلال، فدُعيتُ إلَى مجلس هو فيه، واقترحتُ على الحضور خطة لحفظ الدعوة من الاختلال فيما أظن، ودار الحوار الآتي:

❊ **قلت لَهم**: أتعلمون أن فيكم عالِمًا؟

فأجابوا جميعًا بالنفي، بِما فيهم هو.

❊ **قلت**: بِما أن الخطأ فِي هذه القضايا الكبيرة وارد جدًّا على غير العلماء، وأنه قد يكلف الأمة دماءها وأعراضها، فأنا أقترح عليكم أمرين هما:

أ- **تركُ الخوض فِي المسائل الَّتِي هي أكبر من حجمنا**، وإسنادُها إلَى أهلها مهما ابتُلينا بإرشاد الناس، ومن فضلْ الله علينا أننا لا نختلف فِي المرجع المؤهَّل لَها، **فالسلفيون لا يعرفون اليوم على وجه الأرض أعلم من الشيخ الألباني والشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين وإخوانِهم من أهل العلم بالأثر.**

ومن فضل الله علينا تيسُّر الاتصال بِهم، وتواضعهم لكل سائل، وتوحيد مصدر التلقي من أعظم نعم الله علينا.

ب- **التشاور فيما بيننا فِي فهم أجوبتهم**، طمعًا فِي جمع الكلمة ما استطعنا إليه سبيلاً، فوافق الجميع إلا ابن حاج، قال قولة غريبة حين قال: "**كيف لا أُفتي حتَّى أسأل العلماء؟! هذا إرهاب فكري!!!.. وقد جرَّبناهم فوجدناهم لا يكترثون لقضايا المسلمين ...!**".

ثُمَّ عرَّض ببعض علماء السعودية قائلاً: "بدليل أنني كتبت إلَى أحدهم بعشرة أسئلة أو أكثر، فلم يُجب إلا على اثنين منها!!"[١].

---

(١) كانت هذه الأسئلة -يومئذ- فِي كراسة فِي يده، وقد اطَّلعتُ عليها، فبدا لي منها أمران:

الأول: أن فِي أكثرها غمزًا للطلبة السلفيين الذين يرفضون ثوريته، خاصة منهم المتخرِّجون من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، كما صرَّح فيها بذلك.

الثاني: أنه كتبها فِي السجن الأول؛ أي قبل دخوله فِي التحزب المعلن، ممَّا يدلُّ على أن تحامله على السَّلفيين قديْم، فافهم!

وأما إخفاؤه هذا التحامل، بل تظاهره بالدفاع عن السلفيين أحيانًا؛ فسببه أنه حين خرج من =

ثُمَّ بعد أن طالت مناشدة الحضور له من بعد صلاة الليل إِلَى أن كاد يفوتنا الفلاح قال: "نزولاً عند رأي الإخوان، فأنا أوافق و(أُمشيكم) فِي هذا العيد، لكن إياكم أن تؤخّروا عنا أجوبتهم إِلَى عيد الأضحى!!!".

ثُمَّ لَمْ يلبث أن مضى عيد الفطر والأضحى فِي أمن وسلامة، حتَّى كان شهر صفر سنة (١٤٠٩هـ)، نزلت بالناس نازلة (٥ أكتوبر ١٩٨٨م) المذكورة آنفًا، وشارك فيها علي بن حاج مشاركة من فَقَد عقله، وأفتى فيها بالتحزبات والمظاهرات والإضرابات، بل والإضرابات عن الطعام، من غير أن يذكر ما عاهد عليه إخوانه ليالي عيد الفطر[1]!

٣- طلب منه كثير من أتباعه الذين لهم ميل سلفي أن يتصل بأهل العلم -أيام نازلة أكتوبر هذه- ليستفيد منهم فيما أهمَّ الأمة، فلم يستجب لَهم، بل لما وجده ذوو العقل منهم لا يسند فتاواه الغريبة عن المنهج السلفي إِلَى أحد من العلماء السلفيين، ويستدلُّ لَها بأقوال من لا علاقة له بالعلم كالإخوان الذين سبق تسمية بعضهم، نبذوه مرة واحدة، خاصة وأنه قد صاحَبَ ذلك ظهورُه فِي الصحف وتجويزه التصوير بعد أن كان يحرِّمه! فعرفوا أنَّها فتاوى ضغط الواقع، ولذلك لا يُعرف له أي استفتاء لأهل العلم لا مقروء ولا مسموع، فـ: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام:١٤٣].

السجن الأول وجد الساحة سلفية -خاصة فِي العاصمة- فاضطر إِلَى أن يُجامل، وإلا فلو صرَّح بمثل ما فِي تلك الأسئلة ما اجتمع إليه تلك الأعداد الَّتي هو مُحتاج إليها فِي صناديق الانتخاب!!

(١) من غريب استدلالاته أنه ارتكز فِي تجويز المظاهرات على قصة قيام النَّبِي ﷺ على جبل أبِي قبيس ومخاطبته كفار قريش!! وبطلان هذا لا يحتاج إِلَى بيان مهما تعلَّق صاحبه بالقشة، لكن حسبك هاهنا أن تقف على نوع من أراجيف الاستدلال لتبيُّن غرابة الفقه السياسي المعاصر، ومغبة استغلال النصوص الشرعية للنَّزوات الثورية!

٤- زار الجزائر الشيخ الفاضل أبو بكر جابر الجزائري قبل أيام الإضراب، واستدعى عليًّ بن حاج مرتين فلم يجبه!

وفي المرة الثالثة حضر درس الشيخ في الجامع الكبير بالجزائر العاصمة، وفيه نَهى الشيخ الدعاة عن أسلوب التهوُّر، وعن استعمال الألفاظ الَّتي تُبعد الشقة بينهم وبين حكّامهم ولا يَجْنون منها إلا التعوُّر[1]، ومثَّل بلفظ "الطواغيت"، فكان هذا كالذبح لعلي بن حاج؛ لأنه يجتر هذه الكلمة في دروسه اجترار الغنم للهشيم عند استراحتها، بل لعل دعوته لا تعيش إلا بها، وجماهيره لا تنتعش إلا عند سماعها! وهو ساكت على مضض، ولما كان الشيخ يجيب على الأسئلة -وكانت كلها سياسية بطبيعة الوضع- وكانت الأجوبة مُخالفة لما يهوَى، نفد صبره وطلب الكلمة من المقدِّم، فاستحيى هذا أن يتقدَّم بين يدي الشيخ، فقام عليٌّ بنفسه وأخذ مكبِّر الصوت عنوة، وقال كلمتين تنبئان عما في نفسه تجاه العلماء:

أما الأولى فهي قوله: "أيها الإخوة! يجب عليكم أن تفهموا كلام الشيخ كما هو ولا تحرِّفوه!".

وأما الثانية: فهي قوله: "نُحيط الشيخ علمًا بأن لنا جَماعة للنهي عن الشرك!!".

❊ **قلت:** أما الأولى فقد أراد بها إيهام الحضور أنه والشيخ في طريق واحد! وهو في هذا متفنِّن لبق.

وأما الثانية فهي مُحاملة واضحة لدعاة التوحيد، والشيخ وهابي!! مع ما فيها ممَّا يُغني عن التعليق، وأوقف الشيخ درسه مباشرة؛ لأن أهل المسجد كادوا يصيرون فريقين يختصمان.

٥- زار الجزائر في تلك الأيام عدنان عرعور، فلم يلقه علي بن حاج إلاَّ يوم المغادرة ليُسلِّم عليه في المطار! متظاهرًا بتأنيب الإخوة الذين لَمْ يُخبروه بقدومه! مع

(١) في تاج العروس (٣/٤٣): "وعوَّر الراعي الغنم تعويرًا: عرَّضها للضياع".

أنه كان يلقي دروسه فِي آلاف من الحضور، قريبًا من مسجد علي بن حاج بأمتار فقط!! على الرغم من ذلك فقد قال له عدنان فِي المطار: "إذا رغبت فِي اللقاء فأنا مستعد لإلغاء الرحلة؟" فلم يجبه!

ولو اعتذر ابن حاج بأن الأخ الزائر ليس عالِمًا تُشد إليه الرحال لوجدنا له مَخرجًا؛ ولكنه أوجس منه خيفة لما علم أنه أتى من السعودية فتوَهَّمه على شاكلة "الوهابيين" المُخدِّرين للنشاط الحركي فِي اعتقاده! أو أنه حامل فكر الشيخ الألباني ليشلَّ دعوته السياسية فِي ظنه!

٦- زار علي بن حاج السعودية أيام أزمة الخليج بدعوة منها مكرَّمًا معزَّزًا، وكنا نأمل أن يلتقي بمشايخ السلفية الكبار ليستفيد ونستفيد؛ إذ يسعه تواضعهم إن شاء الله، فلم يحصل ذلك منه، إلاّ ما كان من حضوره عند بعضهم مكرهًا لا ينبس ببنت شفة، فِي تكتُّم مجرَّب عنه مع السلفيين.

وفِي هذه الزيارة عرَّج على الأردن فِي جولة سياسية -كما يقولون- ولَمْ يزر الشيخ الألباني!

وأنا أعرف عن الجزائريين عيبَهم الشديد على السلفي الذي يُحرَم من زيارة هؤلاء العلماء، نظرًا لندرة أمثالهم عندنا، ولذلك لاموه كثيرًا؛ لأنه دليل على أنه غير سلفي أو فِي نفسه منهم شيء خفي[1]!

(١) التكتم والانقباض الذي يلتزمه ابن حاج مع السلفيين أمر عرفته عنه كل هذه المدة الَّتِي كنتُ وإخواني نلقاه فيها؛ بل لا أكاد أعرف عنه كلما ناقشتُه -على كثرة ما ضيَّعت من وقت فِي عتابِي له- معارضة قط، إلا مرة واحدة -فيما أذكر- صرَّح بالمخالفة بعد استفزاز طويل ..!
قال فضيلة الشيخ صالح اللحيدان -حفظه الله-: "جلسنا مع عباسي مدني وعلي بن حاج أيام أزمة الخليج، فكان ابن حاج -طول الجلسة- ساكتًا؛ فإمَّا أن يكون سكوته سكوتًا سياسيًّا، وإمَّا يكون تأدُّبًا مع رئيسه مدني! وأنا أُرجِّح الأول؛ لأنه ليس لعباسي تكوين علمي شرعي، وإنَّما هو فِي علم النفس والتربية!!".
=

٧- عند سفره الثانِي إِلَى الأردن فِي مسيره إِلَى القتال مع العراق، اضطره بعض السلفيين إِلَى زيارة الشيخ الألباني، ووقع منه ما يُدهش!

٨- وهو ما أخبرنا به الشيخُ نفسُه ومن كان حاضرًا كالشيخ علي بن حسن ابن عبد الحميد، والشيخ مُحمَّد شقرة، وغيرهما، أنه زارهم فِي بيت الشيخ ليعتذر إليهم عن ضيق وقته، وأنه يرجو تقصير مدة المجلس!

٩- كما أخبرونا جميعًا أنه أبَى تسجيل المناقشة، فِي جدل عقيم طال بلا عائدة إلا عائدة خوف الرجل من انتشار الحق![1].

١٠- كما أخبرونا أنه حين أقنعه الشيخ بضرورة التسجيل، قَبل على شرط غريب، وهو عدم نشر الشريط حَتَّى يأذن هو به للشيخ!!!

وهذا أقبح تصرف يصدر من طالب مع شيخ، ورحم الله زمانًا كان فيه السلف يطمعون فِي السماع من شيوخهم ولو بتحمّل الضرب.

قال الذهبي: "قال يعقوب بن إسحاق الهروي عن صالح بن مُحمَّد الحافظ سمعت هشام بن عمار يقول: دخلت على مالك فقلت له: حدِّثني، فقال: اقرأ، فقلت: لا، بل حدِّثني، فقال: اقرأ، فلما أكثرت عليه، قال: يا غلام تعال! اذهب بِهذا فاضربه خمسة عشر، فذهب بِي فضربني خمس عشرة درَّة، ثُمَّ جاء بِي إليه،

قلت: لقد صدقت فراسة الشيخ؛ فإن ابن حاج آخذ على نفسه أن يكتم الشقاق ويتظاهر بالوفاق تعجيلاً للفراق! وأصدق وصف يليق به أنه وسواس إذا خلا بجماعته من العوام الهوام أو الحزبيين التكفيريين والحركيين، خنَّاس إذا حضر مجالس السلفيِّين!! وهو يعرف حق المعرفة أنه مُجانبٌ لهدي السلف، كما صرح بذلك فِي بعض المجالس، وأن الذي دفعه إِلَى ما هو فيه إنَّما هو ردود فعل نفسية! ولقد صدق من قال: نحن فِي زمن يصدق عليه وصف القائل: لئن كانت آفة الملوك سوء السيرة، فإن آفة الدعاة خبث السريرة!

(١) قاله الشيخ الألباني فِي شريط مسجل له من سلسلة الهدى والنور رقم (٤٣٨/أ).

فقال: قد ضربته، فقلت له: لِمَ ظلمتني؟ ضربتني خمس عشرة درة بغير جرم، لا أجعلك فِي حل! فقال مالك: فما كفارته؟ قلت: كفارته أن تحدثني بخمسة عشر حديثًا، قال: فحدثني بخمسة عشر حديثًا، فقلت له: زد من الضرب وزد فِي الحديث! فضحك مالك وقال: اذهب"[1].

١١- بِهذه النفرة الَّتِي كان يَجدها علي بن حاج من العلماء تفهم سر تكراره فِي غير ما شريط مسجل أنه ألف كتابًا أسماه: "بين علماء السجون وعلماء الصحون!"، مع كثرة إيراده لأحاديث القُصاص فِي مواجهة الحكام على طريقة الخوارج، ولو كان أبطاله من شرار المبتدعة، كعمرو بن عُبيد المعتزلي، فينشأ فِي نفوس الناشئة أنه لا عالِم إلا من دخل السجن؟!

وبِهذا التنفير من العلماء فسد سلوك الشباب تِجاههم، وظهر لأول مرة فِي الجزائر فُرقة بين السلفيين؛ إذ أصبحت تسمع بسلفية علمية وسلفية حركية! ووصف بالإرجاء كل من دعا إلَى الحكمة والصبر والأخذ بسيرة الرسول ﷺ فِي جهاده، وهذه هي بركة التحزب!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) السير (٤٢٩/١١).

كلمة موجزة عن علي بن حاج

وأخيرًا: لابدَّ من كلمة مُختصرة جدًّا عن هذا الرجل، أرى أنّها تُعرَف به جيِّدًا، وهي أن علي بن حاج يعيش بنفسية متوترة؛ يثور على المألوف، ويستثير الغريب المخوف، وتراه لا يثبت على مذهب؛ بل يُكثر التنقل من غريب إلى أغرب؛ يتتبع الجديد الذي يثير الانتباه، ويَمل العتيق ولو لَمْ يكن به اشتباه[1].

فحين كان تَهريج عبد الحميد كشك مطلب الشباب كان "كشكيًّا"!

ويوم أن تمكن الخميني من الحكم مدحه مدحًا حركيًّا![2].

وحين برزت الدعوة السلفية -في مجتمع قد أنْهكته المذهبية- ولَّى إليها وجهه، لكنه حصر عنايته بها في الحرب على المذهبية، وصحب ذلك حماسة لطلب العلم، فشنَّع على الدعوات السياسية وتسحَّى بالحلم، ثُمَّ اشرأبّت الأعناق إلَى إيران، فثار عليهم ثورة الثيران!

وحين جاء التحزُّب يركض ركبه ولَمْ يُعَقِّب! فما زال سياسيًّا يُحاور، حتَّى إذا سالت من دماء التكفير عيون انقلب إلَى العنيف المعاير، وهنا وضع رحله، وربط فرسه، وشُلَّ منه التفكير، ورضي في سبيل ذلك بالمعاطب، واستأنسَ بوحوش التكفير، واستقرت به المراكب، والله وحده أعلم بالذي يتلوه ...

(١) من غرائب كلماته الَّتِي كان يتعمد تكثير الجماهير بها أني سمعتُه مرة في درس عام يقول: "بعد خمسة عشر يومًا أخبركم هل الرئيس الشاذلي بن جديد كافر أو لا؟!!!".

(٢) وذلك في أول درس ألقاه في مسجد الإمام الشافعي بالحراش في عاصمة الجزائر، ولكن بقي من أصحابه الأقدمين من لَمْ يَحصده الرصاص بعدُ ليذكرن ذلك إن شاء الله، وذلك يوم أن وصف الخميني بصاحب اللحية البيضاء توقيرًا! فـ ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠].

ويعرف هذا من تذكُّر تنقُّله السريع في موضوعات دروسه؛ فهو لا يكاد يفتتح كتابًا إلا تركه وقفز إلى غيره، فمن"شرح السنة" للبغوي إلى "الكبائر" للذهبي، فتفسير القرآن، فتبسيطه، فتزكية النفوس، فالسياسة الشرعية ...

كل هذه الدروس وقف فيها عند بدايتها بالتداول، وفي كل مرة يسمع الحضور وعدًا قصير العمر يقول: اليوم نبدأ درس كذا من كتاب فلان! وهكذا...

وقد بيّن الماورديُّ هذه النفسية الغريبة الّتي عرفها من أهلها، وكأنه يعيش بين أظهرنا، فقال: "مع أن لكل جديد لذة، ولكلّ مستحدث صبوة؛ وقال النّبي ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي منافقٌ عليم اللسان»[١]. فتصير البدعُ فاشية، ومذاهب الحق واهية، ثُمَّ يُفضي الأمرُ إلى التحزُّب والعصبة؛ فإذا رأوا كثرة جمعهم وقوة شوكتهم داخلهم عزُّ القوة ونَخوةُ الكثرة، فتضافرَ جهالُ نساكهم وفسقة علمائهم بالميل على مُخالفيهم! فإذا استتبّ لَهم ذلك زاحموا السلطان في رئاسته، وقبّحوا عند العامة جميل سيرته، فربَّما انفتق ما لا يرتق؛ فإن كبار الأمور تبدو صغارًا"[٢].

وسر هذه التناقضات المتعاقبة عليه والتنقلات المتناوبة عليه ثوريته المتأصّلة في نفسه، وبعض من لَمْ يَخبُر الرجل يقول: إنه ذو شخصيتين! والحقيقة أن له شخصية ثابتة؛ ألا وهي الثورية الّتي تحدّثتُ عنها آنفًا وطول نفسه في الخصومات، وأخرى متغيِّرة؛ لأنَّها تعبير عن هذه الثورية على حسب ما يَجد في الدعوات، وشبيه بحاله من قال فيه عمر بن عبد العزيز -رحِمه الله-: "من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل"[٣].

(١) رواه أحمد، وهو صحيح.

(٢) درر السلوك في سياسة الملوك (ص:١٢٠-١٢١).

(٣) رواه مالك في الموطأ (٩١٧-الندوي) وهو صحيح، وهو من الروايات العزيزة الّتي حفظتها لنا رواية مُحمّد بن الحسن الشيباني، ورواه الدارمي (٩١/١) وغيره.

=

قال الدارمي بعد هذا الأثر: "أي ينتقل من رأي إلَى رأي!".

وعن خالد بن سعد مولى أبِي مسعود قال: دخل أبو مسعود على حذيفة وهو مريض، فأسنده إليه، فقال أبو مسعود: أوصنا. فقال حذيفة: «**إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلوُّن فِي الدين!!**»[(١)]. وفِي رواية: «**فإن رأى حلالاً كان يراه حرامًا ...**».

وقال إبراهيم: "**كانوا يرون التلون فِي الدين من شكِّ القلوب**"[(٢)].

ومن أوضح علامات هذا الشك اتباعُ المرء الحقَّ مُجرِّبًا لا له متجرِّدًا، وأن يؤثر دليل الواقع على نص الوحي، كما قال حذيفة ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة أن يؤثِروا ما يَرون على ما يعلمون، وأن يضلُّوا وهم لا يشعرون**»[(٣)].

وقد اشتهر عند كثير من الناس أن ابن حاج سلفي بسبب أنه جرَّب السلفية زمنًا، فلما لَمْ يجد فيها نَهمته الثورية، ورأى أنَّها لا تُصفِّي ما بينه وبين حكامه من حسابات نفسية تركها باطنًا ولَمْ يُصرِّح بذلك ظاهرًا، والله وحده الهادي؛ لأنَّه هو القائل: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧].

ومن طرقه الَّتِي كان يسلكها للتأثير فِي الجماهير التظاهر بالورع البارد إذا قيل

ولِهذا الأثر قصة انظر: الشريعة للآجري (ص:٥٦)، والإبانة لابن بطة (٥٨٣)، وترتيب المدارك للقاضي عياض (١/١٧٠).

(١) رواه نعيم بن حماد فِي الفتن (١٣٠)، وابن أبِي شيبة (١٥/٨٨)، وابن بطة فِي الإبانة (٢٥)، و (٥٧١-٥٧٣)، والحاكم (٤/٤٦٧)، وأبو نعيم (١/٢٧٢-٢٧٣) وأبو عمرو الداني فِي السنن الواردة فِي الفتن (٢٦)، وهو صحيح؛ لأن له شاهدًا عند نعيم بن حماد أيضًا (١٣٤)، وأبِي القاسم البغوي فِي الجعديات (٣١١٧).

(٢) رواه ابن بطة فِي الإبانة (٥٧٥).

(٣) رواه هناد بن السري فِي الزهد (٩٤٩)، وأبو نعيم (١/٢٧٨).

له بأن فلانًا يرد عليك! فيقول: "أقول كما يقول أبو ضمضم إذا أصبح: تصدَّقتُ بعرضي على من ظلمني. رواه مسلم!!" كذا يقول ويردِّد.

وهذا مع أنه لَمْ يروه مسلم بل هو ضعيف لا يصح رفعه[١]، فهو من السماحة المصطنعة؛ لأن قائله يظهر الصوم عن أعراض المسلمين فِي الوقت الذي يفطر فيه على دمائهم!! فكم من آلاف من المسلمين قُتلوا بفتواه كما ستراه فِي هذا الكتاب؟!

وأما عن علمه فسبق ذكر شيء من إرجافات فقهه السياسي؛ حين استدل ابن حاج بقصة وقوف النَّبِي ﷺ على جبل أبِي قبيس على مشروعية المظاهرات!! وأغرب منه استدلاله بوصال النَّبِي ﷺ فِي صومه على مشروعية الإضراب عن الطعام؛ فقد قال فِي قصيدة له بعد أن تأكدنا من بعض أهله أنَّها له:

وأضربنا عن الطعام تعفُّفًا ... اقتداءً بسيد الواصلينا!!!

❋ قلت: وهذا -والله!- من الدواهي!!

ومنها إفتاؤه بالتفجير الجماعي فِي المحلات العامة، فلما سئل عن المسلمين الذين يُقتلون فِي ذلك قال: يُبعثون على نياتِهم!!! ويعزو ذلك لابن تيمية! نعوذ بالله من قلة الحياء!

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) انظر: إرواء الغليل (٢٣٦٦).

جناية السياسة على العلم

قيل لعلي بن حاج يومًا: لقد مللْنا الدروس السياسية، فهلاّ علَّمتنا ديننا، ووددنا لو بدأت بأبواب الطهارة والمياه، ولَمْ تتكلم فِي السياسة ولو مرة واحدة!.

فقال: "أستطيع ذلك، ولكنِي إذا ذكرت أن الحكومة تقطع الماء عن الناس فِي وقت ما لَمْ أسكت عنها!!".

أذكر هذا لتعلم مصير كل سياسي فِي تقديره للعلم الشرعي، فلا أدري هل شعر أن الحكومة حين تقطع الماء الذي به حياة الأبدان، فهو -بسببها- يقطع عن الناس تعلم الدين الذي به حياة الجنان، فأي الفريقين أعظم جناية؟!

وليست جناية السياسة قاصرة على الأحكام العملية فحسب، بل تتعداها إِلَى العقيدة الإسلامية، فقد لقيه بعضهم بعد الإفراج عنه من السجن، فكلمه عن الأشاعرة الذين استولوا على دور التعليم، راجيًا منه أن يكون عونًا له فِي الرد على أعداء التوحيد، ففاجأه بكلمة زهَّدته فيه، تدل على انحرافه الخطير عن المنهج السوي، قال يومها: "أنا لو اشتغلت بالرد على الأشاعرة، فإن الحكومة تضحك من عينيها!!".

فتأمل هذا -رحمك الله- ولا تكن فِي التعصب للرجال من الهالكين؛ فالرجل دخل فِي صراع مع السياسيين، حتَّى ظن نفسه أنه خُلق لإبكاء الحكومات!! فمن يبكي على أمة حُرمت عقيدتُها وسلامة قلبها: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

إنِي أريد بهذه العناوين الأخيرة إشعار القارئ بخطورة مُخالفة تلك الأصول الستة الَّتِي اختصرتُها فِي افتتاحية هذا الكتاب، بالتمثيل لَها من خلال الدعوة فِي الجزائر.

لقد عُمِّرت جبهة الإنقاذ الإسلامية ثلاث سنوات فقط، تَهدَّم بها بنيان أوشك على التمام، وتصدَّع بها صف بعدَ التحام، واتُّهِمت فيها السلفية بعد أن وُضع لَها القبول، ورُفع العلم وسيطر الطيش على العقول، وعشَّش التكفير في مساجد الجبهة وباض، واتَّحَد الحزبيون مع المبتدعة حتَّى الطرقية وبني إباض، واتُّهم العلم، وحُرِّم الحلم، وتسمَّن فكر الخوارج، حتَّى عيِيَ الناصح والمعالج!!

هذا والشيوعيون الأخباث في الداخل والخارج يرقبون مسرورين عملية الانتحار، يُحرِّكون أحيانًا بالتهييج السياسي استعجالاً لقطف الثمار، فرحين بعدوٍّ سهل الاستدراج؛ لأن عنف الجبهة أوجد لَهم المسوِّغ القانوني لضرب المسلمين بلا احتجاج!

وهي خطة ترقَّبوها من سنوات عجاف لَمْ يغاثوا فيها إلا بتسخير علي بن حاج، بل عجزوا عنها حتَّى في أيام الاستعمار الفرنسي، وقد قلنا للعلامة ابن باز -رحمه الله-: "إن الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر منعت صلاة الجمعة في بعض المدن!".

فقال -متعجبًا-: "كيف يعطِّلون الجمعة، وقد عجزت عن ذلك فرنسا وبريطانيا واليهود؟!!".

وكم قتلوا اليوم من طلبة العلم جريمتُهم أنَّهم رفضوا مشاركتهم فيما هم فيه! وهذه هي بركة التحزب![١].

---

(١) **ولبيان أثر العلم في تحصين الدعوة الإسلامية ممَّا يكدِّر صفاءها أقول:**
ما من دعوة طيبة ظهرت إلا جُنِّد لَها من المبتدعة من يُعطِّلها أو يشتِّتها، ولقد اشتهر اليوم أن حامل لواء الإجهاض على الدعوة الإسلامية هم جَماعة التكفير العائدين من أفغانستان -مع الأسف- والحق أن هؤلاء ما دخلوا قرية إلا أفسدوها، إلا أنَّهم ظلوا في الجزائر مدحورين مقهورين، ينقصون، ولا يزيدون، والسر في ذلك أن هذا البلد خُصَّ بعناية الشيخ الألباني الذي كان علمه سدًّا في وجه التكفير كسد ذي القرنين على يأجوج ومأجوج، ولَمْ يخرجوا منه إلا
=

نعم! لتذكروا كلمة ابن تيمية المبيَّنة في الأصل الخامس من أن نكاية المبتدعة في المسلمين أشد وطئًا من نكاية الكفار فيهم.

ولا أدري ما سر تلقيب النبي ﷺ الخوارج بـ: «كلاب النار»؟.

ألأنهم يجتهدون في المسلمين تكفيرًا وتقتيلاً حتَّى يُكفِّر بعضهم بعضًا، كما تجتهد الكلاب فيمن تنكره نباحًا وعضًا حتَّى ترجع إلَى أذنابها فتعضها؟ ويكون مصداقه ما جاء في الصحيحين من أن النبي ﷺ قال فيهم: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان».

أم لأنَّهم يُستدرجون بأبسط الحيل حتَّى يَهيجوا كما أن الكلاب تنبح لأدنى استفزاز، حتَّى ربَّما دلَّت عدوَّها على مَخبأ صاحبها؟

ذكَّرني هذا بالمثل القائل: "وعلى نفسها تَجني بَراقش"[1].

لذلك كلّه ما يُخاف على المسلمين من الشيوعيين كما يُخاف عليهم من أنفسهم؛ فإن أولئك مهما أوتوا من تنظيم وقوة وإدارات وبسط نفوذ، فلن يضروهم إلا أذى، وأما جناية المسلمين على أنفسهم، فقد قال الله تعالى في قوم كانوا مواجهين الكفار الخلَّص: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥].

وكان النبي ﷺ يؤصِّل هذا المنهج بتأكيده في كل خطبة قائلاً: «... ونعوذ بالله

يوم خرج علي بن حاج من السجن الأول، وإلا فكيف يُفسَّر تحذيرهم لي ولغيري من التعرض للرد عليه، مع أنَّهم كفروه بعد أن وضع أوراق اعتماد حزبه بالبرلمان أي: قبل أن يُصرِّح بتكفير الدولة!!

(١) قال الميداني في مجمع الأمثال رقم (٢٤٢٧): "كانت براقش كلبة لقوم من العرب، فأغير عليهم، فهربوا ومعهم براقش، فاتبع القومُ آثارَهم بنباح براقش، فهجموا عليهم فاصطلموهم، قال حمزة ابن بيض:

لَمْ تكن عن جناية لحقتني ... لا يَساري ولا يميني رَمَتني

بل جناها أخ عليَّ كريم ... وعلى نفسها براقش تَجني

من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا ...». فاللهم آمين.

وقد بيِّنتُ هنا من واقع الجزائر ما يشهد لما نحن بصدده.

❊ وأخيرًا: رجائي من ذوي العلم والمنهج السلفي أن يكتبوا عن تجربة بقية البلاد الإسلامية؛ فقد رُفعت للمنهج السلفي أعلام في اليمن وأفغانستان والسودان وإيران وسورية والأردن ومصر وتونس وغيرها، تدلُّ عليه وتؤكِّده، لتُشفقوا على المسلمين ممَّا يصيبهم بأيديهم، ولتبيِّنوا للشباب التائه اليوم واللاعب بالنار وجوب الرجوع إلى الطريق النبوي، فقد بان لذوي الحِجَى أكبر برهان في واقع بلاد المسلمين على أنه لا يصلح لَهم غيره.

ولكن أقلامًا وأفواهًا غير سلفية سبقت لتموِّه وتُحرِّف الحق والواقع!

فاستعينوا بالله واصبروا وإن وُصِفتم بالمثبِّطين أو المرجفين؛ فإن غايتكم رضا الله وحده.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



حال الدعوات السياسية اليوم

يُحاصر المسلمون اليوم حصارًا شديدًا، لَمْ يعرفوه حَتَّى وقت المستعمرات الكافرة، والعالم كله تألَّب عليهم ورماهم عن قوس واحدة، لا يألوهم خبالاً، ولا يرقب فيهم إلاًّ ولا ذمة، حَتَّى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، الأمر الذي سبب لَهم ردود فعل خطيرة، وصاروا لا يعيشون إلا على أنقاض الأحداث السياسية، نشاطهم يقوى بقوتها ويضعف بضعفها، وكأنَّهم هم أيضًا كُتب عليهم شقاء السياسيين.

وانقسم المنقذون المخطئون مجموعتين:

* مجموعة دخلت العمل السياسي بلا تورع، فتَميَّع منهجها، وتنازلت عن غير قليل من دينها؛ لأنَّها تعيش تحت ضغط الهزات السياسية العنيفة، فحقَّ فيها ما حذر الله ﷻ منه نبيه ﷺ حين قال: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٤-٧٥].

* ومجموعة تَنْزَغُها الأحداث السياسية، وتؤزُّها أزًّا؛ لأنَّها وجدتْها أُذُنًا، وهي تُستدرج بالاستفزازات السياسية الماكرة، وهؤلاء حق فيهم ما حذر الله ﷻ منه نبيه ﷺ حين قال: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء:٧٩].

وحديثي هنا لا يتعرض مباشرة للأولى؛ لأنه قد كُتب عنها ما فيه غناء، ولكن الثانية هي الَّتِي أقصد؛ لأن فكرتها لَمْ تعد حَكْرًا على فئة معروفة من الناس، بل ظهرت في هذا العصر الأخير مع الإخوان المسلمين.

ثُمَّ لَمْ يلبث هؤلاء أن تَخلّوا عنها متأثرين بفكرة المجموعة الأولى، ثُمَّ لبسها ورثة الخوارج: جماعة الهجرة والتكفير، وتداولوها مع شيوخهم القطبيين، ثُمَّ بِمكر من هؤلاء أريد للسلفية أن تلبسها!

وكم كنت أتردد عند كتابة هذه الكلمات رجاء أن تكون نصيب قلم أقدر عليها مني، وهم كثيرون، ولكن ذلك لَمْ يحصل بالصورة الدقيقة والصريحة والمفصلة الَّتِي ينبغي أن تكون؛ إذ الشبهات فيها كثيرة جدًّا، وجذورها عريقة فِي حقيقة الأمر، فلا تكفي فيها بُلْغة الغريب، ثُمَّ استخرت الله فِي ذلك واستعنت به وحده فوفّق لما يأتِي:

المتأمل فِي أحوال المسلمين اليوم يجزم بأنّهم قد استيقظوا بعد سُبات عميق من أكثرهم، وأحسوا بضرورة العودة إلَى أصلهم التليد العريق، وتذكروا شخصيتهم الضائعة الممتهنة من قِبَل من جعلتهم قُدوتَها برهة من الزمن فلم ينصحوا لَها.

أقصد أن عاطفة إسلامية ما -كما يقال اليوم- لا تزال فِي قلوب المسلمين، ممَّا يبعث فِي النفوس السرور؛ لأنَّها أول المبشرات، إلا أنه لا يجوز أن ندخل لغطًا إعلاميًّا لا يمت إلَى الإسلام بصلة؛ فنبرز هذه الصورة فوق حجمها، مستعملين المجهر السياسي الكذاب، مجارين أعداء الله فِي مكرهم ودهائهم وتزويرهم الحقائق.

بل الحق والحق نقول: إن الله لا ينصر إلا المؤمنين فهو القائل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

والمؤمنون مؤمنون ما لَمْ يكذبوا؛ ليتولاهم مولاهم القائل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ﴾ [مُحمَّد:١١].

لذا فإن مُحاولة إفزاع العدو بإبراز هذه اليقظة الإسلامية الأولى فِي صورة المستيقظ النشيط، الذي لَمْ يبق على عينيه غبش، وأنه قادر على أن يُبصر الأمور، ويُبَصِّر بِها على حقيقتها، وأن يقدِّر لَها أقواتَها تقدير العالم البصير لن يعود على

الدعوة الإسلامية إلا بالبوار؛ لأن ذلك يستعدي الأعداء الأقوياء على المسلمين الضعفاء، الذين لا يتولاهم الله ما داموا مقيمين على هذا الكذب والهراء.

ثُمَّ هو غشٌ للمسلمين؛ لأنه ينفخ فيهم غرورًا قد رأينا عاقبته فِي بلاد الإسلام.

❊ **بل نقول**: الحمد لله الذي أيقظنا، إلا أننا فِي أول الفطنة ما أحوجه إلَى ترشيد! على عوج فِي المتابعة ما أحوجه إلَى تسديد!

فنحن كصبي عطشان قد فرح به أبواه لنباهته، فتركاه يروي عطشه بيده، فلا يؤمَن عليه أن يتناول السم الزعاف، أو سقياه ماءً زُلالاً دون رَوية فِي رعاية، إذن لأوشك أن يشرق!

والذي نعتقده بصراحة تامة أن أكثر المرشدين اليوم على غير الجادة السلفية؛ إذ أشعروا أمتهم هذه -الَّتِي لا تزال عليها غيبوبة المستيقظ من نومه- أن مشكلتها سياسية، وهي لَمْ ترفع بعدُ قدميها عن سرير النوم، فإذا بِها تُدْعى للعدو إلَى سرير الملك، فِي بَهرج لا يترك لَها عقلاً تفكر به!!

ويا لَها من جريمة! لأنَّها تحريف لَها عن معرفة الداء، فكيف الاهتداء إلَى الدواء؟!

ويا لَها من مصيبة!! لأنَّها صدٌّ عن سبيل الله المتمثلة فِي تعلم الكتاب والسنة وتعظيمهما، والاحتفاء بِمجالس أهلهما، إلَى تعلم السياسات العصرية، والعكوف على مصادرها من إعلام مرئي ومسموع، وجرائد ومجلات: الصدق فيها ممنوع! حَتَّى إنه ليمضي على من دثاره الكتاب والسنة، وشعاره الفيديو ومجلة البيان والسنة، يومُه بل أسبوعُه بل ربما شهره لا يجد وقتًا ولا شوقًا إلَى آية من الكتاب، واسأله -إن شئت- منذ كم لَمْ يرفع الغبار عن الصحيحين، على حين عدم غفلته عن جريدة اليوم بل وخبر الحين!! والأمر لله.

ولا تسارع إلَى إنكار هذا؛ لأنني ما جئتك بعلم حَتَّى تناقشه، وإنَّما هو خبر الواقع!

روى أبو نعيم بإسناده عن رجل من أشجع قال: "سمع الناس بالمدائن أن سلمان -أي: الفارسي- في المسجد فأتوه، فجعلوا يثوبون إليه حتَّى اجتمع إليه نحو من ألف، قال: فقام فجعل يقول: اجلسوا، اجلسوا، فلما جلس فتح سورة يوسف يقرؤها، فجعلوا يتصدعون ويذهبون حتَّى بقي في نحو من مائة.

فغضب وقال: الزخرف من القول أردتم؟ ثُمَّ قرأت كتاب الله عليكم ذهبتم؟![١]".

❊ **قلت**: لعل اختيار سلمان ﷺ لسورة يوسف ﷺ دون غيرها لما فيها من معاني القناعة بقصص كتاب الله دون ما تصبو إليه النفوس من حكايات وأحاجي، وهو قول الله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣]. واقتداءً بالنبي ﷺ حين سئل قصصًا غير قصص القرآن فتلا عليهم ما أنزل الله عليه من هذه السورة[٢].

وكذلك فعل عمر ﷺ حين رأى من أقبل على كتاب فيه عجائب الأوَّلين[٣].

فرضي الله عنهم جميعًا؛ ما أشد حرصهم على الهدي النبوي!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) في الحلية (١/٢٠٣).

(٢) انظر هنا (ص:٢٢٣).

(٣) رواه ابن الضريس في فضائل القرآن (٨٨)، والخطيب في الجامع (١٤٩٠)، وهو في تاريخ عمر لابن الجوزي (ص:١٤٥).

معنى السياسة

* السياسة لغة: "هي القيام على الشيء بما يُصلحه"[(١)].

* قلت: ومنه قول أسْماء بنت أبِي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما: «تزوَّجني الزبير، وما له في الأرض من مال، ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه، قالت: فكنتُ أعلفُ فرسه، وأكفيه مؤنته، وأسوسه، وأدُقُّ النَّوى لناضحه وأعلفه ... حتَّى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس، فكأنَّما أعتقني!»[(٢)].

ولذلك كتب ابن الجزار القيرواني في إصلاح شئون الصبيان والمحافظة على طبيعة أجسامهم وطبِّها مؤلَّفًا أسْماه: "سياسة الصبيان وتدبيرهم"؛ لأن لفظ "السياسة" مشتقٌّ من "السُّوس بالضم: الطبيعة والأصل والخلق والسجية"[(٣)].

ومن هذا المعنى العام أُخذ المعنى الخاص الآتي، وهو: "من السوس، وهي الرياسة، وفي الحديث: «كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم»[(٤)]. أي يتولى أمرهم، كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية"[(٥)].

* وأما المعنى الشرعي: "فالسياسة الشرعية هي تدبير الشئون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار، مِمَّا لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها

---

(١) لسان العرب لابن منظور بتحقيق علي شيري (٤٢٩/٦).

(٢) رواه أحمد (٣٤٧/٦)، والبخاري (٥٢٢٤)، ومسلم (١١/٧)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١٨٢/٨).

(٣) تاج العروس للزبيدي (١٥٥/١٦).

(٤) متفق عليه.

(٥) النهاية لابن الأثير (٤٢١/٢).

الكلية، وإن لَمْ يتفق وأقوال الأئمة المجتهدين"[١].

* قلت: فهي تُعْنى بأحكام الإمارة والقضاء، وأحوال الوزارات، وتدوين الدواوين، وإنفاذ الجيوش، وغيرها مِمَّا تراه مفصلاً في مثل: "غياث الأمم" للجويني، و"الأحكام السلطانية" للماوردي، وكذا الذي لأبي يعلى الفراء، و"التراتيب الإدارية" لعبد الحي الكتاني، وغيرها ...

ولاشك في وجوبها شرعًا وعقلاً؛ لأن أمور الناس لا تنضبط إلا بإمام عادلاً كان أو جائرًا؛ قال ابن حبان البستي -رحمه الله-: "وأنشدني ابن زنجي البغدادي للأفوه الأودي:

لا يُصلح الناسَ فوضى لا سَراة لَهم ... ولا سَراة إذا جهّالهم سادوا

والبيت لا يُبتنى إلا بأعمدة ... ولا عماد إذا لَمْ تُرسَ أوتادُ

فإن تجمّع أوتادٌ وأعمدةٌ وساكنٌ ... أدركوا الأمر الذي كادوا

تُهدَى الأمور بأهل الرأي ما صلـ ... ـحت فإن تولّت فبالأشرار تنقادُ

وذكر قبلها الحكمة المشهورة: "سلطان غشوم خير من فتنة تدوم"[٢].

قال ابن تيمية: "يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلَى بعض، ولابد لَهم عند الاجتماع من رأس ....".

إلَى أن قال: "لأنَّ الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتمُّ ذلك إلا بالقوة والإمارة، ولِهذا روي: «انَّ السلطان ظل الله في الأرض»[٣].

ويقال: "ستُون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة بلا سلطان!"، والتجربة تبيِّن

(١) السياسة الشرعية لعبد الوهاب خلاف (ص:١٥).

(٢) روضة العقلاء (ص:٢٧٠).

(٣) هو في صحيح سنن الترمذي للألباني مرفوعًا.

ذلك[١]، ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: "لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان...".

فالواجب: اتِّخاذ الإمارة دينًا وقربة يتقرب بها إلَى الله؛ فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنَّما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرئاسة أو المال بها"[٢].

ولا تستوحش من قول خلاف السابق: "... وإن لَمْ يتفق وأقوالَ الأئمة

(١) هذه العبارة من الكلمات السلفية الَّتي لو كان شيء منها وحيًا لكانت هذه منه؛ ومن عاش أيام الأمن والرخاء فِي الجزائر، ورأى الفتن الَّتي تموج بالناس اليوم كموج البحر أدرك مغبَّة الخروج على الحكام؛ فقد ظهرت دولة فِي دولة! واستحرَّ القتل فِي المسلمين بيد عمياء، واستغل الشيوعيون الوضع للتخلص من بعض المخلصين، واندفع الشباب البريء إلَى الهيجاء اندفاعًا مَحنونًا بسبب فتاوى رُوَيبضات هذا الزمن، وانتعشَ الكفرُ عند ذوي النعرة البربرية بسبب تسليط علي بن حاج لسانه عليهم بحق وبباطل! مع أن الله يقول فِي المشركين: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨]. ولعله لو لَمْ يدخل معهم فِي صراع حزبي لذكر فقه هذه الآية، ولكن (الكرسي...)؟!

وترى الواحد يمر بنقطة التفتيش العسكرية فلا يدري ما يقول؛ لأنَّها قد تكون من الحكومة وقد تكون من الثوار! كما لا يأمن عندها على أهله؛ فقد سُبيت النساء المسلمات من قبل جماعته الَّتي رباها: "جماعة التكفير"، واغتُصبت الأموال باسم الغنائم، ومنعوا السلفيين من الدعوة بزعم "أننا فِي رهج الموت، وأنتم لا تزالون فِي حدَّثنا؟!!"، وغلت الأسعار حتَّى تضاعفت عشرين مرة فِي كثير من الضروريات، وفُرضت على الشعب ضرائب ثقيلة بسبب النكسة الاقتصادية، وأثقلُ منها الأرُوش الَّتي تفرضها عليه الجماعة الإسلامية المسلحة باسم الإنفاق فِي سبيل الله! ومن لا يستجيب لَهم من الأغنياء فالقتل موعده! وهدموا الجسور والمباني الهامة، وقطعوا الطرق الَّتي بذل فيها الشعب أنفس أمواله، فاجتمع الجوع والخوف كما قال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢]. وهذه هي بركة التحزب!

(٢) السياسة الشرعية (ص:١٧٦-١٧٨) بتحقيق بشير عيون.

المجتهدين!"؛ فإن المقصود به أن السياسة الشرعية ليست حكرًا على الأئمة المتقدمين، بل لا بأس من أن يجتهد العالم المتبحر من أولي الأمر فيما يَجدّ للأمة من نوازل بالقيود السابقة، ولذلك قال: "فالسياسة الشرعية على هذا هي العمل بالمصالح المرسلة؛ لأن المصلحة المرسلة هي الَّتِي لَمْ يقم من الشارع دليل على اعتبارها أو إلغائها".

وهو الأمر الذي نقله ابن القيم عن ابن عقيل نقل المقر، وهو قوله: "فإن أردت بقولك: لا سياسة إلا ما وافق الشرع. أي: لَمْ يُخالف ما نطق به الشرع فصحيح، وإن أردت ما نطق به الشرع فغلط وتغليط للصحابة؛ فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والمثل ما لا يَجحده عالم بالسير، ولو لَمْ يكن إلا تحريق المصاحف كان رأيًا اعتمدوا فيه على مصلحة ...."[١].

ولذلك قال ابن نجيم: "وظاهر كلامهم أن السياسة فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها، وإن لَمْ يرد بهذا الفعل دليل جزئي"[٢].

لكن مع تقادم الزمن نزل بالناس حوادث لَمْ يعرفوها من قبل، فاستفتى الولاةُ فقهاء التقليد، فأغلقوا عليهم باب الاجتهاد، وحرَّموا على أنفسهم النظر فيما لَمْ تذكره المذاهب، فاضطر الولاة إِلَى الاجتهاد فيما يَعِنُّ لَهم من جديد بحق وبباطل، وزهدوا فِي علماء الشريعة؛ ظنًّا منهم قصور الشريعة عن فتح مغاليق فتن العصر، ثُمَّ تَمادى بِهم الأمر حَتَّى أعرضوا عما أنزل الله من آيات بيِّنات، وتحاكموا إِلَى الرأي إما جهلاً وإما ظلمًا، وتجرَّأ أراذل الناس على الشرع حَتَّى حُرِّف كثيرٌ منه.

وأدهى وأَمَر منه أن قومًا من جهال المتديِّنين فِي هذا الزمان أرادوا أن يُعالجوا هذا الانحراف فضاق عليهم منهج النبيين وسبيل المؤمنين حَتَّى اعتمدوا النظم الغربية الكافرة للوصول إِلَى الحكم بِما أنزل الله زعموا!

---

(١) إعلام الموقعين (٤/٣٧٢).

(٢) البحر الرائق (٥/١١).

كالولوع باللعبة الديمقراطية، ودخول البرلمانات، والاتِّكاء على الغثاء للضغط على الحكومات ...

فتارة يدَّعون أن الأمر فِي ذلك مصلحة مرسلة والشريعة مرنة!

وتارة يدَّعون أنَّهم مضطرون إليها وقلوبُهم لَها كارهة!!

فما زالت بِهم هذه السياسة حَتَّى استحسنوا الكذب والسباب، واستمرءوا الخيانة والمكر بالأحزاب، وجرى على لسان العوام أن لا سياسي إلا ذو كذب مرتاب!

وهذه المسالك أشد من مُخالفات الحكام؛ لأن هؤلاء لا يُقتَدى بِهم فِي غالب ديار الإسلام، أما الإسلاميون السياسيون فمحطٌّ نظر الخواص والعوام! فما أشد محنتهم للناس!!

وقد نبَّه ابن القيم على هذا الخلط فِي معانِي السياسة فقال: "هذا موضع مزلة أقدام ومضلة أفهام، وهو مقام ضَنْك ومعتَرَك صعب، فرَّط فيه طائفة فعطَّلوا الحدود، وضيَّعوا الحقوق، وجرَّءوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بِمصالح العباد، وسدوا على أنفسهم طرقًا صحيحة من الطرق الَّتِي يُعرف بِها المحق من المبطل؛ فعطَّلوها مع علمهم وعلم الناس بِها أنَّها أدلة حق؛ ظنًّا منهم منافاتِها لقواعد الشرع.

والذي أوجب لَهم ذلك نوعُ تقصير فِي معرفة الشريعة والتطبيق بين الواقع وبينها، فلما رأى ولاة الأمر ذلك، وأن الناس لا يستقيم أمرهم إلا بشيء زائد على ما فهم هؤلاء من الشريعة فأحدثوا لَهم قوانين سياسية ينتظم بِها مصالح العالم، فتولَّد من تقصير أولئك فِي الشريعة، وإحداث هؤلاء ما أحدثوه من أوضاع سياستهم شرٌّ طويل وفساد عريض، وتفاقم الأمر حَتَّى تعذَّر استدراكُه، وأفرط فيه طائفة أخرى فسوَّغت منه ما يُناقض حكم الله ورسوله ....

ولا نقول: إن السياسة العادلة مُخالفة للشريعة الكاملة، بل هي جزء من أجزائها وباب من أبوابِها، وتسميتها "سياسة" أمر اصطلاحي، وإلا فإذا كانت عدلاً فهي من الشرع"[1].

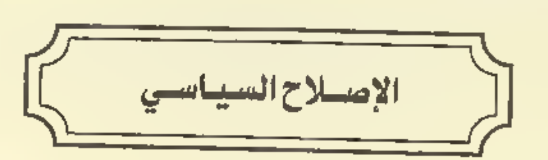
* قلت: هذه المرونة المشروعة فِي سياسة الخلق يُمكن التمثيل لَها بِما رواه الشعبي قال: قال زياد: "ما غلبني أميرُ المؤمنين -أي: معاوية ﷺ- بشيء من السياسة إلا بباب واحد: استعملتُ رجلاً فكثُر خَراجُه، فخشي أن أعاقبه، ففر إلَى معاوية، فكتبت إليه: إنّ هذا أدب سوء لمن قبلي، فكتب إليّ: إنه ليس ينبغي لي ولا لك أن نسُوس الناس بسياسة واحدة؛ أن نلين جميعًا فتمرح الناسُ فِي المعصية، أو نشتدّ جميعًا فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون للشدة والفظاظة، وأكون للين والرّأفة"[2].

* قلت: هذه السياسة الّتِي فاق بِها معاوية ﷺ زيادًا هي الّتِي مكّنته من أن يحكم أهل الشام أربعين سنة فِي وُدّ تامٍّ، كما ذكر أهل التاريخ.

* * * * *

(١) إعلام الموقعين (٣٧٢/٤).

(٢) رواه ابن أبِي شيبة (٩٢/١١-٩٣)، وانظر له طريقين آخرين فِي الفوائد والأخبار لابن دريد رقم (٢٤)، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ (ص:٥٢).



الإصـلاح السيـاسـي

المشكلة في هذا الصراع المُحتدم ثنائية:

الأولى: هل الإصلاح يتم عن طريق إصلاح الحاكم أو عن طريق إصلاح الأمة؟

الثانية: إذا كان لابدَّ من الممارسة السياسية فمن هم أهلُها؟

أما الجواب عن الأولى: ففي نص آية وحديث -ولا اجتهاد مع النص- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

فما أوضحه من بيان! لكن مع وضوحه فأكثر من تسمَّوا بأسماء حركات إسلامية قد اجتهدوا، وجاء لسان حالهم يقول: إن الله لا يغير ما بقوم حَتَّى يغيروا ما بحكوماتهم!! ولا حول ولا قوة إلا بالله، غاضِّين الطرف عن السيرة النبوية المفسرة لِهذا البيان، غافلين عن أنه لا عز لَهم حَتَّى يتحكم الدين فِي نفوسهم، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النَّبِي ﷺ قال: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاًّ لا يرفعه عنكم حَتَّى ترجعوا إلَى دينكم». رواه أبو داود، وهو حسن.

هذا حكم الله ورسوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:٦].

فاحذروا -أي: إخواننا- من رد الحق تحاكمًا إلَى واقعكم، أو اغترارًا بتجربتكم، أو إرضاءً لنخالة أذهانكم!

أوليس قد حكم الله أن لا تمكين فِي الأرض ولا استخلاف ولا أمن ولا نصر إلا بأمة، وأي أمة؟!

إنَّها أمة العبادة مع توحيد خالص؛ فاقرأ كلامًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنْزيل من حكيم حميد، الذي قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور:٥٥].

وعلى كل حال لا أطيل فِي هذا، وإنَّما أحيلكم على كتاب لَمْ تقع عيني على مثله فِي هذا الزمان، وهو بعنوان: "**منهج الأنبياء فِي الدعوة إِلَى الله فيه الحكمة والعقل**"، للدكتور ربيع بن هادي المدخلي.

ولا تغترُّوا بمن حاول أن ينسج على عنوانه الماتع ما يضاهيه؛ فإنه لَمْ يأت إلا بالباطل وبما يشبه خيوط العنكبوت.

وفي الجواب عن المشكلة الثانية أقول:

- أولاً: لست بحاجة إِلَى تقرير أن السياسة من الدين؛ لأنني لا أظن أن مستواكم الخلقي قد هبط بكم إِلَى رمي أخيكم -كاتب هذه السطور- بأنه يفرق بين الدين والدولة بعد أن قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥].

وأخبر أن تعطيل الشريعة اتباع للهوى، فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:٤٨].

وليس تعطيل الشريعة إلا جاهلية مقيتة، قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

- وثانيًا: اعلم أنَّ سبب فشل الحركات الإسلامية اليوم فِي إصلاح هذا الفساد العام هو خطؤها طريق الإصلاح حين دخلت المعترك السياسي وجعلته أصل عملها التغييري، مهما زعم كل منها سلامة المنهج وشمولية الدعوة وإحكام التنظيم، لذا فإن حديثي هنا منصب فقط على من اضطر إِلَى أن يفتي فِي السياسة اضطرارًا لا مناص منه.

أما ممارسة السياسة اليوم فهو عمل لا يدخله إلا من استدرجه الشيطان ليُهلكه

فِي أسوأ الخواتيم، فأقْنَعَه بأنه لا يجوز ترك هذه الوظائف للفساق والعلمانيين، وأنه لا يجوز للمسلم أن يتقوقع حول نفسه ... وأن قانون فلان الشيوعي كاد يطبق فِي بلاد ما، لولا وجود الوزير الفلانِي ... إلَى غير ذلك من زخرف القول الذي لَمْ يؤسس على النظر الشرعي بقدر ما أسس على النظر الواقعي مع إغماض؛ إذ الصادق فِي تأمله يرى قومًا دخلوا ليغيِّروا فتغيَّروا، وحقَّ فيهم قولُ النَّبِي ﷺ: «من أتى باب السلطان افتتن». رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي فِي "الشعب" وهو صحيح.

ودليل المنع من مُخالطتهم عند ممارستهم لسياساتهم الجائرة هو قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠].

وعن عامر بن سعد بن أبِي وقاص قال: كان سعد بن أبِي وقاص فِي إبله، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب! فنزل فقال له: أنزلت فِي إبلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد فِي صدره! فقال: اسكت! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يُحبُّ العبد التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ». رواه مسلم.

فإذا تعارضت مصلحتك الدينية مع مصلحة غيرك، فقدم مصلحتك ما دام في الجمع بينهما خيفة على النفس، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذَكَروا الفتنة، أو ذُكِرت عنده قال: «إذا رأيت الناس قد مرجت عهودُهم وخفَّت أماناتُهم وكانوا هكذا –وشبك بين أصابعه–. قال: فقمت إليه فقلت له: كيف أفعل عند ذلك جعلنِي الله فداك؟ قال: الزمْ بيتك، وأملك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك

بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة». رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وهو صحيح.

فإن قيل: ولكن المجتمع بحاجة إِلَى هذه المناصب؟

قلنا: نعم! ولكن بشرط أن لا يَمتهن المرءُ فيها دينه؛ لأنه إن رضي لنفسه أن يكون حطب جهنم فِي سبيل إنقاذ غيره، فإن له أسوة بمن قال فيه رسول الله ﷺ: «لابد للناس من عريف، والعريف فِي النار». رواه أبو الشيخ فِي طبقات الأصبهانيين وغيره[1].

* ومعناه: أن من لَمْ يمكنه أن يحظى فِي عمله إلا بمفسدة محضة أو راجحة ورأى دينه إِلَى نقصان؛ كأن يُضطر إِلَى ترك الواجبات، فليسارع إِلَى إنقاذ نفسه حَتَّى لا يكون جسرًا يُقطع به إِلَى الجنة وعند الباب تقع الفرقة!

ويكفيه فِي قضاء حوائجه هؤلاء العرفاء الذين لا يخلو منهم مُجتمع، وإن كانوا على الوصف الذي سبق فِي الحديث؛ لأنه ليس كل ما ينبغي أن يوجد يجب أن تكون عضوًا فيه أو إحدى أدواته؛ أوَما رأيت ما جاء فِي الصحيحين أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليؤيِّد هذا الدين بالرجل الفاجر؟!».

فإن قيل: ومن يقضي لكم حوائجكم إذا شحَّ العرفاء؟

قلنا: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣]. وهذا الحكم تابعٌ لبيئة قد تَمحَّض فيها الشر أو رجح.

ولست أعني هنا عدم النصيحة لولاة الأمور بالطريق المشروع وممن ينفع الله به وإعانتهم فِي الخير؛ فقد فعله يوسف ﷺ من قبل حين قال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥]. كما أن سيرة السلف فِي الإخلاص فِي النصيحة لولاة الأمور وعدم غشِّهم فيها معروفة، ولاسيما إذا كانت البلادُ بلاد توحيد ومُحافظة على الصلوات وحب للخير[2].

(١) انظر: الصحيحة للألباني رقم (١٤١٧).

(٢) ولذلك عقد البخاريُّ فِي صحيحه (١٣/ ١٨٠): "باب العرفاء للناس" أي: فِي الخير.

ولكنني مُحذِّر من سياسة مد الجسور الَّتِي عند "الإخوان المسلمين!".

أَوَما رأيتم ما أصابَهم من رقَّة دين وفتنة فيه؟![1].

هذا وهم من أغشِّ عباد الله لحكامهم فِي الوقت الذي يُظهرون لَهم التجاوب التام مع الأوامر؛ بدليل أنَّهم ما يَجدون فرصة للانقضاض على سلطانِهم إلا فعلوا، إما ببيعات! أو بتحزُّبات! أو بانتهاز أوقات الثورات ...!

❊ **وأخيرًا فالجواب عن المشكلة الثانية الَّتِي طرحتها عند مطلع هذا الفصل هو الآتِي فِي الفصل الذي يليه.**

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) انظر لابن تيمية بَحثًا مهمًّا فِي هذا الموضوع فِي مجموع الفتاوى (١٤/٤٧٩) وما بعدها.

السياسة الشرعية قاصرة على المجتهد

هذه مُجرد تنبيهات سريعة، وإلا فحديثي هنا منصبٌ على شروط من يتصدَّى للفتيا فِي النوازل السياسية.

وأخصُّ من هذه الشروط شرطًا واحدًا؛ لأنه الأهم، ولأن جل العاملين فِي هذا الميدان لا يراعونه.

قال ابن القيم -رحمه الله-[١]: "العالم بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة فهو المجتهد فِي النوازل[٢]، فهذا النوع الذي يسوغ لَهم الإفتاء، ويسوغ استفتاؤهم، ويتأدى بِهم فرضُ الاجتهاد، وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدِّد لَها دينها»[٣].

❊ **قلت:** أي بلوغ درجة الاجتهاد، كما قال الماوردي: "العلم المؤدي إِلَى الاجتهاد فِي النوازل والأحكام"[٤].

وقال الشاطبي: "بل إذا عرضت النوازل روجع بِها أصولها فوُجدَت فيها، ولا يجدها من ليس بِمجتهد، وإنَّما يجدها المجتهدون الموصوفون فِي علم أصول الفقه"[٥].

فتدبر هذا العلم! وتدبر هذه الدقة الَّتي لو حرص الإسلاميون على تحقيقها لصانوا

---

(١) إعلام الموقعين (٤/٢١٢).

(٢) "يراد بالنوازل: الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة المشهورة بلسان العصر باسم النظريات والظواهر". فقه النوازل (١/٨).

❊ قلت: ويقال لَها فِي بعض المصادر: "حوادث" جمع حادثة، كما سيأتي.

(٣) رواه أبو داود، وهو صحيح.

(٤) الأحكام السلطانية (ص:٦).

(٥) الاعتصام (١/٣٦١).

هذا الدين من عبث حدثاء الأسنان.

ويشبهه قول مُحمَّد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- في شروط الإمام: "أن يكون ممن يصلح أن يكون قاضيًا من قضاة المسلمين، مُجتهدًا يمكنه الاستغناء عن استفتاء غيره في الحوادث"[١].

وقد مثَّل ابن رجب لهذا بالإمام أحمد -رحمهم الله- فقد بيَّن وجه استحقاقه لمنصب الفتوى في الحوادث -أي: النوازل- بأن وصفه ببلوغ النهاية في معرفته بالقرآن والسنة والآثار.

فمن القرآن: ناسخه ومنسوخه، ومُقدَّمه ومؤخَّره، وجَمْعه في تفسيره من أقوال الصحابة والتابعين الشيءَ الكبير.

ومن السنة: حفظه لَها، ومعرفته بصحيحها من سقيمها، ومعرفته بالثقات من المجروحين، وبطُرق الحديث وعلله، ليس في المرفوع منه فحسب، بل وفي الموقوف منه! وبفقهه، وبعلوم الأئمة: ذَكر أنه عُرض عليه عامة أقوالهم ...

ثُمَّ قال: "ومعلوم أن من فَهِمَ علم هذه العلوم كلها وبرع فيها، فأسهلُ شيء عنده معرفةُ الحوادث والجواب عنها، على قياس تلك الأصول المضبوطة والمآخذ المعروفة، ومن هنا قال عنه أبو ثور: كان أحمد إذا سئل عن مسألة كأنَّ عِلْمَ الدنيا لوحٌ بين عينيه، أو كما قال"[٢].

* قلت: فأيُّ هؤلاء الذين ابتدعوا اليوم (فقه الواقع) -ليسقطوا به العلماء- ترونه قد بلغ في العلوم هذه الغاية، حتَّى جعلتموه في نوازل السياسة لكم آية؟!.

لقد كان أحمد -رحمه الله- يُفتِي في الحوادث، وينهى تلامذته عن ذلك.

قال ابن رجب: "وأما عِلْمُ الإسلام -يعني: الحلال والحرام كما فسَّره هو في

(١) أضواء البيان (١/٦٧).

(٢) من كتابه المطبوع باسم: "الرد على من اتبع غير المذاهب ..." (ص: ٣٩-٤٤).

كتابه المذكور (ص:٤٦)- فكان يُجيب فيه عن الحوادث الواقعة مِمَّا لَمْ يسبق فيها كلامٌ؛ للحاجة إِلَى ذلك، مع نَهْيه لأصحابه أن يتكلَّموا فِي مسائل ليس لَهم فيها إمام"[١].

ومن كلام ابن القيِّم السابق تعلم أن رجوع الشباب اليوم فِي النوازل السياسية إِلَى الحركيين والمتكوِّنين على موائد المجلات ووسائل الإعلام والمتخرِّجين من خلايا المخيَّمات -مهما زعموا أنَّهم متحرِّرون من قيود غابر المذاهب أو متضلِّعون بأسرار ما يعاصرون من المذاهب- مصادمٌ لِهذه النصوص الَّتِي أوردتُها عن هؤلاء الأعلام، وأن المعمَّمين من مقلِّدة المذاهب غير داخلين فِي قول ابن القيم: "الذين يسوغ استفتاؤهم ويتأدَّى بِهم فرض الاجتهاد ...". مهما "تَدَكْتَرُوا"؛ لأن المقلِّد غير المجتهد، بل المقلد هو الجاهل! كما هو معلوم من كتب أُصول الفقه.

قال الخطيب البغدادي: ".... حَتَّى يجد طريقًا إِلَى العلم بأحكام النوازل، وتمييز الحق من الباطل، فهذا ما لا مندوحة للمفتي عنه، ولا يجوز له الإخلال بشيء منه"[٢].

ولِهذا كان من الأهمية بِمكان أن يُميِّز طالبُ العلم أهل الفتوى فِي هذا الميدان من غيرهم مِمن تسوَّروا المحراب، أو دخلوه من غير هذا الباب؛ فقد كان سلفُنا الصالح على دِراية تامَّة بذلك.

قال أبو حاتِم الرازي -رحِمه الله-: "مذهبنا واختيارنا اتِّباعُ رسول الله ﷺ وأصحابه والتَّابعين ومن بعدهم بإحسان ... ولزوم الكتاب والسنة، والذَّبّ عن الأئمة المتَّبعة لآثار السلف، واختيار ما اختاره أهلُ السنة من الأئمة فِي الأمصار، مثل مالك بن أنس فِي المدينة، والأوزاعي بالشام، والليث بن سعد بمصر، وسفيان الثوري وحماد بن زيد بالعراق، من الحوادث مِمَّا لا يوجد فيه رواية عن النَّبِي ﷺ والصحابة

(١) المصدر السابق (ص:٤٨)، وانظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص:٢٣١) وصفة الفتوى لابن حمدان الحراني (ص:٣٠).

(٢) الفقيه والمتفقه (٢/٣٣٠).

والتَّابعين، وترك رأي المُلبِّسين المموِّهين المزخرفين المخرقين الكذَّابين!"[١].

إذن فقد بان لذي بصيرة الطالب للحق مَن يسوغ استفتاؤه في هذا.

فما لكم -يا شباب الإسلام!- تتهافتون على السياسة، وتَهوي إليه أفئدتكم، وتأتون مجالسها من كل فجٍّ عميق، كأنَّها لكم! ولعل رجالها لَمْ يُخلقوا بعد في أوساطكم؟!

فأولى لكم: تعلُّم ما في الكتاب والسنة مِمَّا تقدرون عليه ويجب عليكم أو يُستحب؛ لأنه أثبت لاستقامتكم، وأضمن لوصولكم إلَى ما قفزتم إليه الآن، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦].

ولما أضحى العملُ السياسي -الذي يؤمه الشبابُ اليوم- مطيةً للولوغ به إلَى العنف المسمَّى زورًا جهادًا، ولما كان هؤلاء -أنصافُ المتعلِّمين- يهجمون بلا تردد ولا تحفُّظ على البحث في دقائق مسائل الجهاد، أجدني حينئذ حريصًا على نقل كلمة عظيمة لابن تيمية -رحمه الله- قالها في معرض كلامه عن الجهاد.

فقال: "وفي الجملة فالبحث في هذه الدَّقائق من وظيفة خواص أهل العلم"[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس سنوات خدَّاعات، يصدَّق فيها الكاذبُ، ويُكذَّب فيها الصادق، ويؤتَمن فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرُّوَيبضة. قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة». رواه ابن ماجه، وهو صحيح.

قال أبو شامة: "وأكثر ما أُتي الناس في البدع بهذا السبب؛ يُظنُّ في شخص أنه من أهل العلم والتقوى، وليس هو في نفس الأمر كذلك، فيرمقون أقواله وأفعاله، فيتَّبعونه في ذلك، فتفسد أمورهم؛ ففي الحديثِ عن ثوبان ﷺ: أن النَّبي ﷺ قال:

(١) ذكره عنه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣٢٣).

(٢) منهاج السنة (٤/٥٠٤).

«إن مِمَّا أتخوَّف على أمتي الأئمة المضلِّين». أخرجه ابن ماجه، والترمذي وقال: هذا حديث صحيح.

وفي "الصحيح" أن النَّبي ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حَتَّى إذا لَمْ يبق عالِمٌ اتَّخذ الناسُ رءوسًا جُهَّالاً، فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا».

قال الإمام الطرطوشي -رحمه الله-: فتدبَّروا هذا الحديث؛ فإنه يدل على أنه لا يؤتَى الناس قط من قِبَل علمائهم، وإنَّما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماؤهم أفتى من ليس بعالم، فيُؤتَى الناس من قبله. قال: وقد صرَّف عمر ﷺ هذا المعنى تصريفًا فقال: «ما خان أمين قط، ولكن ائتُمن غير أمين فخان».

قال: ونحن نقول: ما ابتدع عالِمٌ قط، ولكن استُفتي من ليس بعالِم فَضَلَّ وأضَلَّ، وكذلك فعل ربيعة؛ قال مالك: بكى ربيعةُ يومًا بكاءً شديدًا، فقيل له: أمصيبة نزلت بك؟ فقال: لا! ولكن استُفتي من لا علم عنده وظهر في الإسلام أمر عظيم"[1][2].

(١) رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/٦٧٠)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٣٩).

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص:١٧٥-١٧٩):

❋ قلت: لقد قلت لنائب علي بن حاج الهاشمي سحنوني في مسجد صلاح الدين بحي بلكور في العاصمة -وهو يستعد لأول مظاهرة لجبهته-: "قد سألنا العلماء: الشيخ الألباني، والشيخ ابن باز عن حكم المظاهرة، فمنعاها، فمن أئمتكم في هذا الشأن؟

فقال: "كما لكم علماء، فلنا علماء!".

❋ قلت: من هم؟

قال: "عبد الرحمن عبد الخالق، ومُحمَّد قطب!!".

فتأمل -أخي القارئ- هذا الذي لا يُفرِّق بين عالم وحالم! وبين فقيه ومفكِّر حائر!! فكيف لا يبكي ربيعة -رحْمة الله عليه- ؟!

ومن ثِمارهم تعرفونهم، فقد قُتل في هذه المظاهرة مئات!!

* قلت: وعلى هذا كان هدي السلف.

قال هشام بن عروة: "ما سمعتُ أبي يقول في شيء قط برأيه، قال: وربَّما سئل عن الشيء فيقول: هذا من خالص السلطان"(١).

وقال ابن هُرْمُز: "أدركت أهل المدينة وما فيها إلا الكتاب والسنة، والأمر ينْزل فينظر فيه السلطان"(٢).

فمن هو الرجل الصالح لذلك إذن؟!

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ١٤٧]. **فهو ليس عالِمًا فقط، بل مبسوطٌ له في العلم!**

قال ابن مسعود ﷺ: «**لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب مُحمَّد، ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا**»(٣).

وقال الشعبي -رحِمه الله-: "**ما جاءك من أصحاب مُحمَّدﷺ فخذه، ودع عنك ما يقول هؤلاء الصعافقة**. قيل: الصعافقة: الذين يدخلون السوق بلا رأس مال، أراد

(١) رواه ابن عبد البر في الجامع (٢٠٥٩- الزهيري).

(٢) المصدر السابق (٢٠٦١)

(٣) أسنده ابن المبارك في الزهد (٢٨١/١)، وعبد الرزاق (٢٥٧/١١،٢٤٩)، وابن الأعرابي في معجمه (٩٢٦)، والطبراني (٨٥٨٩/٩-٨٥٩٢)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٠١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٧٧٦)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٠٥٩، ١٠٦٠ - الزهيري)، والهروي في ذمّ الكلام (ق ١٣٨-ب)، وهو صحيح؛ لأنه جاء في إحدى هذه الطرق من رواية سفيان عن أبي إسحاق السبيعي، وهو أثبت الناس فيه، كما في تهذيب الكمال (١٠٩/٢٢)،

وتابعه جَمْعٌ. وذكر ابن حجر في الفتح (٣٠١/١٣-٣٠٢): أنه رواه قاسم بن أصبغ في مصنفه بسند صحيح عن عمر نحوه.

* قلت: ورواية ابن أصبغ عند ابن عبد البر في جامعه (١٠٥٨).

الذين لا علم لَهم"(١).

وعلى هذا كان أصحاب رسول الله ﷺ؛ ألا ترى كيف لَمْ يختلفوا فِي تولية أبِي بكر ﷺ إلاَّ فِي جلسة واحدة تحت سقيفة؟ الأمر الذي لا تعرفه الديْمقراطيات على الرغم من أنَّها مدعومة بالحديد!

واختاروا أبا بكر ﷺ؛ لأنه كان كما جاء وصفه فِي حديث أبِي سعيد قال: «وكان أبو بكر أعلمنا». متفق عليه.

وقد كان رسول الله ﷺ لا يشاور فِي القضايا السياسية إلا أبا بكر وعمر ومن هم على مستواهما، وما قصة أسرى بدر عنكم ببعيد!

ومِمَّا يدل على أن أهل العلم المبرزين كان لَهم مَجلس خاص بِهم لا يشاركهم فيه غيرهم، ما رواه البخاري (٤٩٧٠) عن ابن عباس ﷺ قال: «كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأنَّ بعضهم وَجَد فِيْ نفسه، فقال: لِم تُدخِل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم!

فدعا ذات يوم فأدخله معهم، فما رُئيتُ أنه دعاني يومئذ إلا لُيرِيَهم.

قال: ما تقولون فِي قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر:١]؟

فقال بعضهم: أُمرْنا نَحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضُهم فلم يَقل شيئًا.

فقال لِي: أكذاك تقول يابن عباس؟

فقلت: لا!

قال: فما تقول؟

قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعْلَمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾:

(١) رواه ابن بطة فِي الإبانة (٦٠٣)، وذكره بهذا اللفظ البغوي -رحمه الله- فِي شرح السنة (١/ ٣١٨).

وذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:٣].

فقال عمر: ما أعلم منها إلاَّ ما تقول».

وإنَّما امتاز ابن عباس بالدخول على المجتهدين دون غيره من الشباب لتميُّزه عنهم بدعاء الرسول ﷺ: «اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل». رواه أحمد، وهو صحيح.

قال ابن القيم: "ودعا النَّبي ﷺ لعبد الله بن عباس أن يُفقِّهه في الدين ويُعلِّمه التأويل، والفرق بين الفقه والتأويل:

أن الفقه هو: فَهْم المعنى المراد.

والتأويل: إدراك الحقيقة الَّتي يئول إليها المعنى الَّتي هي أخيَّته وأصله.

وليس كل من فقه في الدين عرف التأويل، فمعرفة التأويل يختص به الراسخون في العلم"[1].

❋ قلت: تأمل هذا تفهم سبب عدم الاكتفاء في أمر السياسة بالعلم، بل لابدَّ من الرسوخ فيه.

ومن عرف من الشباب تأويل ابن عباس لسورة النصر -المذكورة آنفًا- عرف هل يصلح لهذا الأمر أو لا؟

ولذلك قال ابن حجر -رحمه الله- عقبها: "وإنَّما يتمكَّن من ذلك من رسخت قدمُه في العلم".

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) إعلام الموقعين (٣٣٢/١) ط. دار الجيل.

قصة عظيمة الفائدة لعاشق السياسة

روى البخاري عن ابن عباس قال: «كنتُ أُقْرِئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منْزله بِمنًى، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها، إذ رجع إلَي عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانًا، فوالله ما كانت بيعة أبِي بكر إلا فلتة فتمت، فغضب عمر، ثُمَّ قال: إنِّي -إن شاء الله- لقائم العشية في الناس فمحذِّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. قال عبد الرحمن: فقلت: **يا أمير المؤمنين! لا تفعل؛ فإن الموسم يجمع رعاع[1] الناس وغوغاءهم؛ فإنَّهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيِّرها عنك كل مطير، وأن لا يَعُوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتَّى تقدم المدينة فإنَّها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما**

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (١٢٨/٨): "وفي حديث عمر ﷺ: إن الموسم يجمع رعاع الناس أي: غوغاءهم وسقاطهم".

※ قلت: وإن أنسَ فلن أنسَى يوم كانت السلفية "جدَّة العصر" وكان علي بن حاج -الذي قيل عنه: إنه سلفي- يدعو إليها بِحماسة جعل عباسي مدني يشكوه إلَيّ -بِحكم الجوار الذي بيني وبين هذا الأخير- ويصفه بـ"الصبي الفتان الذي يشوِّش على الأمة بالمواضيع الهامشية! والأمة مشغولة بأدهى منها ...".

لكن لَمْ يلبث ابن حاج إلا قليلاً حتَّى وقع في خناق الرعاع، فقد كان يكون في درس التفسير مثلاً، فيتنحنح الحضور من الملل، فيفهم هو ضرورة تغيير اللهجة العلمية الهادئة إلَى لهجة سياسية همجية، فيُكبِّر شجعانُهم، فإذا بالشيخ المفسر رجل آخر، قد صُنع على عين الغوغاء ووقع فريسة في أيديهم، نسأل الله الثبات، والصبر على إرضائه وحده.

قلت متمكِّنًا، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها.

فقال عمر ﷺ: أما والله -إن شاء الله- لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة..».

فما أعظم هذه المشورة! وما أقواه من مجتمع عرف مقادير الأشياء!

وأين هذه التربية والنظر الحصيف من قوم يذيعون كل خبر عند العوام والخواص؟! خاصة منها الأخبار السياسية الَّتي فتنت الناس اليوم، يتحدثون عنها في حماسة كبيرة كأنَّهم يستغيثون بالخلق من ظلم الخلق، لا ترى عليهم هذه الحماسة وهم يقرِّرون التوحيد ويدفعون الشرك، إن فعلوا!

وهل كان عمر يَجمع الناس ويقول لَهم: اجْمعوا لِي قصاصات الجرائد، وأنا أحللها لكم علانية في شجاعة تامة، لا أخاف حاكمًا ولا طاغوتًا؟!

كلا! لا يتصور هذا في عمر ﷺ الذي زجره النَّبِي ﷺ زجرًا شديدًا عن تتبع صحائف أهل الكتاب، فعن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النَّبِي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النَّبِي ﷺ فغضب قال: **«أمُتَهَوِّكون فيها يابن الخطاب؟![1] والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذِّبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتَّبعني»**. رواه أحمد وغيره، وهو صحيح.

ثُمَّ ألا تذكرون قصة الشورى في اختيار الخليفة من بعد عمر؟ ألَم يكن الصحابة أكثر من عشرة آلاف؟ فلم يزد الأمر على أن تشاور ستة من أعيانهم فقط!

وشبابنا اليوم يريدون من كبار المشايخ أن يخرجوا من الكتب الصفراء ليشاركوا أمتهم أحزانَها زعموا!! يريدون منهم أن يكونوا تحت ضغط الاستفزازات السياسية!

---

(١) "التهوُّك: كالتهور، وهو الوقوع في الأمر بغير روية، المتهوك: الذي يقع في كل أمر. وقيل: هو التحير"، كذا في النهاية لابن الأثير (٥/٢٨٢).

الا فهاكم كلمة حكيمة للشيخ ابن عثيمين -رحِمه الله- لما سأله بعض المستعجلين في جرأة سخيفة:

لماذا لا تردُّون على الحكام، وتُبيِّنوا ذلك للناس؟

قال الشيخ -في وقاره وحلمه-: " ... ولكن النصح مبذول ... والله! أنا أعلمتُك يا أخ "فلان!"، وأعلمتُ الإخوان أن بيان ما نفعله مع الولاة فيه مفسدتان:

- المفسدة الأولى: أن الإنسان يَخشى على نفسه من الرياء، فيبطل عمله.

- المفسدة الثانية: أن الولاة لو لَمْ يُطيعوا صار حجة على الولاة عند العامة فثاروا، وحصَل مفسدة أكبر"[(١)].

فتأملوا هذا الجواب الحكيم؛ فإنه مستوحى من جواب بعض السلف حيث طلب منه بعض الثائرين أن ينكر على الخليفة عثمان بن عفان ﷺ.

ففي الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه قيل له: «ألا تدخل على عثمان لتكلمه؟ فقال: أترون أنِّي لا أكلمه إلا أُسمِعكم؟ والله! لقد كلَّمته فيما بيني وبينه، ما دون أن أفتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتحه».

وفي رواية: «إنِّي أكلمه في السر».

ومثله ما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «دخلتُ على حفصة ونسْوَاتُها تنطف، قلت: قد كان من أمر الناس ما تَرَيْن، فلم يُجعل لي من الأمر شيء. قالت: الْحق فإنَّهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فُرقة! فلم تدَعْهُ حتَّى ذهب، فلما تفرَّق الناسُ خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليُطْلع لنا قرنه، فلنحن أحقُّ به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلاَّ أجبته؟ قال عبد الله: فحللتُ حَبْوتِي وهممت أن أقول: أحقّ بِهذا الأمر منك مَن قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيتُ أن أقول كلمة تفرّق بين الجمع، وتسفك الدم، ويُحمَل عني

(١) من شريط أسئلة حول لجنة الحقوق الشرعية في موضعين منه.

غير ذلك، فذكرتُ ما أعدَّ الله فِي الجنان، قال حبيب: حُفظت وعُصمت».

❊ **قلت:** يظهر من هذه الرواية رجاحة عقل ابن عمر رضي الله عنهما وسياسته الرشيدة؛ حيث منَعته مصلحة اجتماع الأمة على رجل واحد من ذكر مصلحته الخاصة، على الرغم من أن معاوية رضي الله عنه كان يقصده بكلمته تلك؛ كما فِي رواية عبد الرزاق بسند البخاري نفسه، قال الراوي: «يُعَرِّض بعبد الله بن عمر»[1].

ثُمَّ لابد من التنبيه على أنه جاء فِي "أمالي ابن الأنباري" زيادة بالسند الآتي: قال الراوي: حدثنا مُحمَّد ثنا أبو بكر ثنا موسى بن مُحمَّد الخياط[2] ثنا عثمان بن أبِي شيبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن حبيب بن أبِي ثابت عن هزيل بن شرحبيل قال: «خطب الناس معاوية فقال: لو بايع الناسُ عبدًا مجدَّعًا لتبعتُهم، ولو لَمْ يبايعونِي برضاهم ما أكرهتُهم. فنَزل، فقال له عمرو بن العاص: قد قلت قولاً ينبغي أن تأمَّله، فرجع إِلَى المنبر فقال ..."[3].

❊ **قلت:** فيُفهَم من هذه الرواية أن معاوية قال كلمة تواضع فِي وقت اشتداد الفتن -أي: أيام صفين كما نبَّه عليه الحافظ- الأمر الذي يتنافى مع سياسة الأمة بالحزم سدًّا لأبواب الشر، ولذلك لما نبَّهه عمرو بن العاص رضي الله عنه غيَّر اللهجة، وهذا -بغضِّ النظر عن قضية صفين- هو الذي تقتضيه السياسة؛ فقد نص بعض الفقهاء على أن سلوك السياسة هو الأخذ بالحزم[4]، وعند بعضهم أن السياسة شَرْعٌ مغلَّظ[5]، والله أعلم.

---

(١) المصنف (٥/٤٦٥).

(٢) ترجم له ابن عساكر فِي تاريخ دمشق عند حرف الميم.

(٣) مجلس من أمالي ابن الأنباري (ص:٢٥).

(٤) انظر: الإنصاف للمرداوي (١٠/٢٥٠).

(٥) انظر: معين الحكام لعلاء الدين الطرابلسي (ص:١٦٤)، وحاشية ابن عابدين (٤/١٥).

أذكركم بهذا لتعلموا أن شيوخ السلفية لا يتخطّون خطا السلف، فليعرف لَهم قدرهم من للحق انتصف.

فيا شباب الإسلام! توعية الأمة ليست بحاجة إلَى داعية متحمِّس، ولكن إلَى مجتهد متفرس!

فهل آن لكم أن تفرقوا بينهما؟!

وأن تعرفوا أن فقه الواقع راجع إلَى الذين شابت رءوسهم مع نصوص الشارع؟!

إنكم بجرأتكم هذه على أهل العلم واستصغاركم لَهم واستخفافكم العملي بالوحيين وحملتهما، وتعظيمكم المدهش لحملة قصاصات الجرائد لنذير شر مستطير؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:٣٠].

وتأملوا ما رواه البخاري عن ابن عباس: «أن أبا بكر خرج، وعمر يكلم الناس فِي وفاة رسول الله ﷺ، فقال: اجلس يا عمر. فأبَى عمر أن يجلس، فقال: اجلس. فأبَى أن يجلس، فتشهد أبو بكر ﷺ، فمال إليه الناسُ وتركوا عمر».

تركوا عمر، وما أدراك ما عمر! لأنَّهم وجدوا أفضل وأعلم من عمر.

وبرباطة جأش أبِي بكر، وبِحسن استماع الرعية، وبعدهم عن الحماسة الَّتِي لا تدعمها النصوص عُرف مصدر التلقي، فخمدت الفتنة فِي مهدها.

فلماذا زهدتم فِي المشايخ الكبار الذين أفنوا أعمارهم مع العلم تعلُّمًا وتعليمًا مع جَلد فِي الدعوة إلَى الله أمثال الشيخ: ابن باز، والشيخ: ابن عثيمين، والشيخ: صالح الفوزان، وغيرهم، ومِلْتم إلَى "طلبة العلم!!"، أول خطئهم التشبّع بِما لَمْ يعطوا حين عُنُوا بالتوجيه السياسي، وقد كفاهموه هؤلاء، لولا أنه قد قيل -ويا بئس ما قيل-: "علماؤنا ... عندهم تقصير فِي معرفة الواقع .. نَحن نستكملهم!!"

وحتَّى الشيخ الألباني الذي ظل رَدْحًا من الزمن متَّهمًا بِما اُتُّهم به إخوانُه من المذكورين، رَقَّوْه اليوم وأوصلوه بصف فقهاء الواقع، لكن على حذر شديد جدًّا؛

لأنه لا يزال عندهم مُحدِّثًا فقط!! ولذا لَمْ يبلغ رتبة فقيه الواقع -عندهم- بفقهه، ولكن بفتواه فِي قضية الخليج الَّتِي وقعت فِي الوقت المناسب على قلوب تَهواها، لا لدليلها، ولكن لتهييجها السياسي!

ومثل هذا تظاهر بعض "الإخوان المسلمين" بِحبٍّ ابن تيمية والإشادةَ بفضله، لا باعتبار عقيدته وفقهه وجهاده العلمي؛ لأن هذا لا يهتمون به إن لَمْ يقفوا فِي وجهه؛ لكن فقط لأنه وقف فِي صف الجهاد ضد التتار.

فتأمل هذا الولاء السياسي المحض، وقل: لا حول ولا قوة إلا بالله!

ولو حضرت حلقات الشيخ ابن باز -رحمه الله- لبكيتَ لنفرة الشباب "الواعي!!" منها، وهو من هو علمًا وسمتًا ووقارًا، ثُمَّ هم يزدحمون على الدروس العاطفية والسياسية الَّتِي تنفخ ولا تربي، وإن ربَّت ففي حدود البنود الحزبية؛ ذلك لأنَّهم يجهلون أن الشيخ وأمثاله يقدِّمون دروسهم على ذلك النمط؛ لأنه منهج عرفوه من سيرة الرسول ﷺ، أقصد ما قاله بعض السلف: "الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره". كما يأتِي بيانه قريبًا فيما رواه البخاري.

وهؤلاء يقولون: "يقدِّم علمًا جافًّا!!"، ويقصدون جفافه من تزويقات قُصَّاص هذا الزمان، والكلمات المنمقة المؤنَّثة الَّتِي يبهرجون بِها؛ سترًا لعورتهم العلمية، وتغريرًا بالسذج إلَى بدعتهم الحزبية، والحقيقة أنه هو العلم لو وجدوا له صبرًا.

لقد عقد البخاري -رحمه الله- فِي صحيحه فِي "باب العلم قبل القول والعمل"[1] مقارنةً بين ابن عباس وأبِي ذر رضي الله عنهما؛ يبيِّن بها معنى "الرباني" فِي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

(١) الفتح (١٩٣/١) وما بعدها من الطبعة الجديدة.

بيِّن فيه أن أبا ذر ﷺ كان يذيع كل خبر يَعْلَمه من رسول الله ﷺ خوف كتمان العلم، وقد لا يراعي فِي ذلك مستوى الناس أو قدرتهم على التحمل.

وأما ابن عباس فخلاف ذلك.

قال -رحمه الله-: "وقال أبو ذر: «لو وضعتم الصَمْصامة[١] على هذه -وأشار إلى قفاه- ثُمَّ ظننت أنّي أُنفذ كلمة سمعتها من النّبِي ﷺ قبل أن تُجيزوا علي لأنْفذتُها».

وقال ابن عباس: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾. حكماء فقهاء، ويقال: **الرباني: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره**". اهـ من صحيح البخاري.

قال ابن حجر: "وهذا التعليق رُوِّيناه موصولاً فِي مسند الدارمي وغيره من طريق الأوزاعي: حدثني أبو كثير -يعني: مالك بن مرثد- عن أبيه قال: «أتيت أبا ذر، وهو جالس عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس يستفتونه، فأتاه رجل فوقف عليه ثُمَّ قال: ألم تُنْه؟ فرفع رأسه إليه، فقال: أرقيب أنت علي؟ لو وضعتم ...». فذكره مثله، ورويناه فِي الحلية من هذا الوجه، وبيَّن أن الذي خاطبه رجل من قريش، وأن الذي نهاه عن الفتيا عثمان ﷺ"[٢].

وفِي باب "ما كان النّبِي ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا" قال ابن حجر: "ومناسبته لما قبله ظاهرة من جهة ما حكاه أخيرًا من تفسير الرباني، كمناسبة الذي قبله من تشديد أبِي ذر فِي أمر التبليغ لما قبله من الأمر بالتبليغ، وغالب أبواب هذا الكتاب لمن أمعن النظر فيها لا يخلو من ذلك"[٣].

---

(١) الصَّمَصامة هي: "السيف القاطع"، لسان العرب بتحقيق علي شيري (٤١٤/٧).

(٢) هو فِي الحلية لأبِي نعيم (١١٩/١) موصولاً، وصححه ابن حجر فِي "المطالب العالية" (٣٠٥١)، وزاد نسبته لإسحاق بن راهويه.

(٣) الفتح (١٩٥/١) أي: يريد بيان سر ترتيب الإمام البخاري -رحمه الله- لثلاثة أبواب متتابعة وهي قوله: "باب قول النّبِي ﷺ: رُبَّ مبلّغ أوعى من سامع"؛ وفيه الحث على تبليغ العلم، ثُمَّ =

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "وفيه أيضًا تنبيه لأهل العلم على تربية الأمة كما يُربِّي الوالدُ ولده؛ فيُربونهم بالتدريج والترقي من صغار العلم إلى كباره، وتحميلهم منه ما يطيقون كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصال الغذاء إليه..."[1].

وقد ذكر ابنُ حجر أيضًا في موضع آخر فقال بعد ذكر الخلاف بين أبي ذر، وجمهور الصحابة في كنز المال عن شداد بن أوس أنه قال: «كان أبو ذر يسمع من رسول الله ﷺ الحديث فيه الشدة ثُمَّ يخرج إلى قومه، ثُمَّ يرخص فيه النَّبي ﷺ فلا يسمع الرخصة، ويتعلق بالأمر الأول».

وقال مالك: "اعلم أنه ليس يَسْلَم الرجلُ حَدَّث بكل ما سمع، ولا يكون إمامًا أبدًا، وهو يحدث بكل ما سمع" رواه مسلم في مقدمة صحيحه.

❁ قلت: ولعله السر في قول النَّبي ﷺ لأبي ذر: **«يا أبا ذر! إنِّي أراك ضعيفًا، وإنِّي أحب لك ما احب لنفسي، لا تأمَّرنَّ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنَّ مال يتيم»**. رواه مسلم.

قال الذهبي: "وقد قال النَّبي ﷺ لأبي ذر -مع قوة أبي ذر في بدنه وشجاعته-: **«يا أبا ذر إنِّي أراك ضعيفًا»**.

فهذا محمول على ضعف الرأي؛ فإنه لو ولي مال يتيم لأنفقه كله في سبيل الخير، ولترك اليتيم فقيرًا؛ فقد ذكرنا أنه كان لا يستجيز ادِّخار النقدين، والذي يتأمر على الناس، يريد أن يكون فيه حلم ومداراة، وأبو ذر ﷺ كانت فيه حدَّة -كما ذكرناه- فنصحه النَّبي ﷺ"[2].

قوله: "باب: العلم قبل القول والعمل"؛ وفيه تفسير معنى الرباني، وذلك بلزوم الحكمة في التبليغ، ثُمَّ قوله: "باب: ما كان النَّبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا"؛ وفيه بيان لاختياره في معنى الرباني، فتدبر هذا.

(١) مفتاح دار السعادة (٦٩/١).

(٢) السير (٧٥/١).

الخلاصة

إن من يعلم الناس عامةً القضايا السياسية ليس ربَّانيًّا، وإن زعم أنه يريد توعية الغافلين، وتحريك الجامدين، أو يريد تحقيق شمولية العمل الإسلامي.

ألا ترى ما بوَّب له البخاري، حين قال: "باب: من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا!".

وروى فيه عن علي ﷺ قوله: «حدِّثوا الناس بِما يعرفون أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله؟!».

وفِي صحيح مسلم أنَّ ابن مسعود ﷺ قال: «ما أنت بِمحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة».

وفِي الصحيحين أن أبا هريرة كره التحديث بحديث الجرابَيْن -الذي فيه تنقُّص بعض الحكام- لظهور بوادر الخروج عليهم فِي وقته مع تفشي الجهل، وكان يقول ﷺ: «لو شئتُ لسَمَّيْتُهم!».

ومثله عن حذيفة ﷺ، قال الحافظ: "ولِهذا كره أحمد التحديث ببعض دون بعض الأحاديث الَّتي ظاهرها الخروج على السلطان...".

ولِهذا كان الصحابة يأمرون السلطان بالمعروف وينهونه عن المنكر سرًّا، ولا يُفشُون ذلك؛ خشية إثارة الفتن، وخشية حبوط عملهم بإعلانه، وهم أَغْيَر منا على دين الله، وأعلم منا بطرق النصح الناجعة.

* فقد سئل العلامة عبد العزيز بن باز: عن نقد الحكام من فوق المنابر؟

* فأجاب بقوله: "ليس من منهج السلف التشهيرُ بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يُفضي إِلَى الفوضى وعدم السمع والطاعة فِي المعروف،

ويُفضي إلى الخوض الذي يضرُّ ولا ينفع ....

ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان ﷺ، قال بعضُ الناس لأسامة بن زيد ﷺ: «ألا تُكلِّم عثمان؟ فقال: **إنكم ترون أنّي لا أكلّمه إلا أُسْمِعكم؟! إنّي لأكلّمه فيما بيني وبينه، دون أن أفتح أمرًا لا أُحبُّ أن أكون أوّل من افتتحه**». أخرجه البخاري ومسلم.

قال الشيخ عقبه: "ولَمَّا فتحوا -أي: الخوارج- الشرَّ في زمان عثمان ﷺ، وأنكروا على عثمان جهرة تَمت الفتنة والقتالُ والفسادُ الذي لا يزال الناسُ في آثاره إلى اليوم، حتَّى حصلت الفتنةُ بين عليٍّ ومعاوية، وقُتل عثمانُ بأسباب ذلك، وقُتل جمعٌ كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني، وذكر العيوب علنًا، حتَّى أبغض الناسُ وَليَّ أَمْرهم وقتلوه! نسأل الله العافية"[1].

فتأمل تصرف هؤلاء الحكماء من فقهاء الصحابة ومن تبعهم بإحسان، وقارن بينه وبين تصرف متناقضي زماننا، الذين إن سَلَّموا بأن الردود على الحكام بالطريقة المعروفة اليوم لا يُجنى منها خير، فإنَّهم يزعمون أنه لابد من بيان تخطيطهم الماكر للمسلمين وفضح أسرارهم ليعرفوهم ... إلخ، كأنه لَمْ يبق من بنيان دين المسلمين إلا هذا، مع أن أكثر ديار المسلمين لا تزال مقيمة على شرك القبور!

ولتعلم قيمة العلماء الربانيين اقْتَنِ الأشرطة المسجلة الَّتِي ناقش فيها الشيخُ الألباني الدكتور ناصر العمر؛ فإن فيها علمًا جَمًّا.

وأذكر بهذه المناسبة أن هذا الأخير حين ذكر أن أصل كتابه: "فقه الواقع" مُحاضرة عامة اعترض عليه الشيخ، قائلاً: "هذا خطأ؛ لأن فقه الواقع لا يكون إلا بين العلماء أو الأقوياء من طلبة العلم ..."[2].

---

(١) من كتاب المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم للوايلي (ص:٢٢-٢٣).

(٢) من سلسلة الهدى والنور رقم (١/٦٠٥)، وهو أحد الأشرطة الكثيرة الَّتِي كانت بينهما، والَّتِي فكَّ الله أسرها من أيدي قوم حرصوا على كتمانها، أسأل الله تعالى أن يأذن بتسريح البقية.

ومن خالف هذا المنهج الرصين وقع وأوقع فِي فتنة عظيمة؛ لأنَّ التحليلات السياسية من أصعب الأمور، ثُمَّ الاختلاف فِي يسيرها أسرع شيء إحراجًا للصدور، وأكثر فتنة للناس لضيق عَطَنهم، خاصة فِي عصر أضحى فيه الولاء والبراء بين "الإسلاميين الواعين!!" سياسيًّا بالدرجة الأولى لا عقديًّا[1].

---

(١) لقد منَّ الله على الشيخ الألباني بجرأة فِي الحق نادرة، ومنها إفتاء الفلسطينيين بالهجرة من بلدهم على تفصيل يطلب من التسجيلات، فإذا بالثائرة تثور، كأن الشيخ كفر أو اعتدى على صفة من صفات الله تعالى، وأخذ المبتدعة يطبِّلون للفتنة، مع أنَّها مسألة فقهية قد وافقه عليها كثير من الراسخين فِي العلم كالشيخ ابن باز مثلاً، وقد طبع بالجزائر كتاب بعنوان: حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية بتحقيق د: مُحمَّد بن عبد الكريم، من هذه الثلاث: "**أسنى المتاجر فِي بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى، ولَمْ يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر**" لأحمد بن يحيى الونشريسي (طبعة سنة ١٩٨١م)، وقد أعده للتحقيق أحد إخواننا من بلاد الشام، فعسى أن يكون صدوره قريبًا ليدفع عن مقدَّسي الأوطان الريبة.

※ ثُمَّ أقول: لماذا هذه الشنشنة، والغفلة عما هو أعظم منها؟! كإنكار العقيدة السلفية، ومنها الاستواء على العرش وغيرها من المسائل الَّتِي يتقزز منها مثيرو هذه الفتنة كالبوطي والغزالي ومصطفى الزرقاء وغيرهم من المعروفين بالتمذهب والتقليد -فيما يسمونه- بالحيض، والنفاس، و"التمجهد" فِي دماء وأعراض الناس!! الخائفين من الضغط الشعبي! المستجيبين للسياسات القومية والبعثية! فتنبهوا -معشر المسلمين عامة، والسلفيين خاصة!- إلَى أن ولاءكم عقدي قبل كل شيء، وتفطنوا إلَى الذين يصطادون فِي المياه العكرة باستغلال الأزمات السياسية الَّتِي تخنق الجماهير مع عاطفة فلسطين الجريحة! لا همَّ لَهم إلا إسقاط المنهج السلفي! ولو كانوا منصفين لأهمَّهم ما هم فيه من حيرة عقدية عن خطأ الشيخ الفقهي لو كان خطأ.

ولو تسمَّحنا وقلنا لَهم: ليعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه ... فبماذا يجيبون؟! أم هي قاعدة خالصة لَهم من دون سائر المؤمنين؟! أم يجوز للبوطي أن يجعل لبعضهم دعاية عظيمة لبيعته، ويجد من يستر عنه هذه الجريمة ليخلو له المجال حَتَّى يقول: "عباسي مدني رجل مختص فِي علم النفس، ثقافته الإسلامية ضئيلة، ضئيلة جدًّا، وأعرفه وعشت معه، وتجالسنا مرارًا وتكرارًا.

وأنا أقول: لو أن فئة سألتني: هل يجوز أن يُنصَّب رئيس دولة إسلامية لتطبيق الإسلام؟ أقول: لا =

الجامعون لفنون الشريعة
هم السياسيون الشرعيون

لَمَّا كان لا يُفتِي فِي السياسة إلا العالِم الْمُجتهد، كان لا يُمارس السياسة إلا هو.

قال الشاطبي -رحمه الله-: "فإذا بلغ الإنسان مَبْلَغًا فَهِمَ عن الشارع فيه قصده فِي كل مسألة من مسائل الشريعة، وفِي كل باب من أبوابها، فقد حصل له وصفٌ هو السبب فِي تنزله منزلة الخليفة للنَّبِي ﷺ فِي التعليم والفتيا والحكم بِما أراه الله"[1].

وقال الشافعي -رحمه الله-: "ولا يشاور إذا نزل المشكل إلا أمينًا عالمًا بالكتاب

يصلح؛ لأن علماءنا قالوا فِي باب الإمامة الكبرى: من شروط الإمام الذي يريد أن يطبق الإسلام أن يكون بصيرًا فقيهًا ذا ثقافة إسلامية واسعة ...". من تسجيلات شرح رياض الصالحين له برقم (٤٥٦).

وهذا الحق الذي قاله فِي عباسي مدني يُفهم منه أن البوطي ما دعا إلَى بيعة ذاك إلا لأنه رآه "بصيرًا فقيهًا ذا ثقافة إسلامية واسعة!!".

والبوطي وأمثاله يقولون ما يشاءون من التناقض، آمنين من أن يفطن لَهم، مستغلين فِي ذلك وضعين:

الأول: وضع الأمة من حيث جهلها.

الثاني: وضع الدعوات الإسلامية بزعامة الحزبيات الإخوانية خاصة، الَّتِي لا تستعمل مجهر النقد إلا على السلفيين لتقلِّص من حجم الحق الذي عندهم حتَّى يصير باطلاً، بطرق تدربوا عليها من وسائل الإعلام الكافرة الَّتِي يفقهون عنها الواقع! وتحجب عن الواقع باطل المنحرفين الذين تحتاج إليهم "مرتزقة" لحرب السلفيين: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

(١) الموافقات (٤/١٠٦-١٠٧).

والسنة، والآثار وأقاويل الناس، والقياس ولسان العرب". مختصر المزني.

قال ابن الصباغ في "الشامل": "اعتبر الشافعي أن يكون الإمام من أهل الاجتهاد؛ لأنه إذا لَمْ يكن من أهل الاجتهاد فلا قول له في الحادثة"[١].

وقال الشاطبي: "إن العلماء نقلوا الاتفاق على أن الإمامة الكبرى لا تنعقد إلا لمن نال رتبة الاجتهاد والفتوى في علوم الشرع"[٢].

❋ قلت: وهذا الاتفاق لا يضره وجود المخالف؛ لأن من خالف فقد شرط الاجتهاد فيمن يستفتيه الإمام، كما قال الشهرستاني: "ولكن يجب أن يكون معه من يكون من أهل الاجتهاد فيراجعه في الأحكام"[٣].

فعاد الأمر إلَى اشتراط الاجتهاد سواء في الإمام نفسه أو فيمن يرجع إليه الإمامُ من الفقهاء.

وقال ابن حمدان الحراني: "المجتهد المطلق وهو الذي ذكرناه آنفًا إذا استقلَّ إدراكه للأحكام الشرعية من الأدلة العامة والخاصة، وأحكام الحوادث منها ..."[٤].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) نقلاً عن الاجتهاد للسيوطي (ص:٦٢).

(٢) الاعتصام (٢/١٢٦).

(٣) الملل (١/١٦٠).

(٤) صفة الفتوى (١٦).

نكت في آيات الكتاب

مَن تدبر آيات الكتاب الكريم في كل حديث عن الخلفاء الشرعيين -ونحن نُحب أن تكون الخلافة لفقهاء الشريعة ولا ريب- يجد أن الله ما ذكر أحدًا منهم إلا وصفه بالعالم المحيط بفنون الشريعة.

* فآدم ﷺ أوَّل من ساس البشر، ميَّزه الله عن الملائكة بالعلم حتَّى كانت الخلافة له دونَهم، ومهما اختلف المفسرون في كلمة: ﴿خَلِيفَةً﴾. الَّتي في أول سورة البقرة، فإنه لا ينتفي عنها معنى السلطان.

وهذا الذي أشار إليه ابن تيمية حين قال: "في الخلافة والسلطان، وكيفية كونه ظلّ الله في الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]. وقال الله: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:٢٦]. وقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. يعم آدم وبنيه، لكن الاسم متناول لآدم عينًا، كقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]..."[1].

ولهذا قال القرطبي -رحمه الله-: "هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يُسمَع له ويطاع ..."[2].

* وأقول: إن الله اختار آدم لخلافةِ الأرض دون الملائكة لا لكونه عالمًا ببعض دون بعض، ولكن لكونه مُحيطًا بما عبَّر الله عنه بلفظ الكلية، حين قال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ [البقرة:٣١]. ولَمْ يسكت، ولكن زاد: ﴿كُلَّهَا﴾.

(١) مجموع الفتاوى (٤٢/٣٥).
(٢) تفسير القرطبي (٢٦٤/١)، وانظر: أضواء البيان (٥٨/١).

* ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل:١٥-١٦].

قال ابن باديس -رحمه الله-: "﴿عِلْمًا﴾. نوعًا عظيمًا ممتازًا من العلم، جمَعا به بين المُلك والنبوة، وقاما بأمر الحُكم والهداية".

وقال: "تنويه وتأصيل: قد ابتدأ الحديث عن هذا الملْك العظيم بذكر العلم، وقُدِّمت النعمة به على سائر النعم تنويهًا بشأن العلم وتنبيهًا على أنه هو الأصل الذي تنبني عليه سعادة الدنيا والأخرى، وأنه هو الأساس لكل أمر من أمور الدين والدنيا، وأنَّ الممالك إنَّما تُبنى عليه وتُشاد، وأن الملك إنَّما يُنظَّم به ويُساس، إنَّ كل ما لَمْ يُبْن عليه فهو على شفا جرف هار، وأنه هو سياج المملكة ودرعها وهو سلاحها الحقيقي، وبه دفاعها، وأن كل مملكة لَمْ تُحْمَ به فهي عُرضة للانقراض والانقضاض"[1].

* ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٣-٨٤].

قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسُّدي وغيرهم: "يعني: علمًا"[2]. **أي من كل شيء علمًا، إذن فهي الإحاطة بكل فنون العلم.**

فتأمَّل العلم المبسوط على هؤلاء السياسيين الصالحين، وقد روى أبو حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يُحدِّث عن النَّبي ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسُهم الأنبياء، كلما هلَك نبيٌّ خَلَفَه نبيٌّ، إلا أنه لا نبيَّ بعدي**». متفق عليه.

ومصداقه في كتاب الله قوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ

(١) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص:٣٣٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٤١٩).

بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ...﴾ [المائدة:٤٤] الآية.

إذن فالسياسة كانت للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؛ لأنهم كانوا أحقَّ بها وأهلها، فإذا مات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كانت نصيب ورثتهم قال رسول الله ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء». رواه الترمذي وهو حسن.

فما لطلبة العلم يحومون حول التركة طامعين، وليس لَهم فيها نصيب لا تعصيبًا ولا مفترضين؟!

ولهذا كان من دقة التعبير القرآني أن وصف الله الرجال المستحقين للإمامة بـ"اليقين" في علمهم فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

فجعل اليقين بدل العلم للفرق الواضح بين مجرد العلم وبين علم اليقين، والمقام مقام إمامة واقتداء.

وقد قال ابن القيم -رحمه الله-: "فأخبر أن إمامة الدين إنَّما تنال بالصبر واليقين"[١]. فما أعظم أسرار الكتاب!

ومن هنا قال ابن تيمية: "كان الرسولُ وخلفاؤه يسوسون الناس في دينهم ودنياهم، ثُمَّ تفرقت الأمور: فصار أمراء الحرب يسوسون الناس في أمر الدنيا والدين الظاهر، وشيوخ العلم والدين يسوسون الناس فيما يُرجَع إليهم فيه من العلم والدين"[٢].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) زاد المعاد (١٠/٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٥١/١١-٥٥٢).

تنبيهان

١- لا يزول العجب من قوم -أحسن ما يقال فيهم أنَّهم طلبة علم- يقيسون أنفسهم على ابن تيمية -رحِمه الله- فمارسوا السياسة بدعوى أن ابن تيمية كان يُمارس السياسة!

*** والجواب من ثلاثة أوجه:**

- **الأول**: أن هذا النوع من الاستدلال بأحوال الرجال على حكم شرعي خبط منهجي لا تعرفه السلفية، وخطأ **يقدح فِي توحيد المتابعة**؛ وذلك لأن ابن تيمية -كغيره من أهل العلم- **يُستدلُّ له ولا يُستدل به**، كما ذكر ذلك هو نفسه -رحِمه الله- فِي "رفع الملام" وغيره من مصنفاته، فهل من متذكر؟!

- **الثانِي**: أن ابن تيمية -رحِمه الله- لَمْ يُمارس السياسة، وإنَّما أفتى فِي السياسة، كما أفتى فِي غيرها من فنون الشريعة، وقد كان يقول: "**أنا رجل ملة، لا رجل دولة**"[١].

- **الثالث**: أين أنتم من ابن تيمية؟! ذلك المجتهد المطلق، يقاس عليه طلبة العلم اليوم؟! ما أشبهه بقياس الحدّادين على الملائكة! قال رسول الله ﷺ: «**المتشبِّعُ بِما لَمْ يُعْطَ كلابس ثوبَي زور**». متفق عليه.

٢- **واغرق فِي الخطأ**: من يحتجّ بممارسة يوسف ﷺ السياسة حين قال: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ**﴾ [يوسف:٥٥]. مع أنه ﷺ ما دخلها إلا وله شهادة من الله مكتوب عليها: ﴿**إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٥٥][٢].

---

(١) العقود الدرية لابن عبد الهادي (ص:١٧٧).

(٢) انظر: بَهجة قلوب الأبرار للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص:١٥٠-١٥١).

وأهل البلاغة يفرقون جيدًا بين "الحافظ" و"الحفيظ"، وبين "العالِم" و"العليم"، فتدبر هذا فإنه من أسرار الكتاب الحكيم!

كما أنه يُتعجَّب من آخرين سوغوا لأنفسهم استلام الوظائف السياسية اليوم بما في ذلك البرلمانات الكافرة أو الفاجرة، مُحتجّين بفعل يوسف -عليه الصلاة والسلام-، غافلين عن أنه ﷺ لَمْ يسألها، ولكن عرضها عليه الملك نفسه، ولَمْ يقبلها إلا بعد أن ضمن له الأمن والتمكين، **فلا مضايقات ولا استفزاز، ولا تنَزلات، ولا استدراج، ولا مساومات، ولا احتجاج**، ولذلك تأمل ترتيبه في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٥٤-٥٥].

وأما هؤلاء فقد أُعجبوا بإيمانهم، وحسنوا ظنهم بأنفسهم حتَّى صوّر لَهم الشيطانُ خيال التصلب في الحق، وهم ذائبون في رضا أنظمة الخلق، والله المستعان.

أما يوسف ﷺ فلم يميِّع دينه، ولَمْ يألُ من السياسة الشرعية جُهْدَه، ولا نفذ قانون الملك الكافر باسم مصلحة الدعوة؛ قال الله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٧٦][(١)].

ولو تنَزلنا جدلاً إلَى مُدّعاهم، لقلنا كما قال علماء أصول الفقه: "شرع من **قبلنا ليس شرعًا لنا فيما خالف فيه شرعنا**". وقد خالفه؛ لأننا نُهينا عن سؤال الإمارة كما في حديث عبد الرحمن بن سَمُرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عبد الرحمن! لا تسأل الإمارةَ؛ فإنك إن أُعطيتها عن مسألة وكلتَ إليها، وإن أُعطيتها من غير مسألة أُعنتَ عليها**». متفق عليه.

ولقلنا: إن يوسف -عليه الصلاة والسلام- قد زكّاه الله ولا يَعمَل إلا بأمر الله، أي: كل البشر تجري عليهم القاعدة المذكورة، ألا وهي: «**إن أُعطِيتَها عن مسألة**

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٩/٢٣٨).

وُكِلْتَ إليها ...». إلا من زكّاه الوحي الذي لا يعتريه الخطأ.

أما هؤلاء "المتكايسون" اليوم فهم خاضعون للأوضاع القانونية اليومَ أو غدًا، بل قبل أن يُمارسوا السياسة لابد أن يحلِفُوا على احترام الدستور! وقد حَصَلَ، بل لا نعرف أن غيره قد حصل، فعجبًا لمن يُنَحِّي الكفر بالكفر!

❊ فتحصل من هذه العجالة أجوبة خمسة هي:

- أن يوسف ﷺ لَم يسأل الإمارة، وإنَّما عُرضت عليه، كما يدل عليه السياق، وكل ما في قوله: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾ بيان لتخصصه واختياره.

- أنه ﷺ أمِن من مضايقات النظام، ومُكِّن للعمل بشريعة الإسلام، وهذان الأمران خيال في واقع أنظمة الأرض اليوم.

- أنه ﷺ مزكّى بما أنه رسول، فيُؤمن عليه ما يُخاف على غيره؛ فعن مُحمَّد بن سيرين: «أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين، فقدِم بعشرة آلاف، فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله وعدوّ كتابه؟!

فقال أبو هريرة: فقلت: لست بعدوّ الله وعدوّ كتابه! ولكني عدوّ من عاداهما.

قال: فمن أين هي لك؟

قلت: خَيْلٌ نُتِجَت، وغلّةُ رقيق لي، وأعطيةٌ تتابعت.

فنظروا، فوجدوه كما قال، فلما كان بعد ذلك، دعاه عمر ليُولّيه، فأبَى! فقال: تكره العمل وقد طلب العمل من كان خيرًا منك: يوسف ﷺ!

فقال: يوسف نبي بن نبي بن نبي، وأنا أبو هريرة بن أميمة! وأخشى ثلاثًا واثنتين.

قال: فهلاَّ قلت: خَمسًا؟

قال: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حلم، وأن يُضرَب ظهري، ويُنْزَع مالي، ويُشتم عرضي»[1].

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/٣٣٥)، وفيه أبو هلال الراسبي، وهو -وإن كان حديثه لا =

- أن شرع من قبلنا ليس شرعًا لنا فيما خالف فيه شرعنا، وقد خالفه.

- أن يوسف ﷺ تصرف فيما تصرف فيه بمنصب الرسالة، فلو جاز لأحد أن يقتدي به فيه فوارثه الشرعي وهو المجتهد.

قال ابن عبد البر: "فإذا كان ذلك، فجائز للعالِم حينئذ الثناء على نفسه، والتنبيه على موضعه، فيكون حينئذ تحدَّث بنعمة ربِّه عنده على وجه الشكر لَها"[1]. والله أعلم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

يُطرح بالمرة- فقد تابعه أيوب السختياني، كما في السير للذهبي (٦١٢/٢)، وبه يصح الأثر، والحمد لله.

ثُمَّ وجدت هذه المتابعة عند عبد الرزاق في مصنفه (٣٢٣/١١)، وأبي نعيم في الحلية (٣٨٠/١-٣٨١)، وكذا متابعة ابن عون عند ابن سعد، ومتابعة يزيد بن إبراهيم التستري عند البلاذري في فتوح البلدان (ص:٩٣)، فالحمد لله على توفيقه

(١) جامع بيان العلم وفضله (١٧٦/١).

تأصيل

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء:٨٣].

هذه الآية في بيانها الواضح أصل في هذا الباب.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لَهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة، عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلَى الرسول وإلَى أولي الأمر منهم أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها.

فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطًا للمؤمنين وسرورًا لَهم وتحرزًا من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا ما فيه مصلحة أو فيه مصلحة، ولكن مضرته تزيد على مصلحته لَمْ يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾. أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي: "إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يُولّى من هو أهل لذلك ويُجعل من أهله، ولا يُتقدّم بين أيديهم؛ فإنّه أقرب إلَى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ".

وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام، والنظر فيه هل هو مصلحة فيقدم عليه الإنسان أم لا فيحجم عنه"(١).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١١٢/٢-١١٤).



سبب النـــزول

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس قال: «مكثتُ سنة، وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبةً له حَتَّى خرج حاجًّا فخرجت معه، فلما رجع فكنّا ببعض الطريق عدل إِلَى الأراك لحاجة له، فوقفت له حَتَّى فرغ، ثُمَّ سرت معه، فقلت: يا أمير المؤمنين! من اللّتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة، قال: قلت له: والله! إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك: قال: فلا تفعل! ما ظننتَ أن عندي من عِلْمٍ فسلْني عنه؛ فإن كنتُ أعْلَمه أخبرتك.

قال: وقال عمر: والله! إن كنّا فِي الجاهليَّة ما نعدّ للنساء أمرًا، حَتَّى أنزل الله فيهنَّ ما أنزل، وقسم لهنَّ ما قسم؛ كنَّا معشر قريش قومًا نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلّمن من نسائهم، قال: وكان منْزلي فِي بنِي أمية ابن زيد بالعوالي[1].

قال: فبينما أنا فِي أمر أتَئمِرُه، إذ قالت لِي امرأتي: لو صنعت كذا وكذا. فقلت لَها: ومَا لك أنت ولما هاهنا؟ وما تكلفُكِ فِي أمر أريده؟ فقالت: عجبًا لك يابن الخطاب! ما تريد أن تراجَعَ أنت وإن ابنتك لتُراجِعُ رسول الله ﷺ حَتَّى يظلّ يومه غضبان؟!

قال عمر: فآخذُ ردائي ثُمَّ أخرج مكاني، حَتَّى أدخل على حفصة، فقلت لَها: يا بنية! إنك لتُراجعين رسول الله ﷺ حَتَّى يظلّ يومه غضبان؟ فقالت حفصة: والله! إنا لنُراجعُه.

---

(١) العوالي: موضع بالمدينة.

فقلت: تعلمين أنّي أحذِّرك عقوبةَ الله، وغضبَ رسوله، قد خاب من فعل ذلك منكنّ وخسر، أفَتأمَن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئًا، وسليني ما بدا لك! يا بنية! لا يغرنّك هذه الّتي قد أعجبها حسنها وحبُّ رسول الله ﷺ إيّاها[1].

ثُمّ خرجتُ حَتّى أدخلَ على أم سلمة لقرابتي منها، فكلمتها فقالت لي أم سلمة: عجبًا لك يابن الخطاب! قد دخلت في كل شيء حَتّى تبتغي أن تدخلَ بين رسول الله ﷺ وأزواجه! قال: فأخذَتْني أخذًا كسرتني عن بعض ما كنتُ أجد، فخرجتُ من عندها.

قال: وكان لي جار من الأنصار، فكنّا نتناوب النُّزول إلَى رسول الله ﷺ، فينْزل يومًا وأنزل يومًا، فيأتيني بخبر الوحي وغيره، وآتيه بمثل ذلك، ونحن حينئذ نتخوّف مَلِكًا من ملوك غسان، ذُكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فأتى صاحبي الأنصاري عشاء يدقّ الباب، وقال: افتح، افتح! فقلت: جاء الغسانيّ؟ فقال: أشدّ من ذلك؛ اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه!

فقلت: رَغِمَ أنفُ حفصة وعائشة! قد كنت أظن هذا كائنًا، حَتّى إذا صليتُ الصبح شددتُ عليَّ ثيابي، وفي رواية: دخلت المسجد، فإذا الناس يَنْكُتون بالحصى[2]، ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءَه! وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب.

قال عمر: فقلت: لأعلمنَّ ذلك اليوم، وأتيت الحُجَر، فإذا في كل بيت بُكاء! قال: فدخلتُ على عائشة فقلت: يا بنت أبي بكر! أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ؟

---

(١) يريد عائشة رضي الله عنها.

(٢) ينكتون بالحصى: أي يضربون به الأرض، كفعل المهموم المفكر.

فقالت: ما لي وما لك يابن الخطاب؟! عليك بَعيْبَتك[١]!

قال: فدخلت على حفصة بنت عمر، فقلت لها: يا حفصة! أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ؟ والله! لقد علمتِ أن رسول الله ﷺ لا يُحبُّك، ولولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ، فبكت أشد البكاء.

فقلت لها: أين رسول الله ﷺ؟

قالت: هو في خزانته في المَشْرُبة[٢]، فدخلتُ، فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ قاعدًا على أُسْكُفَّة[٣] المشربة، مُدَلٍّ رجليه على نقير من خشب -وهو جِذْعٌ يرقى عليه رسول الله ﷺ وينحَدرُ- فناديت: يا رباحُ! استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظَر رباحٌ إلى الغرفة، ثم نَظَر إليّ فلمْ يَقُلْ شيئًا.

ثُمَّ قلت: يا رباحُ! استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباحٌ إلى الغرفة ثُمَّ نظر إلي فلم يقل شيئًا، ثم رفعت صوتي، فقلت: يا رباح! استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فإنِّي أظن أن رسول الله ﷺ ظن أنّي جئت من أجل حفصة، والله! لئن أمرني رسولُ الله ﷺ بضرب عنقها لأضربنَّ عُنُقَها! ورفعت صوتي، فأومأ إليّ أن ارقَه.

فدخلتُ فسلّمت على رسول الله ﷺ، فإذا هو متكئ على رَمل حصير[٤] قد أثر في جنبه، قال: ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب.

فقلت: يا رسول الله! ما يشقّ عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهنّ فإنّ

(١) **عليك بعيبتك**: المراد عليك بوعظ ابنتك.

قال أهل اللغة: العيبة: في كلام العرب وعاء يجعل الإنسان فيه أفضل ثيابه ونفيس متاعه، فشبّهت ابنته بها.

(٢) **المشربة**: الغرفة.

(٣) **اسكفة**: هي عتبة الباب السفلى.

(٤) **على رمل حصير**: يقال: رملت الحصير وأرملته، إذا نسجته.

الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلّما تكلمتُ -وأحمد الله- بكلام إلا رجوتُ أن يكون الله يصدّق قولي الذي أقول، ونزلت هذه الآية؛ آية التخيير: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم:٥]. ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤]. وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النَّبي ﷺ.

فقلت: أطلقت -يا رسول الله!- نساءك؟ فرفع رأسه إلي وقال: لا.

فقلت: الله أكبر! لو رأيتنا يا رسول الله! وكنا معشر قريش قومًا نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلّمن من نسائهم، فتغضبتُ على امرأتي يومًا، فإذا هي تراجعني، فأنكرتُ أن تراجعني.

فقالت: ما تنكرُ أن أراجعك؟ فوالله! إن أزواج النَّبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليلة.

فقلت: قد خاب من فعل ذلك منهنّ وخسر! أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ فإذا هي قد هلكت؟ فتبسّم رسول الله ﷺ.

فقلت: يا رسول الله! قد دخلتُ على حفصة، فقلتُ: لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم منك وأحب إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم أخرى.

فقلت: أستأنس يا رسول الله؟ قال: نعم!. فجلستُ، فرفعتُ رأسي في البيت، فوالله! ما رأيتُ فيه شيئًا يرد البصر إلا أُهُبًا ثلاثة، فنظرتُ ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قَرَظًا[1] في ناحية الغرفة، وإذا أفيقٌ[2] معلقٌ. قال: فابتدرت عيناي.

قال: ما يبكيك يابن الخطاب؟.

---

(١) قَرَظًا: القرظ ورق السلم يدبغ به.

(٢) أفيقٌ: هو الجلد الذي لَمْ يتم دباغه.

قلت: يا نبي الله! وما لي لا أبكي؟ وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ وصفوته، وهذه خزانتك؟ فقلت: ادعُ الله يا رسول الله! أن يوسّع على أمتك؛ فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله!

فاستوى جالسًا، ثُمَّ قال: **أفي شكٌ أنت يابن الخطّاب؟ أولئك قوم عجّلت لَهم طيباتُهم في الحياة الدنيا، يابن الخطاب! ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولَهم الدنيا؟**.

قلت: بلى! فقلت: استغفر لي يا رسول الله!

قلت: يا رسول الله! إنِّي دخلتُ المسجد والمسلمون ينكُتون بالحصى، يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءَه، أفأنزلُ فأخبرهم أنك لَمْ تطلّقهن؟

قال: **نعم! إن شئت**. فلم أزل أُحدِّثه حتَّى تَحَسَّر الغضب[1] عن وجهه، وحتَّى كشر فضحك، وكان من أحسن الناس ثغرًا.

ثُمَّ نزل نبيُّ الله ﷺ ونزلتُ، فنَزلت أتشبّث بالجذع، ونزل رسول الله ﷺ كأنّما يَمشي على الأرض ما يمسّه بيده.

فقلت: يا رسول الله! إنّما كنت في الغرفة تسعة وعشرين، قال: **إن الشهر يكون تسعًا وعشرين**. فقمت على باب المسجد، فناديت بأعلى صوتي: لَمْ يطلّق رسول الله ﷺ نساءه.

ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر، وأنزل الله آية التخيير».

*** بعض فوائدها:**

- أوَّلها أن عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة ﷺ كان قد بلغهم أن مَلِك

---

(١) تحسّر الغضب: زال وانكشف

غسان يدبِّر لَهم شرًّا، فلم ينهم هذا عن طلب العلم بزعم تتبع الأخبار!

ومع الأسف الشديد إنك لتدخل المكتبات العامة الَّتِي يرتادها طلبة العلم الشرعي فتجد أكثرهم فِي جانب المجلات و"الدوريات" يستطلعون الواقع! مع أن المكتبات زاخرة بكتب التوحيد والتفسير والسنة، ولا تكاد جُموعهم تكثر هاهنا إلا لبحث مدفوع إليه دفعًا لنيل شهادة أو لدراهم معدودة! اللهم إلا القليل الذين حُبِّبَ إليهم الدين حقيقة.

ويالله العجب! فكم هم الذين ليست لَهم أوراد يومية من الأذكار النبوية، مع أن وِرْدهم مع الإذاعات والجرائد آنية!! والله المستعان.

- ومنها: التحذير من إشاعة الأخبار الَّتِي وصفها بالخوف والأمن، والسياسة -من هذا الباب- إما خبر سار آمن، وإما خبر مخوف محزن، وتجد اليوم عمدة السياسيين الجلِّي على تتبع الأخبار، وتراهم يُفنون أعمارهم فِي دراسة طرق إذاعتها بدقة، حَتَّى يتمكنوا من تخويف المؤمنين وتأمين أعداء الدين.

ومن تأمل أحوال الإسلاميين -الذين يتوسَّلون إِلَى توعية أتباعهم من الخواص والعوام بتحليل الأخبار السياسية والتظاهر بسعة الاطلاع فيها- من أشد الناس تأثرًا بإرجافها، مِمَّا يبعث فِي نفوسهم فزعًا شديدًا من أعدائهم، حَتَّى إِنَّهم ليحسبون كل صيحة عليهم، وأن كل هزيمة فمن مكرهم بِهم، مع هذا فهم يظهرون للسذج شجعانًا؛ إذ ظنوهم يصدعون بالحق.

ومن أمارات هذا التأثر أنك لو قلت لَهم: دعوا العوام لا تشغلوهم بالقضايا السياسية، ولا تخدموا أعداءكم بإذاعة أخبارهم؛ لأَنَّها توهن المسلمين فِي استضعافهم، وليسعكم قول الله تعالى حينئذ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠]. قالوا فِي جرأة لا تحترم النصوص: "وهل نبقى مكتوفي الأيدي مع أعداء ماكرين؟!".

ولَمْ يتدبروا أن الله المطلع على كيد الأعداء أمر بالصبر بعد أن بيّن مكرهم الكبار، كما قال في هذه الآية: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠].

هذا مع أن كف الأيدي في زمن ما ممَّا أمر الله به حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً...﴾ [النساء:٧٧].

وهو شريعة مُحكمة ما وُجد زمنها.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف، فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين.

وأما أهل القوة فإنّما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حَتَّى يُعطُوا الجزية عن يد وهم صاغرون"[1].

بهذا يتبيّن لنا سر منع الله تعالى المؤمنين أن يشغلوا أنفسهم بالعدّة الماديّة في الوقت الذي هم في حاجة إِلَى العدة الإيمانية، والجمع بينهما -كما يتخيّله المحاولون الاعتدال والتوسط- في وقت افتقارهما وافتقار السلطان خطأ واضح وخلاف السيرة النبوية؛ لأنه لابد من أن تطغى إحداهما على الأخرى.

ولما كان الإنسان أكثر إيْمانًا بعالَم الشهادة من عالم الغيب، فإنه لابدَّ أن يميل إِلَى الاستعداد المادي الذي يمثل عالم الشهادة حَتَّى يفقد أعظم روافد النصر وهو التوكل على الله؛ إغراقًا في التوكل على الأسباب، مع أن الله يقول: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠].

---

(١) الصارم المسلول (ص:٢٢١).

وتأمل كيف جعل الرسلُ -عليهم الصلاة والسلام- الصبر على الأذى من التوكل، قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم:١٢].

إذن فالبدء بالاستعداد الإيماني ثُمَّ إتباعه -بعده وليس معه- بالاستعداد المادي كما قال الله تعالى للمؤمنين في المدينة الذين حققوا أصل الإيمان في مكة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال:٦٠].

❊ خلاصة هذه الفائدة:

التحذير من إشاعة الأخبار؛ لأنَّها تحمل معها أمنها أو خوفها، والنفوس ضعيفة، هذا مع ما فيها من شهوة التطلع إلى الواقع، خاصة واقع الكراسي؛ فإن الأفئدة تهوي إليها معرضة عن الوحي، وإليك هذه العبرة:

عن سعد في قول الله ﷻ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣]. الآية، قال: «أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله! لو قَصَصْتَ علينا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف:١]. إلى قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ الآية، فتلاها رسول الله ﷺ زمانًا[1]، فقالوا: يا رسول الله! لو حدَّثْتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ [الزمر:٢٣] الآية. قال: كل ذلك يؤثرون بالقرآن».

وفي موارد الظمآن: «كل ذلك يؤمرون بالقرآن». قال خلاد: وزاد فيه آخر، قال: «قالوا: يا رسول الله! لو ذكَّرْتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد:١٦] الآية»[2].

---

(١) عند أبي عبيد في فضائل القرآن (ص:٥٣): «ثُمَّ ملوا ملة أخرى».

(٢) رواه البزار كما في البحر الزخار (١١٥٢، ١١٥٣)، وأبو يعلى (٧٤٠)، وابن حبان (١٧٤٦)، =

فتأمل هذه التربية الربانية والرعاية النبوية للصحابة وقد عرفت ثمارها فيهم.

وتأمل تربية من يستجيب لرغبة العوام فيفسدهم بالأخبار السياسية ويهيج الشباب بلا فائدة، ثُمَّ هو يتململ قائلاً: لماذا يتخلفون عن دروس العلم الصحيح الَّتِي فيها تلاوة الوحيين، بل وتعلّم العقيدة الصحيحة الَّتِي هي مفتاح الجنة، ويزدحمون على الدروس السياسية الَّتِي تروّعهم، بل تتخبطهم تَخبُّط الْجِنَّة.

وإن تعجب فعجب قول ناصر العمر فِي شريط "السعادة بين الوهم والحقيقة": "هذه قصة عجيبة تابعتُ فصولها على مدى خَمسة عشر عامًا ... وقد تابعت شخصيًّا هذه القصة منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، وهي قصة "كرستينا أوناسيس"[(١)].

فسئل: "ما هو قولك فِي تتبع قصص الكافرين فِي هذا الزمان الذي حلت عليه المحن والفتن؟".

فأجاب: "إذا كان فيها عبرة فلا بأس! فهذا القرآن مليء بقصص الكافرين ... فإذا كان تتبعها من أجل العبرة، ومن أجل العظة فهي من الأمثال الَّتِي تضرب فِي ذلك، فإنه على خير! لا من أجل الاقتداء وأجل العظمة، لا! ولكن من أجل أن نتجنب سبيلهم: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥]. من أجل استبانة سبيل المجرمين فإنَّهم ... يحسن هذا الأمر، أما إذا خشي على نفسه فلا!".

* قلت: هل تعني أن النَّبِي ﷺ كان يفعل ذلك؟

والحاكم (٢/٣٤٥)، وابن جرير فِي تفسيره (١٢/٩٠)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر فِي المطالب العالية (٣/٣٤٣): "حديث حسن"، وكذا ابن تيمية فِي مجموع الفتاوى (١٧/٤٠) عازيًا الرواية إِلَى ابن أبِي حاتم، وهي عنده برقمي (١١٣٢٣) و (١١٣٢٥-الطيب)، وكذلك صححه دون آية الحديد الشيخ مقبل الوادعي فِي صحيح المسند من أسباب النُّزول (ص:٨٨).

(١) راجع رسالته بعنوان الشريط نفسه (ص:٩-١٤).

مع أنك لو تأملت القصص النبوي لألفيته مِمَّا لا تطوله يد الواقع؛ لأنَّ جله عن بني إسرائيل والأمم السابقة مِمَّا لا يعرف إلا بالوحي، ولذلك كثيرًا ما كان يقول -عليه الصلاة والسلام-: «لقد كان فيمن كان قبلكم كذا وكذا».

ثُمَّ هل استبانة سبيل المجرمين تكون بتضييع أعمار المسلمين؟!

وهل يفي بهذا عمر نوح عليه السلام؟

وهل استنتاج أن السعادة ليست فِي جمع المال يستلزم منك توريط الشباب فِي متابعة القصص الغرامية؟!

إن الذي يتتبع قصة هذه اليونانية ويقرأ لَها أيامًا متتابعة لابد أن يعشقها، فكيف وهي ربع عمر الإنسان؟!

لقد كان يكفيك قول الله: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٨]. للحذر من فتنة المال!

أما تذكر نَهي النَّبِي ﷺ لعمر عن تتبع ما فِي صحيفة التوراة؟

مع أن هذا أولى وأهم مِمَّا ذكرتَ.

بل إنَّ الله نَهى نبيَّه ﷺ عن متابعة خبر أهل الكهف إلا ظاهرًا دون الغوص فِي تفاصيلها، مع أنَّهم فتية مؤمنون فقال: ﴿فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٢].

إن زعم "استبانة سبيل المجرمين" -على فهمكم- هو الذي أمْلى على جبهة الإنقاذ عندنا اقتناء الهوائيات المقعَّرة "الدش"، بل لَمْ يُعرَف زمن انتشرت فيه هذه الأجهزة انتشارًا واسعًا إلا أيامها، لحماية دولتهم الوهمية زعموا! وقد كانوا يطوفون على البيوت لمدِّها بأسلاكها، فلما ذهبت ريحهم ذهبوا وتركوا الأمة تتقاسم هذا الميراث الخبيث، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٣٠].

- ومنها: أن فِي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾ [النساء:٨٣]

دليلاً على أن العامي قد يدرك من الواقع ما يخفى على العالم، ولا يعدّ عيبًا في العالم؛ لأن إحصاء واقع الناس ليس إلا إلَى رب الناس، لكن العيب فيما إذا أفتى المجتهد في نازلة ولما يسأل أهل الاختصاص عن ملابساتها وهو يقدر على ذلك[1]، فقد كان يخفى على النَّبي ﷺ القليل أو الكثير من واقع الناس، فيأتيه العامي بالخبر اليقين فيفتي ﷺ على غرار ما سمع، وخذ مثالاً على ذلك قصة الثلاثة الذين عزفوا عن الدنيا ....

وهل نسيت أن الهدهد قال لسليمان ﷺ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:٢٢]. فهذا طائر عَلِم من الواقع ما لَمْ يعْلَمه رسول أوتِيَ من الملك ما لَمْ يؤته أحد من قبله ولا من بعده، بل كان يعلم من واقع الطير والنمل ومنطقها ما هو معلوم، فما لعصافير الأحزاب الإسلامية تتطاول علىَ العلماء، أن رأوا انفسهم تُحَلِّق في أجواء مكذوبة حسبوها يقين الأنباء؟!!

قال العلامة عبد العزيز بن باز: "... ومِمَّا يكثر فيه الكلام من مظاهر الجهل بالواقع اتِّهام بعض أهل العلم والفضل بالجهل بأحوال المنافقين والعلمانيين، وهذا غير قادح؛ إذ يوجد فِي الأمة منافق أو زنديق لا يعلمه العلماء ولا يعرفون حاله، ولا يُعدُّ هذا الخفاء عيبًا فِي حقهم.

قال الإمام الذهبِي فِي ترجمة الحلاج: كان جَماعة فِي أيام النَّبِي ﷺ منتسبون إلَى صحبته وإلَى ملته، وهم فِي الباطن مردة المنافقين، قد لا يعرفهم نبي الله ﷺ ولا يعلم بِهم قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة:١٠١].

فإذا جاز على سيد البشر أن لا يعلم ببعض المنافقين -وهم معه فِي المدينة سنوات- فبالأولى أن يخفى حال جَماعة من المنافقين الفارغين عن دين الإسلام بعده ﷺ على أمته ...."[2].

---

(١) انظر فقه النوازل (١/٧).

(٢) من وجوب طاعة السلطان فِي طاعة الرحمن لمحمد العريني (ص:٤٤-٤٥).

من أجل هذا لَمْ أذكر هنا هذا العلم أعني المسمى "فقه الواقع" فِي صفات المجتهد.

ومن مظاهر الغلو فيه أنني سمعت مرارًا من يتناقل قصة عن الشيخ مُحمَّد بن عثيمين -رحمه الله- يريدون إدانته بجهله بالواقع زعموا[1]، فيقولون: "لقد نُبِّه الشيخ على وجود مجلاَّت خليعة بالأسواق، وفِي كل مرة ينكر ذلك؛ لأنه لم يرها، فبينما هو فِي درسه إذ دخل عليه من رمى بالمجلَّة في حجره، فقام الشيخ بعدها فكتب فِي التحذير منها ومن الأفلام!".

أقول: إن صحَّ هذا فإنه لا يقدح فِي الشيخ ولا فِي علمه، كما لَمْ يقدح فِي النَّبِي ﷺ عدم علمه بمثل ما ذكرته آنفًا، ولا فِي عمر، ولا فِي ابن عباس عدم علمهما بواقع قصّة الطلاق، بل هذا يزيد الشيخ ابن عثيمين منقبة على منقبة؛ لأنه يدل على انكبابه على العلم تعلُّمًا وتعليمًا وشغل وقته به، حَتَّى لَمْ يجد فراغًا للتطلع على ما فِي الأسواق، وأن قراءة المجلات ليست عنده ذات أشواق، وكأن لسان حاله ينشد:

مُـنايَ مـن الدنيـا علـومٌ أبثُّها ... وأنشـرُها فِـي كـل بادٍ وحاضر
دعـاءٌ إلَـى القرآن والسنة الَّتي ... تناسـى رجـالٌ ذكرَهَا فِي المحاضر
وقـد أبدلوهـا بالجـرائد تـارة ... وتلفـازهم رأس الشـرور المناكر
ومذياعهم أيضًا فـلا تَنسَ شـرّه ... فكم ضاع من وقت بِهـا بالخسائر[2]

---

(١) وهذا التجهيل لكبار العلماء منتشر جدًّا فِي أوساط الشباب المشتغل بالسياسة حَتَّى سموا "هيئة كبار العلماء": هيئة كبار العملاء! فالله حسيبهم.

(٢) عن موارد الظمآن للشيخ عبد العزيز السلمان (٤/٣)، والبيتان الأولان لابن حزم -رحمه الله- على أنه قال فِي الثاني منهما: "دعاءٌ إلَى القرآن والسنن ..."، انظر: جذوة المقتبس لمحمد بن أبِي نصر فتُّوح الحميدي (ص:٣١٠).

ولا أدري لماذا يوردون هذه القصة في كل مرة إلا أن يكون في الأمر ما يأتي:

- ومنها: أن العيب الأعظم أن يتصدر العامي أو طالب العلم مجالس فقه الواقع بحجَّة تقصير العلماء فيه؛ وهذا خطأ لأن الله حين نعى عليهم إذاعة الأخبار، لَمْ يأمرهم بتحليلها ولكن بردِّها إلَى أهلها كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

وفِي مُخالفة هذه الآية خيانة للأمانة الَّتِي أمر الله بأدائها إلى أهلها: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ [النساء:٥٨]. وفِي مُخالفتها خراب الدنيا، فعن أبِي هريرة قال: «بينما النَّبي ﷺ فِي مجلس يُحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لَمْ يسمع. حَتَّى إذا قضى حديثه قال: أين -أراه- السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله! قال: فإذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة. قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر إلَى غير أهله، فانتظر الساعة». رواه البخاري.

فعجبًا لقوم وسدوا هذه الأمور إلَى طلبة العلم! بانين على أوهام الشباب علالي وقصورًا، فتارة يريدون مَجلسًا للشورى بالسعودية للتسلل فيه، وتارة يريدون لجنة لحقوق الإنسان الشرعية، ونهايتها التملص بل التخلص من جمود هيئة كبار العلماء زعموا! وكان عاقبة ذلك خسرًا[1].

---

(١) الغريب أن هذه المطالب لتأسيس مثل هذه المجالس من أصحاب هذا الفكر نفسه قد ردَّ عليها العلامة عبد الله بن حميد -رحمه الله- من أكثر من ثلاثين سنة، ثُمَّ هي اليوم تحيا!
انظر: الرسائل الحسان فِي نصائح الإخوان (ص:٣٢).

❊ **وهاك ضياء من هدي السلف:**

عن يحيى بن يعمر قال: "كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحُميد بن عبد الرحمن الحميري حاجّين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوُفّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفّرون العلم، وذكر من شأنهم وأنّهم يزعمون أن لا قدر، وأنّ الأمر أُنف؟

قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنّي بريء منهم، وأنّهم برآء منّي، والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أنّ لأحدهم مثل أُحد ذهبًا فأنفقه، ما قُبِل منه حتّى يؤمن بالقدر.

ثُمّ قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتّى جلس إلى النّبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا مُحمَّد! أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن مُحمَّدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيْمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لَمْ تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل؟ قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: أن تلد الأمَةُ ربَّتَها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال: ثُمّ

انطلق، فلبث مليًّا، ثُمَّ قال لي: **يا عمر أتدري من السائل؟**. قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **فإنه جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم**». رواه مسلم.

والشاهد منه: أنّهم حين واجههم واقع لا يعرفونه من قبل -وهو ظهور القدر- عرفوا أن أصحاب رسول الله ﷺ هم مرجعهم في علاجه؛ لأنّهم أعلم الخلق يومئذ، بل جاء في رواية أنّهم لقوا بعض الصحابة فلم يسألوهم، وإنّما قصدوا أعلمهم يومئذ؛ فقد قال الراوي: "فلما أتينا المدينة **لقينا أناسًا من الأنصار فلم نسألهم؛ قلنا: حَتَّى نلقى ابن عمر أو أبا سعيد الخدري** ..."[١].

ولذلك وجدتُ العلامة مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحمه الله- بوَّب لهذا الحديث في "كتاب التوحيد" بقوله: "باب ما جاء في القدر"، وذكر فيه مسائل، منها قوله: "**الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء**"[٢].

❊ **قلت**: ومن قبله بوب النسائي له في "السنن الكبرى" (٣/٤٤٦)، بقوله: "**توقير العلماء**"؛ لما فيه من توقير جبريل للنَّبي ﷺ، فاجعل من السلف قدوتك تكن سلفيًّا وإلا ...

وروى الدارمي قال: أخبرنا الحكم بن المبارك، أنا عمرو بن يحيى[٣] قال: سمعت أبي يُحدث عن أبيه قال: "كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلَى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخَرَج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حَتَّى خرج، فلما خرج قمنا

---

(١) رواه الطبراني (١٢/٤٣٠)، وابن منده في الإيمان (١١)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٠٣٧)، وهو صحيح.

(٢) انظر: فتح المجيد (ص:٤٨٠).

(٣) في المطبوع: عمر بن يحيى، وهو تصحيف. والصواب ما أثبته، وهو: عمرو بن يحيى بن عمرو بن سلمة بن الحارث الكوفي. انظر: تهذيب الكمال (٧/١٣٢)، ترجمة الحكم بن المبارك الباهلي.

إليه جميعًا، فقال أبو موسى الأشعري: يا أبا عبد الرحمن! إنّي رأيت فِي المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولَمْ أر -والحمد لله- إلا خيرًا! قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت فِي المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، وفِي كل حلقة رجل، وفِي أيديهم حصى، فيقول: كبِّروا مائة! فيكبّرون مائة، فيقول: هلّلوا مائة! فيهلّلون مائة، ويقول: سبِّحوا مائة! فيسبحون مائة. قال: فماذا قلت لَهم؟ قال: ما قلت لَهم شيئًا انتظار رأيك -أو انتظار أمرك- قال: أفلا أمرتَهم أن يَعُدّوا سيئاتِهم وضمنت لَهم أن لا يضيع من حسناتِهم. ثُمَّ مضى ومضينا معه حَتَّى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نَعُدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدّوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء؛ وَيْحَكم يا أمة مُحمَّد! ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكمﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لَمْ تَبْلَ، وآنيته لَمْ تكسر، والذي نفسي بيده إنّكم لعلى ملة هي أهدى من ملة مُحمَّد!! أو مفتتحو باب ضلالة!.

قالوا: والله، يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير.

قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إنّ رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرءون القرآن لا يُجاوز تراقيهم، وايْمُ الله! ما أدري لعل أكثرهم منكم؛ ثُمَّ تولى عنهم.

فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحِلَق يطاعنونا يوم النَّهْرَوان مع الخوارج!"[١].

فخذوا العبرة -أي: إخواني!- من صنيع أَبِي موسى ﷺ، فهو لا يقضي بشيء فيما هو نازلة فِي زمانه حَتَّى يعرضه على الفقيه، مع أنه من الفقه بمكان مكين! أليس هذا المنهج عاصمة العواصم، وفاضحة كل متعالم؟!

يا ليتَ شعري ما ضر شبابنا ودعاتنا لو أخذوا بِهذا الأدب فيما يَجدُّ من قضايا العصر وقد كثرت، وبه يقلّ نصيب الشيطان من صف المسلمين: ﴿إِنَّ

---

(١) سنن الدارمي رقم (٢١٠)، وهو فِي السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٢٠٠٥).

الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣].

وتأمل أيضًا فراسة مُجتهدهم ابن مسعود ﷺ حين بان له غيب مُرٌّ من رءوس تلك الحلق، فقال: «وايْم الله! ما أدري لعل أكثرهم منكم». أي: عرف أنّهم للخوارج أنساب، وقد كان الأمر كما أخبر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥].

❁ **ولذلك قلت:** ومن فوائد قصة الطلاق فراسة عمر ﷺ، حيث استنبط من هذه النازلة الَّتِي يجهلها ما نزل القرآن بتصديقه، ولذلك قال: «**فكنتُ أنا استنبطت ذلك الأمر، وأنزل الله آية التخيير**».

وهذا يذكرني بفراسة أحد كبار مُحدِّثي وفقهاء هذا العصر، وهو الشيخ مُحمَّد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- حين سئل عن جَماعة ظهرت فِي هذا العصر، وهي جَماعة الدعوة والتبليغ، فكان من جوابه أن قال: "**... هذه صوفية عصرية!**"، قالها يوم قالها متفرِّسًا، على حسب ما رأى من الجماعة وبلغه عنها، ثُمَّ أعادها بعد سنوات، وبالضبط فِي هذه المدة القريبة مع شرح لهذه الكلمة، وأنه يعني بيعة هذه الجماعة لأربع طرق من فرق الصوفية -لعلها أضلها- وهي: النقشبندية، والجشتية، والقادرية، والسهروردية.

والشيخ فِي المرّة الأولى لَمْ يكن على علم بِهذه البيعة، لكن كيف وقعت فتواه مطابقة لواقع القوم؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥].

هذا قاله الشيخ من زمان بعيد ثُمَّ يشاء الله أن يَجتبِي عبدًا من عباده قد خبّر القوم مدة طويلة، فأعلنها صريحة[1].

---

(١) هو الراجع إِلَى الحق الشيخ سعد الحصين -حفظه الله-، كنت لقيته من عشر سنوات فِي بيته بالأردن، وكان يومها متحمسًا لَهم، ثُمَّ أُخبرتُ بعدها بسنوات عن تراجعه، ثُمَّ قرأت ما كتبه فيهم، فجزاه الله خيرًا، انظر حقيقة الدعوة إِلَى الله (ص٨١ ط. الثانية).

- ومنها: أن في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]. دليلاً على أن أخبار الواقع ترجع إلى أهل العلم والسلطان؛ فهم أولو الأمر، ثُمَّ من هؤلاء جماعةٌ تتولى استنباط الأحكام الشرعية لهذا الواقع، وليسوا كلهم؛ لأن الله قال: ﴿مِنْهُمْ﴾.

قال الطبري -رحمه الله-: "يعني -جل ثناؤه- ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾. الأمر الذي نالهم من عدوهم والمسلمين، إلى رسول الله ﷺ وإلى أولي الأمر، يعني: وإلى أمرائهم، وسكتوا فلم يذيعوا ما جاءهم من الخبر، حَتَّى يكون رسول الله ﷺ أو ذوو أمرهم هم الذين يتولَّون الخبر عن ذلك بعد أن تثبت عندهم صحته أو بطلانه، فيصححوه إن كان صحيحًا أو يبطلوه إن كان باطلاً ..."[١].

❊ قلت: ولذا فرمي بعض أهل العلم بالانزواء والانطواء على أنفسهم ظلم؛ لأن الله تعالى لَمْ يفرض هذا العلم إلا على الكفاية بصريح هذه الآية، ولو كان هؤلاء الرامون مصيبين في انتقادهم لكانوا مُخطئين؛ لأنَّهم لما تفقهوا في الواقع -وقد رأوا أنفسهم أهلاً لذلك!- فقد كَفَوْا غيرهم هذه المؤنة، فعلامَ العتاب علامَ؟!

قال العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله-: "فإذا كان بعض الأحزاب يدعي أنه يعرف فقه الواقع وما يدبَّر للمسلمين، فلماذا تلوم السلفيين وتصفهم بالغفلة عن واقع الأمة، وقد سقط عنهم هذا الواجب بقيام غيرهم به؟!".

❊ قلت: فافهم هذا -رحمك الله- وأنصف!

وقال أيضًا: "ولا يجوز أن يُنال من العلماء والدعاة الذين تشغلهم واجباتُهم العلمية والدعوية عن متابعة الصحف والمجلات وتقارير المخابرات الأمريكية والإسرائيلية وغيرها؛ مكتفين بمتابعة غيرهم لهذه الأمور، وهذا ما يقتضيه العقل والشرع لا العواطف العمياء،

(١) تفسير الطبري (٤/١٨٣-١٨٤) ط. دار الكتب العلمية.

فقد فرغ العلماء من بيان واجبات الأعيان وواجبات الكفاية"[١].

وهذا يذكّرني أيضًا بذلك الحوار العلمي الماتع بين الشيخ الألباني والشاب ناصر العمر، حيث كان هذا الأخير يقرأ فصولاً من كتابه: "فقه الواقع"، فكان كلما أدخل طلبة العلم في هذا الفقه، يقول له الشيخ: اشطُب على كلمة: "طلبة العلم" وضع بدلَها "بعض أهل العلم" فتأمّل هذا وعض عليه بالنواجذ!

* ومنها: أن مُخالفة هذا المنهج يفتح شرًّا مستطيرًا على الأمة لقول الله تعالى في ختام آية الباب: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ٨٣]. وباتباع الشيطان تحصل الفرقة؛ كما قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣]. وسبحان من هذا وحية فمنذ أن دخل طلبة العلم العمل السياسي مخالفين هدي الأنبياء وقعت فُرقة عظيمة؛ إذ لَمْ أعرف بالجزائر زمنًا تفرقنا فيه شذر مذر، وتمزقنا فيه كل ممزق إلا يوم نُصب لنا الحبُّ على الفخ السياسي، فمدَّ إليه بعض طلبة العلم -إن حَسَّنَّا بهم الظن- أيديهم! لقد كان الواحد يستأنس بأخيه إذا عرفه بزيه الإسلامي، ويسلم عليه مهْمَا بعُدَ عنه، وأما اليوم فودّ لو أنه لَمْ يره؛ لأنه لا يدري أيرد عليه السلام أم لا؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن سنوات وأنا أتردد إلَى البلاد السعودية والحمد لله، فكنت أرى من طلبة العلم من يفتِي فِي السياسة ويدرِّسها درسًا عامًّا من غير تمييز: هل هو من أهلها؟! وهل الحضور مطالبون بها؟! فعرفت أنه نذير شر، خاصة فِي تلك البلاد الَّتِي أغناها الله بعلماء كبار، هم أحوج ما يكونون إلَى من يعينهم فِي الدعوة، لا أن تُسرق منهم الفتوى السياسية بزعم أنَّهم يعينونَهم فيها أو يكمِّلونَهم، فكم سمعنا لهؤلاء الشباب من فتاوى سياسية مستقلة ومخالفة لما عليه هؤلاء الشيوخ، وما قضية الخليج

---

(١) أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية (ص:٩٢، ٩٥).

عنكم ببعيد! فقد كانت البئر بغطائها، فلما كانت هذه القضية فاض وفاح ما فيها![١].

قال العلامة ربيع بن هادي المدخلي: "وليس لأحد أن يلقي بثقل هذه الواجبات على طلاب العلم؛ فإن هذا من إسناد الأمر إِلَى غير أهله، وهو من أشراط الساعة، وهو مِمَّا يؤدّي إِلَى الفساد والإفساد والفتن، **وليس مِمَّا يفيد الأمة أن يصير الشباب بأجمعهم من أساطين السياسة ولا من شبكات التجسس! فإن هذا مِمَّا يؤدي إِلَى الجهل بالعلوم الشرعية، وإِلَى تقسيم الأمة إِلَى أحزاب سياسية متناحرة، كل حزب يريد أن ينفرد بالحكم، وكل فرد يريد أن على عرش الإمامة والرئاسة**"[٢].

---

(١) ليس فِي مُخالفة فتوى المشايخ محذور ما دام طالب العلم قد اقتنع بفتوى لشيخ متأهل لَها، وإنَّما المحذور أن يستقل هو بالفتوى وليس أهلاً لَها، وأن يضج بِها ويثير الشغب ويستغيث بالغوغاء، وتعظم البلية إذا كان جل عمدته على أخبار العالم! ثُمَّ يجب التنبيه إِلَى أن السلطان المسلم إذا حمل الأمة على فتوى مُجتهدي زمانه يكون هذا شبيهًا بنقض الحكم فِي القضاء، وقد مرَّ بنا منع عثمان أبا ذر رضي الله عنه من الفتوى، فليُذكر!

وقد طلب مني أحد الطلبة الجزائريين بمكة أن أُحدِّثه عن أخبار الجزائر أيَّام التشنجات السياسية، فقلت له: لا مانع عندي، ولكن لو شئت أنبأتك بأفضل مِمَّا سألت. قال: ما هو؟ قلت: ألا تسأل عما سألت، لأنه مشغلة لا نهاية لَها، قال -مستنكرًا-: لكن يا أخي! لابد أن أعرف واقع بلدي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... فقلت: أرأيت دراستك هذه الَّتِي هاجرت لتحصيلها بالديار السعودية أعوامًا، أفرغت منها حَتَّى تضم إليها غيرها؟ قال: صحيح، المواد كثيرة جدًّا ووقتي لا يفي بثلثها -أو كلمة نحوها- فقلت: سبحان الله! وتسأل عن علم لا تُسأل عنه يوم القيامة، لتزاحم بوقته وقت العلوم الشرعية الَّتِي تُسأل عنها يوم القيامة؟ ثُمَّ هب أنك قد عرفت واقع بلدك الذي أنت بعيد عنه الآن، فبأيّ علم تحل مشاكله، أبالعلم الشرعي الذي لَمْ تحصله بعد، أم بعلم آخر لعله أشبه بترقيعات الإخوان المسلمين؟! وليس إلا هذا الثاني وهو شبيه بالعلمنة؛ لأنَّها فتاوى واقعية غير شرعية، باعتبار أنَّها ردود أفعال.

ولذلك يُصْدَمُ المسلمون حين تبلغهم عن الإسلاميين الحركيين -كما يسمون أنفسهم- فتاوى لا تختلف فِي كثير ولا قليل عن أقوال العلمانيين، والأسماء أتركها لكم، ولا تنفع النية الحسنة وحدها.

(٢) المصدر نفسه (ص:٩٥-٩٦).

وقال عن جناية هذا الفقه -إن صحت تسميته بذلك- على العلم: "فِي المتغالين فِي السياسة تَهاويل وتطاول لا يطاق على أهل الحديث والتوحيد، وغمط شديد، وتجهيل وتحقير، ورمي لَهم بالعظائم، فمن غلوّهم ومبالغاتِهم الّتي لا عهد لأعلم علماء الإسلام بِها تَهويلهم بعلم الواقع، وادعاؤهم وادعاء الصبيان منهم أنَّهم علماء الواقع، وتجنيدهم الشباب لقراءة الصحف والمجلات ومتابعة الإذاعة، وصرفهم بذلك عن حفظ الكتاب والسنة، والاشتغال بفقههما، وإشغالهم عن العلوم الشرعية"[١].

ثُمَّ كل من تتبع فتنة الحرم المكي المشهورة عند رأس هذا القرن، وما وقع فِي سوريا ومصر، يرى جماعات تُخرب بيوتَها بأيديها، وليس معها أهل العلم الذين وصفنا لك، واليوم فِي الجزائر أيضًا، وقد اعترف علي بن حاج لجماعته بعدم وجود كفاية من أهل العلم فِي صفوفهم، فقال فِي رسالته إليهم المؤرخة فِي (١٥/١٠/١٩٩٤م) فِي ق (٣): "**وأنا أعلم أنه لو وُجد معكم عدد كاف من الدعاة وأهل العلم لما وقعت بعض هذه الأخطاء الشرعية الفادحة!!!**".



(١) نفسه (ص:٧٦).

هذه صورة الورقة الأولى من رسالة علي بن حاج إلى الجماعات المسلحة التي فيها ما سبق ذكره

هذه صورة آخرها مع توقيعه

هذه صورة الورقة الثالثة التي نقلت منها آنفًا الكلام المنتقد

هذا وكل هؤلاء -وخاصة منهم الإخوان المسلمون- يرون أنفسهم عالمين بالواقع ويضحكون على العلماء السلفيين، مع أن التاريخ الحديث برهن بلا خفاء على أنه لا يُعرف فِي المسلمين أغبَى ولا أجهل بالواقع منهم؛ وإليك بعض الأمثلة الَّتِي تبيّن سرعة تغرير أعدائهم بِهم.

- من هم الذين استغلهم الضباط الأحرار بِمصر ليصلوا بِهم إلَى مآربهم ثُمَّ يقضوا عليهم؟ آلإخوان أم السلفيون؟!

- من هم الذين منَّاهم بعض الحكام بالعمل بالشريعة، وأظهروا لَهم بعض الشعارات الدينية حَتَّى أعطوهم أفئدتهم؟! آلمتبجّحون بفقه الواقع أم السلفيون؟!

- من هم الذين استهزأت بِهم أمريكا فِي قضية أفغانستان؟!

- من هم الذين لُعبَ بِهم فيها حَتَّى حكَمهم شر المتصوفة؟!

- من هم الذين أفتوا بدخول البرلمانات، ووقعوا فِي شراك الانتخابات، مُحسِّنين ظنونَهم بالديمقراطيات، مصدِّقيها حين وعدتْهم بالحكم إن كانت لَهم الأصوات؟! وكانت نِهايتها زيارة السجون، وعد المقاعد فِي الأموات؟!

- من هم الذين خدعهم الخميني بدولته الرافضية يوم سقط الشاه؟! آلسلفيُّون أم الحركيُّون على بكرة أبيهم؟!

- من هم الذين حرَّموا الاستعانة بأمريكا وحلفائها فِي قضية الخليج، ثُمَّ استعانوا وسكتوا عمن استعان بالمليشيات الشيوعية فِي أفغانستان؟! وكذا استعانة الأكراد فِي شمال العراق بالغرب؟! وكذا استعانة مسلمي البوسنة والهرسك ببعض النصارى؟! وكذا شد حزب جبهة الإنقاذ الجزائرية رحاله إلَى الفاتيكان بإيطاليا، وقد استنجدوا به مرتين، واجتمعوا هناك تحت إشراف النصارى؟! يريدون حلَّ مشكلتهم عند من كانوا ولا يزالون سبب مشكلتهم!! قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

ويا له من ذل! ...

مِمَّا يدل على أن هؤلاء المحرِّمين المحلِّلين يستغلون الدين ولا يتَّبعون الذين!

- من هم الذين غرهم زعيم البعث العراقي أيام حربه مع الرفض الإيراني حَتَّى شبّهوه بفاتح القادسية؟! اسألوهم إِنْ كانوا ينطقون! ومنهم عبد الرحمن عبد الخالق؟! ولماذا غيَّر رأيه فيه بعد حرب الخليج؟!!!

بِهذا تستبينوا حقيقة هؤلاء فِي تظاهرهم بالغيرة على الدين.

- مَن مِن الحركيين -وعلى رأسهم "الإخوان المسلمون"- لَمْ يكن مع العراق، بل مع صدام المستولي على الكويت؟! حَتَّى زارنا -شانئ السلفية- إسماعيل الشطي متذمِّرًا من إخوانه "الإخوان" الخاذلين الكويت وهو كويتِي!!

وتالله إِنَّها لإحدى الكبر! نذيرًا لمن أراد أن يتبين مبلغ وعي متتبعي سياسات البشر! يا لَها من مهزلة! صلَّى صدام للتلفزيون ركعتين فإذا بالأمم والشعوب الإسلامية بدعاتِها -حاش السلفيين- وراءه بالنفس والنفيس!

ومع هذا كله تسمُّون هؤلاء المراهقين السياسيين اليوم: "شباب الصحوة!"، وتشتغلون بالسياسة وتتظاهرون بالكياسة، وأنتم أول من يضحك عليه الصياد، وبيننا وبينكم يوم المعاد.

لذلك فلا غضاضة فِي أن أقول: **لو خرج رجل من اليهود فِي ديار المسلمين، وتظاهر بزيِّ المسلمين، بل ولو تظاهر بزيِّ الكفار لكنه يحفظ آية واحدة من القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]. وأحسن ترديدها فِي المجالس العامة بلهجة عاطفية، وتهرج بأخبار الكفار، واللعب على العواطف بالتظاهر ببغض أمريكا، ثُمَّ نادى: يا فلسطين، لَمَا تخلف عنه أحد من الحركات الإسلامية، ولقادهم جميعًا لا إلى فلسطين، ولكن إِلَى مجزرة تل أبيب!! وإِلَى الله المشتكى.**

فكيف لو خرج عليهم الدَّجَّال يحيي الموتى، ويأمر السماء أن تُمطر فتمطر،

ويأمر الأرض أن تُخرج كنوزها فتخرج؟! وقد قال ابن سيرين: "**لو خرج الدَّجَّال لرأيت أنه سيتبعه أهل الأهواء**"(١).

كتبتُ هذا ثُمَّ تذكرتُ أن أخص أهل الأهواء الذين يَخرج فِي صفوفهم الدجال هم الخوارج، لتقارُب ما بينه وبينهم من فكر أهوج وفتنة عمياء، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ينشأ نشءٌ يقرءون القرآن لا يُجاوز تراقيهم، كلما خرج قرنٌ قُطِع**». قال ابن عمر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كلما خرج قرنٌ قُطع**». أكثر من عشرين مرة: «**حَتَّى يَخرج فِي عِراضهم الدَّجَّال**»(٢).

كتبتُ هذا ثُمَّ فوجئت بدعوة رجل يقال له مُحمَّد المسعري، لَمْ تسعه أرض الله فِي البلاد السعودية حَتَّى اختار لنفسه ديار الكفر ببريطانيا، يكتب عن الإسلام مع أنه لا هو فِي العير ولا فِي النفير، تبعته جماهير غفيرة وهي لا تعرف عنه إلا كلامه السياسي فِي صورة استرجاع المظالم!!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) رواه اللالكائي فِي شرح أصول الاعتقاد (٢٣٥) بإسناد صحيح.

(٢) صحيح ابن ماجه للألباني رقم (١٤٤) وقال: "حسن".

هذه صورة عن بعض ما ينشره مُحمَّد المسعري الناطق الرسمي للجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية

أولا: لم أتهم الشيخ عبد العزيز بن باز بالكفر وإنما قلت بالحرف الواحد (إن كثيرا من العلماء و المشايخ يرون أنه بعد فتواه بجواز الصلح مع إسرائيل قد وصل إلى مرحلة تقارب الكفر).

ولقد نقلت رأي هؤلاء العلماء والمشايخ ، أما رأيي الشخصي فهو أن الشيخ بن باز قد وصل إلى مرحلة من الخرف و السفه والضعف التام و لكني لم أرى منه كفرا بواحا لدي عليه برهان من الله سبحانه و تعالى .

ثانيا: لم أتعرض لعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله والتي ذكرت للصحيفة و هي أنه كان رجلا ساذجا و ليس عالما وتبنى فهما و مراقبة ساذجة تتناسب مع سذاجة القوم في عهد في تلك الأيام و لم أهاجمه شخصيا وحسابه على الله و إنما هاجمت موقفه من تقسيم السلطة الدينية للمشايخ والسلطة الدنيوية لآل سعود و قلت أن هذا لا يتمشى مع الإسلام من مسحة التي تعطي الحكم بالتبعية وفقا ما فيه ، ومن أحق أن يتبع .

ثالثا: مما نقل عني بالعنوان من أبي سفيان ، فلقد كان ذلك في معرض ردي على سؤال من أحد الأخيرة الشبكة العصرية أني أعتبر معاوية (مغتصبا) وأني أعتقد أنه سيلقى جزاءه من الله يوم القيامة على ما ارتكبه من جرائم و لكني لم أكفره بل إني أكدت على أني أعتبر جميع الصلح من جهة آل سعود.

رابعا: لم أمدح الخميني كما روجت الأجهزة السعودية أما عن اشارتي الى تعبير (الإمام) فإنما

The Committee for the Defence of Legitimate Rights in Saudi Arabia
BM Box: C.D.L.R. London WC1N 3XX U.K : ☎ : (081) 830 4715 ; Fax (081) 830 4
E Mail: 100043. 1 10 compuserve. COM

لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية

C.D.L.R

هي من باب استعمال اللفظ الشائع ولا يعني اعترافي بها منه بالمعنى الشرعي كما ان قولي (انه رحيم بالرافضي عليم وجوهري) لا يعني ابتداعي بولاء المقتبه كما اوضحت في جوابي على سؤال آخر.

خامساً: صحيح اني قلت ان اركان الاسلام (ستة) ولكن لم أكن جاداً وانما كنت اسخر من النظام السعودي الذي قلت انه اضاف الى اركان الاسلام الخمسة ركناً سادساً هو (الطاعة السعودية).

سادساً: عندما رفضت الاجابة على سؤال من احد الحاضرين ممن دسّتهم الاجهزة السعودية عن الحزب السياسي الذي انتمي اليه لم يكن ذلك من باب الجبن او الخوف، لكن لان السؤال ليس له علاقة بالمحاضرة اما الحقيقة التي يعرفها الجميع فهي انني عضو في حزب التحرير الاسلامي منذ اكثر من عشرين عاما وانا افتخر بهذه العضوية كما انني افاخر باني اول من اسس قواعد هذا الحزب في جزيرة العرب وقد اعلنت هذه الحقيقة علانية جهاراً امام المحكمة الشرعية الكبرى بالرياض وسوف اظل وفياً لمبادئ هذا الحزب الاسلامي الى ان القى حتى القى الله عز وجل دون ان ابدل تبديلاً إن شاء الله.

هذا ونحث الاخوة الراغبين في تقصي الحقائق ان يشاهدوا أو يستمعوا الشريط الكامل للمحاضرة وهو بحمد الله موجود ويمكن طلبه من اللجنة كما يمكن طلبه من البرلمان الاسلامي في بريطانيا ممثلاً في رئيسه فضيلة الاخ الدكتور/ كليم صديقي.

((وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون))

الناطق الرسمي

د. محمد عبدالله المسعري

لندن، الخميس ٢٢/١٠/١٤١٥هـ - الموافق ٢٣/٣/١٩٩٥م.

The Committee for the Defence of Legitimate Rights in Saudi Arabia
BM Box: C.D.L.R., London WC1N 3XX U.K. ; Tel: (081) 830 4715 ; Fax (081) 830 4716
E-Mail: 100043.1410 Compuserve.com

- قال العلامة عبد العزيز بن باز فِي صاحب هذا المنشور: "... من الحاقدين الجاهلين الذين باعوا دينهم وباعوا أمانتهم على الشيطان من جنس مُحمَّد المسعري"(١).

❋ قلت: ولابد من تذكر أنه لا يكاد أحد يجهل عفة لسان الشيخ ابن باز، فإذا سلَّط لسانه على أحد فثَمَّ أمر عظيم!

وصورة هذا المنشور تدلك عليه، بل وتُعرِّفك بمبلغ علم صاحبه ودينه، ومع ذلك فقد وجد لدعوته رَواجًا فِي سوق أصحاب "الصحوة!"، وكيف لا تروج بضاعتُهم وسلمان العودة -هدانا الله وإياه- دعا فِي الوجه الثانِي من شريط "أخي رجل الأمن" إلَى تأييد لجنة هذا الرجل الموتور فكيف بالأتباع؟!!(٢).

ولذلك وجدتُ ابن بطة العكبري يقول فِي زمنه: **"والناس فِي زماننا هذا أسرابٌ كالطير يتبع بعضهم بعضًا، لو ظهر لَهم من يدَّعي النبوة، مع علمهم بأن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء، أو من يدَّعي الربوبية لوجد على ذلك أتباعًا وأشياعًا"**(٣).

ولعلك لاحظت أنه ما من دعوة يراد لَها رواج إلا استُغِل فِي ذلك القضايا السياسية، كما هو باد مِمَّا أبرزته فِي هذه الصورة.

وكذلك فعلت مجلة "السنة" الَّتِي يستقي منها "شباب الصحوة!" أخبار العالَم، فقد جمعت فِي عشها البريطانِي رويبضات الزمن وتجرَّأت على النيل من علماء السنة؛ فهي بالأمس -فِي عدد رمضان ١٤١٣هـ- أخذت تقدح فِي عرض أحد كبار

(١) جريدة المسلمون العدد: (٥٤٣) (٢ صفر ١٤١٦هـ).

(٢) ولسلمان أيضًا كلام مثله فِي محاضرته الَّتِي ألقاها بعرعر تَمهيدًا لإنشاء هذه اللجنة بعنوان: "حقوق الإنسان فِي الإسلام"، وأخرى بعنوان: "يا أُهيل الحرم"، وقد قامت هيئة كبار العلماء لهذه الدعوة بالمرصاد -والحمد لله- منهم الشيخ ابن عثيمين كما نبَّهتُ عليه (ص:١٩٧)، ثُمَّ إن طعن المسعري فِي الصحابي معاوية ﷺ أعظم جرمًا من طعنه فِي غيره من علمائنا المذكورين؛ فلا تغفل!

(٣) الإبانة (٢٧٢/١).

العلماء السلفيين، وهو الشيخ مُحمَّد أمان الجامي -رحمه الله-، ولَمْ تعرف له سابقته فِي العلم والدعوة، ولا وَقْرته فِي سنه، حَتَّى جعلت تستهزئ بلهجته، وتقول: إنه ينطق الحاء هاء، ومثّلت بكلمة "مُلْهِد!" بدلاً من "ملْحد!" نعوذ بالله من قلة الحياء! بله من فَقْد الحياء!!

بل حَتَّى العلامة الألباني لَمْ يَسلم من طعنها اللاذع بقلم مُحمَّد سرور زين العابدين!

وهي اليوم تستغل قضية الصلح مع اليهود لتوجِّر أحدهم فيطعن فِي العلامة عبد العزيز بن باز[1]، على عادتهم فِي استغلال القضايا السياسية للكيد للعلماء وإثارة العامة عليهم، واستنجد فِي ذلك بالدكتور يوسف القرضاوي، ورمى الشيخ بأنه يُفتِي فيما ليس له به علم!

وذلك قوله: "وهل الشيخ على علم حقًّا بِما يجري حَتَّى يُدْلِي بدَلْوه فِي هذا الوقت بالذات، وفِي مثل هذا الموضوع الخطير؟ ..."[2].

ثُمَّ أخذ كاتب "السنة!" يفصح عما فِي نفسه قائلاً: "هل يعرف الشيخ ما معنى المستعمرات الاستيطانية؟ لا أظن! كما لا أظن أنه -فِي هذه السن- يُمكنه أن يَدَع أحدًا من تلاميذه أن يشرح ويوضح له هذا المصطلح، وما يترتب على استيطان هؤلاء اليهود...".

❋ قلت: إذن فالشيخ لا يعرف، ولا يحب أن يعرف؛ لأن كبر سنه ورَّثه كِبرًا عن تقبُّل النصح، فيما يظهر من هذا الهذيان!!

ومع هذه التهم الهالكة فإن الشيخ -فِي أدبه الذي لا يُشق له فيه غبار- لَمْ يزد على أن قال بعد البيان العلمي: "ما ذكرناه فِي الصلح مع اليهود أوضحنا أدلته الشرعية .. فارجو من فضيلة الشيخ يوسف وغيره من إخواني أهل العلم إعادة النظر فِي هذا الأمر بناء

(١) مجلة السنة، عدد (٤٥) رمضان ١٤١٥هـ (ص:١٧-٢٨).

(٢) مجلة المجتمع، عدد (١١٣٣).

على الأدلة الشرعية لا على العاطفة والاستحسان"[١].

* قلت: كان الأولى بذاك الطاعن ألاَّ يفتح هذا الباب بمثل ذاك الطعن المرمَّم بسؤال!

بل كان الأولى بالقرضاوي أن يبري قلمه لتقويم جماعته "الإخوان المسلمون"؛ الذين نادوا بلا استحياء أن النصارى إخوانهم، وقالوا في بيانهم المؤرخ في (٣٠ من ذي القعدة ١٤١٥هـ): "وموقفنا من إخواننا المسيحيين في مصر والعالم العربي موقف واضح وقديم ومعروف: لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وهم شركاء في الوطن، وإخوة في الكفاح الوطني الطويل، لهم كل حقوق المواطن المادي منها والمعنوي، المدني منها والسياسي ... ومن قال غير ذلك فنحن برآء منه ومِمَّا يقول ويفعل!!"[٢].

وجعلوا الشورى الإسلامية أختًا للديمقراطية الكافرة، فقالوا: "وإذا كان للشورى معناها الخاص في نظر الإسلام فإنّها تلتقي في الجوهر مع النظام الديْمقراطي!!".

وفيه دعوتُهم الحكومة أن تلتزم بالقانون الوضعي لا الشريعة فقالوا: "... بإصرار الإخوان على مطالبة الحكومة بألا تقابل العنف بالعنف، وأن تلتزم بأحكام القانون والقضاء!!".

بل رضوا لأنفسهم ذلك، فقالوا: "ولكنهم -أي: الإخوان- ظلوا على الدوام ملتزمين بأحكام الدستور والقانون...!!".

ولَمْ يقولوا هذا تقية منهم، ولكن عن قناعة كما شهدوا على أنفسهم بأنفسهم قائلين: "والأمر في ذلك كله ليس أمر سياسة أو مناورة، ولكن أمر دين وعقيدة،

---

(١) جريدة المسلمون (٢٥ رمضان ١٤١٥هـ - ص:٤).

(٢) مجلة المجتمع، عدد (١١٤٩) (ص:٤٠-٤١).

وينبغي أن يُعلم أن لـ"هيئة كبار العلماء" بالمملكة العربية السعودية فتوى في أن "دعوى وحدة الأديان" وكذا "دعوى مؤاخاة اليهود والنصارى" كفرٌ مخرج من الملة.

يلقى "الإخوان المسلمون" عليها ربَّهم: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]".

* قلت: إنا لله، وإنا إليه راجعون! آجركم الله في مصابكم يا د: يوسف! لِمَ لا توجِّه نقدك إلى هؤلاء؛ فإن الأقربين أولى بالمعروف؟!

بل أعد البنيان من أساسه، فإن الأمر لا يجبره الترميم؛ إذ الخلل عقدي وقديم كما صرحوا بذلك فيما سبق، ولقد صدقوا؛ فقد نقل محمود عبد الحليم -وهو من أعمدتهم- ما سمعه بنفسه من محاضرة حسن البنا قوله: "**فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية؛ لأن القرآن حض على مصافاتهم ومصادقتهم، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية، وقد أثنى عليهم، وجعل بيننا وبينهم اتفاقًا: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [العنكبوت:٤٦]. **وحينما أراد القرآن الكريم أن يتناول مسألة اليهود تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية....!!**"(١).

* قلت: تأمل؛ إذا دخل الجاهل في السياسة ماذا يصدر منه؟

كان الأولى بالدكتور أن يراجع كلمة قطبه هذه؛ فهي خطأ فادح!

وأين خطأ العلامة ابن باز -لو كان خطأ- من هذه الَّتي صرح بعض أهل العلم فيها بأنه ليس بينها وبين الكفر حجاب؟!

أهذا التحامي للباطل غيرةٌ على الدين وحربٌ على اليهود أم هي حرب على المنهج السلفي؟!

شكوتُ إلى القرضاوي ما قاله شيخه البنا، فإذا بي أجدني ضيَّعتُ شكواي، لأن القرضاوي نفسه على دربه يسير؛ حيث قال: "**فنحن لا نقاتل اليهود من أجل العقيدة!! إنَّما نقاتلهم من أجل الأرض!! لا نقاتلهم لأنَّهم كفار!! وإنَّما نقاتلهم لأنَّهم**

(١) الإخوان المسلمون ... أحداث صنعت التاريخ (١/٤٠٩-٤١٠).

اغتصبوا أرضنا، وأخذوها بغير حق!!"[١].

* قلت: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨].

ثُمَّ أعود إِلَى آية الباب قائلاً: فهلاَّ أخذتم العبرة من سبب نزول آية الباب، وتدبرتم الفرق بين العوام الذين سارعوا إِلَى إذاعة خبر تطليق النَّبي ﷺ نساءه، حَتَّى كادوا يفتنون أهل المدينة كلها، وبين أناة أهل العلم كابن عباس الذي مكث سنة كاملة لا يقول فيه شيئًا حَتَّى يسأل عمر، وعمر لا يَلْوي على شيء من الإشاعة حَتَّى يسأل أهل الاستنباط، مع أنه منهم -رضي الله عنهم أجمعين-، وهو الذي كان يقول: «تفقَّهوا قبل أن تُسَوَّدوا»[٢].

وفِي "المتواري على تراجم أبواب البخاري"[٣]: "وجه مطابقة قول عمر ﷺ للترجمة- أي: باب الاغتباط فِي العلم والحكمة- أنه جعل السيادة من ثمرات العلم، وأوصى الطالب باغتنام الزيادة قبل بلوغ درجة السيادة، وذلك يحقق استحقاق العلم؛ لأنه يغتبط به صاحبه؛ لأنه سبب سيادته".

وقال ابن حجر: "إن تعجلتم الرياسة الَّتِي من عادتِها أن تَمنع صاحبها من طلب العلم فاتركوا تلك العادة، وتعلموا العلم لتحصل لكم الغبطة الحقيقية".

وقال الخطَّابي عند شرحه حديث: «يظهر الجهل ...»: "يريد -والله أعلم- ظهور المتحلين للعلم المترئسين على الناس به قبل أن يتفقَّهوا فِي الدين، ويرسخوا فِي علمه"[٤].

وفِي شريط مسجل من "سلسلة الهدى والنور" (رقم٤٤٠/١) دار نقاش طويل

(١) جريدة الراية القطرية، العدد (٤٦٩٦ - الأربعاء ٢٤ شعبان ١٤١٥هـ).

(٢) رواه البخاري تعليقًا، ووصله الدارمي (٧٩/١)، وأبو خيثمة فِي العلم (٩)، وابن أبِي شيبة (٨/ ٥٤٠-٥٤١)، وابن عبد البر فِي الجامع (٥٠٨-٥٠٩/ الزهيري)، والخطيب فِي الفقيه والمتفقه (٧٧١-٧٧٤/ العزازي)، وإسناده صحيح، كما قال ابن حجر فِي فتح الباري (١٦٦/١).

(٣) (ص:٥٨) لابن المنيِّر.

(٤) العزلة (ص:٢٠٩).

بين الشيخ الألباني وبين بعض شباب جبهة الإنقاذ الإسلامية الجزائرية، زعم هذا الأخير إغلاق الخَمَّارات وبيوت الفواحش أيام عمل الجبهة فِي مبالغة مدهشة[1]، فأجاب الشيخ بِمنع دخول البرلمانات لا يَلْوِي على شيء من نتائج التحزب، وذكر سبب المنع فقال:

- الأول: أنه خلاف هدي النَّبِي ﷺ؛ إذ لَمْ يدخل مع الكفار بمثل هذا.
- الثاني: أن كل من يدخلها لابد أن ينحرف عن الإسلام شيئًا فشيئًا.

فزعم أحدهم أن الجبهة لَمْ "تتنازل" عن شيء من الدين.

❀ فسأله الشيخ: هل يتعامل بعضهم بالربا بحكم أن بعض المؤسسات الحكومية بأيديهم؟

فأجاب بالإيجاب، ثُمَّ بادر الشاب إِلَى سؤال حطَّم به مزاعمه الأولى بعد هذه الهزيمة الأولى، فقال: إذا عرضت لنا قضية فقهية فيها رأيين[2]: فيها رأي عند الفقهاء راجح ومرجوح، وإذا ما أخذنا بالقول الراجح فيها تسببنا فِي فتنة أو مشكلة أو

---

(١) لو جاز أن نبني الفقه على النتائج الواقعية لقلنا: لئن أراد هذا الشاب من إغلاق بيوت الفواحش بعضها، بقوة حديد جبهة الإنقاذ لقلنا: إن عشرات منها قد أغلقت أبوابها قبل وجود الجبهة، بل وعلي بن حاج غائب فِي السِّجن الأول، أيام كانت السلفية تكتسح الساحات الدعوية فِي سرعة جعلت "الإخوان المسلمين" و"الجزأرة" يوشون بشبابها إِلَى الحكام -كما هي عادتُهم- لأنَّ دعوة هؤلاء أفلست؛ إذ قلَّت فِي ذلك الوقت التموُّجات السياسية الَّتِي بها يستعطفون الناس كسبًا لأصواتِهم! فكره الناس مَجالسهم؛ لأنَّها حلقة مفرغة دائمة الدوران بلا عائد، وهي: فلسطين، أفغانستان...! فِي محاضرات تسخين الكراسي والتهريج الممل، وتوجه الناس إِلَى دعوة السلف؛ لأنَّهم وجدوها تُعلِّمهم دينهم، وحول الكثير منهم محلات الفواحش إِلَى محلات طاعة لله عن رضا وقناعة بالحجَّة الدينية، فما لبث علي بن حاج أن خرج من السجن حَتَّى التفَّ حوله الغوغاء، ولَمْ يطل عمر حزبه سوى ثلاث سنوات ضرب فيها الدعوة الإسلامية عرض الحائط، وعرض البقية من شبابِها للذبح: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:١٤].

(٢) كذا فِي التسجيل.

تفرقة بين المسلمين، فهل يجوز لنا أن نأخذ بالقول المرجوح لمصلحة وحدة المسلمين؟

فقال الشيخ: "هذه هي السياسة! هذه هي السياسة!".

فقال مُحمَّد إبراهيم شقرة: هذه السياسة ليست شرعية.

فقال الشيخ: أي نعم! ثُمَّ قال: "المسألة في الحقيقة مهمة جدًّا، أنا سمعت أن الجبهة أو النهضة ما أدري -الأسْماء ما حفظتها بعد جيدًا- فيها ملايين، أليس صحيحًا هذا؟".

فقال الشاب مستبشرًا: نعم!

قال الشيخ: كم ألف عالِم فيهم؟

فقال الشاب: ما فيه!

قال: كم مائة عالِم؟

قال: لا، ما هو موجود!!

قال: طيب من يقودهم -يا جماعة!- هؤلاء؟

قال: الشيوخ قليلين[1] يعني؟

قال: هل يستطيع هؤلاء الشيوخ أن يقودوا ملايين؟

قال: طبعًا لا.

قال: هل يمكنهم أن يعلّموا ملايين؟

قال: أبدًا!

قال الشيخ: "إذن أنتم تعيشون في الأوهام!! ومن ذلك هذا السؤال الذي أنت تطرحه الآن حينما يكون في هؤلاء الملايين من المسلمين علماء يستطيعون أن يديروا دفة المحكومين من أهل العلم، حينما يوجد فيهم المئات ولا أقول الألوف ليس هناك حاجة أن يُطرح مثل هذا السؤال: راجح ومرجوح، هل يجوز لنا أن نأخذ بالقول

---

(١) كذا في التسجيل.

المرجوح ونترك القول الراجح؟!!

هذا: الفقيه هو الذي يجيب عن هذا، وأنا أضرب لكم مثلاً من واقع حياتنا مع الأحزاب، أنا قلت مرة لأحد أفراد حزب التحرير: يا جماعة! أنتم تريدون أن تقيموا الدولة المسلمة، وأنتم لا تدرسون الشريعة من أصولها وقواعدها، وأنتم تحتجّون في كتبكم ببعض الأحاديث غير الصحيحة؟!".

قال: أخي! نحن نستعين بأمثالكم.

قال الشيخ: "هذا الجواب هو أول الهزيمة؛ لأنه حينما يكون هناك حزب يعتمد على غيره، معناها أنه حزب في قوته غير مكتمل، وكان هذا الرجل قال لي: لا زلتم أنتم تضيّعون أوقاتكم في الكتب الصفراء....!!".

ثُمَّ قال الشيخ عن ملايين جبهة الإنقاذ: "لكن هؤلاء أليسوا بحاجة إلى أطباء بدن؟ لا شك أنه عندكم أطباء بدن بالمئات، بل بالألوف، طيِّب! أليسوا بحاجة إلى أطباء -كما يقولون في العصر الحاضر- في الروح؟ هذا أولى وأحوج وأحوج! هل هؤلاء موجودون بتلك النسبة؟ الجواب: لا! ...".

ثُمَّ أخبر عن مخاطبته حزب التحرير قائلاً: "افرضوا أنكم ما بين عشية وضحاها أقمتم عَلَم الدولة الإسلامية -يعني: بانقلاب من الانقلابات- لكن الشعب ما عنده استعداد لأن يُحْكَم بما أنزل الله، يُمكن ... أنتم ... جماعتكم قالوا: قرار رقم واحد، اثنين: ممنوع -مثلاً- دخول السينماءات، ممنوع خروج النساء متبرجات ... إلخ، ستجد -يُمكن- بعض نسائكم أول من يُخالف هذه القوانين الإسلامية! لماذا؟ لأنَّ الشعب لَمْ يُربَّ على ذلك، ومن يربِّي الشعب؟ هم العلماء، وهل كل نوع من أنواع العلماء؟ ...".

ثُمَّ تكلم عن علماء الكتاب والسنة العاملين بهما، ثُمَّ قال: "لذلك أنا أعتقد أن الجهاد الأكبر الآن هو: هذه الملايين المملينة أن تخرج العشرات من العلماء المسلمين

هناك، حتَّى تتولوا توجيه الملايين إِلَى تعريفهم بدينهم وتربيتهم على هذا الإسلام، أما الوصول إِلَى الحكم، فكل طائفة تحاول أن تصل إِلَى الحكم، ثُمَّ تستعمل القوة فِي تنفيذ قراراتها وقوانينها، سواء كانت حقًا أو باطلاً، والإسلام ليس كذلك".

ولو أن إخواننا هؤلاء أخذوا بهذه النصيحة الذهبية لجنَّبوا الإسلام والمسلمين الفتنة العظيمة الَّتِي يعيشها اليوم كل العالم الإسلامي. وفِي كل مرة تؤخَّر الدعوة الإسلامية بعجلة شبابها وانحراف موجِّهيها، ومن استعجل الشيء قبل أوانه ابتلي بحرمانه، والله العاصم.

وأختم بهذه الكلمة الَّتِي أرجو من إخوانِي أن يعوها، وهي:

لئن كان فِي الخروج على الحكّام من الشر ما برهن عليه تواطؤ النصوص الشرعية مع الأخبار الواقعية، كما ظهر من صنيع حدثاء الأسنان فِي كل الأزمان، فشر منه الخروج على العلماء بإهدار حقهم، وعدم اعتماد فتاواهم إلا ما وافق أهواء الحركيين، واستصغار شأنهم فِي السياسة، ورميهم بعلماء بيت الوضوء! وما أشبهها من الألقاب الَّتِي يَنْبز بها المبتدعة صاغرًا عن صاغر العلماء السلفيين كابرًا بعد كابر؛ وفِي هذا إهدار للشريعة بتجريح حملتها وشهودها، والله الموعد![1].

---

(١) كل من دخل العمل السياسي قبل أوانه أو من غير بابه قال مثل هذا، ومن لَمْ تسمعوه فهو على الطريق .... حتَّى علي بن حاج، فقد وقع فِي نبز شيوخ السلفية كما ستقرؤه هنا إن شاء الله، وقد كان قبلها ينهى عن ذلك، فما زالت به السياسة حتَّى رمى بالنفاق القائلين بلزوم البيوت، وعدم الاشتراك فِي الإضراب عن العمل الذي نظمته جبهته، ولَمْ يُشتهر من قال به من أهل العلم يومئذ إلاَّ الشيخ الألباني، وقد أبلغناه كلمة الشيخ هذه، بل وقد أذيعت فتواه فِي ساحة الإضراب -ساحة أول ماي- بمكبر الصوت على مراغمة لأنوف أتباع الجبهة، فقام ابن حاج بعدها حين اعتقل بكتابه ذلك فِي رسالة على طرتها "قال الحق ... وقال الباطل!"، وفيها رمى الشيخ بالنفاق بطريقة سياسية، "انظر فيها: (ق٦أ-ب، ق١١أ، ق١٣أ- ب، ق١٤ب..)، وقد خانه قلمه عن التعريض فِي (ق ١٨ب) حتَّى قال: "فالتعلل والهروب من نصرة الحق باسم الفتنة إنَّما =

ولقد كان يقال فِي الجزائر: "جبهة الإنقاذ لَمْ تركن إلَى الذين ظلموا!!". فإذا بِهم لما دارت عليهم الدائرة، وأسلمهم أتباعهم إلَى عدوهم، يكتبون بيانًا يطالبون فيه الدول الكافرة وغيرها بأن تقاطع الجزائر اقتصاديًّا؛ لأنَّها غصبت الشعب حقه فِي حرية الاختيار!

ثُمَّ يكتبون آخر يستغيثون فيه بالبرلمانات العالمية، ومعلوم أنه -فضلاً عن كونه استعانة بالكفار- فهو استغاثة بالبرلمان الإسرائيلي؛ لأنَّهم لَمْ يستثنوه -كما ستراه هنا- مع علم الجميع أنه أضحى اليوم يتحكم فيها كلها.

هو شأن المنافقين أو الجبناء ...!!". والذي يدل على أنه يقصد الشيخ الألبانِي وأتباعه قوله فِي (ق١٢أ): "فهل يقال بعد هذا كله: أن (كذا) جهاد الطوائف الممتنعة عن التزام شرائع الإسلام فتنة عمياء صماء بكماء؟!!".

* قلت: هذه الجملة الأخيرة الَّتِي يرد عليها علي بن حاج تجدها فِي شريط استجواب مع الشيخ الألبانِي، الذي سبق أن ذكرتُ أعلاه أنه أذيع على مسامع الجبهة، فبهذا إذن يبين لك المردود عليه! وانظر إن شئت أيضًا: "ق٢٠أ ب"

أما علماء السعودية فهو من زمن بعيد يسميهم: "علماء البلاط! بل علماء أمريكا!! بل علماء الدولار!!" ثُمَّ وجدته يقول فِي رسالته إلَى وزير الاتصال -وقد صورتُها هنا بعد بيان الجبهة الآتِي-: "ولذلك أقول جازمًا -بإذن الله تعالى-: إن النظام الجزائري يجب مجاهدته شرعًا كما يجب مقاومته حتَّى بِمعيار الغرب؛ لأن الكثير من دعاة السوء يستنكف على أن يسمي مقاومة السلطة الطاغية الباغية المبدِّلة لشرع الله، والمغتصبة لحق الشعب فِي الاختيار جهادًا ... وهل تريدون منا الخضوع والخنوع للطواغيت بِمثل هذه الفتاوى الباطلة الَّتِي يصدرها علماء السلطة والشرطة؟! وإنِّي لأقولها بصراحة ووضوح: إن بِمثل هذه الفتاوى الباطلة ضاعت حقوق الشعوب، وخدرت أعصابُها حتَّى أصبحت لعبة فِي يد الطواغيت ...".

* قلت: إذن فالعلماء الأعلام -أمثال ابن باز والألبانِي وابن عثيمين- الذين ستقرأ هنا فتواهم الموحدة فِي المنع من مقاتلة النظام الجزائري يعدون دعاة سوء وتخدير؟! وعلماء سلطة وشرطة؛ لأن هؤلاء جميعًا استنكفوا عن تسمية ما أنتم فيه جهادًا؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهاكم صورة هذا البيان بعد هذه الصفحة، وهو تنديد جبهة الإنقاذ الإسلامية بالنظام بعد مصادرته قانون الانتخابات، وتوقيفه إثر فوزها فِي الدور الأول منه، فاقرءوه لتعلموا ما هو الإسلام الذي تنادي به الجبهة، ولتدركوا مدى صدق ما تنسب إليه من السلفية.

❊❊❊❊❊

هذا محتوى بيان الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزائر: ١٤/رجب/١٤١٢هـ الموافق: ١٩/جانفي/١٩٩٢م

نواب الأمة الفائزين في الانتخابات التشريعية الدور الأول

نداء(١) إلى السادة(٢) البرلمانيين في الداخل والخارج(٣)

نحن منتخَبي الجبهة الإسلامية للإنقاذ، ممثلي أغلبية الشعب الجزائري المجتمعين بالجزائر العاصمة يوم ١٤/رجب/١٤١٢هـ الموافق ١٩/١/١٩٩٢م.

بناء على أن الشعب هو مصدر كل سلطة وصاحب السيادة(٤)، طبقًا لما تنص عليه

---

(١) سمّوه "نداءً"، وهو استعانة بالكفار! وقد كانوا من قبل حرموها بشدة على السعودية في فتنة الخليج!! فهم كما قال تعالى: ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ [التوبة:٣٧]. ولو قلنا: إنه استغاثة بالبرلمانات الّتي يتظاهرون بالكفر بها لكنا أقرب إلى الواقع؛ لأنّهم نافقوا البرلمان العالمي واستكانوا له حين خدعهم نظامهم، وصدق الله تعالى فيهم حين قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُ وَمَا لاَ يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج:١١-١٣]. ولقد كان يكفيهم ربّهم الذي قال: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢].

(٢) عن بريدة بن الحصيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا للمنافق: سيد؛ فإنه إن يكن سيدًا فقد أسخطتم ربكم ﷻ». رواه أبو داود وغيره وهو صحيح.

(٣) هذا تأكيد منهم لضلالهم على أنّهم يستغيثون بكل برلماني العالم دون استثناء البرلمان الإسرائيلي.

(٤) وهذه كفرية فظيعة معناها إعطاء غير الله حق التشريع، وأن الشعب لو استحب الكفر على الإسلام، ولَم يُحرِّم ما حرم الله، ولا دان دين الحق ليس بملوم، والله تعالى يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ =

المادتين -هكذا- ٦، ٧ من دستور ٢٣ ... ١٩٨٩م، والذي قد عبر عن اختياره بكل حرية في جوّ من الهدوء والنظام في انتخابات ٢٨/ديسمبر/١٩٩١، الَّتي أسفرت في دورها الأول عن فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ بـ (١٨٨) مقعدًا من مجموع (٤٣٠) مقعدًا، وجبهة القوى الاشتراكية بـ (٢٥) مقعدًا، وجبهة التحرير الوطنية بـ (١٦) مقعدًا، والأحزاب بـ (٣) مقاعد.

وقد نشرت هذه النتائج بالجريدة الرسمية للجمهورية، (العدد:١)، الصادر بتاريخ: ٢٨/جمادى الثانية/١٤١٢هـ، الموافق ليوم: ١٩٩٢/١/٤م.

في الوقت الذي كان الشعب يستعد لخوض غمار الدور الثاني، إذا به يفاجأ بوضعية سياسية معقدة؛ تمثلت فيما يلي:

١- استقالة رئيس الجمهورية الَّتي تتعارض مع روح الدستور[1].

لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ....﴾ [التوبة:٢٩]. ردَّدوها قبل أن يصلوا إِلَى سدة الحكم، فكيف لو وصلوا؟! فكأن كرسي الحكم هدف يُرتكب من أجله كل مُحرَّم ولو كان كفرًا! وإذا كانوا يعتبرون النظام السائد كافرًا، فكيف يستخدمون الكفر لنفي الكفر، وتحكيم الإسلام؟! قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٣].

(١) اقرأ واعجب من تعظيمهم لهذا الدستور الذي يُحاربونه زعموا! وجدوه حيًّا بروحه، مع أن المسلمين لا يعرفون إلاَّ روح الوحي؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

وتأمل كيف أسفوا على ذهاب ملك الشاذلي بن جديد الذي قالوا عنه من قبلُ أيام الإضراب بساحة أول ماي بالعاصمة: "إنه حلال الدم"؛ وقد قيل قديمًا: "الصيف ضيعت اللبن". مجمع الأمثال (٦٨/٢) للميداني، وأجود منه ما رواه ابن بطة في الإبانة (٢١) بسند صحيح إِلَى الحسن البصري أنه قال: "ما لي لا أرى زمانًا إلا بكيت منه، فإذا ذهب بكيتُ عليه!".

٢- الإعلان عن حلّ البرلمان وقت تقديم الاستقالة، علمًا بأن هذا الإجراء يقتضي دستوريًا استشارة رئيس المجلس الشعبي الوطني، ورئيس الحكومة وفقًا للمادة (١٢) من الدستور.

٣- قبول المجلس الدستوري للاستقالة فورًا، وتخليه عن تولي منصب رئاسة الدولة بالنيابة، وفق ما تقتضيه المادة (٨٤) من الدستور.

٤- تجاوز المجلس الأعلى للأمن لاختصاصاته الدستورية كهيئة استشارية.

هذه الوضعية السياسية غير الشرعية[1] أدت إلى اغتصاب ومصادرة إرادة الشعب واختياره، وهي سابقة خطيرة في حق سيادة الشعوب والشرعية الدستورية في الدولة[2].

بناءً على ذلك؛ فإننا نحن منتخبي الجبهة الإسلامية للإنقاذ ممثلي أغلبية الشعب الجزائري، نتوجه إلى البرلمانيين في الداخل والخارج، المؤمنين[3] بإرادة الشعوب وسيادتها وحريتها في اختيار ممثليها وتقرير مصيرها، بما يلي:

١- الوقوف في وجه الاستبداد السياسي أينما وجد، والذي تمارسه الهيئات غير الدستورية[4].

٢- عدم الاعتراف بالهيئات التي لا تحظى بتزكية الشعب واختياره[5].

---

(١) يجب التنبه إلى أنهم يقصدون الشرعية الدستورية، لا الشرعية الإسلامية؛ يدلّ عليه ما بعده.

(٢) تأمل؛ فإنهم لا يتكلمون إلا بالشعب والدستور!

(٣) ما أفظع هذا؛ لأنه صار إيمانًا بإرادة الشعوب واختيارها وتقرير مصيرها؛ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١]. ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج:١٤]. ويقول: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد:٤١].

(٤) إذن فالاستبداد الذي تُمارسه الهيئات الدستورية ليس به بأس! ألا يمكن أن ينطبق هذا على جوهنز بورغ بجنوب إفريقيا؟! والله المستعان.

(٥) يا ليت شعري! من يعترف بنوح -عليه الصلاة والسلام- الذي لَمْ يحظ بتزكية شعبه، ولا اختاروه، بل قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠].؟! ومن يعترف بإبراهيم وسائر الأنبياء =

٣- المساندة من أجل استكمال المسار الانتخابي وإجراء الدور الثاني للانتخابات التشريعية، حتَّى يتشكل المجلس الذي سيعين رئيسه الذي سيتولى رئاسة الدولة بالنيابة وفقًا لأحكام الدستور، وذلك لمدة ٤٥ يومًا، تنظم خلالها انتخابات رئاسية ممَّا يعيد الشرعية لمؤسسات الدولة واحترام إرادة الشعب.

*****

-عليهم الصلاة والسلام- الذين ضلت أكثرية شعوبهم، حتَّى قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦].

هذه صورة البيان السابق

[illegible]

نواب الأمة
الفائزون في الانتخابات التشريعية
الدور الأول

الجزائر في: 14 رجب 1412هـ
الموافق لـ: 19 جانفي 1992م

نداء

إلى السادة البرلمانيين في الداخل والخارج:

نحن منتخبي الجبهة الإسلامية للإنقاذ ممثلي أغلبية الشعب الجزائري المجتمعين بالجزائر العاصمة يوم 14 رجب 1412، الموافق لـ: 19 جانفي 1992م

بناء على أن الشعب هو مصدر كل سلطة وصاحب السيادة طبقا لما تنص عليه المادتين 6 و7 من الدستور 23 فبراير 1989، والذي قد عبر عن اختياره بكل حرية كما هو معروف في انتخابات 26 ديسمبر 1991 التي أسفرت في دورها الأول عن فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ بـ(188) مقعدا من مجموع 430 مقعدا، وجبهة القوى الاشتراكية بـ(25) مقعدا، وجبهة التحرير الوطني بـ(16) مقعدا، والأحرار بـ(03) مقاعد، وقد نشرت هذه النتائج بالجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد (01) الصادر بتاريخ 28 جمادى الثانية 1412هـ، الموافق ليوم 04 جانفي 1992م.

وفي الوقت الذي كان الشعب يستعد لخوض غمار الدور الثاني إذا به يفاجأ بوضعية سياسية معقدة تمثلت فيما يلي:

1- استقالة رئيس الجمهورية التي تتعارض مع روح الدستور.
2- الإعلان عن حل البرلمان قبل تلقي الاستقالة، علما بأن هذا الإجراء يقتضي استشارة رئيس المجلس الشعبي الوطني ورئيس الحكومة وفقا للمادة 120 من الدستور.
3- قبول المجلس الدستوري للاستقالة فورا وتخليه عن تولي منصب رئاسة الدولة بالنيابة وفق ما تقتضيه المادة 84 من الدستور.
4- تجاوز المجلس الأعلى للأمن لاختصاصاته الدستورية كونها استشارية محضة:
أ- إذ أعلن عن توقيف المسار الانتخابي.
ب- تعيين مجلس أعلى للدولة خول له جميع سلطات رئيس الجمهورية.

هذه الوضعية السياسية غير الشرعية أدت إلى اغتصاب ومصادرة إرادة الشعب واختياره، وهي سابقة خطيرة في حق مبادئ الشعوب والشرعية الدستورية في الدولة.

وبناء على ذلك فإننا نحن منتخبي الجبهة الإسلامية للإنقاذ ممثلي أغلبية الشعب الجزائري نتوجه إلى البرلمانيين في الداخل والخارج [illegible] بإرادة الشعوب وسيادتها ومؤسساتها [illegible] اختيارها [illegible] بما يلي:

1- الوقوف في وجه الاستبداد السياسي أينما وجد والذي تمارسه الحكومات اللادستورية.
2- عدم الاعتراف بالهيئات التي لا تحظى بتزكية الشعب واختياره.
3- المساعدة من أجل استكمال المسار الانتخابي بإجراء الدور الثاني للانتخابات التشريعية حتى يتشكل المجلس الذي سيتولى [illegible] تولي رئاسة الدولة بالنيابة وفق أحكام الدستور، وذلك لمدة 45 يوما تنظم خلالها انتخابات رئاسية مما يعيد الشرعية لمؤسسات الدولة واحترام إرادة الشعب.

هذا محتوى بيان الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

اللائحة السياسية لنواب المجلس الشعبي الوطني للجبهة الإسلامية للإنقاذ الفائزين في الدور الأول

الجزائر، ١٤ رجب ١٤١٢هـ الموافق ١٩/١/١٩٩٢م.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

إزاء التطورات الخطيرة الَّتي تشهدها البلاد، وشعورًا منّا بثقل المسئولية الملقاة على عاتقنا، وإبراءً للذمة، ووفاءً للعهد أمام الله ثُمَّ أمام التاريخ والأمة:

فإننا نحن نواب الأمة المنتخبون يوم: ٢ جمادى الثانية ١٤١٢هـ الموافق: ٢٦/١٢/١٩٩١م المجتمعون يوم ١٤ رجب ١٤١٢هـ الموافق: لـ١٩/١/١٩٩٢م بالجزائر العاصمة نُذكّر بما يلي:

لَم تفتأ الأنظمة المتعاقبة على الحكم في البلاد تسير في الاتجاه المغاير لإرادة الأمة وطموحات الشعب[1] بدءًا بانتهاك دستور (٦٣) وانتهاءً بالتجاوزات الخطيرة

(١) تأمَّل تعبيرهم هذا الذي لا يختلف عن تعبير الديمقراطيين، وهل للشعب طموح وللأمة إرادة مع إرادة الله؟! ولماذا لا يعبرون بالإسلام بدلاً عن القاموس الديمقراطي؟! أهي مداهنة للنظام العالمي؟ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩]. أم هو انهزام وشعور بالذل لو نادوا بالإسلام؟ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

لدستور (٨٩)[١].

وكان من نتائج هذا المسار الخاطئ أن عمت الفوضى في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فجمّدت العقول، وعطّلت الطاقات، وبددت الثروات، وأبعدت الأمة عن مشروعها الحضاريّ الإسلاميّ، ولما لاح بريق الأمل، وظنت الأمة أنّها تنفست الصعداء من وطأة هذا الكابوس المخيف، **إذا بالموازين تنقلب فجأة فتصادر إرادة الشعب**[٢]**، فيوقف المسار الانتخابي، ويداس الدستور والقوانين**[٣] **وكافّة القيم الإنسانية**[٤].

وأمام هذا الوضع فإننا نحن نواب الأمة:

١- نُحذِّر من العواقب الوخيمة الّتي يمكن أن تنجرّ عن مصادرة اختيار الشعب، والذي عبر عنه بكل حرية بشهادة الصديق والعدوّ من خلال اقتراع (٢٦/١٢/١٩٩٢م) **اعتبارًا من أن السلطة التأسيسية هي ملك للشعب، وأنه لا جدوى لتمثيل الأمة إلا في**

(١) إنه انتهاك للدستور وتجاوز له بدءاً وانتهاءً كما قالوا، فأين الإسلام؟! اللهم إلاّ أن يكون الإسلام عندهم هو الدستور!

(٢) بكاؤهم عن مصادرة إرادة الشعب لا عن تعطيل الشريعة! فكيف لو أراد الشعب غير الإسلام؟!

(٣) هذا إيمان منكم بالدستور والقوانين الوضعية الّتي تظاهرتم بمعاداتها، بل إذا ساءكم أن يداس الدستور والقوانين فهل يسركم أن ترفعوها فوق رءوسكم؟! قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

(٤) هذه الكلمة مستلة من القاموس "الماسوني"، قال في معجم المناهي اللفظية (ص:٨٧): "اتسع انتشار هذه اللفظة البراقة بين المسلمين عامتهم وخاصتهم، ويستملح الواحد نفسه حين يقول: "هذا عمل إنساني"، وهكذا حتّى في صفوف المتعلمين والمثقفين، وما يدري المسكين أنّها على معنى "ماسونية"، وأنّها كلمة يلوكها بلسانه وهي حرب عليه؛ لأنّها ضد الدين؛ فهي دعوة إلى أن نواجه المعاني السامية في الحياة بالإنسانية لا بالدين، إنّها في المعنى شقيقة قول المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤].

حدود المشروعية الدستورية القانونية[١].

٢- نُحذر من مساس (هكذا) بالحريات السياسية[٢]؛ حيث إننا سجَّلنا فِي هذا تجاوزات وانتهاكات خطيرة تمثلت فِي الاعتقالات العشوائيّة غير المبرّرة، والمخالفات المرتكبة ضد الحقوق والحريّات الفردية والجماعية[٣]، من مساس بسلامة الأشخاص البدنية والمعنوية الّتي يضمنها الشرع[٤] والأعراف الدولية بِما فيها الدستور الجزائريّ فِي مواده: (٢٨) إلَى (٥٦).

٣- نُحذر من تكتلات مشبوهة غايتها إجهاض المشروع الإسلامي، والمساس باختيار الشعب وثوابت الأمة.

٤- إننا نعتبر أن المجلس الأعلى للأمن قد تجاوز صلاحياته الدستورية باتِّخاذه إجراءات منافية للدستور[٥]، بتعطيله للمسار الانتخابي بإحداث ما يسمى بالمجلس الأعلى للدولة.

---

(١) هذه الكلمة عظيمة فِي ميزان الشرع؛ لأنّها تمليك للشعب ما لا يجوز أن يكون إلا لله تعالى القائل: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧].

(٢) هكذا دون استثناء، إذن حتَّى العلمانيين والشيوعيين وغيرهم! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) الزنا والربا إذا كانا عن تراض فهما من الحريات الفردية المكفولة قانونًا، وكذا الاجتماع على مائدة الخمر، بل الاجتماع عند موسم قبوري من الحريات الجماعية، فلماذا لَمْ تُحددوها؟ أم تخافون ألا تُسمع استغاثتكم؟!

(٤) ما أقل ما يستعملون الألفاظ الإسلامية على استحياء وختجل؛ لأن كلمة "الشرع" الواردة هنا تحتمل الشرع الإسلامي، كما تحتمل الشرع القانوني، وحملها على المعنى الثاني هو الأنسب بطبيعة هذا الخطاب؛ لأننا لَمْ نرهم يعبرون إلا بـ"الشرعية الدستورية"، فبقيت كلمة "المشروع الإسلامي" يتيمة فِي هذه اللائحة إلَى أن يضمّوا إليها قولهم: "والمساس باختيار الشعب"؛ لأنّها وحدها قاصرة!! ومثلها كلمة "القضية الإسلامية"، و"الشعب الجزائري المسلم" الَّتي فِي ختام كلمتهم هذه.

(٥) هنا كلمة لَمْ أتبيَّنها.

٥- إننا نعتبر المجلس الأعلى للدولة مجرد مجلس فرض الوصاية على الشعب، وبالتالي فإن كافة ما ينجر عنه من مجالس وهيئات وتصرفات سياسية داخلية أو خارجية تعتبر كلها مناقضة لأحكام الدستور[1]، وإننا كممثلين شرعيين للشعب[2]، حاملين برنامج! يُجسد طموحاته[3]؛ نعتبر أن المجلس الانتخابي هو الإطار الشرعي والقانوني الذي يعبر فيه الشعب عن إرادته، ليس إلا[4].

٦- نعتبر أن السلطة التشريعية هيئة مجلس واحد طبقًا للدستور[5]، يسمى المجلس الشعبي الوطني، له كامل السيادة[6]، ولا يجوز على الإطلاق سن أو إحداث هيئة بديلة له مهما كانت المبررات المفتعلة الَّتِي تَهدف إِلَى الوقوف فِي وجه المشروع الإسلامي.

٧- نندِّد ببعض وسائل الإعلام الَّتِي استعملت لتمرير المؤامرة ومُحاولة توجيه الرأي العام توجيهًا مغايرًا لما أفرزته إرادة الشعب، وعليه فإنَّنا نصر على ما يلي:

أ- تنقية الأجواء السياسية، وذلك بإطلاق سراح كافة المساجين السياسيين

---

(١) هذا مع ما فيه من اعتراف بالدستور؛ فإنه يعني أن المجلس الأعلى للدولة وغيره من المجالس لو لَمْ يناقضوا الدستور فلا ضير عليهم، فأين الشرع الإسلامي؟!

(٢) أهي شرعية إسلامية أم قانونية؟ الجواب: لا هذه ... ولا تلك!!

أما الإسلام فبريء من أن يمثله الجهال بشرعه، إذ حسبُ هؤلاء أن يتوبوا من كلماتِهم الكفرية، فكيف يصلحون لقيادة الأمة الإسلامية؟!

وأما القانون فكيف يرضون لأنفسهم أن يمثلوه وقد أعزّهم الله بالإسلام؟!

(٣) لا الشرع الإسلامي!

(٤) الله أكبر! إنَّها السنن؛ كيف أضحى نظام الانتخابات الديمقراطي إطارًا شرعيًّا، بل كيف أوجبوه وحرَّموا غيره؟!

(٥) لا الشرع الإسلامي.

(٦) فماذا أبقيتم لله تعالى القائل لنبيه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [البقرة:١٢٨].

وعلى رأسهم قيادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وإرجاع العمال المطرودين إلى مناصب عملهم، وتعويض الضحايا والمتضررين من جراء الممارسة الاستبدادية والتعسفية للنظام.

ب- نُصرُّ على ضرورة الرجوع الفوري إلى الشرعية الدستورية المجسدة لإرادة الشعب[1]، ونطالب بإتمام المسار الانتخابي على اعتبار أن كافة الشروط متوفرة[2].

ج- نُصرُّ على أن يبقى الجيش الوطني سليل جيش التحرير الوطني حاميًا للأمة، وبعيدًا عن الثورات السياسية الَّتي تريد أن تجعل منه أداة بيد الطغمة الحاكمة لضرب اختيار الشعب[3].

---

(١) تأمل هذه الكفرية! ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾ [الإسراء:٤٠].

(٢) المسار الانتخابي نظام كافر؛ لأنه يساوي فيه بين المسلم والكافر، والله تعالى يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦]؟! ولأنه يساوي فيه بين الذكر والأنثى، والله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ [آل عمران:٣٦]. وأعظم هذه كلها أنه يساوى فيه الإسلام بالكفر حين يجعلا في كفتي التصويت.

فواحسرتا على من اعتبر هذا النظام الانتخابي متوفر الشروط كافة، ودينه مهان في صناديق الاقتراع يُعلى عليه، أما سمع هؤلاء ربَّهم يقول: ﴿فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٥].

(٣) لا ما اختار الله! لقد أخذت أبحث في هذه اللائحة وهذا النداء عن كلمة "الحكم بما أنزل الله"، أو "تطبيق الشريعة الإسلامية"، فلم أعثر على كلمة منها ولو مرة واحدة إلاَّ الكلمات الناعمة الَّتي لا تزعج أصحاب البرلمان كقولهم: "المشروع الإسلامي!"، و"القضية الإسلامية!"، بينما حظي ذكر "الشعب"، و"الدستور" عندهم بأكثر من (٤٧) مرة في ورقتين ونصف ورقة فقط؛ حرصًا منهم على أن يكون الأمر والسيادة خالصين لَهما ليس لله تعالى فيهما نصيب؛ ريثما يتمكّنون .. زعموا!!! عاملهم الله بما يستحقون

وتأمل! فإن حديثهم كله انتصار لـ"اختيار الشعب"، و"إرادة الشعب"، و"طموحات الشعب"، و"سيادة الشعب"، وحسرتهم كلها على عدم احترام "أحكام الدستور"، و"المشروعية الدستورية =

د- نُصرُّ على أن يتحمل المجلس الدستوري مسئولياته كاملة.

* وفي الختام: إننا نعتقد أن كل ما حدث ابتداءً من استقالة الرئيس الشاذلي ابن جديد، إلى فرض مجلس الوصاية على الشعب إنَّما هو مؤامرة نسجت خيوطها في إطار النظام الدولي الجديد لإقصاء الإسلام عن حياة المسلمين(١) كنظام مجتمع، وإيجاد مبرِّر مفتعل لحل الجبهة الإسلامية الَّتي رفعت لواء القضية الإسلامية في الجزائر بحق، وبالتالي يصفو الجو للغرب الكافر وأذنابه في بلادنا لفرض المشروع الغربي على الشعب الجزائري المسلم، قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

ختم الجبهة ...

القانونية"، و"سيادة المجلس الشعبي الوطني"، و"الحريات الفردية والجماعية"، و"ثوابت الأمة"، و"الحريات السياسية"، و"القيم الإنسانية"...

قبح الله هذا الدين! ما ترك شيئًا لله إلا جعله قربانًا لطواغيته؛ إنه دين الديمقراطية، وهذه الألفاظ الفجة من قاموسه الذي استبدلوه بالوحي، وأعطوا به الدنية في دينهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٣-٧٥].

وأختم هذا التعليق بكلمة سمعتها من بعض أهل العلم، حيث قال:

"إن إقصاء جبهة الإنقاذ الإسلامية من الانتخابات البرلمانية في الجزائر نعمة من الله؛ لأنه لو قامت لها قائمة لأوشك الناس على الوقوع في الشرك، إذ يقال: هذا فضل الديمقراطية على الإسلام؛ إذ بها وصلت الجبهة إلى الحكم، مع أن الإسلام يستمد قوته منه لا من غيره، ولا يفتقر إلى أن يُمدّ من الكفر بحبله، ولا ينعدم وجوده حتَّى يُظن أن لا سبيل إلى عزه إلا السبيل الديمقراطي...".

(١) هذا تناقض عجيب! كيف يستغيثون بالبرلمان العالمي وهم يشهدون بأنه هو الذي سنَّ فيهم مؤامرة النظام الجديد؟!! فلا إله إلا الله؛ كم هو خائب أمر من وُكل إلى نفسه!

هذه صورة البيان السابق

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزائر في: 14 رجب 1412هـ
الموافق لـ 19 جانفي 1992م

اللائحة السياسية لنواب المجلس الشعبي الوطني للجبهة الإسلامية للإنقاذ الفائزين في الدور الأول

قال تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

إزاء التطورات الخطيرة التي تشهدها البلاد وشعورا منا بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقنا وإبراء للذمة ووفاء للعهد أمام الله ثم أمام التاريخ والأمة فإننا نحن نواب الأمة المنتخبون يوم 20 جمادى الثانية 1412، الموافق لـ: 1991/12/26 المجتمعون يوم 14 رجب 1412، الموافق لـ: 19 جانفي 1992م بالجزائر العاصمة نذكر بما يلي:

لم تكتف [illegible] على الحكم في البلاد [illegible] إرادة الأمة وطموحات الشعب [illegible] بانتهاك دستور 63 [illegible] دستور 89.

وكان من نتائج هذا المسار [illegible] في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، [illegible] الأمة من مشروعها الحضاري الإسلامي، ولما لاح [illegible] الأمل [illegible] الأمة أنها [illegible] هذا [illegible] إرادة الشعب [illegible] الانتخابي [illegible] الدستور والقوانين وكافة القيم الإنسانية. وأمام هذا الوضع فإننا نحن نواب الأمة:

1- نحذر من العواقب الوخيمة التي يمكن أن تنجر عن مصادرة اختيار الشعب [illegible] من خلال اقتراع 1991/12/26 [illegible] الدستورية القانونية.

2- نحذر من [illegible] السياسية [illegible] تجاوزات وانتهاكات خطيرة [illegible] الاعتقالات [illegible] والتعريب [illegible] الحريات الأساسية [illegible] الدستور الجزائري في مواده 28 إلى 56.

3- نحذر من [illegible] إجهاض المشروع الإسلامي [illegible] اختيار الشعب وثوابت الأمة.

4- إننا نعتبر أن المجلس الأعلى للأمن قد تجاوز صلاحياته الدستورية [illegible] إجراءات [illegible] الدستور [illegible] المسار الانتخابي [illegible] بالمجلس الأعلى للدولة.

5- إننا نعتبر المجلس الأعلى للدولة مجرد مجلس [illegible] على الشعب وبالتالي فإن كافة ما يصدر عنه من [illegible] وتصريحات سياسية داخلية أو خارجية تعتبر كلها منافية لأحكام الدستور، وإننا [illegible] للشعب [illegible] تعتبر أن المجلس المنتخب [illegible] الإطار الشرعي [illegible] الشعب من إرادته [illegible]

٥- نعتبر أن السلطة التشريعية بيد مجلس أحد طبقا للدستور بـ المجلس الشعبي الوطني له كامل السيادة ولا يجوز على الإطلاق إحداث هيئة بديلة له مهما كانت المبررات المفتعلة تهميش الشعبي المرتوف في وجه المشروع الإسلامي.

٦- ننددُ ببعض وسائل الإعلام التي استعملت لتمرير المؤامرة ومحاولة توجيه الرأي العام وتجاهلها لما أفرزته إرادة الشعب وعليه فإننا نصر على ما يلي:

أ- تنفيذ الإجراء السياسية وذلك بإطلاق سراح كافة المساجين السياسيين وعلى رأسهم قيادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ وإرجاع العمال المطرودين إلى مناصب عملهم وتعويض المتضررين من جراء الممارسة الإستبدادية والتعسفية للنظام.

ب- نصر على ضرورة الرجوع الفوري إلى الشرعية الدستورية المجسدة لإرادة الشعب ونطالب بإتمام المسار الإنتخابي على اعتبار أن كافة الشروط متوفرة.

ج- نصر على أن يبقى الجيش الوطني الشعبي سليل جيش التحرير الوطني حاميا الأمة وبعيدا عن المناورات السياسية التي تريد أن تجعل منه أداة بيد الطغمة الحاكمة لضرب إختيار الشعب.

د- نصر على أن يتحمل المجلس الدستوري مسؤولياته كاملة.

وفي الختام إننا نعتقد أن كل ما حدث إبتداء من إستقالة الرئيس الشاذلي بن جديد إلى فرض مجلس الوصاية على الشعب إنما هو مؤامرة نسجت خيوطها في إطار النظام الدولي الجديد لإقصاء الإسلام من حياة المسلمين كنظام سياسي وإيجاد مبرر مفتعل لحل الجبهة الإسلامية التي رفعت لواء النهضة الإسلامية في الجزائر بحق، وبالتالي يصفو الجو للتغريب الكافر وأذنابه في بلادنا لفرض المشروع التغريبي على الشعب الجزائري المسلم

قال تعالى :﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾

نواب الأمة الثانية والثمانين

كلمة توضيحية لمحتوى البيانين السابقين

الذي يعرف جماعة "الجزأرة" قد يُخيَّل إليه أن هذين البيانين من صنعتها بعد أن احتوت الجبهة؛ لأن تتويج الكلام السياسي الخالي من الفقه الشرعي بآية عند البداية وأخرى عند النهاية صياغةٌ مألوفة عنهم، ولأن تمييع الأحكام الشرعية بمخاطبة الغير بلسانه -ولو كان كفرًا- انهزامية معروفة عنهم.

لكن الحق أن لهذين البيانين أصلاً أصيلاً فِي فكر علي بن حاج؛ فقد قال فِي رسالته إِلَى رئيس الجمهورية المؤرخة فِي (٤ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ) فِي ق (٢): "... فإذا كان التذمر مشروع (كذا) فِي (٨٨ أكتوبر) فما الذي جعله إرهابًا فِي (١٩٩٢) **بعد مصادرة حق الشعب فِي الاختيار؟!**".

وافترى على الإسلام الكفرية الديمقراطية؛ فقال فِي ق (٥): "والإسلام لا يعرف مشروعية السلطة إلا بأمرين:

١- التقيُّد بأحكام الشريعة.

٢- واختيار الحاكم برضا الشعب، فإذا فقد شرط من الشرطين بالنظام فاقد (كذا) للشرعية؛ فلا شرعية ولا مشروعية للنظام إلا بالأمرين معًا ... وعدم توفر رضا الشعب والأمة على الحاكم هو اغتصاب لحق الأمة فِي الاختيار!!".

❊ قلت: لقد نسف أمرُه الثاني أمرَه الأول؛ وإلا فمتى كان رضا الشعب من أحكام الشريعة؟! إن فِي هذا الكلام هدْمًا لخلافة عمر وعثمان وعلي ﷺ بل وسائر الخلفاء، وتفصيله عند حديثي عن الشورى فِي آخر الفصل الآتي.

وأغرق فِي الضلال حين أخذ يؤكِّد صحة المذهب الديمقراطي، وينسبه إِلَى الإسلام، ويستدل له بأقوال المفكرين والقانونيين الكفار، فقال فِي رسالته إِلَى وزير

الاتصال المؤرخة في (٢٢ جمادى الأولى ١٤١٥هـ) في ق (٢٦): "ومن الأمور المحسومة عند الغرب أن السلطة لا تُنال إلا عن طريق اختيار الشعب في حرية تامة! .. ومن ذلك قالوا بمشروعية الثورة على المستبد ... ويوم أن استقرّ هذا المبدأ في فكر المجتمع الغربي استقرت الأوضاع السياسية عندهم!! وعمّ الأمن!!!"[(١)].

ولَمْ يقف الأمر عند هذا حتّى أخذ ينقل من دين الكفار ما يوافق فكره الثوري؛ فينقل في هذه الورقة وما بعدها وما قبلها بقليل عن "جون أوف ساليزيري" و"جان لوك" و"ولز" و"برنتون" و"فرانكفورت" و"لاسكي" و"فولتير"، وعن القانوني الفرنسي الشهير "ديجي" -كما قال هو- قوله: "إن السلطة في أي بلد ينبغي أن تكون مقيَّدة بقانون أعلى، وهذا القانون الأعلى غير مكتوب "القاعدة القانونية"، وتجاهل هذه الرابطة والعدوان عليها يوجب المقاومة!".

وينقل حتّى عن القانون الفرنسي (٢٤ يونيو ١٧٩٣م) نصه: "إن للناس الحق في مراجعة دستورهم وتعديله وتغييره حيث لا يحق لجيل معين عن طريق دستور يضعه أن يتحكم في الأجيال المقبلة ... وعندما تعتدي الحكومة على حق الشعب يكون حق الثورة من أقْدس الحقوق، ومِمَّا لا يمكن التخلي عنه!!". ينقل ابن حاج هذه المخازي من القانون الفرنسي بلا تعقب ولا نقد!! بل كيف يُطمَع في نقده لها وهو يُغذّي ثوريَّته بها!!! فأين ادِّعاء أنه صاحب ولاء وبراء؟! وأين ادِّعاء أنه -كغيره من المتظاهرين بالغيرة على الإسلام- يريد الإسلام لا غير؟!

---

(١) قلت: مثله قول سلمان العودة في شريط "الأمة الغائبة" وهو يتحدّث عن المجتمعات الغربية الديمقراطية: "ولهذا يعيشون أوضاعًا من الاستقرار لا تعيشها البلاد الأخرى على الإطلاق!!".
راجع بقية كلامه على هذا وعلى الذي تراه بعد -إن شئت- في كتاب: حقيقة "الرحلُ والمنهجُ" ومنهج الحق، للشيخ الفاضل فالح بن نافع الحربي.
لا وجود لهذا الكتاب إلى الآن، وقد رأيته ورقات أكثر ما فيها تجميع لأقوال الشيخ سلمان العودة من غير تحرير، وقد كنت أحلت في الأول إلى هذا الكتاب؛ ظنًا منّي أنه سيُؤلف ثُمَّ يطبع حسب ما ذكر لي الشيخ، ولَمَّا طال الأمد ولَم يحصل ذلك رأيت أن أبيِّن بهذا كي لا يقال: أحلتنا على معدوم، ولا ريب أن الأولى حذف الإحالة كلها. ولكنني آثرت إبقاءها أداءً للأمانة العلمية.

وما زال به الشيطان حَتَّى أقنعه بأن بضاعته لا تروج إلا إذا نسبها إِلَى الإسلام؛ ولذلك قال صراحة فِي ق (٢٦): "**نعم! فِي الغرب قد ينال المواطنُ أو رجلُ الإعلام من رئيس الدولة، ولا يملك ذلك الرئيس أن يتخذ ضده أي إجراء!! فهل استفادوا من إسلامنا وأضعناه؟!**"[1].

❋ قلت: هذا واحد من أصول الخوارج وافقهم عليه الكفار! ونعوذ بالله من أن نقول به! وأي جريمة أكبر من أن ينسبه هذا الرجلُ إِلَى دين الإسلام!!

ثُمَّ تراه لا يكتفي بذلك حَتَّى يُشيد بما عند الغرب؛ فقد قال فِي ق (٢٧-٢٨): "**ومن خلال ما تقدم نُدرك جيِّدًا أن الغرب يقدِّس أمرين: الحرية، وخاصة الحرية السياسية، ويرفض الاستبداد والطغيان والدوس على حقوق الإنسان، بل يرى وجوب الثورة والمقاومة إذا حدث ذلك!**".

ومن أجل أنه مُنِع من الكلمة الثورية الحرة استنجد بنصوص الكفار أيضًا ليؤذن له فِي ذلك؛ فجعل ينقل عن جون ستيوارت إميل وعن شاتو بريان، كما فِي ق (٢٣)، بل وفاقرة الفواقر أنه نقل عن بعضهم كلامًا هو عين الكفر فِي حرية العبادة، ولَمْ يتعقبه بنصف كلمة، فقال: "**وقال روزفلت (٤١/١/١٣) فِي رسالة الكونجرس: "يجب أن تسود العالم الحريات أربع (كذا) هي: حرية التعبير، حرية العبادة، التحرر من الخوف، التحرر من الحاجة**".

❋ قلت: الله أكبر، إنَّها السنن! يناضل من أجل الحصول على الحرية السياسية فيخلع دينه، ويأتي إِلَى هذه الكلمة الكافرة -ألا وهي حرية العبادة- ليؤيِّدها!!

فلماذا شُرِع الجهاد إذن؟! وماذا كان يفعل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-

---

(١) ومثله قول سلمان العودة مشيدًا ومنبهرًا بالحرية الغربية: "وكما أسلفت: الإعلام الناضج هو أفضل الوسائل في كشف الفضائح، ووضع النقاط على الحروف، كما هو الحال عند الغرب!!" من شريط له بعنوان: "حقوق الإنسان في الإسلام".

فِي دعوتِهم، وقد اجتمعت كلمتهم على قولهم: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾؟! بل حتَّى الشيوعيين لابد أن يتنعموا بِهذه الحرية عنده؛ إذ يقول فِي (ق٢٤): "وقال فرانكفورت: **مخالفة حرية القول ولو كانت استيحاء من حالة هسترية فإن تقييدها يُمثّل تدهورًا فِي حق المواطن، ولا يمكن التذرع بتقييدها ضد الشيوعيين، وإلا خلقنا قطعة من جهنم داخل أرضنا!**".

والعجب العجيب والنبأ الغريب الذي لَمْ يسبقه إليه الأوائل، ولا عرفه العلماء الفطاحل أنه فسَّر تصرُّف علي بن أبِي طالب ﷺ فِي مقاتلته الخوارج بقوله عن هؤلاء فِي ق (٢٤): "**وكانوا يُمثّلون المعارضة السياسية المنحرفة أو المتطرفة بلغة العصر!! ولكن كيف عاملهم -أي: علي-؟ هل نسف بيوتَهم؟ هل شرَّدهم فِي البلاد؟ هل .. هل .. ؟!**".

إلَى أن قال فِي ق (٢٥): "**فقد أقرَّ لَهم بحرية الرأي السياسي وهم أعدائه (كذا) ومحاربيه (هكذا) بل ومكفريه (هكذا) ... !!**".

وقال أيضًا: "**وفِي قوله** -أي قول علي بن أبِي طالب للخوارج-: «لا نبدأكم (هكذا) بقتال». **تأمينًا لَهم من الخوف، واعترافًا لَهم بحق النقد مهما كان متطرفًا شرط أن لا يسلك مسلك القتال والقتل!!!**".

ثُمَّ جاء بقاصمة الظهور فقال: "**ألَم يسبق الإمام علي (ض) (كذا) بِهذا القول قول روزفلت .. للكونجرس: يجب أن تسود العالم الحريات الأربع: .. العبادة..!!!**".

❊ قلت: فهذا صريح فِي تأييده هذا القول، فكيف يُطمَع فِي نقده له! نسأل الله العافية[1].

(١) قلت: لئن تمثّل ابن حاج برسالة الكونجرس هذه؛ فإن سلمان العودة تمثّل بسياسة اليهود، واقترح على حكومات الدول الإسلامية الاقتداء بها فِي معاملة الجماعات الإسلامية؛ حيث قال فِي شريط حقيقة التطرف: "إننا نعلم أن فِي إسرائيل أحزابًا أصولية متطرِّفة متشدِّدة، فماذا فعلت =

ويزيد إغراقًا في الضلال فيقول: "ورغم كل ما حدث للإمام عليّ مع الخوارج قال في أخريات أيامه: «لا تقتلوا الخوارج بعدي؛ فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه!»[1].

= إسرائيل تجاه هذه الأحزاب؟ ها أنتم تسمعون أنَّها -الآن- تشارك في الحكم في ائتلافها مع حزب العمل الجديد -الذي فاز في الانتخابات- وتصل إلى الحكومة، فلماذا لا يقتدون بهم في هذا؟!!".

(١) ومثله، بل وأفظع منه تفسير سلمان العودة تصرف النَّبي ﷺ مع ذي الخويصرة رأس الخوارج بشيء ما سبقه إليه أحد من العالمين؛ حيث قال في شريط: لماذا نخاف النقد: "والثابت في الصحيح أن النَّبي ﷺ لَمْ يأمر بالقبض على هذا الرجل الذي قال تلك الكلمة، وشكَّكَ في القيادة العليا -قيادة النَّبي ﷺ!- لَمْ يأمر بالقبض عليه قط! ولا أودعه في السجن! ولا فتح محاضر للتحقيق معه! ولا حكم بسجن مؤبَّد ولا بغير مؤبَّد ولا شهَّر به!! ولا فضحه أبدًا!! وإنَّما تركه حرًّا طليقًا لَمْ يتعرَّض له بشيء، سوى أنه ﷺ قال: «رحم الله أخي موسى ...». هذا المنهج التربوي النبوي العظيم ظل هو السنة المُتَّبعة للمسلمين قرونًا طويلة!!...".

* قلت: إنه من نكد العيش أن نَحيَا إلى زمان نسمع فيه هذا!! وهو يُذَكِّرني أولاً بقول يزيد بن حبيب -رحمه الله- وهو يتحدث عن فتنة العالِم فقال: "... ومنهم من يروي كل ما سمع حتَّى يروي كلام اليهود والنصارى إرادة أن يُعزِّز كلامه". رواه ابن المبارك في الزهد (٤٠- أحمد فريد)، والخطابي في العزلة (ص:٢١٤).

وثانيًا: لَمْ نعثر عند شرَّاح الحديث على هذا الفقه الجديد الذي "استنبطه!" سلمان، بل هذا البخاري صاحبُ الصحيح -رحمه الله- يقول متفقِّهًا عند ذكر سبب عدم قتل النَّبي ﷺ هذا المعترض عليه: "باب: من ترك قتال الخوارج للتألُّف، وأن لا ينفر الناس عنه"، انظر: الفتح (٢٦٩/١٢).

* قلت: لا من أجل حرية الرأي كما زعم المردود عليه!!

وقال ابن تيمية: "فكأنه علم أنه لابد من خروجهم -أي: الخوارج- وأنه لا مَطمع في استئصالهم؛ كما أنه لما علم أن الدجال خارج لا مَحالة نَهى عمر عن قتل ابن صياد، وقال: «إن يكنه فلن تسلَّط عليه، وإن لا يكنه فلا خير لك في قتله». فكان هذا ممَّا أوجب نَهيه بعد ذلك عن قتل ذي الخويصرة لما لمزه في غنائم حنين، وكذلك لما قال عمر: ائذن لي فأضرب عنقه، قال: «دعْهُ؛ فإن =

* قلت: سبحان الله! ما هذه المحاماة للخوارج؟! أيكون علي رضي الله عنه حينئذ قد أهدر الدماء البريئة؟! وهل يملك عليٌّ أن ينهى عن قتلهم والرسول ﷺ يقول: «لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل عاد». رواه البخاري ومسلم؟!

هل يتصوَّر مسلم أن يجرؤ عليٌّ رضي الله عنه على ذلك، وهو الذي قاتلهم وحثَّ المسلمين على قتالِهم يوم النهروان، وجعل يُذكِّرهم بما حفظه عن رسول الله ﷺ في ذلك؟!

فعن سويد بن غفلة قال: قال علي رضي الله عنه: «إذا حدَّثْتُكم عن رسول الله ﷺ حديثًا فلأن أخِرَّ من السماء أحب إليَّ من أن أكذب عليه، وإذا حدَّثْتُكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **سيخرج قوم في آخر الزمان حداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون: من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانُهم حناجرهم، يَمرقون من الدين كما يَمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن**

له أصحابًا، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتِهم، وصيامه مع صيامهم، يَمرقون من الدين كما يَمرق السهم من الرمية». إلَى قوله: «يخرجون على حين فُرقة من الناس». فأمر بتركه لأجل أن له أصحابًا خارجين بعد ذلك، فظهر أن علمه بأنَّهم لابد أن يخرجوا منعه من أن يقتل منهم أحدًا فيتحدَّث الناس بأن مُحمَّدًا يقتل أصحابه الذين يُصلُّون معه، وتنفر بذلك عن الإسلام قلوبٌ كثيرة من غير مصلحة تغمر (الأصل: تعمر) هذه المفسدة، هذا مع أنه كان له أن يعفو عمن آذاه مطلقًا، بأبي هو وأمي ﷺ!". من الصارم المسلول (ص:١٨٧).

* قلت: فهاأنت -أيها القارئ!- بين الفقه السلفي الذي نقلتُه لك آنفًا عن البخاري، وابن تيمية، وبين الفقه الغربي الذي تشرَّبه من يُرَى ويُري أنه عدوٌّ له!!

فبأي الهديين تهتدي أيها المنصف؟ وإنه لمن العجائب توافق كلمات علي بن حاج مع كلمات سلمان العودة -كما ترى- في الانبهار بالغرب الكافر، ومُحاولة الخروج من السجن بالتحاكم إلَى قانونه والاستغاثة بشفاعة مفكريه، والإغراب والتغرّب في تفسير نصوص التاريخ الإسلامي، وتمحل أراجيف الاستدلال مع أنه لَمْ يَر أحدهُما الآخر!! فسبحان من جعل «الأرواح جنودًا مجندة؛ ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف!».

فِي قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة». رواه البخاري ومسلم.

كيف وقد صحَّ عنه ﷺ أنه أهلَّ وكبَّر لما أيقن أنه لَمْ يقتل إلا الخوارج؟! رواه أحمد وأبو يعلى[١]. وعند أحمد وغيره أنه سجد سجدة شكر[٢].

ولذلك قال الآجري: **"... فصار سيفُ علي بن أبي طالب فِي الخوارج سيف حق إِلَى أن تقوم الساعة"**[٣].

بل قال الشافعي: **"فأما الخوارج، فلا نعلم أحدًا منهم كره قتاله إياهم"**. رواه البيهقي، وأسند بعده نحو هذه الكلمة إِلَى ابن سيرين[٤].

أيسوؤك -يابن حاج!- أنْ يُقتل الخوارج، وتوظِّف لذلك رواية لا تأتِي لَها بزمام ولا خطام؟! فما الرحم الَّتِي بينك وبينهم؟! اللهم إلا أن يكون الفكر الثوري الأهوج الذي اتفقوا عليه مع المعتزلة والروافض وأيَّدته أنت بنصوص الكفار السابقة!!

إن أخبث ما يأتِي به المرء أن يستغل الدين لغير الدين؛ فانظر -أيها القارئ!- إِلَى هذا كيف هان عليه تحريف الدين بتحريف التاريخ الإسلامي إرضاء لثوريته حَتَّى ارتمى بين أحضان الديمقراطية لِيُكوِّن دينًا غير الذي أنزل الله!.

وهذا هو التشريع الذي ندَّد الله بفاعليه فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]. إن القانونيين -اليوم- جاءوا بجريمة نكراء حين نصبوا أنفسهم مشرِّعين، ولكن ليس ذلك بأنكر مِمَّا جاء به هؤلاء؛ لأن هؤلاء يُحرِّفون الحق ويشرعون الباطل، ويزيدون نسبته إِلَى الدين! فافتتان الناس بتشريعهم أعظم، ولذلك جاء قيد ﴿مِّنَ الدِّينِ﴾. فِي الآية فِي غاية الأهمية.

---

(١) انظر: كتاب السنة لابن أبِي عاصم بتحقيق الألبانِي رقم (٩١٣).

(٢) انظر: تحسين الشيخ الألبانِي لِهذا الأثر فِي إرواء الغليل رقم (٤٧٦).

(٣) الشريعة (ص:٢٢).

(٤) انظر: السنن الكبرى (١٨٨/٨).

إن هذه النهاية الّتي انتهى إليها كل دعاة السياسة اليوم -أي: أن بدايتهم تكمن فِي تفسير الدين تفسيرًا سياسيًّا ثُمَّ نِهايتهم الانسلاخ منه- لَحَرِيَّةٌ بأن تنفر طلاب الحق من هذا المنهج.

أما رأيتم أن سياسة هؤلاء لَمْ تترك عقيدة ولا عبادة ولا تارِيْخًا إسلاميًّا إلا حرَّفته وجاءت بِما يضاهيه؟!

فهل أضحت سياستهم طاغوتًا يُعبد، والكرسي الذي يطلبونه صنمًا يُنحَر من أجله الدين؟!

ثُمَّ إنني فكرت طويلاً فِي تفسير سبب هذا المصير المحتوم على أهله، فلم أجد له جوابًا إلا قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]. ولما كان هؤلاء طلاب إمارة عرفتُ أن أول مصيبة أُصيبوا بِها هي أنّهم وُكِلوا إلَى أنفسهم؛ لأنّهم خالفوا وصية النّبِي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة حين قال له: «يا عبد الرحمن! لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعنتَ عليها». رواه البخاري ومسلم وأبو داود، ولفظ رواية أبِي داود: «وُكِّل فيها إلَى نفسه».

* قلت: وكيف لا يكون موكولاً إلَى نفسه من يشهد أن الديمقراطية كفر ثُمَّ يستغيث بِها؟! بل يحاكم إليها كما سبق، والله تعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

ومع ذلك فلا أحد يُحاسبهم من الأتباع! بل يكفي أن يردِّدوا كلمات ثورية لتضفي عليهم قداسة لا تضر معها معصية، ولو صدر منهم ما صدر من المعاصي وقالوا ما قالوا من الكفر جاءت التأويلات شافعة مشفَّعة!

ومع هذا فغيرهم هم المرجئة!!

قال ابن حجر: "فمن لَمْ يكن له من الله إعانة تورَّط فيما دخل فيه، وخسر دنياه وعقباه، فمن كان ذا عقل لَمْ يتعرَّض للطلب أصلاً"(١).

ولو لَمْ يكونوا طلاَّب إمارة، وإنَّما أرادوا التحاكم إلَى ما أنزل الله حقيقة، فلماذا لَمْ يتحاكموا إلَى منهج الرسل فِي الإصلاح؛ وهو مِمَّا أنزله الله؟!!

ولئن قالوا: إنَّما خاطب هؤلاء رجال القانون بلسانِهم!

قلنا: وهل فعل ذلك أُسوتُنا ﷺ؟

وهل لاك لسانه الطاهر كلمات الكفر وحاكم بِها وإليها؟!

إن هذا الذي تفعلونه هو عين الافتراء على الله الذي حذَّر منه ربُّنا نبيَّه ﷺ من أن يستدرجه إليه الكفار فقال: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ [الإسراء:٧٣].

ولذلك أمر الله نبيه أن يكتفي بِما أنزله عليه، وحذره بشدة من ترك ذلك متابعة للكفار بأي مسوِّغ كان، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب:١-٣].

ووجه ختم هذا السياق الكريم بالتوكل أنه ما ركن من ركن إلَى هذه الوسائل الملتوية إلا من ضعفت ثقته بِما عند الله، والله المستعان.

* * * * *

(١) الفتح (١٣/١٣٣).

هذه صورة الورقة الأولى من رسالة علي بن حاج إلى رئيس الجمهورية التي نقلت شيئًا من بعض ورقاتها في (ص: ٢٦٩) هنا

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

الموضوع: كلمات لا بد من الصدع بها.

[illegible]

بعد التحية أقول مستعينا بالله تعالى وحده لا شريك له.

[illegible]

هذه صورة الورقة الأخيرة منها مع توقيعه

واعلم اننا كنا نحرص [illegible] على شق [illegible] مسار الانتخابات وحذرنا من مغبة انتهاج مسلك العنف [illegible] من [illegible] الاعتبار ولكن لم يسمع صوتنا كما لم يسمع صوت العقلاء في هذه البلاد [illegible] السياسة والفكر ورجال الاعلام النزهاء الشرفاء واعلنا منذ قبل التحويل [illegible] صريحة ان هذا الاجراء مصيره الفشل وآخر رسالة وان قبلنا به مكرهين [illegible] نسعى لايجاد حل شرعي عادل كما جاء في الرسالة ٦/٣/٩٧ والتي مازلنا على محتواها منذ [illegible] بعون الله تعالى وان حقن الدماء هدف من اهدافنا وغاية من غاياتنا ولكن لن تحقن الدماء الا بحل شرعي عادل يرد الحقوق لاصحابها لا هذا هو هدفنا الذي لا نحيد عنه قيد انملة بإذن الله تعالى ولا يتم ذلك الا بمشاورة سائر الاخوة في القيادة سواء في الجناح الجهادي او الجناح السياسي في الداخل والخارج مع اخذ الوقت الكافي لدراسة الامر بكل دقة ووضوح وهذا من حقنا الشرعي والموضوعي يعترف لنا به كل عاقل منصف .

واخيرا أتوجه الى الله بالدعاء ان يقتص [illegible] من كان سببا فيما حدث للبلاد والعباد من تقتيل وزلازل وان ينصر المجاهدين على ارهاب الطغمة العسكرية والعلمانيين الاقليات الايديولوجية الباغية وان يوفق الشعب الجزائري بكل فئاته لخير وصلاح حتى يسترجع حقوقه السياسية و[illegible] العامة على المبادئ الاسلامية وان يختار ممثليه بكل حرية ووضوح وان تعلو في الجزائر راية الاسلام آمين آمين آمين .

ملاحظة ① يجب نشر هذه الرسالة في وسائل الاعلام كلا حق الرد وان تنشر رسالة الشيخ التي بعثت بها اليك فلم تنشر الى اليوم وضيعت في الرأي العام فماذا يا ترى؟!!

② نحذر من عدم نشر هذه المسودة مرة أخرى.

③ إني مستعد لتحمل مسؤولية ما جاء في هذه الرسالة وفي غيرها دون خوف أو وجل والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

[illegible]

[illegible]

هذه صورة الورقة (٢) منها والتي فيها الكلام المنتقد (ص: ٢٦٩) من هذا الكتاب

هذه صورة الورقة (٥) منها والتي فيها الكلام المنتقد في (ص: ٢٦٩)

هذه صورة الورقة الأولى من رسالة علي بن حاج إلى وزير الاتصال التي نقلت شيئًا من بعضها ورقاتها بدءًا من (ص: ٢٧٠) هنا

- بسم الله الرحمن الرحيم -

من السجين بن حاج علي.
إلى
وزير الإتصال.

الإقامة الجبرية ٢٢ جمادى الأولى ١٤١٣هـ
الموافق ١٧ نوفمبر ١٩٩٢م.

الحمد لله القائل في كتابه العزيز «إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» والصلاة والسلام على أشرف المرسلين القائل «من كتم علمًا ألجمه الله بلجام من نار» وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد. تحية وسلامًا.

أيها الوزير لا شك أن حرية التعبير [illegible] ضمنته الشريعة الإسلامية، وكفلته قوانين الأرض، ولكن السلطة التي وضعتك في هذا المنصب تضيق على الحق بل تحاربه وتلاحق أصحابه [illegible] في جنح ظلامها، والدليل الجرائد الموقوفة [illegible] وإن سلطة تصادر حرية التعبير والإعلام والصحافة خليق بها أن لا تكون، لأنها سلطة ضعيفة تخاف من القلم الصادق لعيوبها وسائر عيوبها وجرائمها في حين تفسح المجال واسعًا لعملائها الذين يساهمون في تضليل الرأي العام وتلميع صنائع الذين يريدون تنويره بالحقائق كما هي. ولقد اتخذت منك أداة لتمرير سياسة القمع الإعلامي تارة باسم المحافظة على المصلحة [illegible]، وتارة تحت شعارين هي من شعارات الأنظمة الطاغوتية المستبدة، فتخونون الإعلام الحر عند [illegible] النهار، ما هو إلا قانون عقوبات للقمع الصحافة أما التلفزة فقد أصبحت وكرًا للمخابرات تنشر ثقافة السوء، وتزييف الحقائق وتتهم الأبرياء بتهم منكرة شنيعة لا تصدر إلا من فقد عقله وصوابه فراح يرمي التهم الكاذبة على الأبرياء جزافًا ولم تفسح للمعارضة الحق في الرد، لقد طلبت مرارًا وتكرارًا بمناظرات أمام كل الشعب ومناظرة مع الرئيس والجنرالات الذين اتصلوا بنا [illegible] ذلك كله عمدت التلفزة إلى تضليل الرأي العام فأصبحنا [illegible]

[illegible]

هذه صورة الورقة الأخيرة منها مع توقيعه

القائمة نقيم شرع الله ونترك لهم الاختيار بكل حرية من الشعب فهذا
لن يكون - بإذن الله تعالى - لأن هذا النوع من التنازل معناه تمكين
للاستبداد ودعم للديكتاتورية وإعانة الظلمة على ظلمهم وبغيهم
في الأرض بغير الحق وهذا أمر محرم حرمته نصوص الشريعة الإسلامية
فشتان بين التنازل عن الحقوق الشخصية والمبادئ الإسلامية
وقد كان الرسول لا ينتقم لنفسه ولكن إذا انتهكت محارم الله
لا يقوم لغضبه شيء.

ولو أن النظام منذ الاستقلال أقام شرع الله تعالى وحكم بالعدل
وأنصف المظلوم وعاقب الظالم ونصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة
المسلمين وعامتهم لوجدنا الموقع من شأنه بأمر نستطيع في حدود
الاستطاعة أما وهو قد عطل شرع الله وعطل الأحكام الشرعية
وعاث في البلاد فساداً أو إفساداً فلا الدين قائم ولا الدنيا
قائمة وقطع السبيل على كل تغيير سلمي بالعدل واستأثر بالجهات
فهيهات أن يقع التنازل إلا بشروط يعرفها العام والخاص

وأرجو من الله تعالى أن أكون بهذه الرسالة قد وضحت جملة
من المناطق الشرعية ابتغاء مرضاة الله وبيانًا لكلمة الحق
والله ولي التوفيق.

أبو عبد الفتاح بن حاج علي.
20/11/91

ملاحظة: وددت لو أن هذه الرسالة يسمح بإلقائها مباشرة في التلفزة في حصة كاملة
حتى يعرف الشعب الوجه الآخر للقضية الشرعية بإخلاص لاسيما وقد سمعت
- أيها الأخ الكريم - أن هناك حملة تقوم بها وزارة الشؤون الدينية ضد الأئمة
والدعاة بالإكراه المادي - أي الخبزة - ليتناولوا منبرها ليعتقدون وإلا
تعرضوا للتخلف إما أو التوقيف والطرد أو الاعتقال. ثم مسح
المسكين في الهدف المؤسف أنه أم لهم جزء على وأعلاه أن الفئة
والمستبد بها حاولوا قلب الحقائق فإن الحق أقوى من كيدهم ومكرهم وصدق الله العظيم
إذ يقول: «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين». والحمد لله رب العالمين.

هذه صورة الورقة (٢٣) منها والتي فيها الكلام المنتقد في (ص: ٢٧١) من هذا الكتاب

واستبدوا . ولقد نشأ من الحزب حين [illegible] الأمريكي من شتى [illegible]
واستبداد الحكام ومثل رجال الكنيسة ومثل رجال [illegible] قبل
ثار على [illegible] حيث [illegible] الاستبداد [illegible] الذي كان
الحاكم منه يجعل [illegible] الدولة والدولة [illegible] كتابات
المفكرين [illegible] عنف [illegible] ثورات
كبيرة أطاحت [illegible] والاستبداد [illegible] من تسلط الملوك
والحكام [illegible] ومثل رجال الدين [illegible] فكانت الثورة الأمريكية
والانجليزية والفرنسية [illegible] تنظم اصول الحكم [illegible] الوصول
الى السلطة [illegible] الشعب [illegible]
لم يتم الا بعد تضحيات جسيمة . ولو ان المسلمين رجعوا الى دينهم [illegible]
لعلموا ان الاسلام دين [illegible] الحرية [illegible] يجعل من الحاكم
اجيرا ان احسن [illegible] وان اساء [illegible] عليه
والنتيجة ان الحزب استفاد كثيرا من المسلمين في [illegible]
[illegible] كما في [illegible] الحروب الصليبية
ان الحزب لا [illegible] الحرية السياسية [illegible]
[illegible] السلطة على حقوق الشعب [illegible] الاستقرار [illegible]
[illegible] على ذلك .

[illegible] تقديس الحرية :/

قال جون ستيوارت ميل في كتابه الحرية « ان الرأي الذي تحاول السلطة
[illegible] والذين يحاولون [illegible] بلا شك [illegible]
ولكنهم ليسوا معصومين من الخطأ [illegible]
[illegible] من ممارسة حق التعبير عن الرأي [illegible]
[illegible] الاراء [illegible] ان يكون [illegible]
[illegible] من المتطرفين [illegible] الذي لا يستطيع ان
يستفيد من [illegible] كله الا آراؤه هو
[illegible] يخالفها [illegible] كافة [illegible]
وقال [illegible] الرأي »
وقال [illegible] في [illegible] الكونجرس « يجب ان تسود العالم
[illegible] حرية التعبير - حرية العبادة - التحرر [illegible]
[illegible] »

- 23 -

هذه صورة الورقة (٢٤) منها والتي فيها الكلام المنتقد في (ص: ٢٧١)

[illegible]

- ٢٤ -

هذه صورة الورقة (٢٥) منها، والتي فيها الكلام المنتقد في (ص:٢٧٤)

هذه صورة الورقة (٢٦) منها والتي فيها الكلام المنتقد في (ص: ٢٧٠)

في حاجة إلى ذكر تلك المخازي والآثام والجرائم التي يرتكبها الظالم ويسميها البعض تجاوزات ؟!!

فإذا كان في الغرب احترام للرأي والدفاع عنها [illegible] غير من ذلك بكثير وهذا ما حدث بالفعل مع الإمام علي (ض) حيثما قبض رجاله على جماعة كانوا يشتمونه في الكوفة — وهو الخليفة الراشد وخليفة المسلمين — [illegible] أمرهم [illegible] فما كان من الإمام علي (ض) إلا أن أمر بإطلاقهم جميعاً فقال له أحد الرجال [illegible] فقال (ض) أأقتله ولم يقتلني ؟ فقال الرجل إنه قد شتمك فقال (ض) فاشتمه إن شئت أو دعه فهو لم يتخذ ضدهم إجراءً عقابياً لأن المعارضة بالقول واللسان ليست جرماً يؤخذون به ويعاقبون عليه، ولذلك ذهب أبو حنيفة إلى أن من اعترض على الخلافة الشرعية وحكومتها الشرعية العادلة وسب الإمام [illegible] وجاهر بقتله فإنه لا يسجن ولا يعاقب ما لم يحمل السلاح بصورة سافرة فعلاً أو [illegible] شرعي صحيح. فهل عرف حكام العالم الإسلامي هذه الأحكام والتزموا بها وخالطوا شعوبهم بها ؟!! الجواب لا فالحكام عندنا [illegible] الأمر تكميم الأفواه وتقديم المنافقين على العاملين المخلصين وإذا ما قال أحد [illegible] كلمة حق [illegible] الدنيا فوق رأسه فهل هناك طغيان أكثر من هذا !!! نعم في [illegible] أن يتخذ [illegible] فهل [illegible] ولنشأتنا وأفرزنا [illegible] .

ب. مقاومة الحكومات الطاغية :/

من الأمور [illegible] أن السلطة [illegible] عن طريق اختيار الشعب في [illegible] الشعب [illegible] قالوا بشرعية الثورة على المستبد [illegible] استقرت الأوضاع السياسية [illegible] القتل [illegible] من [illegible] (محرر/) كما في كتاب الفكر السياسي [illegible] يرى أن الثورة والبطش [illegible] عن الإمامة [illegible] الطاغية [illegible] القانون [illegible] الطاغية [illegible]

هذه صورة الورقة (٢٧) منها والتي فيها الكلام المنتقد في (ص: ٢٧١)

أيضا تعلم حق من استخدم بالسيف لا بد من ان يقتل بنفس السيف" ويعلن
أيضا ان كل من يتقاعس في طلب رتبة الطاغية يسمى الى نفسه والى الآخرين"
وهذا بيان لوك كما في دراسات في النظم الدستورية المقارنة د/كمال ابو المجد
ص ٥٦ " يرى ان للشعب مطرحا في العقد الاجتماعي وله التزامات امام
الافراد لقاء السلطة التي تنازلوا لهم عنها فاذا أخل الحكم بالتزاماته انفسخ
العقد لما تنفسخ العقود ويحق للشعب بالتالي ان يسحب ثقته ويسترد
وديعته ويستعيد سيادته الاصلية ليفرض حاكما جديدا لممارستها
.... الحريات (الحق الطبيعي) لانها ضمانات اساسية لكرامة الانسانية
ومن ثم فهي ملازمة للمجتمع والحكومة فاذا حاولت الحكومة ان تتصرف بطريقة
استبدادية فقد توافرت للشعب عندئذ المبررات الشرعية لاسقاط
هذه السلطة لانها تكون حينئذ قد خرجت على فكرة العقد الاجتماعي الذي
بناء عليه ينصب الحكم لحماية هذه الحقوق لافراد الرعية " وقال القانوني
المشهور الفرنسي ديجي " ان السلطة في اي بلد ينبغي ان تكون خاضعة لقانون
أعلى وهذا القانون الاعلى غير مكتوب (القاعدة القانونية) وهو يعلو هذه
الرابطة والعدوان عليها يوجب المقاومة .... والجزاء في حالة انتهاك
مثل هذه القاعدة القانونية هو رد فعل من الشعور العام للمجتمع.
"وقد جاء في اعلان استقلال الولايات المتحدة ٤/يوليو ١٧٧٦ كما في كتاب معالم
تاريخ [illegible] ... ان كل الرجال قد ولدتهم امهاتهم سواسية وأن
حقوق الانسانية في المساواة والحرية و حياة [illegible] وتغيير الحكومات
التي لا ترعى تلك الحقوق " وجاء في دستورنا ٢٧/ يونيو ١٧٩٣
"ان من حق الشعب مراجعة دستوره وتعديله وتغييره حيث لا يحق
لجيل معين ان يخضع دستوره ... ان يتحكم في الاجيال المقبلة ....
عندما تعتدي الحكومة على حق الشعب يكون حق الثورة من اقدس الحقوق
وما لا يمكن التخلي عنه".
وجاء في المادة ١١٨/١١٩ " ان الشعب الفرنسي صديق طبيعي للشعوب الحرة وحليف
لها وانه لا يتدخل في الشئون الداخلية للشعوب الاخرى لكنه لا يحتمل تدخلها
من الغير في شئونه الداخلية وانه يرحب بكل المناضلين القادمين من البلدان
الاجنبية مشردين او منفيين من اوطانهم لاجل قضية الحرية لكنه يرفض
ان يلجأ اليه اي من الطغاة " وفي الاعلان لحقوق الانسان ١٧٩٣ - تضمن
حق المقاومة ضد الاستبداد أو الظلم " ومن خلال ما تقدم ندرك جيدا"

-٢٦-

هذه صورة الورقة (٢٨) منها والتي فيها الكلام المنتقد في (ص: ٢٧٢)

إن الحزب يقدس الرأي الآخر وخاصة الرأي السياسي، ويرفض الاستبداد والطغيان
والدوس على حقوق الإنسان بل يرى وجوب الثورة والمقاومة إذا حدث ذلك.
ولكن هذا كله في أرقامه أما خارج الحزب فالأنظمة تشجع الطواغيت و
المستبدين من إذلال الشعوب!!!

ولا شك أن الشريعة أن الإسلام يحارب الطغيان والاستبداد ويأمر المسلمين
بمجاهدة كل صور الطغيان والاستبداد كما مر سابقا والحزب يرى ذلك مع
[illegible] تتعلق على من درس الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية ولكن
قضية الالتقاء في مقاومة الحكومات الجائرة ووجوب تغييرها ولذلك نقول
جازما [illegible] إن النظام الجزائري يجب مجاهدته شرعا كما يجب
مقاومته حتى بسلاح الحزب لأن الكثير من [illegible] يتكشف على أن [illegible]
مقاومة السلطة الطاغية الباغية المبدلة لشرع الله والمغتصبة لحق
الشعب في الاختيار جهادا في الوقت الذي يحصل على ما تتفضل السلطة
من برامج [illegible] حتى الدماغ من [illegible] ويزعم أنه يمارس السياسة ويجعل
من الأنظمة [illegible] في إسلام العرب [illegible] تأخذ بالشرعية سواء بالمعيار
الشرعي أو المعيار السياسي الحالي [illegible] وإلى هؤلاء نطرح هذا السؤال المحرج حقا
إذا كانت مقاومة الأنظمة الطاغية المبدلة والمعطلة لشرع الله والمغتصبة لحقوق
الشعوب المادية والأدبية لا تجوز شرعا فالذي يجوز شرعا [illegible] وهل تريدون
من الشعوب [illegible] بمثل هذه الفتاوى الباطلة التي يصدرها
علماء السلطة والشرطة!! وإن لم تقولوها بصراحة ووضوح أن مثل هذه الفتاوى
الباطلة ضاعت حقوق الشعوب [illegible] حتى أصبحت لعبة في
يد الطواغيت تسيرها كيف تشاء وأنى تريد [illegible].

⑤ منزلة مجاهدة العدو الداخلي /

من أهم أنواع الجهاد [illegible] الجهاد الداخلي [illegible] من الناس ويترددون
فيه حتى بعض أهل العلم وإن كانت [illegible] لديهم والجهاد الداخلي ينقسم إلى قسمين
١- جهاد الإمام [illegible] البغاة والخوارج والمحاربين والمرتدين والمتنطعين.
٢- جهاد [illegible] الحاكم المعطل لشرع الله والمغتصب للسلطة بالقوة وهذا النظر [illegible]
[illegible] الناس فيه [illegible] أهل العلم فهناك من يسميه فتنة وهناك من يسميه
جهادا وهناك من يعتزل الفريقين ويبقى على الحياد ولكن أهل العلم [illegible]

كلمة عن المرجئة

إن الذي دعاني إلى عقد هذا الفصل هو أنني رأيت كثيرًا من المغرضين يرمون الشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، والشيخ ابن عثيمين بالإرجاء؛ لأن هؤلاء فسَّروا آية الحكم بغير ما أنزل الله على التفصيل المعروف عند السلف، ولَمْ يكفِّروا مطلقًا[1]، ولأنَّهم يَمنعون الخروج على الحكام الظلمة من المسلمين ما لَمْ يروا كفرًا بواحًا، بل ولو رأوا كفرًا بواحًا منعوه أيضًا إذا كانت المصلحة الشرعية والقدرة تنأيان عن ذلك ... وأقول:

١- إن القول بالخروج السابق هو مذهب المرجئة، ولا يشترطون له كفر السلطان؛ فقد روى ابن شاهين عن الثوري أنه قال: "اتَّقوا هذه الأهواء المضلَّة!. قيل له: بيِّن لنا -رحمك الله!-. فقال سفيان: أما المرجئة فيقولون ... -وذكر شيئًا من أقوالهم- إلى أن قال: **وهم يرَوْن السيف على أهل القبلة!**"[2].

وروى أيضًا أنه قيل لابن المبارك -رحمه الله-: ترى رأي الإرجاء؟ فقال: "**كيف أكون مرجئًا؛ فأنا لا أرى السيف؟!..**"[3].

وقال أبو إسحاق الفزاري: سمعت سفيان والأوزاعي يقولان: "**إن قول المرجئة**

---

(١) انظر -إن شئت- هنا الكلام على منهج مُحمَّد قطب في فصل: غزو "الإخوان المسلمين" لأهل السنة؛ واقرأ لزامًا كتاب: التحذير من فتنة التكفير، للأئمة الثلاثة المذكورين أعلاه، في طبعته الَّتي حققها الأخ: علي حسن الحلبي، فإنه نفيس.

(٢) رواه في الكتاب اللطيف (١٥)، والآجري في الشريعة (٢٠٦٢)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٨٣٤).

(٣) رواه أيضًا في الكتاب اللطيف برقم (١٧).

يخرج إلى السيف"[١].

بل روى الصابوني بإسناده الصحيح إلى أحمد بن سعيد الرباطي أنه قال: قال لي عبد الله بن طاهر: "يا أحمد! إنكم تبغضون هؤلاء القوم -يعني: المرجئة- جهلاً، وأنا أبغضهم عن معرفة؛ أولاً: **إنهم لا يرون للسلطان طاعة ...**"[٢].

❋ قلت: ألا تدل هذه النصوص دلالةً واضحةً على أنهم هم المرجئة على الحقيقة، وأن أئمتنا المذكورين آنفًا براءٌ من ذلك؟!.

ملاحظة مهمة:

والنبأ الغريب ألا يفهم سفر الحوالي هذا الارتباط الواضح بين المرجئة والخوارج؛ فيقول: "كما ورد للإمام أحمد عبارةٌ قد يتعسَّر فهمُها، وهي قوله: **إن الخوارج هم المرجئة!**. ثُمَّ يأتي بتخبط لا يُطاق، فيقول: "**وتفسيرُها بإرجاء الصحابة هو الممكن!!!**"[٣].

❋ قلت: ولو تتبع الآثار السابقة لأدرك أنه لا يعسر فَهْمُ التقاء المرجئة مع الخوارج في الخروج على الولاة.

ولا عجب حينئذ أن ينشأ الإرجاء على أعقاب الخروج.

قال قتادة: "إنَّما حدث الإرجاء بعد فتنة ابن الأشعث"[٤].

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٣٦٣) بإسناد صحيح.

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٠٩).

(٣) ظاهرة الإرجاء (٣٦١/١).

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٦٤٤)، والخلال في السنة (١٢٣٠)، وابن الأعرابي في معجمه (٧١٤)، وأبو القاسم البغوي في الجعديات (١٠٦١)، وابن بطة في الإبانة (١٢٣٥)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٨٤١) وهو صحيح؛ فإنَّ مُحمَّد بن الفضل الملقب بعارم قد تابعه أبو عامر العقدي.

ومن الأدلة على إرجائهم أيضًا:

٢- ترك الاستثناء في الإيمان وما يتبعه، وإن زعم بعضهم -بلسانه- أنه على مذهب السلف، ألا تراهم يقولون: "الشهيد حسن البنا ... الشهيد سيد قطب..!"، ولو قيل لَهم: إن كان وصفهم بالشهادة واجبًا حركيًّا ما لكم منه بدّ فاستثنوا بقولكم -على الأقل-: "إن شاء الله"؛ فقد عقد البخاري في كتاب الجهاد من "صحيحه" بابًا في ذلك فقال: "**باب: لا يُقال فلان شهيد**"، وذكر الأدلة على ذلك.

* قلت: وقد طُلب منهم هذا مرارًا فاستنكفوا؛ وقالوا: إنَّما أنتم في الجهاد تطعنون، وللمخابرات العالمية مُسخَّرون!!

وهذا الاستنكاف عن الاستثناء هو أصل الإرجاء؛ قال عبد الرحمن بن مهدي -رحمه الله-: "**أصل الإرجاء تركُ الاستثناء**"[(١)].

٣- ثُمَّ عودًا على بدء فأقول: إن المرجئة الأولين أُتوا من قبل **تعظيمهم الإيمان واستهانتهم بالمعاصي**؛ فاستبعدوا لذلك أن يحبط الإيمان بالذنوب، فقالوا: "**لا يضر مع الإيمان ذنب!**" فمن ثَمَّ كان ضلالهم.

وأما هؤلاء اليوم فأتوا من قبل تعظيمهم السياسة؛ وكل من كان معهم في حركتهم فهو صاحب الولاء، **ولا يضر مع الفقه الحركي ذنب، ولو كان هو الشرك برب العالمين!!! ألا ترى كيف يسقط أقطابُهم والمنظرون لَهم في العظائم ولا يُحركون ساكنًا غيرةً على الدين؟! إنَّما غيرتُهم على حزبِهم وحركتهم!!**

---

(١) رواه الخلال في السنة (١٠٦١)، والآجري في الشريعة (ص:١٣٩)، وابن بطة في الإبانة (١١٨٨)، وبنحوه رواه ابن شاهين في الكتاب اللطيف (١٦)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٨٣٥)، وهذا الأثر لا يضره الانقطاع الظاهر؛ لأنه قد جاء نحوه موصولاً بالسند الصحيح عند الطبري في تهذيب الآثار (١٥١٩)، وذُكر نحوه عن سفيان، انظر: الحلية لأبي نعيم (٣٣/٧)، والأباطيل للجوزجاني (٤٢).

ألا ترى كيف يُقيمون الدنيا ولا يُقعدونَها إن سمعوا الشيخ عبد العزيز، والشيخ الألباني يقولان بترك المواجهة الدموية مع اليهود ريثما يتقوَّى المسلمون؟! وهي فتوى من مجتهدين حقيقة.

وأما إذا أخطأ مُحرِّكوهم، فإنَّ الواجب الحركي عندهم غضُّ الطرف عنهم مهما كانت شناعتها، وما أكثر ما يُفتُون فِي الدماء والأعراض والأموال فيُهدِرونَها! مع أنَّهم لو بلغوا درجة طلبة العلم لكان هذا أحسن الظن بِهم!

فهذا علي بن حاج يُفتِي بقتل آلاف من المسلمين وبتشريد بقيتهم، ويُرَوِّع بلدًا آمنًا، ويقول ما يقول من الإشادة بالمذهب الديمقراطي وغير ذلك مِمَّا نقلتُه عنه قبل، مع ذلك فلا ينتقده -عندهم- إلا عميلٌ!!

ولا يجوز عندهم انتقاد سيِّد قطب وإن كان يطعن فِي بعض أنبياء الله تعالى، ويطعن فِي جمع من الصحابة المشهود لَهم بالجنة، ويرى السياسة الشرعية متمثلة فِي المذهب الاشتراكي الغالي، وغيرها من الدواهي الَّتِي بيَّنها الشيخ ربيع المدخلي فِي كتبه الأخيرة، وقد قال الألباني: "**إن حامل راية الجرح والتعديل اليوم فِي العصر الحاضر، وبحق: هو أخونا الدكتور ربيع؛ والذين يردُّون عليه لا يردون عليه بعلم أبدًا، والعلم معه ...**"، وهذه شهادة من متخصِّص[1]!

ويَجيء الترابي بدولة الإسلام المزعومة فِي السودان ليُنظِّم مؤتمرات لوحدة الأديان، وليُشيد بدين القبوريين، وليُشيِّد عددًا كبيرًا من الكنائس، ما كانت تحلم به أيُّ دولة علمانية من قبله.

ويقوم للأفغان كيان فِي دولتهم، فلا يغيرون من دين القبورية والخرافة شيئًا! بل يقتلون أهل التوحيد دفاعًا عن طواغيتها! وما مؤامرتِهم على ولاية "كنر"

(١) من تسجيلات طيبة بالمدينة النبوية بعنوان: منهج الموازنات برقم: (٨٦)، وانظر: "المَحجة البيضاء لحماية السنة الغراء" للشيخ ربيع المدخلي (ص:١٥)، ط. الثالثة.

الإسلامية عنا ببعيد! مع أن هذه القرية هي الوحيدة في أفغانستان الَّتي أقيم للتوحيد فيها صرحه، وتقام فيها الصلاة أحسن إقامة، وكذا الحدود الشرعية، ولا تُعرَف هناك بلدة تُحارب فيها المخدِّرات مثلها ... فجاءت دولة "الإخوان" لا تألوهم خبالاً؛ حتَّى خربوها، واغتالوا أميرها الشيخ السلفي: جميل الرحمن -رحمه الله- ... فجمعوا بين أكبر الكبائر على الإطلاق وهي **الشرك وقتل النفس بغير حق**...

كل هذا وغيره كثير جدًّا! ولا يضر إيمانهم! ولا يُسقط إمامتَهم!! بل الويل لمن يفكِّر في انتقادهم؛ لأنه يطعن في مصداقية الجهاد!!

بل أمّلوا -مع هذه المخازي والبدع المكفرة- أن تكون الدولة الإسلامية المنشودة هي الَّتي في أفغانستان والسودان!! كما في شريط سلمان العودة: "لماذا يخافون من الإسلام؟"!!

وليس الأمر كذلك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا**﴾ [النساء:١٢٣].

فلذلك عدهم بعضُ أهل العلم من **غلاة المرجئة**؛ لأن المرجئة عظَّموا الإيْمان وهو أصل الدين، وأما هؤلاء فعظَّموا جزءًا من جزئيات الدين؛ ألا وهو السياسة، مع العلم بأن سياستهم هذه لا تعدو أن تكون مزيْجًا من الاشتراكية والديمقراطية؛ كما هو معلوم عند من اطلع على كتب سيد قطب وغيره ممن هو على شاكلته، بل قل باختصار: هي الفقه الحركي المبتدع.

والمرجئة لَمْ ينفوا تضرر صاحب الإيْمان بشرك يرتكبه، بل اعترفوا بأنه لا ينفع مع الكفر حسنة، وأما هؤلاء فهم شافعون لأئمتهم ولو قالوا بالكفر الصريح كما سبق!!!

٤- هذا الأصل تبعه أصل آخر عند المرجئة؛ ألا وهو عدم بيان السنة للناس، مع ترك الرد على المبتدعة.

قال ابن تيمية -رحمه الله- بعد كلام له عن أهل التكفير: "وبإزاء هؤلاء المكفِّرين بالباطل أقوامٌ لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب، أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه.

- وما عرفوه منه قد لا يُبيِّنونه للناس بل يكتمونه[١].
- ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة[٢].
- ولا يذمون أهل البدع ويعاقبونهم[٣].
- بل لعلهم يذمّون الكلام في السنة وأصول الدين ذمًّا مطلقًا[٤] ...
- أو يُقِرُّون الجميع على مذاهبهم المختلفة[٥] ...

---

(١) كبعض "الإخوان المسلمين" الذين تربوا في بيئة سلفية، لكن حزبيتهم تنهاهم عن بيان العقيدة السلفية، وتأمرهم بالتمذهب، وتنهاهم عن إطلاع الناس عما في المذاهب الأخرى من السنة؛ لأن ذلك يفرِّق الصف حسب فلسفتهم!

(٢) انظر كلام حسن البنا في: مذكرات الدعوة والداعية (ص:٦٤-٦٥) حول ضرورة السكوت عن الخلاف المعروف في المسائل العقدية مثل حلقات أهل الطرق الصوفية والتوسل بالصالحين ودعاء المقبور ...! ليقول في آخرها: "وهذه المسائل اختلف فيها المسلمون مئات السنين، وما زالوا مُختلفين! والله -تبارك وتعالى- يرضى منا بالحب والوحدة!!".

(٣) كـ"الإخوان" الذين قالوا: نذم البدعة ولا نذم صاحبها! ونكره البدعة ولا نكره صاحبها!!

(٤) كـ"الإخوان" الذين قالوا: الكلام في السنة قشور! والكلام في أسماء الله الحسنى وصفاته فلسفة ومضيعة للوقت!!

(٥) كـ"الإخوان"؛ فإنك ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر:١٤]. إذ فيهم الصوفي على اختلاف طرقهم، والأشعري، والماتريدي، والرافضي، والجهمي، والمعتزلي ... وسلوا علي بن حاج: لماذا لَمْ يُنكر على الطرقيين في مدينة أدرار وقد نزل بساحتهم للدعاية الانتخابية، وسمع منهم ما يَمس جناب التوحيد؟! وكذا اجتماعهم بالإباضية بمدينة غرداية؟! فإنّ هداية رجل واحد منهم خير لكم من الإمارة الَّتي صرفتم إليها وجوهكم؛ أليس رسول الله ﷺ قد قال: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمْر النعم؟!». رواه البخاري ومسلم.

وهذه الطريقة قد تغلب على كثير من المرجئة وبعض الْمُتفقهة والْمُتصوِّفة والْمُتفلسفة ... وكلا هاتين الطريقتين -أي: المكفرة والمرجئة ومن معهم- منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة"[١].

ولا يختلف اثنان أن هذا من أعظم الأسس الَّتي يرتكز عليها دين الحركية؛ وهل ثَمَّ أحدٌ يُنكر مقولتهم: "ليعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، ولنعمل فيما اتَّفقنا عليه؟!!".

وقد بيّنت -فِي هامش قريب- من كلام حسن البنا أنَّهم يعنون الاختلاف بإطلاق! قالوا هذا؛ لأنَّهم لو أخذوا ينكرون على أهل البدع لضيَّعوا أكثر متبوعيهم الذين يَمدونَهم فِي الغيِّ!

ثُمَّ لَمْ يقف هذا عند أهل البدع، بل تعدّاه إِلَى أهل الكفر؛ فقد سبق أن نقلت فِي (ص:٢٦٦) كلام "الإخوان" فِي رضاهم بأُخوة النصارى لَهم بل ومطالبتهم بذلك!

كما نقلت كلام حسن البنا فِي (ص:٢٦٧)، والقرضاوي (ص:٢٦٨) فِي أنه لا خصومة دينية بيننا وبين اليهود!! فماذا بعد هذا؟!

فهذه أربعة أصول وافقوا فيها المرجئة، فأيّ الناس أحقّ بوصف الإرجاء؟! أليس يصدق فيهم قول القائل: رمتني بدائها وانسلّت؟! والأمر لله.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٤٦٧)، وانظر: بدائع التفسير لابن القيم (٥/٤٥٨).

التفريق بين فقه النفس وفقه الواقع

عرف المتقدِّمون فقه الواقع باسم "فقه النفس"[(١)]، وبين القديْم والجديد فروق جوهرية تتجلى من كلمة ذهبية لابن القيم -رحِمه الله- حيث يقول:

"ولا يتمكَّن المفتي ولا الحاكم من الفتوى إلا بنوعين من الفهم:

* أحدهُما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتَّى يحيط به علمًا.

* والنوع الثاني: فهم الواجب فِي الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكَم به فِي كتابه أو على لسان رسوله فِي هذا الواقع، ثُمَّ يطبِّق أحدهُما على الآخر، فمن بذل جهده واستفرغ وسعه فِي ذلك لَمْ يُعدَم أجرين أو أجرًا، فالعالم من يتوصَّل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلَى معرفة حكم الله ورسوله، كما توصَّل شاهد يوسف بشق القميص من دبر إلَى معرفة براءته وصدقه[(٢)]، وكما توصَّل سليمان ﷺ بقوله: «ائتونِي بالسكين حتَّى اشقَ الولد بينكما». إلَى معرفة عين الأم[(٣)]، وكما توصل أمير

---

(١) انظر: الطرق الحكمية لابن القيم بتحقيق بشير عيون (ص:٤) والمنخول للغزالي (ص:٤٦٢-٤٦٤)؛ وبفقه النفس وصف الذهبي عمر بن عبد العزيز كما فِي السير (٥/١٢٠).

(٢) وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف:٢٥-٢٩].

(٣) وهو ما رواه البخاري ومسلم عن أبِي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «كانت امرأتان معهما ابناهما جاء ذئب فذهب بابن إحداهما. فقالت لصاحبتها: إنَّما ذهب بابنك. وقالت الأخرى: إنَّما
=

المؤمنين علي عليه السلام[1] بقوله للمرأة الَّتي حملت كتاب حاطب لما أنكرته: «لَتُخْرِجنَّ الكتاب أو لنُجَرِّدَنّك» إلَى استخراج الكتاب منها[2].

ذهب بابنك. فتحاكمتا إلَى داود ﷺ فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود -عليهما السلام- فأخبرتاه. فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما. فقالت الصغرى: لا تفعل -يرحمك الله- هو ابنها، فقضى به للصغرى».

وفي الاستشهاد بهذه القصة قال ابن القيم في الطرق الحكمية (ص:٥): "فاستدل برضا الكبرى بذلك، وأنّها قصدت الاسترواح إلَى التأسي بمساواة الصغرى في فقد ولدها، وبشفقة الصغرى عليه، وامتناعها من الرضا بذلك على أنّها هي أمه، وأن الحامل لَها على الامتناع هو ما قام بقلبها من الرحمة والشفقة الَّتي وضعها الله تعالى في قلب الأم، وقويت هذه القرينة عنده حَتَّى قدمها على إقراره فإنه حكم به لَها مع قولها: «هو ابنها»".

(١) يبدو أن كلمة (عليه السلام) من صناعة نساخ الكتاب لا من المؤلف؛ فإنه -رحمه الله- يرى ترك إفراد غير الأنبياء بهذه اللفظة، كما في كتابه "جلاء الأفهام" (ص٤٨٢)، وقال ابن كثير في تفسير الآية (٥٧) من سورة الأحزاب: "وقد غلب هذا في عبارة كثير من النُّسَّاخ للكتب أن يُفرد علي رضي الله عنه بأن يقال: (عليه السلام) من دون سائر الصحابة أو (كرم الله وجهه)، وهذا -وإن كان معناه صحيحًا- لكن ينبغي أن يُسوّى بين الصحابة في ذلك؛ فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عُثمان أَوْلَى منه -رضي الله عنهم أجمعين-.

(٢) القصة رواها البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير بن العوام وكلنا فارس، وقال: انطلقوا حَتَّى تأتوا روضة خاخ، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلَى المشركين. فأدركناها تسير على بعير لَها حيث قال رسول الله ﷺ، فقلنا: الكتاب؟ فقالت: ما معي من كتاب. فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابًا، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجدَّ أهوت إلَى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها على رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه. فقال النَّبي ﷺ: ما حملك على ما صنعت؟. قال حاطب: والله ما بي إلا أن أكون مؤمنًا بالله ورسوله ﷺ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدافع الله به أهله وماله، فقال: صدق، لا تقولوا له إلا خيرًا. فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه. فقال: أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم! فقد وجبت لكم
=

وكما توصل الزبير بن العوام بتعذيب أحد ابني أبي الحقيق بأمر رسول الله ﷺ حتّى دلّهم على كنز حُيَي[1] لما ظهر له كذبه في دعوى ذهابه بالإنفاق بقوله: «المال كثير والعهد أقرب من ذلك»[2].

الجنة -أو قد غفرت لكم-. فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم. فأنزل الله السورة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة:١]». والشاهد من القصة: أن عليًا ﷺ توصّل إلى استخراج الكتاب من المرأة بسلوك هذه الطريقة المحرَّمة من أصلها. قال ابن القيم في الطرق الحكمية (ص:٩): "وعلى هذا إذا ادَّعى الخصم الفلس، وأنه لا شيء معه، فقال المدعي للحاكم: المال معه، وسأل تفتيشه وجب على الحاكم إجابته إلى ذلك؛ ليصل صاحب الحقّ إلى حقه". وعلى هذا بوب البخاري في صحيحه لهذه القصة بقوله: "باب: إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الملة والمؤمنات ..." انظر الحديث برقم (٣٠٨١).

(١) جاء في النسخة المطبوعة "كنز جي" وهو تحريف فليصحح.

(٢) قال ابن القيم في الطرق الحكمية (ص:٧): "وشرح ذلك أنه ﷺ لما أجْلَى يهود بني النضير من المدينة على أنه لَهم ما حملت الإبل من أموالهم غير الحلقة والسلاح، وكان لابن أبي الحقيق مال عظيم بلغ مسك -وهو جلد- ثور من ذهب وحلي، فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر، وكان بعضها عنوة، وبعضها صلحًا، ففتح أحد جانبيها صلحًا، وتحصن أهل الجانب الآخر، فحاصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يومًا، فسألوه الصلح، وأرسل ابنُ أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ انزل فأكلمك، فقال رسول الله ﷺ: «نعم». فنزل ابن أبي الحقيق فصالح رسولَ الله ﷺ على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لَهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم، ويُخلُّون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لَهم من مال وأرض، وعلى الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة، إلا ثوبًا على ظهر إنسان فقال رسول الله ﷺ: «وبرئت منكم ذمة الله، وذمة رسوله إن كتمتموني شيئًا». فصالحوه على ذلك.

قال حماد بن سلمة: أخبرنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتّى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الزرع والأرض والنخل، فصالحوه على أن يُجلوا منها ولَهم ما حملت ركابُهم ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء، واشترط عليهم ألا يكتموا، ولا يُغيِّبوا شيئًا، فإن فعلوا فلا ذمة لَهم ولا عهد، فغيَّبوا مسكًا فيه مال وحلي لحيي بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير، فقال رسول الله ﷺ لعم حيي بن أخطب: ما فعل مَسْكُ حيي الذي جاء به من النضير؟ قال: أذهبته النفقات والحروب. قال: العهد قريب، والمال أكثر من ذلك. فدفعه رسول الله إلى الزبير، فمسه بعذاب، وقد كان قبل ذلك دخل خربة، فقال: قد =

وكما توصل النعمان بن بشير بضرب المتهمين بالسرقة إلَى ظهور المال المسروق عندهم، فإن ظهر وإلا ضرب من اتَّهمهم كما ضربَهم، وأخبر أن هذا حكم رسول الله ﷺ[1].

ومن تأمل الشريعة وقضايا الصحابة وجدها طافحة بهذا، ومن سلك غير هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسبه إلَى الشريعة الَّتِي بعث الله بها رسوله"[2].

ومن خلال هذه الأمثلة وشرح ابن القيم لَها، يتبيَّن لك أنه -رحمه الله- يتحدَّث عن الفراسة الَّتِي يُؤْتاها الحاكم حينما تعرض له قضايا يَجهلها، ولا يعرف واقعها، لا كما ظنَّ قوم -حين وجدوا ابن القيم استعمل لفظ "فهم الواقع والفقه فيه" أنه يعني فقه الواقع الذي استحدثوه، وفسَّروه بالاطِّلاع على الواقع ومتابعة أخباره! فإن هذا المعنى لَمْ يُعرِّج عليه -رحِمه الله- قط؛ لأنه ليس علمًا فكيف يكون فقهًا؟!! لاسيما وهو مقدور لكل "حشاش" ونوكي؟!

رأيت حُيَيًّا يطوف في خربة هاهنا، فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق -وأحدهُما زوج صفية- بالنكث الذي نكثوا». رواه أبو داود والبيهقي واللفظ له، وهو صحيح.

قال ابن القيم مبينًا الشاهد من القصة: "أن النَّبِي ﷺ أمر الزبير أن يقرر عم حيي بن أخطب بالعذاب على إخراج المال الذي غيبه وادعى نفاده فقال له: «العهد قريب، والمال أكثر من ذلك». فهاتان قرينتان في غاية القوة: كثرة المال، وقصر المدة الَّتِي ينفق كله فيها".

(١) رواه أبو داود (٤٣٨٢)، والنسائي (٨/٦٦) وحسَّنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٥٢٩)، من طريق أزهر بن عبد الله الحرازي: "أن قومًا من الكُلاعيين سُرق لَهم متاع، فاتَّهموا أناسًا من الحاكة، فأتوا النعمان بن بشير صاحب النَّبِي ﷺ، فحبسهم أيَّامًا، ثُمَّ خلَّى سبيلهم، فأتوا النعمان، فقالوا: خلَّيت سبيلهم بغير ضرب ولا امتحان؟! فقال النعمان: ما شئتم، إن شئتم أن أضربَهم: فإن خرج متاعُكم فذاك، وإلا أخذتُ من ظهوركم مثل ما أخذتُ من ظهورهم؟ فقالوا: هذا حكمك؟ فقال: هذا حُكم الله وحُكم رسوله ﷺ".

(٢) إعلام الموقعين (١/٨٧-٨٨).

ثُمَّ إِنَّني ما زدتُ هاهنا على أن نقلتُ كلامه الذي فِي "إعلام الموقعين" -وهو الذي أخطئوا فهمه- بشرحه له هو نفسه فِي "الطرق الحكمية".

ولذلك صدَّر ابن القيم كتابه: "الطرق الحكمية فِي السياسة الشرعية" بالحديث عن فراسة الحاكم والقاضي، بل لقد جاء عنوانه فِي بعض المخطوطات: "الفِراسة المرضية فِي أحكام السياسة الشرعية" فتدبَّر!

ومن كلام ابن القيم هذا أخذت تسمية كتابِي، فوصفت القادر على هذا النوع من الفهم بوصفين هما: **الاجتهاد والفراسة**[1].

لذا فإن الذي ننعاه على متفقهي زماننا فِي واقع المسلمين ليس هو مُجرد الاطلاع على مكايد الأعداء، فهذا شر لابدَّ من معرفته، ولكن ننعى عليهم ما يأتِي:

أ- تأسيسهم الإصلاح على العمل السياسي، وهذا الخطأ وحده كاف لإسقاط منهجهم كله نظرًا لمخالفته منهج الأنبياء -صلى الله عليهم وسلم-، فكيف وقد انضم إليه ما سيأتِي.

ب- دخولهم فِي العمل السياسي وإفتاؤهم فِي قضاياه، وليسوا من أهله قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

ج- ومن ثَمَّ **افتياتهم على أهله**: العلماء والأمراء، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

د- ومن ثَمَّ طعنهم فِي أهله، وهو انحراف واقع، ما له من دافع؛ لأن صدورهم أضيق عن تحمُّل خلافهم لَهم، لو كان لخلافهم اعتبار، ولقد ساءنِي جدًّا أن أقرأ جواب سلمان العودة على سؤال مجلة الإصلاح الإماراتية عن قضية الخليج، حيث قال: "وأكدت على أنَّهم ليسوا على مستوى مواجهة مثل هذه الأحداث الكبيرة، وكشفت كذلك على عدم وجود مرجعية علمية صحيحة وموثوقة للمسلمين بحيث أنَّها

(١) وذلك لأن اسمه فِي الأصل كان: "السياسة بين فراسة المجتهدين وتكيُّس المراهقين".

تحصر نطاق الخلاف، وتستطيع أن تُقدِّم لها حلاً جاهزًا صحيحًا وتحليلاً ناضجًا .. !!"[١].

يعلم الله أنني كنت أعلم ما عند سلمان من مزالق مهلكة، لكنني لَمْ أتصوره يومًا ما بهذا المستوى والجرأة على أهل العلم، ولو أخبرني به أحد لكذبت أو تأوّلتُ؛ لأنه لو جاز لأحد أن يُسقط جهود العلماء بل أن ينفي وجودهم لَمْ يجز لسلمان أن يكون فريسته؛ لأنه يعيش بين ظهراني هيئة كبار العلماء، الَّتي كثيرًا ما يُظهر توقيره لَها، **فهل هي عنده مرجعية علمية غير صحيحة؟! وهل فتاواها تحليلات غير ناضجة؟!**

وهل يعدّ الشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين غير موثوقين حَتَّى يعتبر وجودهم كالعدم؟! اللهم إن هذا لظلم عظيم!

هذا وليقُل المتعصبون للرجال: لعله لا يقصد ذلك! أو لابدَّ من قراءة السابق واللاحق! فقد تركنا لكم الوقت لذلك فهل أنتم فاعلون؟!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) العدد (٢٢٣ - ١٠٢٨٠ - ٣ ١٩٩٣٠١٢ - ص ١١)

هذه صورة المجلة التي نقلت منها كلام سلمان العودة في نفيه وجود المرجعية العلمية في الجزيرة العربية



العراقي لدولة الكويت حدث هناك اضطراب فكري لدى الكثير وتغيرت مسلماتهم لدى بعض الدعاة. فكيف يمكن الخروج من هذا المأزق؟

"التخلف الأكبر الذي نعيشه هو في بناء الانسان الصالح"

وهذا المزلق انحراف شنيع؛ لأنه:

- **إما طعن في العلماء**: فقد صحَّ عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من أمتي من لَمْ يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**». رواه أحمد وغيره، وهو صحيح.

- **وإما طعن في الأمراء**: فلا يزال الأمر بهم يشتد حَتَّى ينكروا عليهم بطريقة الخوارج، الَّتِي أول علاماتها التشهير بأخطائهم على المنابر، ونهايتها الَّتِي لا مناص منها الخروج عليهم، وفي ذلك مُخالفة صريحة للهدي النبوي في الإنكار عليهم.

قال ابن أبي عاصم في كتاب السنة: "**باب كيف نصيحة الرعية للولاة**"، وأسند فيه عن شريح بن عبيد الحضرمي وغيره قال: جلد عياض بن غنم صاحب دار حين فتحت، فأغلظ له هشام بن حكيم القول حَتَّى غضب عياض، ثُمَّ مكث ليالي فأتاه هشام بن حكيم فاعتذر إليه، ثُمَّ قال هشام لعياض: ألم تسمع النَّبِي ﷺ يقول: «**إن من أشد الناس عذابًا أشدهم عذابًا في الدنيا للناس؟!**». فقال عياض بن غنم: يا هشام بن حكيم! قد سمعنا ما سمعت ورأينا ما رأيت، أوَلَمْ تسمع رسول الله ﷺ يقول: «**من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يُبْدِ له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيَخْلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه له؟!**». وإنك يا هشام! لأنت الجريء؛ إذ تجترئ على سلطان الله! فهلاَّ خشيت أن يقتلك السلطان؛ فتكون قتيل سلطان الله -تبارك وتعالى-؟!"[1].

وحَتَّى لا يعظم عليك أن نسبتُ مُخالفي هذا المنهج إلَى مسلك الخوارج، فإنَّني أورد هنا ما رواه الترمذي وغيره عن زياد بن كُسيب العدوي قال: كنتُ مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر، وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلَى أميرنا يلبس ثياب الفساق. فقال أبو بكرة: اسكت؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) انظر: ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني رقم (١٠٩٦)، وقد رواه أحمد -واللفظ له- والحاكم، وهو صحيح.

«من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله»[1].

قال الذهبي: "أبو بلال هذا هو مرداس بن أُدية، خارجي، ومن جهله عدَّ ثياب الرجال الرقاق لباس الفساق!"[2].

ومثله ما رواه سعيد بن جُمْهان قال: أتيتُ عبد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر، فسلمت عليه، قال لي: مَن أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جُمهان، قال: فما فعل والدك؟ قلت: قتلته الأزارقة[3]. قال: "لعن الله الأزارقة! لعن الله الأزارقة! حدثنا رسول الله ﷺ أنهم: «كلاب النار». قال: قلت: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال: بلى، الخوارج كلها، قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم ... قال: فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة ثُمَّ قال: "ويحك يابن جُمهان! عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم، إن كان السلطان يسمع منك فأته في بيته فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك، وإلا فدعه؛ فإنك لست بأعلم منه"[4].

❊ **فائدة:**

روى عبد الله بن أحمد بإسناده الصحيح إلى سعيد بن جمهان أنه قال: "كانت الخوارج تدعوني حتَّى كدتُ أن أدخل معهم، فرأت أخت أبي بلال في النوم أن أبا بلال كلب أهلب أسود، عيناه تذرفان، قال: فقالت: بأبي أنت يا أبا بلال! ما شأنك أراك هكذا؟ قال: جعلنا بعدكم كلاب النار، وكان أبو بلال من رءوس الخوارج"[5].

---

(١) صحيح سنن الترمذي للألباني رقم (١٨١٢).

(٢) السير (١٤/٥٠٨)، وكذا في (٣/٢٠).

قلت: وهكذا سمة الخوارج، جمعوا بين سوء الإنكار، والجهل بالمنكر نفسه؛ أي فساد العلم والعمل.

(٣) وهم أتباع نافع بن الأزرق الخارجي.

(٤) رواه أحمد (٤/٣٨٢-٣٨٣)، وحسنه الألباني في المصدر السابق (ص:٥٠٨).

(٥) كتاب السنة رقم (١٥٠٩)، وقد انقلب اسم أبي سعيد "جمهان" على محقق الكتاب مُحمَّد سعيد القحطاني إلى "جهمان"، والصواب ما أثبته أعلاه. فليُتنبَّه!

وعلى كل حال فإن مجرَّد التحريض على السلطان المسلم -وإن كان فاسقًا- صنعة الخوارج، قال ابن حجر فِي وصف بعض أنواع الخوارج: "والقَعَدية الذين يُزَيِّنون الخروج على الأئمة ولا يباشرون ذلك"(١).

قال عبد الله بن مُحمَّد الضعيف: "قَعَدُ الخوارج هم أخبث الخوارج"(٢).

❊ قلت: فأي الخطباء اليوم سَلِم من هذه اللوثة؟! ولاسيما منهم الذين يخطبون من الناس جمهرتَهم والشهرة عندهم! فاللهم سلِّم!!

ولذلك قال الشيخ صالح السدلان فيهم: " ... فالبعض من الإخوان قد يفعل هذا بحسن نية معتقدًا أنَّ الخروج إنَّما يكون بالسلاح فقط، والحقيقة أن الخروج لا يقتصر على الخروج بقوة السلاح، أو التمرد بالأساليب المعروفة فقط، بل إن الخروج بالكلمة أشد من الخروج بالسلاح؛ لأن الخروج بالسلاح والعنف لا يُرَبِّيه إلا الكلمة فنقول للإخوة الذين يأخذهم الحماس، ونظن منهم الصلاح -إن شاء الله تعالى-: عليهم أن يتريثوا، وأن نقول لَهم: رويدًا فإن صلفكم وشدتكم تربي شيئًا فِي القلوب، تربي القلوب الطرية الَّتِي لا تعرف إلا الاندفاع، كما أنَّها تفتح أمام أصحاب الأغراض أبوابًا ليتكلموا وليقولوا ما فِي أنفسهم إن حقًّا وإن باطلاً.

ولا شك أن الخروج بالكلمة واستغلال الأقلام بأي أسلوب كان أو استغلال الشريط أو المحاضرات والندوات فِي تحميس الناس على غير وجه شرعي أعتقد أن هذا أساس الخروج بالسلاح، وأحذر من ذلك أشد التحذير، وأقول لهؤلاء: عليكم

---

(١) هدي الساري (ص:٤٨٣) وانظر: الإصابة عند ترجمة عمران بن حطان، وغراس الأساس (ص: ٣٧٢)، ثلاثتها لابن حجر؛ فإنك واجد فِي كل منها فائدة زائدة.

(٢) رواه أبو داود فِي مسائل أحمد (ص:٢٧١) بسند صحيح، قال الحافظ عبد الغني بن سعيد: "رجلان نبيلان لزمهما لقبان قبيحان: معاوية بن عبد الكريم الضال؛ وإنَّما ضلَّ فِي طريق مكة، وعبد الله بن مُحمَّد؛ وإنَّما كان ضعيفًا فِي جسمه لا فِي حديثه"، كما فِي تهذيب الكمال للمزِّي (٩٩/١٦)، وقال النسائي: "شيخ صالح ثقة، والضعيف لقب لكثرة عبادته".

بالنظر إلى النتائج وإلى من سبقهم في هذا المجال، لينظروا إلى الفتن الَّتي تعيشها بعض المجتمعات الإسلامية ما سببها وما الخطوة الَّتي أوصلتهم إلى ما هم فيه، فإذا عرفنا ذلك ندرك أن الخروج بالكلمة واستغلال وسائل الإعلام والاتصال للتنفير والتحميس والتشديد يُرَبِّي الفتنة في القلوب"[1].

قال عمر بن يزيد: سمعت الحسن -أي: البصري- أيَّام يزيد بن المهلب قال: وأتاه رهطٌ فأمَرَهم أن يلزموا بيوتَهم ويُغلقوا عليهم أبوابَهم، ثُمَّ قال: "والله لو أن الناس إذا ابتُلُوا من قبل سلطانهم صبروا، ما لبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم؛ وذلك أنَّهم يفزعون إلى السيف فيوكَلُوا إليه! ووالله! ما جاءوا بيوم خير قط!، ثُمَّ تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧]"[2].

هـ- جهلهم بالطريقة الَّتي تُغربَل بها الأخبار، وليس ثَمَّ إلا طريقة أهل الحديث، ألا ترى كيف يكتب السلف التاريخ ويُسندون؟ ذلك لأن الله قال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:٦].

ولا شك أن أنباء وسائل الإعلام الكافرة أكذب من نبأ الفاسق، وهؤلاء يعتمدونَها لمعرفة الواقع! فلا يسلمون من شر البواقع؛ لأن هذه الوسائل قد سيطر عليها اليهود عليهم من الله الذِّلة، وخبر الكافر مردود باتفاق أهل الملة.

ومن الغفلة بمكان أن يتصور المسلم عدوَّه يُهدي إليه مُخططاته من خلال نشرات علنية، كما فعل سفر الحوالي في نشرة الأخبار الَّتي جمعها في كتاب أسماه: "وعد كيسنجر"، وحسب نشرته علمًا! وأضاع معها عمرًا نفيسًا بلا طائل، بل أضاع

---

(١) مراجعات في فقه الواقع السياسي د: عبد الله الرفاعي (ص:٨٨-٨٩).

(٢) رواه ابن سعد (٧/١٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ق١٧٨-أ- المحمودية)، والآجري في الشريعة (٦٥- برقيمي) وثبت هناك وجه تخصيصه بما لا يتسع له المقام هنا

بها أعمار الغمر من الشباب؛ فقد جاءت نشرتُه نُشرة تخبيب بين طلبة العلم وأهله أصحاب الفضائل، فضلاً عمَّا فيها من إغراء الأمراء بالعلماء مِمَّا يوقع بينهم وحشة، والتجربة تدل على ذلك[1].

والحق أن الاطلاع على أسرار الكفار من إسرارهم لا من إعلانِهم أمر مطلوب من ذوي الاجتهاد، وعلى هذا بوَّب البخاري فِي صحيحه لقصة حاطب بن أبِي بلتعة المذكورة آنفًا بقوله: "باب من نظر فِي كتاب من يُحذَّر على المسلمين ليستبين أمره"، فتدبر الفرق يرحمك الله!

وقد انتقد الشيخُ الألبانِي قول ناصر العمر -وهو يعدِّد مصادر "فقه الواقع"-: "المصادر السياسية والمصادر الإعلامية، وهي من أهم المصادر المعاصرة، سواء أكانت مسموعة أم مقروءة أم مرئية، من أبرزها الصحف والمجلات والدوريات، نشرات وكالات الأنباء العالمية، الإذاعات، التلفزيون، الأشرطة والوثائق وغير ذلك من الوسائل الإعلامية المعاصرة".

قال أحد الحضور للشيخ: ما رأيك فِي هذا المصدر؟

قال الشيخ الألبانِي: "مزالق! كلنا يعلم أنّهم لا ينشرون على العالم الإسلامي إلا ما يكيدون به لَهم، فكيف يكون هذا سببًا لمعرفة الواقع؟! يجب أن يقال: ينبغي أن يكون هناك -يعني: ماذا يسمُّون؟- مراسلين مثلاً أو إخباريين أو إعلاميين: صحفيين إسلاميين، الذين يدرسون الواقع دراسة فِي حدود عقيدتِهم ودينهم، ولا ينبغي أن

(١) ومِمَّا يؤسف له أن يكتب عبد الله الدميجي كتابًا يقرر فيه مذهب الخوارج والمعتزلة فِي مسألة الخروج وسَمَّاه: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة! وأشد منه أسفًا أن يختصر آخرُ كتاب: غياث الأمم، ويقرر فِي حاشيته ذاك المذهب المشئوم كما فِي (ص٧٣-٩٣)، مضيفًا إليه التكفير بطريقة ذاك المذهب نفسه كما فِي حاشية (ص:٤٠-٧١)، ثُمَّ يقوم سفر الحوالي بتوزيعه علينا -نحن معشر الحجاج- بأعداد هائلة! فهل يريد توسيع دائرة الخروج على الحكام من المملكة السعودية إلَى غيرها؟ أم أنّهم كتبوا على غلاف الكتاب: "الطريق إلَى الخلافة" سهوًا؟!!

نكون عالة كما أنت أشرت، كيف؟ هذا لا يلتقي مع هذا؛ الذي أشرتَ إليه لا يلتقي مع هذه المصادر الأخيرة الَّتِي أشرت إليها!".

فاعترض عليه ناصر العمر بأنه وضع ضوابط لذلك ومحاذير، وذكر منها:

- "أولاً: الالتزام بالأصول الشرعية والمنطلقات العلمية والعقلية فِي وصف الواقع وتوقع النتائج ورؤية المستقبل.

- ثانيًا: التثبت فِي نقل الأخبار وتلقيها، وذكرتُ هذه القضية، وبيَّنتُ هذا الأمر: حسن التعامل وتجنب المخاطر والمزالق، ذكرت أن الأخذ من هذه الأشياء لابد من هذه الضوابط".

قال الشيخ: "لكن هذا لا يمكن "تضبيطه"، **أنت وضعت ضوابط نظرية**، لا تتم هذه إلا بالاختراع السابق، هذه "شَغلة" الحكومة، وليس بفرد من الأفراد أو بجماعة، كما نسمع أن إذاعة لندن ليست إذاعة حكومية، إنَّما هي لجمعية مثلاً أم ماذا يسمونها؟"

فقيل له: هي شركات خاصة.

قال الشيخ: "يجب أن يكون هناك إذا ما قامت ما تعهدت الدولة بالقيام بِهذا الواجب الكفائي المساعد على فهم فقه الواقع، إذا لَمْ تقم الدولة -وهي أولى وأحق وأقوى من يستطيع أن يقوم بِهذا الواجب الكفائي- فيجب أن يكون هناك شركات مؤلفة من أشخاص من الإسلاميين الغيورين، وأن يوظِّفوا أشخاصًا لنقل الأخبار، كما يفعل الكفار، وحينئذ لا نكون نحن عالة فِي تلقي الأخبار من أعدائنا وخصومنا، ثُمَّ نُحاول أن نطبق القيد الذي ذكرته أنت. **لا يستطيع أي إنسان إذا أراد أن يتأكد من صحة بعض هذه الأخبار، ما يستطيع أن يتأكد من ذلك؛ لأن مصادرها أجنبية**، تمامًا لو أردنا أن نتأكد من صحة بعض الأخبار فِي التوراة والإنجيل، ليس عندنا وسيلة لمعرفة الأخبار الَّتِي فِي التوراة والإنجيل: ما هو صحيح مِمَّا ليس

بصحيح، إلا بمقابلتها بأخبار أهل صدق وثقة و ... إلخ، فإذا هؤلاء لَمْ يكونوا موجودين ذهبت أدراج من يريد فقه الواقع معرفة حقيقية اعتمادًا منه على الأخبار الَّتي ترِدنا من بلاد الكفر والضلال والفسق والفجور، لا يمكن حينئذ تحقيق ما أُلمِحت إليه من التثبت.

ولذلك "فقه الواقع" هذا الآن نظريٌّ، ولا يمكن أن يكون واقعيًا إلا بإيجاد شركة توظف أناسًا لنقل الأخبار بطرق موثوقة ينطبق عليها تمامًا علمُ مصطلح الحديث.

قال العمر: إذًا لَمْ يوجد هذا -يا شيخ- حتَّى يوجد هذا الأمر؟

قال الألباني: إيه! من الصعب تحقيقه.

قال العمر: ألا نستفيد -يا شيخ!- من بعض ...

قال الألباني: يا شيخ! -بارك الله فيك- لكثرة الأخبار، وكثرة المخبرين من الكفار، يضيع الباحثُ بين هذه الأخبار وهذه، ما يستطيع أن يتحقق إلا ما ندر جدًّا جدًّا"[1].

* **قلت:** ولذلك تجد الهدهد وصف نبأه الذي أخبر به سليمان -عليه الصلاة

---

(١) من أشرطة سلسلة الهدى والنور بعنوان: فقه الواقع، مناقشة العلامة الألباني للأخ ناصر العمر سنة (١٤١٢هـ).

قال الشيخ مُحمَّد بن عثيمين: "ثُمَّ إن "فقه الواقع" الذي يقال عنه: إنه "فقه الواقع" يستند على إيش؟ يستند على الصحف والمجلات والإذاعات، وما أكثر الترويج في الصحف والمجلات والإذاعات! فوسائل الإعلام اليوم لا يُمكن الاعتماد عليها، وربَّما يكون هناك مخططات سابقة تغيَّرت الأحوال حتَّى أصبحت هذه المخططات غير سليمة، وإذا تأمَّل العاقل فيما جرى من الأحداث خلال عشرين سنة تبيَّن له أن جميع التقديرات الَّتي قُدِّرت أصبحت غير واقعية، لهذا نرى أن إشغال الشباب عن التفقه في دين الله ﷻ إلى التفقه في الواقع ومطاردة المجلات والصحف والإذاعات وما أشبه ذلك ... نرى أنه خطأ في المنهج ...". من شريط مسجل باسم: لقاء أبي الحسن المأربي مع الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين.

والسلام- باليقين فقال: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:٢٢]. مع ذلك، ومع أن الله سخَّر لسليمان الجن والحيوان، فإنه لما كان الحيوان مصدرًا قاصرًا من مصادر التلقي، قال سليمان -عليه الصلاة والسلام-: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل:٢٧].

فلا إله إلا الله! ما أعظم هذا المنهج وما أعدله وما أدقه! فاحرص على هذه الدقة الَّتِي لست واجدها إلا عند السلفية؛ لأنَّها حققت منهج أهل الحديث بجدارة، وليس مجرد انتساب لَهم مع تأثر بالغ بمناهج أخرى.

وعلى هذا لا لَوْم على السلفية إذا كانت لا ترفع رأسًا بِهذه الأخبار الَّتِي ملأت أدمغة الشباب اليوم، ولا تطيب بها نفسًا ولا تعوِّل عليها، مع التنبيه على أنه قد يستفاد منها بعد تبيُّن صدقها من كذبِها، وتُبنى عليها أحكام بالقرائن الَّتِي تحتف بها، لكن تنبَّه -أخي القارئ!- تنبَّه إِلَى قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]. أي: لا يقدر عليها إلا من جمع الله له بين التضلع بعلم الكتاب والسنة حَتَّى يصير مُجتهدًا، وبين قوة الفراسة وصدق التوسم كما سبق بيانه[1].

و- ومن ثَمَّ اعتمادهم الأخبار المشوَّهة والمكذوبة، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥].

ص- ومن ثَم نسبتهم للشريعة السمحة أحكامًا جائرةً استنبطوها من الأخبار المشوهة، قال ابن القيم -رحِمه الله-: "الحكم قسمان: إثبات وإلزام، فالإثبات يعتمد

(١) وعلى هذا لا تستغرب أن تسمع سفر الحوالي في أيام فتنة الخليج يستدل بِما قرأه في إحدى المجلات الكافرة: من أن الأمريكان يتدرَّبون في صحراء "نيفادا" -على أن ذلك يعني: أنَّهم كانوا يريدون غزو الخليج العربي بدليل أن مناخ تلك الصحراء كمناخ هذا الخليج! وقرر من حينه أن قضية الخليج هي استعمار له!!

الصدق، والإلزام يعتمد العدل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾ [الأنعام:١١٥]"[1].

ح- تكهّنهم مستقبلاً لا حقيقة له، وقَفْوُهم سراب تخمينات لا تختلف عن تخمينات القانونيين المعروفين باسم "الملاحظين السياسيين"؛ فيقال لأحدهم أيام قضية الخليج: ما هو "تكهُّنكم!" لمستقبل جزيرة العرب مع وجود القوات الأجنبية؟

فيقول: أرى أن وعد كيسنجر تحقق.

ويقول: "إنه الاحتلال الذي قرأته من عشر سنوات في مجلة كذا الأمريكية!!".

ويقول آخر: "هذه آخر أيام تطبيق الشريعة الإسلامية، ولن تخرج هذه القوات حتّى يطبق القانون العالمي الجديد في الجزيرة!!".

ويقول آخر: "نحن تحت الاحتلال!!!".

تحكُّم ليس عليه أثارة من علم إلا الرجم بالغيب، قد بان للذكي والغبي تكذيب الواقع لَها، فعلام يتغافل الأتباع عن مُحاسبة "شيوخهم" عليها؟! وإن هي إلا تخرُّصات تخيَّلوها إرهاصات.

والأدهى والأمر أنّهم لا يزالون يعتمدون عليهم، بل لا يرضون في السياسة وغيرها إلا بِهم، رغم كثرة ترَّهاتهم! فما أشد العصبية العمياء للأشخاص على أهلها! وكان الواجب على هؤلاء أن يوظّفوا في دعاتهم هؤلاء قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٢]. لأنّهم كما قال الله ﷻ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم:٢٣].

ط- إغراقهم في السياسة إلَى حد تعليمها وإسنادها إلَى عامة الناس، مع أن النَّبي ﷺ يقول: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». رواه الترمذي، وهو حسن.

ولَمْ يقف الأمر عند هذا حتّى سمعتُ سلمان العودة ينمي هذا الخطأ إلَى سلفنا الصالح، فقد قال: "أما في المجال السياسي فالأمر معروف: فقد أصبحت الأمة رضيت بألا

---

(١) الطرق الحكمية (ص:٩).

تفكر ولا تنظر ولا تتأمل ولا تدرس المصالح والمفاسد، ولا تستخدم عقلها، ولا سمعها لترى، ولا بصرها لتسمع (هكذا!) لأنه كما يتردد وينقل الجميع أن الإنسان يستمتع برحله ممتعة هادئة هانئة، وقد ترك الأمر لغيره، حتَّى دون أن يسأل أو يناقش، مع أن الله تعالى جعل الأمة كلها مسئولة، ولَمْ يجعل المسئولية العلمية ولا السياسية ولا الدعوية على شخص واحد ... وهذا خطأ؛ لأنه يختصر الأمة -كما ذكرتُ- فِي أفراد، والله تعالى قال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]. وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]. مع أن الرسول ﷺ مؤيَّد من السماء، فالمشاورة فيها تعزيز للعقول، وتنمية للمواهب، وجعل الجميع يشعرون بأن الأمر لَهم، وهو شأنهم وقضيتهم، وهذه لكم أنتم وليست لي، وإذا وقع خطأ فتتحمَّلونه جميعًا، لن يتحمَّله العالم وحده ولا الحاكم وحده ولا الداعية وحده!!".

ويؤكد هذا الخطأ الفادح بقوله: "من الخطورة بمكان -أيها الأحبة!- أن تتمحور الصحوة الإسلامية حول أشخاص، أو أن تتمحور الأمة كلها على أشخاص سواء على الصعيد السياسي، أو على الصعيد العلمي، أو على الصعيد الدعوي"[١].

❋ ولي على هذا الكلام الخطير ثمان ملاحظات:

١- جَعَلَ الفروضَ الكفائية فروضًا عينية حين أنكر على الأمة -بلا استثناء- عدم المشاركة فِي السياسة والعلم والدعوة! والذي يدل على أنه ليس سبق لسان، وإنَّما هو منهج له أنه أكَّده بتكراره أولاً، وباستعمال أسلوب التأكيد ثانيًا، حين قال: "مع أن الله تعالى جعل الأمة كلها مسئولة ...!!".

❋ قلت: وقد وجدتُ عند العلامة الشيخ: عبد الله بن حُميد -رئيس مجلس القضاء فِي وقته وكذا المجمع الفقهي رحِمه الله- كلمة مُختصرة كافية فِي ردِّه على كاتب فِي جريدة القصيم بتاريخ (١٣٨١/٥/٨هـ) حيث قال: "وأما قولكم: لابد أن

(١) شريط: حديث حول منهج السلف رقم (١٧٩).

يكون لنا كلمة في شئون ديننا، وأن الدين للجميع، وليس وقفًا على أحد دون الآخر. فهو كما تفضلتم، ولكن لَمْ يقل أحد بذلك، ولا أظن أن يقال هذا"[١].

❊ قلت: لو عاش الشيخ ابن حميد إلَى زمننا هذا لوجد الكثير ممن تتابع على هذا الذي استغربه؛ فقد قال عبد الرحمن عبد الخالق: "... وأنه لابدَّ لكل مسلم أن ينخرط في عمل سياسي ينصر الدين!!"[٢].

لكن صدق الشيخ ابن حميد -رحمه الله-!، فإنه لا يُعلم أحد من العقلاء سبقه هو وسلمان، وعبد الرحمن إلَى هذا فضلاً عن أهل العلم! لاسيما في هذه المجالات الثلاثة الخطيرة، الَّتِي أجمع أهل العلم على عدم فرضها على الأعيان، وإليك بيان ذلك في إلماعة سريعة؛ لأنَّ مظانَّها لا تخفى على صغار طلبة العلم:

❊ أما السياسة: فقد بيَّنتُ أدلة حصر ممارستها في أولي الأمر: العلماء والأمراء، فلا أعيده.

❊ وأما العلم: فقد نص الله تعالى بأنه لَمْ يفرض طلبه إلا على طائفة من المسلمين، أما الآخرون فيكفيهم أن يعلموا منه ما يقيمون به دينهم ودنياهم، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢].

قال القرطبي: "وفي هذا إيجابُ التفقّه في الكتاب والسنة، وأنه على الكفاية دون الأعيان"[٣].

---

(١) من الرسائل الحسان في نصائح الإخوان.

(٢) من "المسلمون والعمل السياسي" (ص:٧٦)، ولا يُستغرب هذا الوضوحُ في الانحراف من عبد الرحمن، لكن الذي يُستغرب هو انطلاؤه على كثير من قراء كتابه هذا! ولقد كان صدورُه أول شيء شد به عليُّ بن حاج أزره! وأول شيء شجعه على إظهار ما كان يُخفيه عن السلفيين! وأخذ يومها يلقي منه دروسه!!

(٣) تفسير القرطبي (١٨٦/٨) ط: دار الكتب العلمية.

* أما الدعوة: فقد أمر الله ﷻ بها طائفة، ولَمْ يُلزم الجميع بها، فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١٠٤].

قال ابن كثير: "والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ..."[١]. ثُمَّ أشار إِلَى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الناس؛ كلٌّ بحسبه.

٢- إيغاله العوام فيها يورِّطهم فِي ثلاث فتن هي:

* أنه يُرَبِّي فيهم التجرؤ على الفتيا.

* ويدفعهم إِلَى التجني على أهل العلم إذا لَمْ يفهموا مسالكهم، وتعظم الفتنة بِهم فِي القضايا السياسية، بل يفتنون حَتَّى دعاتِهم، أَلَم ترهم فِي قضية الخليج كيف كانوا بفهوم العوام محصورين، وتحت ضغوط مطالبهم مأسورين؟!!

* وتَهييجهم على الأمراء، والجنوح بِهم إِلَى التكفير، ومن جرَّب جماعة التكفير عرف كيف احتوى الجهال الدعوة، والأمر لله.

٣- دعوته الأمة إِلَى دراسة المصالح والمفاسد من أكبر مزالقه؛ لأن تبيُّن المصلحة -الَّتِي فيها الأمن- من المفسدة -الَّتِي فيها الخوف- لا يقدر عليه إلا الراسخون فِي العلم: أهل الاستنباط، ويظهر هذا الحصر فِي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

٤- كثيرًا ما تجد المهيِّجين من المراهقين السياسيين يُشرِّكون العامة فيما يسمونه واقع الأمة، حَتَّى إذا لَمْ ينتج عن تحليلاتِهم شيء من غُنْمها، شرَّكوهم فِي غُرْمها، ولَمْ يقع اللوم عليهم وحدهم، كما صرَّح به هنا سلمان حين قال: "فتحمَّلونه

---

(١) وإِلَى هذا جنح القرطبي فِي تفسيره (١٠٦/٤)، والشوكاني فِي فتح القدير (٣٩٦/١).

جميعًا، لن يتحمَّله العالم وحده، ولا الحاكم وحده، ولا الداعية وحده!!"[(١)].

وهذا يفسِّر تصرُّف علي بن حاج فِي استشارته العوام لإحداث أول مسيرة! تلك المسيرة المشئومة الَّتِي ذهب ضحيتها فِي عشية واحدة مئات الشباب فِي مقتبل العمر وبراءة الْمُحيّا، حتَّى اضطر إِلَى أن يقول فِي الجمعة الَّتِي تَلَتْها: "أنا لَمْ أدعُ إِلَى مسيرة، ولكنني دعوتُ إِلَى الجلوس فِي ساحة كذا لنسمع مطالب الشعب!!!"[(٢)].

* قلت: سبحان الله! ليته لَمْ يجمع بين قتل أنفس وكذب!!

كما تجد هذه الطريقة فِي الفرار من المسئولية عند كلام سفر الحوالي الآتِي عن أحداث الجزائر؛ حيث يقول: "القضية الَّتِي نتكلم عنها ليست مُجرد فلان ولا فلان، إن كان من أولياء الله فالله ولي المتقين، وسينصرهم ولو بعد حين، وإن كانوا غير ذلك فقد جاءهم: عُجِّلت إليهم بعض ذنوبهم".

فتأمل كيف يهيِّج ويؤيِّد ثُمَّ يتبرأ فيكلُ الأمر إِلَى إيْمان القوم، كأنه يقول حينئذ: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر:١٦].!!

٥- كلام سلمان هذا كله دعوة إِلَى الديْمقراطية بعينها، وهو ممن يُظهر الكفر بِها، وإلا كيف يدعو الأمة كلها إِلَى الشورى فِي السياسة؟! الأمر الذي يدلك على

---

(١) كتبتُ هذا من اجتهادي، ثُمَّ إذا بِي أفاجأ بأن أجده قاعدة من قواعد الرجل قد صرَّح بِها فِي شريط القواعد فِي توحيد الكلمة؛ حيث يقول: "القاعدة الثالثة: .... لك الغنم، وليس عليك الغرم ....!" فحمدت الله على أنني ما جنيتُ عليه، ولا يُحمد على مكروه سواه. وكيف لا يُغَرَّم من يفتي الشباب بدخول المعارك الَّتِي توردهم المهالك، وقد قال رسول الله ﷺ فِي أدنى من ذلك: «قتلوه قتلهم الله». رواه أبو داود، وهو صحيح.

قال ابن تيمية عند هذا الحديث: "فإن هؤلاء أخطئوا بغير اجتهاد؛ إذ لَمْ يكونوا من أهل العلم" من مجموع الفتاوى (٢٠/٢٥٤).

(٢) ومن شاء التأكد فليطلب من هذه الجماعة شريطًا معروفًا باسم شريط الزقازيق شهر صفر لسنة ١٤٠٩هـ، راجع قصة هذه المسيرة هنا (ص:٣٣٨).

أن هؤلاء أرادوا أن يكونوا واقعيين، فإذا هم قد صاروا في يد الديمقراطية واقعين!

٦- استدلاله بآيتي الشورى لتقرير هذا المعنى الديمقراطي في غاية السقوط، وقبيح جدًا بالمسلم -بصفة كونه مسلمًا- أن يقع فيه، فكيف بطالب العلم؟! فكيف بمن قيل له: "فضيلة الشيخ؟!" فكيف بمن أريد له أن يُضمَّ رقم هاتفه إلى أرقام أصحاب الفضيلة هيئة كبار العلماء؟!

ثُمَّ اعلم -أعاذك الله من الجهل-: أن الشورى في الإسلام مختصة بالأئمة الأعلام، سواء أكان ذلك فيما بينهم، أم فيما بينهم وبين الحكام.

واعلم -أيضًا-: أنه لا مشورة فيما ثبت فيه نص من كتاب الله أو سنة خير الأنام -عليه الصلاة والسلام-، وإليك باختصار شديد أدلة هذين الحكمين:

قال البخاري في كتاب الأحكام من صحيحه: "باب: بطانة الإمام، وأهل مشورته، البطانة: الدُّخلاء"، وأسند فيه عن أبي سعيد الخدري عن النَّبي ﷺ قال: **«ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتَحُضُّه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى»**.

دلّ هذا الحديث مع تبويبه على أن أهل الشورى ليسوا الأمة كلها كما زعم سلمان! وإنَّما هم بطانة الإمام، خاصة وأن لهذا الحديث سبب ورود من طريق البخاري نفسه، لكن في غير صحيحه، وإنَّما رواه عنه تلميذه الترمذي[1] في سننه، وفيه قصة خروج النَّبي ﷺ وأبي بكر وعمر من بيوتهم بسبب الجوع، فكان إذن أبو بكر وعمر هم بطانة رسول الله ﷺ.

ولذلك تدبر -رحمك الله!- فقه ابن عباس حين فسَّر قوله تعالى: **﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾** [آل عمران:١٥٩]. قال: «أبو بكر وعمر رضي الله عنهما»[2].

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي (٣٤/٧).

(٢) إسناده صحيح، رواه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٨٨٩)، والحاكم (٧٠/٣) وصححه هو والذهبي. =

ومن تدبر سيرة الرسول ﷺ في النوازل أدرك بلا خفاء أنه ﷺ ما كان يشاور إلا أعيان أصحابه، من ذلك ما رواه مسلم في قصة بدر عن ابن عباس قال: فلما أسروا الأُسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟. فقال أبو بكر: يا رسول الله! هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار؛ فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يابن الخطاب؟ قلت: لا، والله يا رسول الله! ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمَكّنا فنضرب أعناقهم، فتُمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتُمكّني من فلان -نسيبًا لعمر- فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهَوِيَ رسول الله ما قال أبو بكر، ولَمْ يهوَ ما قلتُ، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدتُ بكاء بكيتُ، وإن لَمْ أجد بكاء تباكيتُ لبكائكما. فقال رسول الله ﷺ: ابكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرض علي عذابُهم أدنى من هذه الشجرة -شجرة قريبة من نبي الله ﷺ- وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾. إلى قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا﴾ [الأنفال:٦٧-٦٩]. فأحل الله الغنيمة لَهم».

والشاهد من القصة واضح، أضف إلى ذلك أنَّها من رواية ابن عباس مفسِّر آية الشورى كما سبق، ولهذا بوّب لَها الترمذي في سننه بقوله: "باب: ما جاء في المشورة"[1].

* تنبيه: وقع في المستدرك قولُ الحاكم: "أنبأنا أبو جعفر مُحمَّد بن أحمد البغدادي..." وهو تصحيف، وإنَّما الصواب: مُحمَّد بن مُحمَّد، كما ذكره على الصواب ابن كثير في تفسيره (١/٦٣٠).

(١) انظر: تحفة الأحوذي (٥/٣٧٣)، ومنهاج السنة لابن تيمية (٨/٣٩٠).

وللبخاري في كتاب الاعتصام من صحيحه تبويب ماتع، ذكر فيه أدلة ما نحن بصدده بشكل جامع، أقصد تخصيص الشورى بجماعة من العلماء، وتخصيصها بِما لَمْ يرد فيه نص من وحي السماء.

قال -رحمه الله-[١]: "باب: قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]. وأن المشاورة قبل العزم والتبين؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩]".

قال ابن حجر: "ووقع في الأدب من رواية طاوس عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ قال: "في بعض الأمر"، قيل: وهذا تفسير لا تلاوة، ونقله بعضهم عن قراءة ابن مسعود"[٢].

وقال -رحمه الله-: "**فإذا عزم الرسول ﷺ لَمْ يكن لبشر التقدم على الله ورسوله**".

* **قلت:** أي صار وحيًا، ولذلك قال ابن حجر: "ويُستفاد من ذلك أن أمره ﷺ إذا ثبت لَمْ يكن لأحد أن يُخالفه ولا يتحيل في مخالفته" وكذا قال سفيان بن عيينة[٣].

وقال -رحمه الله-: "وشاور النَّبي ﷺ أصحابه يوم أحد في الْمُقام والخروج، فلما لبس لأْمَته وعزم قالوا: أقِمْ، فلم يَمِلْ إليهم بعد العزم، وقال: «**لا ينبغي لنبي يلبس لأْمَته فيضعها حَتَّى يحكم الله**».

وشاور عليًا وأسامة فيما رَمَى به أهلُ الإفك عائشة، فسمع منهما حَتَّى نزل القرآن، فجلد الرامين، ولَمْ يلتفت إلَى تنازعهم، ولكن حكم بِما أمره الله.

وكانت الأئمة بعد النَّبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لَمْ يتعدَّوه إلَى غيره اقتداء بالنبي ﷺ.

---

(١) الفتح (١٣/٣٥١).

(٢) وانظر إن شئت تفسير القرطبي (٤/١٦١) ط. دار الكتب العلمية.

(٣) تفسير الطبري (٣/٤٩٦).

ورأى أبو بكر قتال من منع الزكاة فقال عمر: كيف تقاتل وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمرتُ أن أقاتل الناس حَتَّى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابُهم على الله؟ فقال أبو بكر: والله! لأقاتلنَّ من فرق بين ما جمع رسول الله ﷺ». ثُمَّ تابعه عمر، فلم يلتفت أبو بكر إلَى مشورة إذ كان عنده حكم رسول الله ﷺ: «من بدَّل دينه فاقتلوه».

وكان القراءُ أصحابَ مشورة عمر، كهولاً كانوا أو شبانًا" اهـ.

وهو يقصد بكلامه الأخير ما رواه هو في صحيحه موصولاً عن ابن عباس قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنَزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن، وكان من النفر الذين يُدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كُهولاً كانوا أو شُبَّانًا».

وشرح ابن حجر كلمة "القراء" بقوله: "جمع قارئ، والمراد بهم العلماء بالقرآن والسنة العُبَّاد"[1].

وروى البيهقي بسند صححه ابن حجر عن ميمون بن مهران قال: "كان أبو بكر ﷺ إذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى بينهم، فإن لَم يجد في الكتاب نظر هل كانت من النبي ﷺ فيه سنة، فإن علمها قضى بها، وإن لَم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال: أتاني كذا وكذا، فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ فلم أجد في ذلك شيئًا فهل تعلمون أن نبي الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء، فربَّما قام إليه الرهط، فقالوا: نعم قضى فيه بكذا وكذا فيأخذ بقضاء رسول الله ﷺ -قال جعفر: وحدثني غير ميمون أن أبا بكر ﷺ كان يقول عند ذلك: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا ﷺ- وإن أعياه ذلك دعا رءوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به.

(١) الفتح (١٣/٢٧١).

قال جعفر: وحدثني ميمون: أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يفعل ذلك، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر ﷺ فيه قضاء، فإن وجد أبا بكر ﷺ قد قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رءوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم، فإذا اجتمعوا على الأمر قضى بينهم"[١].

ثم ذكر ابن حجر مشاورات عمر وعثمان لأهل الحلّ والعقد[٢].

ومن أقوى ما يُستدل به هنا ما وقع في وفاة عمر ﷺ حين قيل له: «أوصِ يا أمير المؤمنين! استخلف! قال: ما أجد أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر -أو الرهط- الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليًّا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن ...» رواه البخاري[٣].

وواضح جدًا أن تلك الأمة العظيمة أمَّرت عليها الخليفة عثمان ﷺ بمشورة ستة منها فقط، فهل من معتبر؟!!

* * * * *

(١) السنن الكبرى (١٠/١١٤-١١٥).

(٢) انظر: الفتح (١٣/٣٥٤).

(٣) رقم (٣٧٠٠).

شبهة

كلُّ ما يستدل به هؤلاء الجمهوريون من "الإسلاميين!" أو من العلمانيين لإثبات ما دندن حوله سلمان، إما هي من مجملات النصوص والآثار الَّتِي أُبْهِم فيها المستشارون، وإما هي غير ثابتة سندًا، وإما فِي الاستدلال بها تعسف.

ومن هذه: استشارة النَّبِي ﷺ أصحابه فِي الخروج إِلَى بدر، فعن أنس: «أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبالُ أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثُمَّ تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيَّانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده! لو أمَرْتَنا أن نُخيضها البحر لأخَضْناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إِلَى بَرْك الغِماد لفعلنا. قال: فندب رسول الله ﷺ الناس، فانطلقوا حَتَّى نزلوا بدرًا ...». رواه مسلم.

* قلت: ليس فِي القصة أنه ﷺ استشار عامة الناس، ولذلك قال النووي: "وفيه استشارة الأصحاب، وأهل الرأي والخبرة"[(١)].

وعلى فرض أنه يصلح دليلاً لمدعاهم، فقد قال النووي: "قال العلماء: إنَّما قصد اختبار الأنصار؛ لأنه لَمْ يكن بايعهم على أن يخرجوا معه للقتال وطلب العدو، وإنَّما بايعهم على أن يمنعوه ممن يقصده، فلما عرض للخروج لعير أبي سفيان أراد أن يعلم أنَّهم يوافقون على ذلك فأجابوه أحسن جواب"[(٢)].

٧- وفِي نعي سلمان على الأمة عدم تدخلها فِي الشورى، يقول: "وهذا خطأ؛ لأنه يختصر الأمة -كما ذكرتُ- فِي أفراد". ثُمَّ نزع بآيتي الشورى.

---

(١) شرح مسلم (١٢/١٢٤).

(٢) شرح مسلم (١٢/١٢٤).

هذا كله يدل على إيجابه الشورى، ليس فقط على ولي الأمر، بل على الأمة كلها كما يظهر من سياقه!

وهذا لو وافقناه عليه لأبطلنا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ولأبطلنا الاستخلاف الذي وردت الأدلة بجوازه، منها ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: «قيل لعمر: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني: أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني: رسول الله ﷺ، فأثنوا عليه، فقال: راغب وراهب، وددتُ أني نجوتُ منها كفافًا لا لي ولا عليَّ، لا أتحمَّلها حيًّا وميتًا».

وهذا من أقوى الأدلة على كون أبي بكر استخلفَ عمر من بعده، ولَمْ يترك الأمر شورى، فهل يَجرؤ أحد على تخطئة أبي بكر، والمهاجرون والأنصار شهود لا ينكرون؟!

بل إن رسول الله ﷺ لو علم في الأمة اختلافًا في تولية أبي بكر لعهد إليه من غير شورى، فعن عائشة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ في اليوم الذي بُدئ فيه، فقال: «ادعي لي أباك وأخاك حتّى أكتب لأبي بكر كتابًا. ثُمَّ قال: يأبَى الله والمؤمنون إلا أبا بكر». أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

قال شارح العقيدة الطحاوية: "والظاهر -والله أعلم- أن المراد أنه لَمْ يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهدًا لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثُمَّ تركه، وقال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر». فكان هذا أبلغ من مُجرد العهد، فإن النَّبي ﷺ دلَّ المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة، من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدًا، ثُمَّ عَلِم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك"[١].

قال أبو يعلى الفراء: "ويجوز للإمام أن يعهد إلَى إمام بعده، ولا يحتاج في ذلك إلَى

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٤٧٤) ط. المكتب الإسلامي.

شهادة أهل الحل والعقد؛ وذلك لأن أبا بكر عهد إلَى عمر رضي الله عنهما، وعمر عهد إلَى ستة من الصحابة رضي الله عنهم، ولَمْ يعتبرا فِي حال العهد شهادة أهل الحل والعقد"[١].

وقال الماوردي: "وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو مِمَّا انعقد الإجماع على جوازه، ووقع الاتفاق على صحته لأمرين عمل المسلمون بِهما ولَمْ يتناكروهما:

– أحدهُما: أن أبا بكر رضي الله عنه عهد بِها إلَى عمر رضي الله عنه فأثبت المسلمون إمامته بعهده.

– والثانِي: أن عمر رضي الله عنه عهد بِها إلَى أهل الشورى، فقبلت الجماعة دخولهم فيها، وهم أعيان العصر اعتقادًا لصحة العهد بِها، وخرج باقي الصحابة منها، وقال عليٌّ للعباس –رضوان الله عليهما– حين عاتبه على الدخول فِي الشورى: «كان أمرًا عظيمًا من أمور الإسلام! لَمْ أر لنفسي الخروج منه». فصار العهد بِها إجْماعًا فِي انعقاد الإمامة"[٢].

فهل يبقى للقول بوجوب الشورى محل مع هذه الأدلة القوية؟

قال ابن القيم فِي فوائد قصة الحديبية: "ومنها استحباب مشورة الإمام رعيته وجيشه استخراجًا لوجه الرأي، واستطابةً لنفوسهم، وأمنًا لعتبهم، وتعرفًا لمصلحة يختصُّ بعلمها بعضُهم دون بعض، وامتثالاً لأمر الرب فِي قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]. وقد مدح ﷻ عباده بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]"[٣].

٨– وأخيرًا أقول: "إن نسبة هذا المنهج إلَى السلف تحت عنوان: "حديث حول منهج السلف" غير مقبولة، لما بينت ما بينهما من أرحام غير موصولة، ودعوتنا لهؤلاء الدعاة أن يعطوا القوس باريها، ويتركوا المطي لحاديها، ريثما يراجعون

(١) الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص:٢٥).

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي (ص:١١).

(٣) زاد المعاد (٣/٣٠٢).

أنفسهم، ويتهيئون لما يحسنون؛ فإن قيمة المرء ما يحسن، وفق الله الجميع للخير.

ولما كان هذا النوع من الفقه -أعني فقه الواقع- بهذه المثابة من التخبيط والتخليط، كان لعلمائنا نظرة خاصة فيه للمحاذير الّتي نبّه عليها العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- حيث قال: "إن من أغرب ما يقع فيه المتحمسون لفقه الواقع أنّهم يقدمونه للناس وكأنّه أشرف العلوم وأهمها، ولقد غلا فيه بعضهم غلوًّا شديدًا؛ فجعل العلوم الشرعية من مقوماته، ونسج حوله من الهالات الكبيرة، بما لَمْ يسبقه إليه الأولون والآخرون، وهو في حقيقته لا يسمى علمًا ولا فقهًا، ولو كان علمًا أو فقهًا فأين المؤلفات فيه؟! وأين علماؤه وفقهاؤه في السابق واللاحق؟! وأين مدارسه؟! لماذا لا يسمى علمًا ولا فقهًا إسلاميًّا؟ لأنه ذو أهداف سياسية خطيرة منها:

أ- إسقاط المنهج السلفي؛ لأن فقه الواقع لا يختلف عن مبدأ الصوفية في التفريق بين الشريعة والحقيقة؛ إذ هدفهم من ذلك إسقاط الشريعة.

ب- الاستيلاء على عقول الشباب والفصل بينهم وبين علماء المنهج السلفي، بعد تشويه صورتهم بالطعون الفاجرة.

ج- اعتماده على التجسس، فالإخوان المسلمون، وإن كانت لَهم شبكات تجسس واسعة على أهل الحديث والسلفيين، إلا أنّهم يعجزون تمام العجز عن اكتشاف أسرار الأعداء وإحباط خططهم، وواقعهم في مصر وسورية والعراق أكبر شاهد على ذلك.

د- أنه يعتمد على أخبار الصحف والمجلات الّتي تحترف الكذب، وعلى المذكرات السياسية الّتي يكتبها الشيوعيون واليهود والنصارى والعلمانيون والميكافيليون وغيرهم من شياطين السياسة الماكرة، الذين من أكبر أهدافهم تضليل المسلمين ومخادعتهم واستدراجهم إلَى بناء خطط فاشلة على المعلومات الّتي يقدمونها.

هـ- من أركان هذا الفقه المزعوم التحليلات السياسية الكاذبة الفاشلة، وقد أظهر الله كذبَها وفشلها، ولاسيما في أزمة الخليج.

و- أنه يقوم على تحريف نصوص القرآن والسنة، ويقوم على تحريف كلام ابن القيم في فقه الواقع.

ز- قيامه على الجهل والهوى حيث ترى أهله يرمون من لا يهتم بهذا الفقه بالعلمنة الفكرية والعلمية، وهذا غلوٌّ فظيع قائم على الجهل بالفرق بين فروض الكفايات وفروض الأعيان، لو سلَّمْنا جدلاً أن هذا الفقه الوهمي من فروض الكفايات[1].

---

(١) ولا يزال الأمر بهؤلاء يتفاقم حتَّى يُغلوا في السياسة إلَى حد استصغار علوم الشرع في جنبها، حتَّى ولو كانت عقيدة التوحيد!! ووالله لقد مكثت أيامًا وليالي باهتًا مهمومًا لكلمة شنيعة قالها سلمان العودة في شريط حول الأحداث الجديدة رقم (٧٨) وهي قوله: "... فتأتي إلَى خطيب فتجد كأنه قد أصم أذنيه ولَمْ يسمع شيئًا، يتكلم عن موضوع بعيد بالمرة؛ إما أن يتكلم تحت الأرض فيما يتعلق بأحوال الآخرة والقبر والموت، وإما أن يتكلم فوق السماء فيما يتعلق بأمور الجنة والنار والبعث والحساب وغيرها، كل هذه الأمور حق والكلام فيها حق، لكن ينبغي أن الإنسان يستغل فرصة كون النفوس متهيِّئة للوعظ والإرشاد والتوجيه، وأخذ الدروس والعبر من هذه الأحداث، ويُطمئن الناس على هذا الأمر؛ يكون مصدر طمأنينة للناس، مصدر سكينة لنفوسهم، يُحيي المعاني الإيْمانية في قلوبهم -كما ذكرتُ- يبين لَهم المخاطر الَّتِي تُهددهم، بحيث يكون الكلام متعلقًا بالواقع. أما أن نعيش أحداث (هكذا) مؤلِمة تُحرِّك قلوبنا جميعًا، ثُمَّ نأتي للمتحدِّث أو الخطيب فتجده يتكلم في واد آخر، فهذا في الواقع -يعني- ذهول (هكذا) وغيبوبة لا يجوز أن يقع المؤمن أو العالم أو الداعية ضحيتها ..."؟!

* قلت: يا لَها من مصيبة! لا أعتقد أن بعد الاستهانة بالعقيدة مصيبة! أرأيتم -يا شباب الإسلام!- فعل السياسة العصرية بأهلها؟!

أرأيتم هذه الصياغة التهكمية بمن يريدون تخليص الناس من النار؟! آلعقيدة أم فقه الواقع؟!! مع أن المرء لو جهل واقعه لما حال ذلك بينه وبين الجنة، ولكنه لو جهل عقيدته فمن ذا الذي ينجيه من النار؟ فأي الخطيبين أحق بالنعي إن كنتم تعلمون؟ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ =

ح- يرتكز هذا العلم المفتعل على المبالغات والتهويل، حيث جُعلت علوم الشريعة والتاريخ من مقوماته، فأين جهابذة العلماء وعباقرتُهم عن هذا العلم وعن التأليف والتدريس فيه والإشادة به والتخصص فيه وإنشاء الجامعات أو على الأقل

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾ [النساء:١١٦].
وإنه لعظيم جدًا بكل مسلم أن يتصوَّر أحداث الواقع -الَّتي تؤزُّ الناس أزًّا- باعث طمأنينة! ومصدر سكينة!! وسببًا لإحياء الإيمان في القلوب!!! ولا يجدُ ذلك في أركان الإيمان؟!
وكان ابن القيم سمع ذلك من سلمان فأجابه بقوله: "وكذلك كانت خطبته ﷺ إنَّما هي تقرير لأصول الإيمان: من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه، وأهل طاعته، وما أعدَّ لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيمانًا وتوحيدًا ومعرفةً بالله وأيامه، لا كخطب غيره الَّتي إنَّما تُفيد أمورًا مشتركة بين الخلائق: وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت؛ فإن هذا لا يُحصِّل في القلب إيمانًا بالله ولا توحيدًا له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيرًا بأيامه، ولا بعثًا للنفوس على محبته، ولا شوقًا إلى لقائه، فيخرج السامعون ولَمْ يستفيدوا فائدة، غير أنَّهم يموتون، وتُقسم أموالهم، ويبلي الترابُ أجسامَهم، فيا ليت شعري! أي إيمان حصل بهذا؟ وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل؟" زاد المعاد (٤٢٣/١).
※ قلت: إنَّما أراد ابن القيم الرد على صنفين من الخطباء:
الأول: هم الوعاظ القصاصون.
والثاني: هم الذين أنا بصدد الحديث عنهم، فهل يُصدِّق فقهاء الواقع أن قائل هذا لا يعيش معنا؟ وإنَّما قاله بِما فتح الله عليه من "فقه النفس" مع أنه لا يعرف عن واقعنا شيئًا! -رحمه الله رحْمة واسعة-، هذا كلام رجل امتلأ قلبه بتعظيم العقيدة؛ لأنه سلفي، لا كما يقول سلمان في "هكذا علم الأنبياء!! (ص:٤٤): "..فجزء من هذا اليسر اليسرُ في العقيدة؛ بحيث تستطيع أن تشرح لأي إنسان عقيدة التوحيد في عشر دقائق أو نحوها!!..".
※ قلت: هكذا صنيع كل سياسي من هؤلاء الدعاة الراكضين خلف كراسي الحكم؛ ليس لديهم وقت يُضيِّعونه مع العقيدة! على أنَّهم لا يتضجَّرون من الساعات الطويلة، بل والأعمار المديدة الَّتي أكلتها السياسات! وإن كان الأنبياء قد ضيَّعوا أعمارهم فيها كما يبدو من هذا الكلام؟!

أقسام التخصص فيه؟!

ط- ولما كان هذا الفقه بِهذه الصفات الذميمة لَمْ ينشأ عنه إلا الخيال والدواهي من الآثار، فمن آثاره تفريق شباب الأمة وغرس الأحقاد والأخلاق الفاسدة فِي أنصاره، من بَهْت الأبرياء والتكذيب بالصدق وخذلانه وخذلان أهله، والتصديق بالكذب والترهات، وإشاعة ذلك، والإرجاف فِي صورة موجات عاتية، تتحول إِلَى طوفان من الفتن الَّتِي ما تركت بيت حجر أو مدر أو وبر إلا دخلته.

أما فقه الواقع الَّذي يحتفي به علماء الإسلام، ومنهم ابن القيم، والسياسة الإسلامية العادلة، فمرحبًا بِهما وعلى الرأس والعين، وإن جهلهما وتنكّر لَهما الإخوان المسلمون ..."[1].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية (ص:٩٣-٩٥).

متفقهون حول الواقع لا يفقهون الواقع

أنقل هنا كلمات بحذافيرها من أشرطة مسموعة لدعاة تحدَّثوا عن القضية السياسية الدعوية الَّتي بالجزائر، وهم ككثير من الشباب المتحمّس يوجبون بلا هوادة التفقه فِي الواقع وينعون على غيرهم -خاصة من أهل العلم الكبار كالشيخ الألباني، والشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين- جهلهم بالواقع، وقد رأيت أنَّهم أحق بِهذا النعي؛ لأنَّهم نقلوا واقعًا مشوّهًا غير صحيح.

- هذا عن الجزائر فقط دون متابعتهم فِي أخبار غيرها، ونحن نعيش فِي الجزائر نسمع من أشرطتهم غير ما نرى، وقد اتصلنا ببعضهم مرارًا وأبلغناهم أخطاءهم دون فضحهم، فلم نجد منهم تجاوبًا، فقلنا: لعلنا مجهولون عندهم، وهم على طريقة أهل الحديث فِي عدم قبول خبر المجهول، ولَهم فِي ذلك كل الحق؛ لأنه عنوان التحري، لولا أننا وجدناهم يعتمدون أخبار الكفار بالتجرّي! مع أن الكافر شر من مجهول المسلمين بلا ريب، وهم يناشدون الخلق على أن يأخذوا بِمنهج الموازنة بين المنقبة والعيب[1]!

على كل حال فإن كاتب هذه السطور حاول الاتصال بالدكتور سفر الحوالي مرارًا، أقلّها ثلاث مرات! وفِي كلها يعتذر بكثرة الأشغال مع ضيق الوقت، أعانه الله على طاعته، لكن قد وصل إليه غيري مِمَّن نعرفه ويعرفه، فأفاده ما فِي نفسي

(١) أقصد دعوتَهم إلَى ذكر محاسن أهل البدع والمخالفين عند ذكر مساوئهم باسم الإنصاف! بل وذكر محاسن الكفار أيضًا!! وسَمَّوه "منهج الموازنة !!!"، وقد بيَّن فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي عوار هذا المذهب فِي منهج أهل السنة والجماعة فِي نقد الكتب والطوائف والرجال وفِي المحجة البيضاء لحماية السنة الغراء بما لا تجد عند غيره.

وزاد وأجاد، فحمدت الله على بلوغ المراد.

ووعد الدكتور ألا يعتمد مستقبلاً إلا على هذا المصدر الموثوق، لكن لَمْ يطل الزمن حَتَّى "عادت حليمة إِلَى عادتها القديمة!"، فرابني أمرُه وأمرُ جَماعته؛ لأن مثل هذا التصلب فِي الباطل عرفناه ممن أخبارُهم لا تنبع من واقع ما بقدر ما هي تنتمي إِلَى تحزب ما!!

خاصة وأنَّهم فِي كل مرة يصلون قضية الجزائر بقضايا فِي السعودية ينكرونَها، فيقولون: كيف لا تتجاوب الدولة السعودية مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ الَّتِي بلغت من الطهر كذا وكذا، على حين تجاوبها مع الحكومة الجزائرية الَّتِي بلغت من الرِّجس كذا وكذا، وربَّما حكوا أن بينهما دعمًا ماديًّا، فلم يَجدوا سبيلاً إِلَى الإنكار على دولتهم إلا باستغلال قضايا العالم كواسطة، ومنها اضطروا إِلَى تحجيم الحق الذي لدى جبهة الإنقاذ، وتقليص باطلها، بل الغضّ منه! كما ستقرؤه هنا، وإليكم فقه الواقع!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

فقه واقع الجزائر عند سلمان بن فهد العودة

قال في شريط "كلمة حق في المسألة الجزائرية": "خرج الاستعمار الفرنسي الأجنبي من الجزائر، ومع ذلك بقيت الجزائر تُحكم بغير الإسلام زمانًا طويلاً حتَّى تململ الناس من تلك الأوضاع السيئة، وقامت حركات ومظاهرات صاخبة واضطرابات كثيرة في الأسواق والشوارع، وصارت مواجهات دامية، وقُتِل المئات من الناس، بل أكثر من ذلك، وكانت الصحافة تعتِّم على مثل هذه الأمور، وكنت أذكر أننا نقرأ في صحيفتنا أنَّهم يسمونَها "ثورة الخبز" يعني: أن الناس قاموا من أجل الخبز بحثًا عن لقمة العيش، وتجاهلوا الدافع الإسلامي القويّ وراء تلك المطالبات وعلى إثرها أقرت الجزائر بما يسمونه التعددية السياسية وأذعنت لمطالب الناس".

* النقد: في هذا الكلام خبط عجيب؛ لأنه يحكم على ثورة (٥ أكتوبر ١٩٨٨م) بأن دافعها إسلامي فأقول:

- متى كان في الإسلام ثورات؟

- متى كان الدافع أو الباعث الإسلامي أو النية الحسنة كافية لغض الطرف عن الوسيلة والطريق؟!

- بأي دليل ينفي أن تكون ثورة خبز ويثبت أنَّها إسلامية إن صح التعبير؟! أصاحب الدّافع الإسلامي القوي يخرب بيته، فيكسر أدوات وزارته أو المؤسسة الَّتِي يأكل منها المسلمون؟ أصاحب الدافع الإسلامي القوي يغتصب -أيام جهاده المقدس!- من الأسواق الحكومية وغير الحكومية ما يجد؛ لأنَّها غنيمة؟! لقد كان أصحاب الدافع الإسلامي القوي يبيتون مع الفيديو الإسلامي! والنشيد الإسلامي!! في المهرجانات والمظاهرات الإسلامية!!! فإذا نادى منادي الفلاح: الصلاة خير من

النوم، كان المجاهدون قد ناموا، ولعلهم لَمْ يسمعوه، مع أنّهم ناموا فِي سدة المسجد! والمؤذن فِي مقصورة المسجد!! وقام بعض المتطوعين من أهل الحي بإيقاظ هذه الآلاف، فلا يقوم إلَى الصلاة منهم إلا فئة قليلة جدًّا ربما عجزت أصابع اليد عن عدها لأنّها تزيد عنها قليلاً!!!

وإن قيل: فِي القليل البركة فـ ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩].

* قلت: نعم! ولكن إذا عُرفت الفئة الغالبة، فمن هي الفئة الكثيرة المغلوبة؟ آلفئة الحكومية الّتِي هي فِي خير الأمة بغير حق سائمة؟! أم هي الفئة المجاهدة وعن الصلاة نائمة؟!

فبينا أنا أكتب هذه الكلمات ذكرت حديثًا يناسب حالنا للاتعاظ به، وليذكر منه أخونا سلمان قِيمة تفريغ القلب من الدنيا لله تعالى، وشرط الإخلاص فِي الجهاد، فعن أبِي هريرة ﷺ، قال: قال النَّبِي ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها، ولما يَبْن بها، ولا أحدٌ بنى بُيُوتًا، ولَمْ يرفع سُقوفها، ولا آخر اشترى غنمًا أو خلفات، وهو ينتظر ولادها. فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورةٌ وأنا مأمورٌ، اللهم احبسها علينا فحبست حتّى فتح الله عليهم، فجمع الغنائم، فجاءت -يعني: النار- لتأكلها فلم تطعمها: فقال: إنَّ فيكم غلولاً، فليبايعني من كل قبيلة رجلٌ، فلزقت يدُ رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتُك، فلزقت يدُ رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها: فجاءت النار فأكلتها، ثُمَّ أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا»[1].

وفِي هذا الحديث يظهر لك شرط الإخلاص فِي الجهاد، وأثر ابتغاء الدنيا

(١) رواه البخاري (٦/٢٥٤)، رقم (٣١٢٤-الفتح)، ومسلم (٣/١٣٦٦ رقم ١٧٤٧).

وارتكاب ما حرم الله في تأخير النصر.

ثُمَّ كيف يستنتج سلمان أن تلك الثورة -الَّتي ظهر له منها أنَّها شعبية إسلامية- كانت سبب رضوخ الحكومة للتعددية الحزبية؟

أليس من الجائز أن يقال: بل هي فخٌّ نصبته أيدٍ من خارج البلاد، وهي حريصة على نصب العداوة بين هؤلاء وبين حكوماتِهم لضرب الإسلام بالإسلاميين المتحمسين الذين لا يرون إلا الْحَبَّ الجميل، سواء أكانوا من الدعاة في الداخل أم من المطبِّلين المؤيِّدين من الخارج أمثالكم؟

وعلى كل حال: استنتاجك مردود بإجماع أصحاب هذا الواقع المخالف منهم والمدافع، وما كل ما يعلم يقال، وإن من الإشارة ما يغني عن صريح العبارة.

وما قالته الصحافة في ثورة الخبز قد صدقت فيه وهي كذوب؛ والدليل عليه أنه لما كانت جبهة الإنقاذ في أوج قوتها، ودعت إلى إضراب عام عن العمل لَمْ يستجب لَها إلا القليل، أحوج ما تكون إلَى نصير؛ لأن هذا الإضراب يمس خبزة الأنصار، هذا مع التهديد الشديد اللهجة منها لمن لا يساهم في الإضراب بحرق المحلات وتكسيرها...

ويكفي لتصديق ما أقول أن عباسي مدني -الناطق الرسمي لِهذا الحزب- كان شديد الأسى والتململ من هذه المشاركة والمؤازرة الضعيفة، وذلك في خطابه الشديد بساحة الإضراب، وأشرطة الإضراب محفوظة.

ومع هذا يقال: "ليست ثورة خبز!!".

وهذا نائبه علي بن حاج لما كان يخطب، فيتحدث عن إسراف الكُبَراء واستئثارهم بالمواد الغذائية وغيرها من متاع الدنيا بألفاظ نابية جدًّا كان للناس ضجيجٌ بتجاوب كبير، كأنك في ملعب أو ملهى؛ واسألوا ثقاتكم عن أشرطة أيام الإضراب، فيسخبرونكم إن كانوا صادقين.

قال سلمان: "لا يوجد فِي صفوف الجبهة شيعي واحد!!".

❊ **النقد:** قال عباسي مدني -الناطق الرسمي للجبهة-: **"إن المصباح الذي أضاءه الإمام الخميني نور قلوبنا جميعًا، إننا نعتقد أن الثورة الإيرانية ستنقذ الأمة الإسلامية، بل البشرية جمعاء ... إن الشعب الجزائري على أهبة الاستعداد للوقوف بجانبكم صفًا واحدًا لرفع راية الله أكبر فِي العالَم"**[1].

هذا تصريح رئيس الجبهة، وهو يزور إيران أيام قوة جبهة الإنقاذ الَّتِي يصفها سلمانُ بالسلفية!!

ولا أظنك -يا أخانا سلمان!- تجادل عن الذين يختانون أنفسهم، فتقول كما يقول من ميّع عقيدته: "ليس هذا الكلام من مدني إلا تعاطفًا سياسيًّا مع الشيعة!"؛ لأنه مهما قيل فيك: إنك مصاب بلوثة إخوانية، فلا أتصوّرك قائله؛ لأنك تربيت فِي الديار السلفية الَّتِي كانت أول المنتبهين للخطر الرافضي، فإن أبيتَ أن تكون سلفيًّا فللديار عليك منة، فاحفظ لَها ذمتها.

وأنا أقول شيئًا من العسير قبوله عندك وعند الكثير: وهو أن علي بن حاج نفسه الناقم على الشيعة، قد سئل من قبل صحافي فرنسي عن الثورة الإيرانية، فأجاب كما سمعته فِي التسجيل-: " ومن قال لكم: إنَّها ليست ثورة إسلامية؟ ومن قال: الخميني ليس مسلمًا؟!".

❊ قلت: إنا لله! ومَنْ مِن السياسيين لَمْ يعش كالزئبق؟! ثبتنا الله.

---

(١) مجلة السنة (عدد١١/ص:٥٧)، أعزو إلَى هذه المجلة؛ لأنَّها مرجع القوم، وإلا فليست عندنا عمدة فِي أخبارها؛ لأنَّها على طريقة "قمش ولا تفتش"، كالصحافة العالمية -خاصة إذا كانت أشبه بما عند المكتب الاستراتيجي البريطاني! ولا تنفعها عاطفتها الإسلامية؛ لأنَّها أخبار تبنى عليها أحكام شرعية، وخبر الكافر مردود باتفاق العلماء.

لكن لما كنا نعرف أن "مدني" يقول أكثر من هذا، ثُمَّ تأكدنا منه بطريقتنا -طريقة الإسناد العالي؛ لأنه حارٌ لي- أثبتناه هنا.

قال سلمان: "وكان معظم القائمين على تلك الجبهة من المشهود لَهم بالعلم والحكمة، والعقل، والعقيدة السلفية الواضحة الصافية السليمة ...".

* النقد: أما العلم فقد أجمع الناس على أنه لا عالم بالجزائر بعد جمعية العلماء، وإليك علم من زكيت:

استوردت الحكومةُ شياهًا من استراليا لعيد الأضحى عام ١٤١٢هـ، وكانت جبهة الإنقاذ تُهيئ للعيد مثل ما فعلت الحكومة، وكل منهما يتربص بالشعب اصطياده من بطنه! فلم تنجح الجبهة من جهة الأسعار، وتَهافت الناس على سوق الحكومة؛ لأنَّهم يدورون مع الخبز حيث دار، ثُمَّ حدث أن لوحظ فِي الشياه الحكومية عيبٌ من عيوب الأضحية عند المالكية؛ ألا وهو أن أذنابَها مقطوعة، وحدث تشويش كبير لدى الناس، من مبيح ومن محرِّم.

وأخيرًا؛ أفتى يخلف شراطي -مفتي جبهة الإنقاذ- فِي جريدتِها "المنقذ" بعدم الجواز!!

ولا ندري أهي فتوى خاصة بالرهان السياسي أم هي جمود مالكي، وأثر فكر جَزْأَرِيّ؟! وأحلاهما مرٌّ.

وفِي مدينة سطيف -بالشرق الجزائري- سئل عباسي مدني عن حكم لحم الدجاج غير المذبوح، فأجاب بفذلكة سياسية أضحت مضرب المثل عند جهَّال الحركيين، فقال: "**تسألوني عن الدجاج غير المذبوح، فهلاَّ سألتموني عن الأمة المذبوحة؟!**".

فتأمل كيف تورع المفتي فِي ذيل شاة ورعًا سياسيًّا! فِي دقة مالكية!

وأما رئيسه فلم تبق السياسة للمذهب المالكي على بطنه رقيبًا.

أليست حياة هذه "الأمة المذبوحة" هو مطلبه؟

أليس النصر بدعاء المستضعفين؟

بلى! إن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتِهم،**

وصلاتهم، وإخلاصهم»[1].

ومن شرط إجابة الدعاء أكل الحلال؛ كما جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس! إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا. وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١]. وقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]. ثُمَّ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء: يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِيَ بالحرام! فأنَّى يستجاب لذلك؟!»[2].

❊ قلت: فكيف يستهان بذاك السؤال؟!

لو كان عباسي مدني على شيء من الفقه لأدرك أنه بهذا التَّهرب من الجواب يسلخ أمته المذبوحة، وليس يحييها! ولكنه فعل السياسة العصرية بأهلها؛ إذ لا يعظِّمون شرعًا، بل يضيقون به ذرعًا، وإلى الله المشتكى.

وهل تؤسس دولة الإسلام على يد رئيس حزب إسلامي ومفتيه، وهُما لا يُحسنان الإفتاء في ذيل شاة، ولحم دجاج؟! قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج:٣٠]. وقال: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

❊ وأزيد هاهنا قائلاً: إن لجبهة الإنقاذ هذه رجلاً ثالثًا أعرق في الضلالة، وأغرق في الجهالة، يُدْعَى الهاشمي سحنوني، كان رأسًا في التكفير، وله أتباع من هوامّ العوام هم من أغرب أشكال بني آدم.

سمعتُه يومًا يشرح نواقض الإسلام فذكر أن شابًّا سقط من سيارة وهو يهتف باسم فريق من فرق كرة القدم، فمات تحت وطأتها، فحكم عليه بالموت على الكفر؛

---

(١) رواه البخاري (٦/١٠٤ رقم ٢٨٩٦-الفتح)؛ والنسائي (٦/٣٥٢) رقم (٣١٧٨) واللفظ له.
(٢) رواه مسلم (٢/٧٠٣) رقم (١٠١٥).

لأنه قدّم نفسه فِي غير سبيل الله!! من شريط مسجل باسم "نواقض الإسلام!!".

وهذا المفتِي -أخي القارئ!- كان يُعَدّ فِي الجبهة نائبًا لعلي بن حاج بلا منازع!!!

فتأمل هذا المستوى المتدنِّي!

※ **للاعتبار**: عن إبراهيم النخعي قال: «**قال عمر: من أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح! فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! فأين أنت من عبد الله بن عمر؟ فقال: قاتلك الله! والله ما أردت بها الله، أستخلف رجلاً لَمْ يُحسن يطلق امرأته[1]؟!**»[2].

وأما العقل، فأين هو عند علي بن حاج الذي إذا خطب سبَّ الرؤساء سبًّا فظيعًا بأسمائهم، وأسماء نسائهم، وليس هذا سبق لسان من خطيب غضوب، بل جلُّ خطبه على هذا، ومعروف عند أتباعه أن كل خطبة له أو درس إذا لَمْ يصحبه سباب مباشر لاذع بعبارات نابية ليس بشيء، ولا تتناقله الألسن!

ولا يخفى عليكم أسلوب الإثارة واستغلال عواطف الشباب الجامحة؛ فقد جربتم كم يقتل من عقل، فأين العقل؟

وأين هو من قول الرسول ﷺ: «**ما بال أقوام يقولون كذا؟ ...**»[3].

أين عقل هذا الرجل وحكمته وهو يأمر -فِي درس عام- بتكسير كل شيء حكومي، كان على إثره تكسير مقر الخطوط الجوية السعودية بالجزائر أيام قضية الخليج غضبًا للعراق؟!

---

(١) لأنه طلقها فِي حيضتها، والسنة التطليق فِي طهر لَمْ يجامع فيه

(٢) أخرجه ابن سعد فِي الطبقات (٣٤٣/٣)، وابن شبة فِي تاريخ المدينة (٩٢٣/٣)، والخلال فِي السنة رقم (٣٤٤). وعمر بن الخطاب ﷺ يقول فِي ابنه ما شاء، ولا ينقص ذلك من قدره؛ لأن كلمة الوالد فِي ولده تكون كمحاسبة المرء نفسه، وعتابه عليها؛ وابن عمر رضي الله عنهما ففيه عظيم القدر، وسوق هذه القصة هنا ليس عقد مقارنة بين فقه ابن عمر، وبين فقه نُخالة هذا الزمان، ولكنها عبرة للطامحين إلى تشييد دولة الإسلام على أحلام الجهال.

(٣) انظر: صحيح الجامع برقم (٥٥٧٠-٥٥٧٦).

أين عقله يوم جمع الناس فِي مسجد "السنة!" بباب الوادي بالجزائر العاصمة، عقب فتنة (٥ أكتوبر ١٩٨٨م) مباشرة، ليلة الإثنين بعد صلاة المغرب والعشاء جمع تقديْم؛ لأَنَّها صلاة خوف!! وقال: "قام شبه إجماع من الدعاة على ترك المسيرة أو المظاهرة، والعبد الضعيف -يقصد نفسه- يرى القيام بِها، فإن وافقتم فكبِّروا، وإلا رجعنا إلَى بيوتنا كالنساء!!!".

فكبر هوامُّ العوامِّ على بكرة أبيهم، فقرر فِي حينه مسيرة سلمية! سلمية! مات فيها المئات من الشباب فِي مقتبل العمر!!

العقل -يا سلمان!- يأمره بترك مشورة عقلاء الأمة الذين سماهم هو بـ"الدعاة"، ليستشير الدهماء والسوقة والأحداث؟!!

أتدري -يا سلمان!- أنه لما زار أحمد القطان الجزائر، وألقى مُحاضرة عن قضية الكويت فِي جمع قال فيه هو: "لَمْ أرَ كاليوم جمهورًا غفيرًا"، بمسجد ابن باديس بالقبة بالجزائر العاصمة -وهو المسجد الذي يخطب فيه علي بن حاج- هتف الناس عندها: "الكويت! الكويت!"، ثُمَّ بعدها مباشرة فِي ملعب (٥) جويلية بالعاصمة، خطب القطان فِي الناس وأثار قضية الكويت، ثُمَّ قام المتهوّر أسعد التميمي الفلسطيني -الذي جاء ليمحو أثر القطان وقد كان رفض تسليم القطان عليه بحضرة الجمهور- ودعا الناس إلَى الجهاد لتحرير فلسطين وتحرير السعودية ودول الخليج!

فقام علي بن حاج وعَرَّض بقضية الخليج ووقَّع على المضي مع التميمي، ووقَّع الناس بعده مقتدين به؟!

واغتاظ الناس على القطان، وليحمد ربه الذي أنجاه منهم بعد أن كادوا يفتكون به! وكانت مسرحية عجيبة لكنها مسجلة فاطلبوها[1].

ثُمَّ فِي الوقت الذي انتقل فيه الناس من الكويت إلَى فلسطين، وأخذ الشباب

(١) لا أدري ما سبب إخبار القطان بعدها بخلاف هذا مع أن الناس يومها أهانوه إهانة عظيمة؟!

المسكين -الذي يلعب به دعاة العواطف- يتدرّب على المصارعة اليابانية؛ لأن الدولة رفضت أن تقدِّم لَهم السلاح ليُجاهدوا مع حاكم العراق، وأنا أعني ما أكتب!!

ثُمَّ يأتِي علي بن حاج بعد مدة معتذرًا عن قضية فلسطين، وأن للجهاد شروطًا، وأنه ... وأنه ...

والسِّر فِي هذا المد والجزر أن إخواننا السلفيين سألوا الشيخ الألباني عن التميمي هذا، باعتبار أن أهل الحديث هم المرجع الصادق وأهل الميزان الحاذق فِي الجرح والتعديل، فقال: "ذاكِ رجل كل يوم بعقل؛ فقد تَشَيَّع أيام حرب إيران ضد العراق! ثُمَّ هو اليوم "تَعَرَّق!!"، وحذر منه بشدة ومن تجميعه للأموال.

وللشيخ كلمتُه المسموعة عند الجزائريين، بل ما عصمهم الله تعالى فِي كثير من مواطن الفتن إلا به، فلم يكن من علي بن حاج إلا أن يجامل السلفيين بالتظاهر بالتعقل، بعد أن كاد التميمي يذبحه هو وجماعته فِي أول مطار يطيرون منه إلَى فلسطين، أو إلَى تل أبيب!! هذا السبب الأول.

وأما السبب الثانِي: فهو فكر عباسي مدنِي القومي الجَزْأري، وإن لَمْ يكن جَزْأريًّا انتماءً؛ إذ هو لا يرى أي جهاد للجزائريين خارج الجزائر!

فسترًا للخلاف الذي بينه وبين علي بن حاج كان ما كان، والله المستعان.

أين عقل من يدعو الناس إلَى تحريق الحافلات الحكومية للنقل الجماعيّ؛ بحجة رفض الدولة تسليمها لَهم أيام المظاهرات؟! هذا عقل عباسي مدنِي!

ثُمَّ قبل هذا كله أين عقل من يصدق الديمقراطية اليوم فِي وعدها الإسلاميين بإهداء كرسي الحكم إن كانت لَهم الأصوات؟!

وأين عقل من يُلدغ من جُحْر مرات، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جُحر واحد مرتين»[1].

---

(١) رواه البخاري (١٠/٥٤٦ رقم ٦١٣٣-الفتح)، ومسلم (٤/٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٨).

هذا غيض من فيض، يكفي اللبيب لتبين الأمر على حقيقته.

وكم قلنا لجبهة الإنقاذ: لو لَمْ يكن لكم علم بالشرع أو من يبصركم به، لكان العقل البشري كافيًا لهدايتكم إِلَى الحق فِي هذه المسائل الواضحة جدًّا، وقد وجدنا هذا العقل عند كثير من العوام الذين كانوا يلاحظون هذا الانحراف، آسفين على تلبس دعاتهم وهداتهم به: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور:٤٦].

وأما عن سلفية الجبهة، فهل يهمك -يا سلمان!- أن تعلم أن هذا الرجل اجتمع هو وخليل مُلا خاطر، فِي ندوة عامة، على التحذير الشديد من الشيخ الألباني خاصة، واتهماه بالعمالة لليهودية العالمية، ومن الدعوة السلفية عامة، وصوراها أكبر عائق فِي طريق الدعوة الإسلامية، قال عباسي مدني: ظهرت عندنا نابتة من الألبانيين ... فيهم كيت وكيت ...؟

فأجاب ملا خاطر قائلاً: "أما الألباني فإنه معروف بأنه عميل للصهيونية"، وكالا له من التهم ما تتقزز منه النفوس المحبة لأهل الحديث.

اطلب هذا الشريط -يا سلمان!- من ثقاتك؛ فإنه مشهور جدًّا.

فإن قيل: إنه تراجع عن ذلك.

قلنا: وأين ذلك؟ وكيف ذلك وهو لا يزال يحذر منه إِلَى يوم الناس هذا؟!

واسأل الشيخ أبا بكر الجزائري -حفظه الله- عما شكا إليه مدني لما زار الجزائر؛ فقد قال له: "من الناس وهم معنا -يُعَرِّض ببعض الدعاة السلفيين الحاضرين فِي ذلك المجلس!- من يتصل بالألباني يسألونه عن أوضاعنا، ونحن أولى بالفتيا منه؛ لأنه لا يعرف واقعنا ..." إلخ.

وقد طُلب من مدني إظهار التراجع مرارًا فأبى! وتكلم فيه بكلام غليظ؛ لأن الشيخ الألباني ظل كالشوكة فِي حلوق الحزبيّين.

أهذه هي سلفية جبهة الإنقاذ -يا سلمان!- وهذا اعتقاد رئيسها؟!

وما تخفي صفوفها أكبر!!

قال سلمان: "دعونا من التفاصيل، ودعونا من التحاليل، دعونا من كلام الصحافة، ودعونا من كلام الإعلام! خذوا الصورة بأبسط معانيها، نحن أمام طرفين: الطرف الأول: الدعاة إلَى الله، تمثلهم فِي الأعم الأغلب الجبهة الإسلامية للإنقاذ فِي الجزائر، والشعار الذي ترفعه هو شعار الإسلام والكتاب والسنة، وَقِفْ عند هذا الحدّ! دعك من أي معلومات أخرى عن الجبهة، هذا هو الشعار الذي ترفعه!

ويقابلهم أحزاب! بما فِي ذلك حزب التحرير الحاكم، أحزاب ترفع شعارات الاشتراكية والقومية والوطنية.

وقد جرّبتها الأمة فأيقنت أنّها لا تتحمس للإسلام، ولا تدعو إليه، ولا تواليه ولا ترفع شعاره، ولا تنادي باسمه، ولا تُربِّي الناس عليه، وأنّها حتَّى قدرتها على إدارة شئون الناس، وتحقيق مطالبهم المادية والاقتصادية والإدارية فشلت فِي ذلك!

فما هو الموقف العفوي الذي لا يملك أي مسلم عنده روح الإيْمان والولاء فِي الدين، لا يملك إلا أن يجد قلبه منساقًا إليه وهو أمام هذه الصورة المبسطة الواضحة البعيدة عن التعقيد ...؟!".

❊ النقد: إن هذا الكلام العاطفي لا يغني من العلم شيئًا؛ لأن عامة الناس الذين يسمعونه بحاجة إلَى فتوى علمية، لا "إلَى ما تنساق إليه قلوبُهم عفوًا!"، وسيأتيك ما فيه من خطأ منهجي عند التعرّض لكلام د:سفر الحوالي.

قال سلمان -بعد تضخيم القمع العسكري الذي تعرضت له الجبهة آنذاك-: "فِي حالة إصرارهم على مثل هذه الأساليب -أي: القمعية- فإن العاقبة سوف تكون لصالح المسلمين والإسلاميين هناك، وعندها لا تُلام الجبهة الإسلامية إذا عاملت خصومها بنفس شعارهم ...!!".

❊ النقد: أولاً: تأمل -أيها القارئ!- هذا؛ لتدرك أن ثورات هؤلاء لا تنبع

من فقه الجهاد، ولكنها ردود فعل!

ثانيًا: تأمل هذا التحريض الصريح منه لإشعال فتنة القتال، والقضاء على المسلمين الضعفاء بمثل هذا التهييج الغالي البعيد عن فقه الجهاد، وتالله إنَّها لإحدى الكبر!

والأدهى والأمَرُّ أنه يزيد الطين بلة حين يتمثّل بثورة الشيوعيين المستضعفين في روسيا، ويريد من الجزائريين أن يقتبسوا منها نورًا! فيقول: "لماذا يتصور كثير من الناس أن الفدائية والإصرار والصبر والتحمل هي فقط نصيب الشعوب المنحرفة ونصيب المنحرفين والضالين، وأن النصارى واليهود والشيوعيين وغيرها يضحُّون؟ وقد رأى الناس كلهم كيف أن الشيوعيين العُزَّل في روسيا كانوا يواجهون الدبّابات بعد الانقلاب بصدورهم العارية وسواعدهم الَّتي لا تحمل شيئًا، حتَّى سقط ذلك الانقلاب، ويظن كثيرون أن أهل "لا إله إلا الله" لا يستطيعون أن يدافعوا عن دينهم ولا أن يصبروا عليه؟! لماذا نسيء الظن بأهل "لا إله إلا الله" إلى هذا الحد؟!

لماذا نُهون من شأن هذه الجماهير المسلمة في الجزائر وفي غير الجزائر، ونعتقد أنَّها تنفض عن قيادتها وعن اختيارها وعن رغبتها في الدين لأدنى مضايقة يمكن أن تقع ....؟!".

❋ النقد: أيا سلمان! لا يُمثَّل للمسلمين بالكافرين، فضلاً عن إظهار الكافرين بالشجاعة ونجاح الطريق! أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [النحل:٦٠]؟

أما وجدت -وقد وجدت- في سير الصالحين من الأولين والآخرين ما يغنيك عن هذا؟!

ولا أعتقد أن قصورك في الاطلاع على التاريخ الإسلامي هو الذي حرمك ممَّا أردت، ولكن قصور التاريخ الإسلامي عن أن يمدك بثورة على الوصف الذي تُحب هو السبب الذي حملك على البحث في تاريخ الشيوعية عن المثل الأعلى الذي

ارتضيته لإخوانك؛ لأنه ليس فِي الإسلام ثورات، فتمثلت بالثورة الشيوعية الَّتِي لا يحكمها دين ولا يدعمها عقل!

أهل "لا إله إلا الله" أعقل من أن يستبدلوا الثورة بالجهاد!

أهل "لا إله إلا الله" أعز من أن يقتدوا بأعداء "لا إله إلا الله"؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «**ليس لنا مثلُ السوء**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما اشتكى النَّبِي ﷺ، ذكرت بعضُ نسائه كنيسةً رأيْنَها بأرض الحبشة يقال لَها "مارِية"، وكانت أم سلمة، وأمُّ حبيبة رضي الله عنهما أَتَتا أرض الحبشة، فذكرتا من حُسنها وتصاويرَ فيها، فرفع رأسه، فقال: **أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بَنَوْا على قبره مسجدًا، ثُمَّ صوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرارُ الخلق عند الله**»(٢).

فتأمل كيف لَمْ يسكت النَّبِي ﷺ عما يُشْعِر بالمدح للكفار -مع أنه خبر عن واقع صادق- حسمًا لمادة التأسي بِهم، خاصة فِي مثل مقام الشِّرك بالله؛ لأن النفوس مَجبولة على حب الأمثال المستحسنة، فكان يجب إظهار أعداء الله فِي أخزى صورهم؛ لأن كفرهم مُذهب لحسناتِهم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) طرف من حديث ابن عباس رواه البخاري (٢٧٧/٥ رقم ٢٦٢٢-الفتح) وغيره.

(٢) رواه البخاري (٢٤٧/٣ رقم ١٣٤١-الفتح)، ومسلم (٣٧٥/١ رقم ٥٢٨).



دعوته الصريحة إلى الخروج

ومن عجيب صنع الله بسلمان أنه كرر هذا المثال الذي يدعو فيه إلى العنف بقوة في محاضرة لأضعف الخلق وهم النساء، فقد قال في شريط: "هموم ملتزمة" رقم (١٠٦) -في بداية الوجه الأول-: "ضغوط الناس لا يمكن إهمالها بحال من الأحوال الآن! ونحن في عصر صار للجماهير تأثير كبير، فأسقطوا زعماء كبار (كذا)، وهزّوا عروش (كذا)، وحطّموا أسوارًا وحواجز، **ولا زالت صورة العُزّل الذين يواجهون الدّبابات بصدورهم في الاتحاد السوفيتي...!!!**".

❊ قلت: يبدو أن هذه الصورة أثرت في حياة سلمان العودة إلى حدّ أنه لا يهوّن من شأن أي غوغائية لمواجهة الدّبابات، ولو كانت صدر فتاة ملتزمة وساعدها الناعم! ولو في السعودية!! لأنه يقول بعد هذا: "فإذا كان المجتمع الذي نعيش فيه مجتمعًا منقسمًا، وهذه حقيقة: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل:٤٥]. ... **فيجب أن يمارس الخيّرون كافة الوسائل لتحقيق قناعاتهم الشرعية، والشكوى وسيلة لا يمكن أن نُهوّن منها أو من شأنها، ولكنها من أضعف الوسائل خاصة إذا لَمْ يكن معها غيرها!!**".

وفي أول هذا الشريط بعد أن حرص على أن تنال المرأة الشهادات العالية في التعليم؛ حتّى لا تترك المجال للعلمانيات! أخذ يُحرِّض على الخروج بصراحة قائلا: "**إنّي اعتقد أن زمن الشكوى قد انتهى أو كاد أن ينتهي -أعني- أن دور الخيّرين والخيّرات، لا يجوز أبدًا أن يتوقف عند مجرد رفع الشكاوي إلى الجهات المختصة حصل كذا ... وحصل كذا ...**".

❊ **قلت: ماذا تريد -يا سلمان!- بهذا التهييج؟! إنه تحريض صريح على الخروج، لأن الشكوى باللسان لا تكفي عندك! وليس فوق التغيير باللسان إلا اليد، كما هو معلوم**

عند من يزن الكلام بِميزان الفقه، وقد لا يكلّف الشرعُ الرِّجال أنفسهم بِما فوق ذلك.

فلئن شحّت نفسُك عن قبول المعاذير، فـ"رفقًا بالقوارير"! وإلاّ كنت بِمنْزلة من وصفه ابن تيمية بانعدام الشرع عنده والعقل!!

أما الشرع: فإنه يحرِّم الخروج على السلطان المسلم، مهما بلغ ظلمُه، والنصوص فِي ذلك واضحة، لا يخالفها إلا الخوارج ومن هو على شاكلتِهم، وقد مرَّ ذلك.

وأما العقل: فإنه يمنع صاحبه من بث مثل هذا التهييج فِي أوساط أضعف البشر، وهم النساء.

ثُمَّ تأمل اعتماد سلمان -كغيره من الثوار- على الغثاء، وقارنه بقول الْمُؤرِّخ ابن خلدون -رحِمه الله- حيث قال: "ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء؛ فإن كثيرًا من المنتحلين للعبادة وسلوك الدين يذهبون إلَى القيام على أهل الجور من الأمراء، داعين إلَى تغيير المنكر والنهي عنه، والأمر بالمعروف رجاءً فِي الثواب عليه من الله، فيكثر أتباعُهم والمتشبِّثون بِهم من الغوغاء والدهماء، ويعرِّضون أنفسهم فِي ذلك للمهالك، وأكثرهم يهلكون فِي تلك السبيل مأزورين غير مأجورين؛ لأن الله سبحانه لَمْ يكتب ذلك عليهم ..."[1].

ثُمَّ يا سلمان! أما علمت أن فتواك هذه طار بِها الثُّوار الإسلاميون عندنا كل مطار، وتنادوا مُصبحين ومُمْسين أن اغدوا على جهادكم إن كنتم -فِي هذه- لعلماء السعودية سامعين؟!

يا سلمان! لسان كل سلفي فِي الجزائر يقول لك: أترضى لنا بفتياك -ونحن إخوانك- أن نعيش فِي أيامنا هذه أسوأ الأحوال؟

أنت تكتب من وراء مكتبك المترف، وإخوانك المجاهدون الذين حسنت فيهم

(١) مقدمة ابن خلدون (١/٢٨٠-٢٨١).

ظنك قد حلقوا لحاهم، وتجردوا من ثيابهم الإسلامية وحلقوا شعورهم وقصروا على أقبح وأحدث صورة يعرف عليها الكفار والفسّاق، ونحن نقاسي ما نقاسيه بِمظهرنا الإسلامي، ولَمْ يثبت اليوم على زيِّه الإسلامي إلا السلفي غير المتحزِّب، يَمضي إِلَى بيت الله خائفًا يترقب، فلا يدري أيرجع إِلَى بيته أم يدسُّ فِي التراب؟

وهل يغني عنك شيئًا هذا التناقض الآتي حين قلت مباشرة: "نحن لا ندعو إخواننا فِي الجزائر، ولا فِي أي بلد آخر إِلَى مواجهة دامية لا تحمد عقباها...".

❊ **النقد:** إن قولك: "لا تحمد عقباها" فذلكة يتخذها السياسيون للتخلص من العُتبى، ولو مشوا على حبلين متضادي الاتجاه!

لأن هذه الجملة إما هي صفة كاشفة، فيكون، المعنى متفقًا مع سابقهِ فِي التحريض على المواجهة الدامية لمن رجم بالغيب فرأى العقبى محمودة.

وإما هي بيان للواقع، فإن غضضنا الطرف عن كلماتك الَّتِي تتهمك بالتحريض لَمْ تنج من التناقض، لأنك تدعو إِلَى المواجهة ولو بالصدور العارية، والسواعد الَّتِي لا تحمل شيئًا، ثُمَّ تتظاهر بالتراجع "العاقل!".

مع أن الذي يرجّح أنك تقصد الأول هو نصيحتك للجبهة بعده مباشرة بقولك: "يمكن أن تصبر، ويمكن أن تصابر، ويمكن أن تظل وفية لدينها ولقادتها الإسلاميين الآن، وبعد شهر، وبعد سنة، وبعد سنوات، وتظل تنادي بالإسلام، وتصبر وتتحمل، وتبذل المزيد من القتلى الذين نحتسبهم عند الله تعالى شهداء! ومن التضحيات ومن تحمل السجون وتحمل الأذى حَتَّى يظهرها الله تعالى ...!!".

❊ **النقد:** هذه -والله!- مصيبة المصائب؛ لأن هذا الرَّجل يفتِي فِي الدِّماء ويرخِّص هدرَها، وباسم الجهاد يُغري أصحابَها، ويتبرَّع لَهم بأوسمة الشهداء!!

ومن ذا الذي يُعفي سلمان من تبعة دماء الجزائريين بعد جُرأته هذه؟!

وانظر -أيها المنصف!- إِلَى نتائج هذا التحريض الصريح فِي حال الجزائريين

اليوم، ومع ذلك فإنَّ المحرِّضين المتظاهرين (بالهمِّ للقضية الإسلامية!) لا ينْزعون عن غيِّهم!!

ولتدرك -أخي القارئ!!- ضحالة علم هذا الشاب وقلَّة ورعه هو ومن يأتمُّ به، اقرأ هنا ما جاء في شريط من: "سلسلة الهدى والنور" رقم (١/٤٧٠) قول السائل للشيخ الألباني: " هناك -يا شيخ!- من يقول: إنه من يُقتل الآن على الساحة المصرية بين الحكومة والإخوة؛ بعض الإخوة يقول: إنه شهيد، والحديث يقول: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»[1].

❊ أجاب الشيخ: "**أولاً: الجواب عن هذا السؤال باختصار:** أن من يقتل في هذه المحابَهات الَّتِي تقع بين الدولة وبين بعض أفراد الشعب المسلم، وأستدرك هنا على نفسي، فأقول: بين الدولة الَّتِي لا تحكم بما أنزل الله وبين بعض أفراد الشعب الذي يطالب الدولة بأن تحكم بما أنزل الله، فما يقع من قتلى بين الطرفين، **فليس فيهم من يصحُّ أن يقال فيه: إنه شهيد**".

ثُمَّ فصل في التفريق بين الشهادة الحقيقية والشهادة الحكمية، وقال بعدها: "**هؤلاء الذين انت تسأل عنهم لا يصدق فيهم لا الشهادة الحقيقية، بل ولا الشهادة الحكمية**".

ثُمَّ أفاض في تعليل ذلك بعلم غزير، يجب على الشباب المتحيرّ اليوم طلبه؛ لأنه شحت فهومُ كثير من أهل العلم عن استنباطه، والله يعصم المتحمِّسين من شرِّ الجهل به.

قال سلمان: "هذا مع أن وضع الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر وضع جيد، وهي امتداد لجمعية العلماء، فهي ذات اتِّجاه سلفي في الغالب....".

❊ **النقد:** هنا خطآن من أخطاء الواقع يدلان على أن هؤلاء لا يصلحون بعد للإعلام الإسلامي، وهما:

الأول: لَمْ يخطر ببالي ولا ببال أحد من المنخرطين في جبهة الإنقاذ هذا

---

(١) طرف من حديث أبي بكرة، رواه البخاري (١/١٠٦ رقم ٣١-الفتح) وغيره.

الامتداد، وحبله مقطوع من زمن بعيد، وقد حيرني هذا الخبر؛ إذ لَمْ أتصوّره لحظة من حياتي بل ولا ادّعاه الناطق الرسمي لجبهة الإنقاذ ولا نائبه، مَنْ من أعضاء جمعية العلماء هو الآن في حزب جبهة الإنقاذ؟

لقد مات معظم أعضاء الجمعية ففي أي مقبرة تم الاجتماع بينهما وأعطيت الجبهة الميثاق والعهد من شيوخها؟ ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩]!

ومن بقي من شيوخ الجمعية لَمْ يُعرف له نشاط في الجبهة؛ لأن الجمعية حُلت قبل وجود الجبهة بنحو ثلاثين سنة، بل ومن سوء حظ أخينا سلمان أن أعضاء الجمعية الأحياء قد أسسوا لَهم جمعيتهم من جديد؛ إظهارًا لمخالفتها للدعي المتبنَّى، وأنشأت لَها جريدة البصائر، الَّتي لا علاقة لَها بجبهة الإنقاذ لا تلميحًا ولا تصريحًا.

بل أقول صراحة: إن جلَّ أعضائها كانوا أشد ما يكونون على الجبهة؛ لأنَّهم حكوميون، لَهم مراكز مرموقة، خاصة في وزارة الشئون الدينية: ﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤].

ثُمَّ من الناحية التاريخية والمنهجية في آن واحد، أقول: لو أن الأعضاء الأحياء من الجمعية انضموا إلَى جبهة الإنقاذ لَمْ يكن لك أن تربط بين الجمعية الَّتي أسسها ابن باديس -رحمه الله- وبين هؤلاء؛ ذلك لأن الجمعية لَمْ تؤسس أصالة كحزب سياسي، ويكفيك تسميتها "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وعملها كان موصَّلاً على التعليم، خاصة على التصفية والتربية، في الوقت الذي كانت فيه الأحزاب السياسية يتناثر طلعُها كطلع الفطور.

ثُمَّ كان بينها وبين الأحزاب الوطنية المتحمسة لقتال الفرنسيين خلاف شديد؛ لأنَّها كانت ترفض دخول المعركة والأمة لَمْ تُهيأ بعد، كما يقوله السلفيون في كل زمان ومكان تفقُّهًا على أبواب الجهاد، خاصة منهم الشيخ مُحمَّد البشير الإبراهيمي، وهو -رحمه الله- لسان الجمعية.

وهاك كلماته في حكم التحزب قال: "أوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات الَّتِي نَجَم بالشر ناجمها، وهجم -ليفتك بالخير والعلم- هاجمها، وسَجَم على الوطن بالملح الأُجاج ساجِمُها، إن هذه الأحزاب كالميزاب، جمع الماء كدرًا وفرقه هدرًا، فلا الزُّلال جمع، ولا الأرض نفع"(١).

وقال أيضًا: "إننا نعدُّ من ضعف النتائج من أعمال الأحزاب فِي هذا الشرق كله آتيًا من غفلتهم عن هذه الأصول، ومن إهمالهم لتربية الجماهير وتصحيح مقوِّماتِها، حَتَّى تصبح أمة وقوة ورأيًا عامًّا ..."(٢).

ويقول: "... إذا كان من خصائص الاستعمار أن يضعف المقوِّمات ويُميتَها، ثُمَّ يكون من خصائص أغلب الأحزاب أنَّها تُهملها ولا تلتفت إليها، فهل يُلام العقلاء إذا حكموا بأن هذه الأحزاب شر على الشرق من الاستعمار؟".

ويقول عن الجمعية: "جمعية العلماء جمعية علمية دينية تَهذيبية".

فهي بالصفة الأولى تعلّم وتدعو إِلَى العلم وترغب فيه، وتعمل على تمكينه فِي النفوس بوسائل علنية واضحة لا تتستر.

وهي بالصفة الثانية تعلم الدين والعربية؛ لأنَّهما شيئان متلازمان، وتدعو إليهما وترغّب فيهما، وتنحو فِي الدين منحاها الخصوصي؛ وهو الرجوع به إِلَى نقاوته الأولى وسماحته فِي عقائده وعبادته؛ لأن هذا هو معنى الإصلاح الذي أُسست لأجله ووقّفت نفسها عليه، وهي تعمل فِي هذه الجهة أيضًا بوسائل علنية ظاهرة.

وبِمقتضى الصفة الثالثة تدعو إِلَى مكارم الأخلاق ..."(٣).

ولما كانت الجمعية غير سياسية، وكانت الأحزاب السياسية تشوش على

(١) عيون البصائر (٢/٢٩٢).

(٢) البصائر العدد (٤/١٣- شوال- ١٣٦٦هـ)، وأرجو من القارئ أن يتنبه هنا لمنهج "التصفية والتربية".

(٣) سجل مؤتمر الجمعية (ص:٧٦-٧٧).

المتعلمين المتجمعين حول الجمعية بِما تسميه جهادًا ضد فرنسا، قام إنكار الجمعية عليها، فقد قال فيها الإبراهيمي -رحِمه الله-: "وفِي باب الأعمال لَمْ نر منهم إلا عملاً واحدًا، هو الذي سميناه: (جناية الحزبية على التعليم والعلم). هؤلاء القوم قطعوا الأعوام الطوال، فِي الأقوال والجدال، وجمع الأموال، وتعليل الأمة بالخيال! ومجموع هذا هو ما يسمونه سياسية ووطنية ... كثرت مواسم الانتخاب حتَّى أصبحت كأعياد اليهود؛ لا يفصل بعضها عن بعض إلا الأيام والأسابيع! وكان ذلك كله مقصودًا من الاستعمار، لما يعلمه فِي أمتنا من ضعف، وفِي أحزابنا من تخاذل وأطماع، وفِي مؤسساتنا ومشاريعنا العلمية من اعتماد على الوحدات المتماسكة من الأمة، فأصبح يرميهم فِي كل فصل بانتخاب يوهن به صرح التعليم، ويفرق به الجمعيات المتراصة حوله، والتعليم هو عدوُّ الاستعمار الألد لو كان هؤلاء القوم يعقلون".

ثُمَّ تحدث عن أثر الحزبيات فِي تَمزيق صف الطلبة، فقال: "ولو أن مدارسنا اشتدَّت أصولُها، وامتدَّت فروعُها، وكانت تأوي فِي الجانب المالي إلَى ركن شديد، وترجع فِي الجانب العلمي إلَى رأي رشيد، لكان وبال هذه النعرات الحزبية الشيطانية راجعًا إلَى أصحابه وحدهم ... هذه إحدى جنايات الحزبية على التعليم، زيادةً على جنايتها على الأخوة والمصلحة الوطنية العامة"[1].

❋ **قلت: ما أشبه الليلة بالبارحة!**

ولعل أصرح كلمة تُبيِّن أن جمعية العلماء لَمْ تنهج النهج السياسي هي وصية رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس -رحِمه الله- لطلبته حين جمعهم بالمسجد الأخضر فِي قسنطينة، فقال: "اتقوا الله! ارحموا عباد الله! اخدموا العلم بتعلّمه ونشره، تحمَّلوا كل بلاء ومشقة فِي سبيله، ولْيَهُن عليكم كل عزيز، ولْتَهُن عليكم

(١) آثار مُحمَّد البشير الإبراهيمي (٣/١١٦-١١٧).

أرواحكم من أجله. أما الأمور الحكومية وما يتصل بِها فدعوها لأهلها، وإياكم أن تتعرَّضوا لَها بشيء"[١].

وهو يقول هذا عن دراية بما يُدبَّر للمسلمين من مكائد، ولذلك قال: "... حُوربت فيكم العُروبة حتَّى ظُن أنِ قد مات منكم عِرقُها، ومُسخ فيكم نُطقُها، فجئتم بعد قرن تصْدَحُ بلابِلُكم بأشعارها فتثير الشعور والمشاعر، وتَهدر خطباؤكم بشقاشقها، فتدكُّ الحصون والمعاقل، ويهزُّ كتَّابُكم أقلامها، فتصيب الكلَى والمفاصل.

وحورب فيكم الإسلام حتَّى ظُن أن قد طُمست أمامكم معالمه، وانتُزعت منكم عقائدُه ومكارمُه، فجئتم بعد قرن، ترفعون عَلَم التوحيد، وتنشرون من الإصلاح لواء التجديد، وتدعون إلَى الإسلام، كما جاء به مُحمَّد ﷺ، لا كما حرَّفه الجاهلون، وشوَّهه الدَّجَّالون، ورضيه أعداؤه.

وحورب فيكم العلمُ حتَّى ظُن أن قد رضيتم بالجهالة، وأخلدتم للنذالة، ونسيتم كل علم إلاَّ ما يُرْشَحُ به لكم، أو ما يمزج بِما هو أضرُّ من الجهل عليكم، فجئتم بعد قرن ترفعون للعلم بناءً شامِخًا، وتشيِّدون له صرحًا سامقًا، فأسَّستم على قواعد الإسلام والعروبة والعلم والفضيلة جمعيتكم هذه: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وحوربت فيكم الفضيلة، فسمتُم الخسف، ودُيِّثتم بالصَّغار حتَّى ظُن أن قد زالت المروءة والنجدة، وفارقَتْكم العزة والكرامة، فرئمتم الضيم، ورضيتم الحيف، وأعطيتم بالمقادة، فجئتم بعد قرن تنفُضون غبار الذل، وتُهزهِزون أسس الظلم، وتُهمهمون همهمة الكريم الْمحنَق، وتُزَمْجرون زمْجَرة العزيز المهان، وتطالبون مطالبة من يعرف له حقًّا لابد أن يعطاه أو يأخذه"[٢].

وشرح -رحِمه الله- سبب اختياره الدين على السياسة للنهوض بالأمة في

(١) آثار الإمام ابن باديس (٩٨/٤).
(٢) البصائر (رقم ٨٣/ رجب- ١٣٥٦هـ).

الوقت الذي كانت تؤاخذ الجمعية بعدم دخولها في السياسة، فقال: "وبعدُ، فإننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها، عن علم وبصيرة وتمسكًا بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النصح والإرشاد، وبث الخير والثبات على وجه واحد والسير في خط مستقيم، وما كنا لنجد هذا كله إلا فيما تفرَّغنا له من خدمة العلم والدين، وفي خدمتهما أعظم خدمة، وأنفعها للإنسانية عامة.

ولو أردنا أن ندخل الميدان السياسي لدخلناه جهرًا، ولضربنا فيه المثل بما عُرف عنا من ثباتنا وتضحياتنا، ولقُدنا الأمة كلها للمطالبة بحقوقها، ولكان أسهل شيء علينا أن نسير بها على ما نرسمه لَها، وأن نبلغ من نفوسها إلَى أقصى غايات التأثير عليها؛ فإن مِمَّا نعلمه، ولا يخفى على غيرنا أن القائد الذي يقول للأمة:

(إنك مظلومة في حقوقك، وإنني أريد إيصالك إليها). يجد منها ما لا يجد من يقول لَها: (إنك ضالة عن أصول دينك، وإنني أريد هدايتك). فذلك تلبِّيه كلها، وهذا يقاومه معظمُها أو شطرُها! وهذا كله نعلمه، ولكنَّنا اخترنا ما اخترنا لما ذكرنا وبيَّنا، وإننا -فيما اخترناه- بإذن الله لماضون، وعليه متوكِّلون"[1].

ولِهذا كان أكثر المخالفين لِهذا المنهج يطلبون الدنيا بسلوكهم المسالك السياسية، ويُخيِّل إليهم الشيطانُ أنَّهم قاموا من أجل الدين.

وشبيهٌ به كلامُ ابن تيمية -رحِمه الله- حين قال: "وكثير ممن خرج على ولاة الأمور أو أكثرهم إنَّما خرج لينازعهم مع استئثارهم عليه، ولَمْ يصبروا على الاستئثار، ثُمَّ إنه يكون لولي الأمر ذنوب أخرى فيبقى بغضه لاستئثاره يعظم تلك السيئات، ويبقى المقاتل له ظانًّا أنه يقاتله لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ومن أعظم ما حركه عليه طلبُ غرضه: إما ولاية، وإما مال كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨].

---

(١) الصراط السوي (رقم ١٥/ رمضان -١٣٥٢هـ).

وفي الصحيح[1] عن النَّبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا يكلِّمُهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكّيهم ولَهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء يَمنعه من ابن السبيل، يقول الله له يوم القيامة: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لَمْ تعمل يداك، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا؛ إن أعطاه منها رضي، وإن منعه سخط، ورجل حلف على سلعة بعد العصر كاذبًا: لقد أُعطي بِها أكثر مِمَّا أُعطي»"[2].

* والمقصود من سوق كلام شيوخ جمعية العلماء: إثبات الاختلاف المنهجي بين جبهة الإنقاذ والجمعية، بِما لا يدع لأحد ريبة.

إن الدافع لقيام الجبهة هو الاستجابة للغثاء النَّاقم على النِّظام من أجل الخبز، ولقد تعجَّبت الصحافة كلها من الخطب الَّتِي ألقيت فِي الجمعة الَّتِي تلت انتفاضة (٥ - أكتوبر- ١٩٨٨م)؛ لأنَّها كانت مهدئة، حَتَّى من علي بن حاج! وكان قد نَهى الناس عن تكسير المعدات والآلات...

ولكن لَمَّا رأوا بأن أطرافًا أخرى تطمع فِي استغلال الجموع الشعبية الَّتِي استفزتْهَا اليدُ الإلحادية عمدًا، سارعوا إِلَى تغيير اللهجة، وغلب الغوغاء على الدعاة حَتَّى جاروهم على باطلهم، وكونت المسيرات بعد هذه الجمعة بيومين فقط!!

وبعدها حَتَّى مُحمَّد السعيد الونّاس -المعروف بشيء من التعقل فِي هذه القضايا- لَمْ يجد بدًّا من طاعة الغوغاء بعد اعتقال ابن حاج ومدني، وألبسه الجمهورُ قميص المتهور وهو له كاره! وكان يَهاب أن يذكر كلمة "الحكمة" الَّتِي نبذها العوام، وأضحى تيار الدهماء كالسيل لا يوقف فِي طريقه، ولَمْ يمكن للداعية إلا أن يكون مُسيَّرًا!

ولَمْ يقف الحد عند تحكم الغوغاء فِي هذه القضايا، بل إذا وجدوا منهم من

(١) عند البخاري (٥/٣٣٥ رقم ٢٦٧٢-الفتح)، ومسلم (١/١٠٣ رقم ١٧٤).
(٢) منهاج السنة (٤/٥٤٠-٥٤١).

يأمرهم بالتأني سارعوا إلى تحميده ورميه بالعظائم، كما فعلوا بشيخيهم: بشير فقيه والهاشمي سحنوني؛ لأن هذا الأخير -ككثير من الحزبيين- عوَّدوا العوام على استعدائهم على من لا يمشي معهم من الدعاة، فانقلب السهم على راميه، وهكذا تكون نتائج التربية الفاسدة!

وقد قال ابن تيمية: "والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، وهذا شأن الفتن، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:٢٤]. وإذا وقعت الفتنة لَمْ يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله"[١].

الثاني: تنبه -أيها القارئ!- إلَى أصل أخشى أن تنساه، وهو أن السلفية لا تعرف الحزبية، بل لَمْ يكن يُفرِّق بين السلفي والإخواني إلا بِها، وتذكر أن جبهة الإنقاذ حزبٌ كما يصرح به رءوسُها أنفسُهم، وقد كتب علي بن حاج فِي تأييد بدعة التحزب، فإلى أي الفريقين تنتمي جبهة الإنقاذ؟

ولو سلمنا بأن الحزبية من الإسلام، وأن العلماء الكبار كانوا مخطئين فِي إنكارهم ذلك، لقلنا: إن وصف سلمان للجبهة بأنَّها سلفية خلاف الواقع؛ لأن كلامه هذا جاء عقب إقصاء السلفيين منها[٢]، وإدخال علي بن حاج وعباسي مدني السجن، وتسلمها بقوة جَماعة "الجَزْأَرَة" الَّتِي هي من أعدى أعداء السلفية، وترأسها مُحمَّد سعيد، بل هم على طريقة من يلقِّب أهل الحديث بالحشوية ...

* المهم: زعمك هذا -يا سلمان!- كان فِي الوقت الذي كانت فيه أسْماء المرشَّحين للانتخابات البرلمانية كلها من "الجزأرة"، إلا واحدًا فِي باب الوادي

(١) منهاج السنة (٤/٣٤٣).

(٢) يجب التنبه إلَى أن المقصود بسلفيي جبهة الإنقاذ عوامهم؛ لأن الخواص من طلبة العلم لَمْ ينخرط منهم فِي هذا الحزب إلا أناس معدودون لا يَملئون اليد الواحدة، مع أن أول من أشاع السلفية عنهم ونسبهم إليها الإخوان المسلمون لضرب المنهج السلفي بأخطاء الجبهة، والله حسيبهم.

بالعاصمة، تركوه مصيدة للسلفيين؛ لأن هذا الحي على سلفية وإن كان فيها دخن، فهل من معتبر؟!

ولا أعتقد أن من حولك من الجزائريين يكتمك هذا إلا أن يكون من "الجزأريين"!

فليتك -يا سلمان!- قلت ما قلت قبل هذا التاريخ لوجدنا لك مَخرجًا، لكن أحمد الله وحده، فقد جعل لك خير مخرج حين قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥].

قال سلمان: "سمعت أن الشيخ مُحمَّد ناصر الدين الألباني -حفظه الله- الإمام العالم المحدث، أرسل رسالة إلَى الإخوة فِي الجزائر، وقرئت فِي المساجد، يؤيدهم فيها، فكان لَها أثر كبير على نفوس الناس هناك".

* النقد: كأنك -يا سلمان!- تقول أي شيء! ما الذي يَمنعك من التأني والعمل بقول الله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:٦]. وبقوله: ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

ولئن قلت: أنا ما تكلمت إلا بِما سمعت والعهدة على الراوي.

قلنا لك: أين أنت من قول رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء كذبًا أن يُحدِّث بكل ما سمع»[١].

كل من يعرف الشيخ الألباني يكذبك فِي زعمك هذا[٢]؛ لأن الشيخ من

---

(١) رواه مسلم فِي مقدمة صحيحه (١/١٠ رقم ٥) عن أبِي هريرة ﷺ.

(٢) لما سمع بعض إخواننا من مدينة وهران بالغرب الجزائري كلام سلمان، سألوا الشيخ الموقر مُحمَّد إبراهيم شقرة -حفظه الله- عن ذلك فأجاب بالبديهة: "لا! الشيخ لا يؤيد من له نشاط سياسي اليوم" وشرح ذلك، فتأمل!

نوادر أهل العلم الذين عُرفوا بصفاء المنهج والثبات عليه، ومن هذا الصفاء إنكاره الشديد على المشتغلين بالسياسة الآن، خاصة المتحزبين منهم، وكلمته الَّتِي أضحت كالحكمة الَّتِي لَمْ يسبق إليها -فيما علمت- مشهورة، ألا وهي قوله: "أرى الآن من السياسة ترك السياسة".

الشيخ كالجبل الشامخ لا يتزحزح! وكم كلمه المتحزبون وأرادوا استدراجه واستعطافه، وكانوا يكلمونه طوال هذه السنوات كل ليلة، وحرفوا لديه الحقائق، وأرادوا منه نصف كلمة تؤيدهم، ولكن الشيخ فِي صبره العجيب وجلده الشديد وحلمه الطويل يقول فِي جرأته المعروفة مع القريب والبعيد: "لا حزبية فِي الإسلام".

يا سلمان! أين فقهك للواقع؟ لقد سارت الركبان فِي كل أصقاع المعمورة بكلمة تقول: "لئن جاز أن تستغل الحركات الإسلامية الماكرة كبار المشايخ بالتمويه عليهم، فإن الشيخ الألباني ميئوس منه عندهم".

أنت -يا سلمان!- قلت: "لماذا نُهَوِّن من شأن هذه الجماهير المسلمة فِي الجزائر وفِي غير الجزائر ونعتقد أنَّها تتفض ...!" أي أنك توسّمت انتصار الجبهة وهي تحاصر بقوة، وهذه فراستك! فكيف كان اغترارك حين رأيتها بعدها قد حازت مقاعد البرلمان؟!

وتأمل فراسة الشيخ الألباني أيام انتصار الجبهة فِي الانتخابات البرلمانية، حين كاد الناس -أصحاب النتائج- يُجمعون على أنَّها وصلت ..

أخبرنِي الشيخ علي بن حسن بن عبد الحميد آخر سنة ١٤١٢هـ، حدثه الشيخ سليم الهلالي أنه كان عند الشيخ الألباني حين أُخبر بالانتصار المذكور.

فقال الشيخ: رغوة صابون أو كلمة نحوها، ثُمَّ مشيت إِلَى بيت الشيخ سليم الهلالي طلبًا للإسناد العالي، وهو صحيح كالشمس كما ترى، فقال لِي: قال الشيخ: "هذه رغوة فقاقيع!"، بالجزم من غير الشك الذي تحفظ فيه الشيخ علي -حفظهما الله تعالى-

وهما محل صدق والحمد لله، ومن ارتاب فإن الشيخ حي يرزق وهاتفه بلا حجاب.

هكذا وصف الشيخُ نتائج جبهة الإنقاذ في الانتخابات البرلمانية، فهل الشيخ يكره قيام دولة الإسلام؟ أم هي فراسة مجتهد قد ظهر صدقها، ولا يدركها طالب العلم مهما جمع من قصاصات الجرائد؟!

فاي الفريقين أحق بالحديث في هذه المسائل: أهو طالب العلم الذي لا هو يعرف تَمحيص الأخبار، ولا هو يتأنى لتبيّن الصدق من الكذب، ولا هو يحسن تحليل واقع الناس؟ ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [النجم:٣٠].

أم هو العالم المجتهد المسن الذي أدبته النصوص وحنكته التجارب؟ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

وفي جواب الشيخ أمارة واضحة على قوة إيمانه بالغيب، ويقينه في صدق نصوص الوحيين، وأنه لا تخدعه نتائج الواقع ما لَمْ تؤسّس على الشرع، نحسبه كذلك.

ويا ليت شعري كيف يكون يوم أصحاب النتائج إذا أحيي الدجالُ المقتولَ بين أيديهم وأخرج كنوز الأرض ....؟ فاللهم حفظك[1].

ذلك هو تصرفك وتسرعك -يا سلمان!- مع الأخبار الَّتِي وردتك على أحسن ما نظن بك، أما نحن فحينما بلغنا أن الشيخ الألباني أيد الجبهة جزمنا في أنفسنا بكذبه، وتيقنا ذلك حين رأينا الورقة الأخيرة فقط من الناسوخ "فاكس"

(١) لقد صرح لي الشيخ الفاضل علي بن حسن الحلبي -في اعتراف صادق- أنه يوم بلغته كلمة الشيخ هذه وقع في نفسه منها شيء، قال: "لأننا بحكم شبابنا ننظر بغير عين العالم البصير.
فقلت -في نفسي-: لو أن الشيخ غضَّ من هذه طرفًا، لأن القوم قد وصلوا، وإن كنت على يقين بمخالفتهم للمنهج النبوي، لكن نحن شباب ... ثُمَّ لَمْ يَمْضِ إلا زمن يسير حَتَّى عظم في نفسي قدر شيخي أكثر ...".
قلت: جزاك الله خيرًا؛ فإن الرجوع إِلَى الحق فضيلة.

الذي أرسله الشيخ إِلَى أعضاء الجبهة قد علقت بالمساجد، وظهر لنا أن كلامًا سبقها قد حذف، وازددنا يقينًا حين قرأنا بأسفلها مكتوبًا بلون مغاير: "لقد دعا الشيخ ناصر الدين الألباني للشعب الجزائري بالنصرة والتوفيق، وذلك فِي مكالمة هاتفية!!".

فعلمنا أنَّهم لَمْ يعودوا من عند الشيخ إلا بِخُفَّي حنين، فحسبهم أن يعلقوا من الناسوخ ورقة واحدة قليلة الأسطر بالنسبة للورقات الأخرى، لا يراد منها إلا التدليس، وكتمنا ذلك، وقلنا: "اتبع الكذَّاب إِلَى باب الدار!".

فاتصلنا بالأردن مباشرة فجاءنا من الشيخ الناسوخ بتمامه، فإذا هو ست ورقات!!! كما أنه قد سئل الشيخ نفسه عما يلي:

قال السائل: قال بعض الدعاة فِي شريط له عندنا هنا فِي السعودية بعنوان: كلمة حق فِي المسألة الجزائرية[1]، قال هذا الداعية: إنكم أرسلتم رسالة إِلَى جبهة الإنقاذ فِي الجزائر تؤيِّدونَها فيما قامت به، وتُحثونَها على الاستمرار، وأن تلك الرسالة قد قُرئت على الناس فِي المساجد، وقد كان لَها أثر كبير فِي صفوف جبهة الإنقاذ، فالسؤال: هل هذا حصل منكم، نرجو التوضيح؟

❊ **الجواب:** "إذا كان هذا الداعية تعرفه فاقرأ عليه قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:٦]. إِلَى آخر الآية، وقال ﷺ: «بحسب امرئ من الكذب أن يُحدِّث بكل ما سمع». هذا أولاً، ليطلب من الذي أخبره بِهذا الخبر الزور النص الذي أرسلتُه إليهم بخطي، هذا الجواب عما سألت".

واقرأ الآن -يا سلمان!- هذا النص إن لَمْ يسبق لك أن قرأته، ثُمَّ ضع فقهك للواقع فِي ميزان الصائغ، فهل تراه يزن شعرة؟!

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) لصاحبه سلمان العودة كما سبق.

هذه صورة كلمة الشيخ الألباني التي أرسلها بواسطة
(الناسوخ) إلى جبهة الإنقاذ الجزائرية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإلى لجنة الدعوة والإرشاد في الجبهة الإسلامية للإنقاذ

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد تلقيت أول هذا اليوم الثلاثاء الواقع في الثامن عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٤١٢هـ رسالتكم المرسلة إلي بواسطة (الناسوخ)، فقرأتها وعلمت ما فيها من الأسئلة المتعلقة بالانتخابات التي قلتم إنها ستجري عندكم يوم الخميس أي بعد غد، وتطلبون مني التعجيل بإرسال أجوبتي عليها، فبادرت إلى كتابتها ليلة الأربعاء لترسل إليكم بـ (الناسوخ) أيضاً صباح هذا اليوم إن شاء الله تعالى، شاكراً لكم حسن ظنكم بأخيكم، وطيب ثنائكم عليه الذي لا يستحقه، سائلاً المولى سبحانه وتعالى لكم التوفيق في دعوتكم وإرشادكم.

وإليكم الآن ما يسر الله لي من الإجابة على أسئلتكم، راجياً من المولى سبحانه وتعالى أن يلهمني السداد والصواب في ذلك:

السؤال الأول: ما الحكم الشرعي في الانتخابات التشريعية (ما يسمى بالبرلمان) التي نسعى من خلالها إلى إقامة الدولة الإسلامية وإقامة الخلافة الراشدة؟

الجواب: إن أسعد ما يكون المسلمون في بلادهم يوم ترفع راية (لا إله إلا الله) وأن يكون الحكم فيها بما أنزل الله، فإنه مما لا شك فيه أن على المسلمين جميعاً كلٌّ حسب استطاعته أن يسعوا إلى إقامة الدولة المسلمة التي تحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى منهج السلف الصالح، ومن المقطوع به عند كل باحث مسلم أن ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا بالعلم النافع والعمل الصالح

الورقة الأولى من الفاكس

فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقاطعوا ولا تدابروا،
ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا إخواناً كما أمركم الله» رواه مسلم.
فعليكم إذن بالتصفية والتربية، وبالتأني، فإن التأني من الرحمن
والعجلة من الشيطان، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام،
وكذلك قيل: من استعجل الشيء قبل أوانه ابتلي بحرمانه. ومن
رأى العبرة بغيره فليعتبر. فقد جرب بعض الإسلاميين من
قبلكم في غير ما بلد إسلامي الدخول في البرلمان بقصد إقامة
دولة الإسلام، فلم يرجعوا من ذلك ولا بخفي حنين! ذلك
لأنهم لم يعملوا بالكلمة الطيبة التالية: "أقيموا دولة الإسلام
في قلوبكم تقم لكم في أرضكم"، وحقاً! كما قال صلى الله عليه
وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى
قلوبكم وأعمالكم» رواه مسلم.

فالله سبحانه وتعالى أسأل أن يلهمنا رشدنا، وأن يعلمنا
ما ينفعنا، ويهدينا للعمل بشريعة ربنا، متبعين في ذلك
سنة نبينا، ومنهج سلفنا، فإن الخير كله في الاتباع، والشر
كله في الابتداع، وأن يفرج عنا همنا وغمنا، وأن
ينصرنا على من عادانا، إنه سميع مجيب.

عمان صباح الأربعاء ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٤١٢هـ

وكتب
محمد ناصر الدين الألباني
أبو عبد الرحمن

ملاحظة:*
لقد دعى الشيخ ناصر الدين الألباني للشعب
الجزائري بالنصرة والتوفيق، وذلك في مكالمة
هاتفية.

الورقة الأخيرة من الفاكس

* هذه الملاحظة ليست من أصل الفاكس، ولكن من زيادة أنصار جبهة الإنقاذ.

نص ناسوخ (فاكس) الشيخ الألباني إلى جبهة الإنقاذ الجزائرية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فإلى لجنة الدعوة والإرشاد فِي الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وعليكم السلام ورحْمة الله وبركاته.

وبعد؛ فقد تلقيت أصيلَ هذا اليوم الثلاثاء الموافق للثامن عشر من شهر جمادى الآخرة سنة (١٤١٢هـ) رسالتكم المرسلة إلَيّ بواسطة (الناسوخ)، فقرأتُها وعلمتُ ما فيها من الأسئلة المتعلقة بالانتخابات الَّتِي قلتم: إنَّها ستجري عندكم يوم الخميس أي بعد غد[1]، ورغبتم منِي التعجيل بإرسال أجوبتِي عليها، فبادرت إلَى كتابتها ليلة الأربعاء لإرسالها إليكم بـ"الناسوخ" أيضًا صباح هذا اليوم -إن شاء الله- شاكرًا لكم حسن ظنكم بأخيكم وطيب ثنائكم عليه الذي لا يستحقه، سائلاً المولى ﷻ لكم التوفيق فِي دعوتكم وإرشادكم.

---

(١) الغريب أنَّهم دخلوا فِي العمل السياسي قبل هذا بثلاث سنوات! فلما بقي على الانتخاب يوم ونصف يوم سألوا الشيخ عن مصير أمة!! فهل هذا هو دين طالب الحق؟! ثُمَّ لما جاءهم الحق من الشيخ لَمْ يرفعوا به رأسًا؛ لأنَّهم استمروا فيما نَهاهم عنه، كما تراه هاهنا!

وإليكم الآن ما يَسَّر الله لي من الإجابة على أسئلتكم، راجيًا من المولى ﷻ أن يلهمني السداد والصواب فِي ذلك:

السؤال الأول: ما الحكم الشرعي فِي الانتخابات التشريعية (ما يسمى بالبرلمان) الَّتِي تسعى من خلالِها إِلَى إقامة الدولة الإسلامية، وإقامة الخلافة الراشدة؟

❋ **الجواب**: إن أسعد ما يكون المسلمون فِي بلادهم يوم ترفع راية "لا إله إلا الله" وأن يكون الحكم فيها بِما أنزل الله، وإن مِمَّا لا شك فيه أن على المسلمين جميعًا -كل حسب استطاعته- أن يسعوا إِلَى إقامة الدولة المسلمة الَّتِي تُحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعلى منهج السلف الصالح، ومن المقطوع به عند كل باحث مسلم أن ذلك لا يُمكن أن يتحقق إلا بالعلم النافع والعمل الصالح، وأول ذلك أن يقوم جماعة من العلماء بأمرين هامين جدًّا:

- **الأول**: تقديْم العلم النافع إِلَى من حولهم من المسلمين، ولا سبيل إِلَى ذلك إلا بأن يقوموا بتصفية العلم الذي توارثوه مِمَّا دخل فيه من الشركيات والوثنيات حَتَّى صار أكثرهم لا يعرفون معنى قولهم: "لا إله إلا الله"، وأن هذه الكلمة الطيبة تستلزم توحيد الله فِي عبادته تعالى وحده لا شريك له، فلا يستغاث إلا به، ولا يذبح ولا ينذر إلا له، وأن لا يعبدوه تعالى إلا بِما شرع الله على لسان رسول الله ﷺ، وأن هذا من مستلزمات قولهم: "مُحمَّد رسول الله"، وهذا يقتضيهم أن يُصفُّوا كتب الفقه مِمَّا فيها من الآراء والاجتهادات المخالفة للسنة الصحيحة حَتَّى تكون عبادتُهم مقبولة، وذلك يستلزم تصفية السنة مِمَّا دخل فيها على مر الأيام من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، كما يستلزم ذلك تصفية السلوك من الانحرافات الموجودة فِي الطرق الصوفية، والغلو فِي العبادة والزهد، إِلَى غير ذلك من الأمور الَّتِي تنافي العلم النافع.

- والآخر: أن يُربُّوا أنفسهم وذويهم ومن حولهم من المسلمين على هذا العلم

النافع، ويومئذ يكون علمهم نافعًا وعملهم صالحًا؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]. وحينئذ إذا قامت جماعة من المسلمين على هذه التصفية والتربية الشرعية فسوف لا تجد فيهم من يَختلط عليه الوسيلة الشركية بالوسيلة الشرعية؛ لأنَّهم يعلمون أن النَّبي ﷺ قد جاء بشريعة كاملة بمقاصدها ووسائلها، ومن مقاصدها مثلاً النهي عن التشبه بالكفار وتبني وسائلهم ونظمهم الَّتي تتناسب مع تقاليدهم وعاداتِهم، ومنها اختيار الحكام والنواب بطريقة الانتخابات، فإن هذه الوسيلة تتناسب مع كفرهم وجهلهم الذي لا يفرق بين الإيمان والكفر، ولا بين الصالح والطالح، ولا بين الذكر والأنثى؛ وربنا يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦]. ويقول: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ [آل عمران:٣٦].

وكذلك يعلمون أن النَّبي ﷺ إنَّما بدأ بإقامة الدولة المسلمة بالدعوة إلَى التوحيد، والتحذير من عبادة الطواغيت، وتربية من يستجيب لدعوته على الأحكام الشرعية، حتَّى صاروا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، كما جاء في الحديث الصحيح، ولَمْ يكن فيهم من يُصرُّ على ارتكاب الموبقات والربا والزنا والسرقات إلا ما ندر.

فمن كان يريد أن يقيم الدولة المسلمة حقًّا لا يُكتِّل الناس ولا يجمعهم على ما بينهم من خلاف فكري وتربوي، كما هو شأن الأحزاب الإسلامية المعروفة اليوم، بل لابد من توحيد أفكارهم ومفاهيمهم على الأصول الإسلامية الصحيحة: الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح كما تقدم: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم:٤].

فمن أعرض عن هذا المنهج في إقامة الدولة المسلمة وسلك سبيل الكفار في إقامة دولتهم فإنَّما هو "كالمستجير بالرمضاء من النار!" وحسبه خطأ -إن لَمْ أقل:

إثمًا- أنه خالف هديه ﷺ ولَمْ يتخذه أسوة، والله ﷻ يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

السؤال الثاني: ما الحكم الشرعي فِي النصرة والتأييد المتعلقين بالمسألة المشار إليها سابقًا -الانتخابات التشريعية-؟

❋ الجواب: فِي الوقت الذي لا ننصح أحدًا من إخواننا المسلمين أن يرشّح نفسه ليكون نائبًا فِي برلمان لا يَحكم بِما أنزل الله، وإن كان قد نص فِي دستوره: "دين الدولة الإسلام"، فإن هذا النص قد ثبت عمليًا أنه وضع لتخدير أعضاء النواب الطيِّبي القلوب!! ذلك لأنه لا يستطيع أن يغيِّر شيئًا من مواد الدستور المخالفة للإسلام، كما ثبت عمليًا فِي بعض البلاد الَّتِي فِي دستورها النص المذكور.

هذا إن لَمْ يتورط مع الزمن أن يُقر بعض الأحكام المخالفة للإسلام بدعوى أن الوقت لَمْ يَحن بعدُ لتغييرها كما رأينا فِي بعض البلاد؛ يُغيِّر النائب زيه الإسلامي، ويتزيّا بالزي الغربي مسايرة منه لسائر النواب! فدخل البرلمان ليُصلِح غيره فأفسد نفسه، وأوَّل الغيث قطرٌ ثُمَّ ينهمر! لذلك فنحن لا ننصح أحدًا أن يرشح نفسه؛ ولكن لا أرى ما يمنع الشعب المسلم إذا كان فِي المرشَّحين من يعادي الإسلام وفيهم مرشَّحون إسلاميون من أحزاب مُختلفة المناهج، فننصح -والحالة هذه- كل مسلم أن ينتخب من الإسلاميين فقط، ومن هو أقرب إلَى المنهج العلمي الصحيح الذي تقدم بيانه.

أقول هذا -وإن كنت أعتقد أن هذا الترشيح والانتخاب لا يُحقق الهدف المنشود كما تقدم بيانه- من باب تقليل الشر، أو من باب دفع المفسدة الكبرى بالمفسدة الصغرى، كما يقول الفقهاء.

السؤال الثالث: حكم خروج النساء للانتخابات؟

❊ الجواب: يَجوز لهن الخروج بالشرط المعروف فِي حقهن وهو أن يتجلببن الجلباب الشرعي، وأن لا يَختلطن بالرجال، هذا أولاً.

ثُمَّ أن ينتخبن من هو الأقرب إلَى المنهج العلمي الصحيح من باب دفع المفسدة الكبرى بالصغرى كما تقدم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

السؤال الرابع: الأحكام الشرعية المتعلقة بألماط العمل الشرعي فِي "البرلمان" ورجالاته؟

❊ الجواب: فنقول: هذا سؤال غامض مرادكم منه غير ظاهر لنا؛ ذلك لأن المفروض أن النائب المسلم لابد أن يكون عالِمًا بالأحكام الشرعية على اختلاف أشكالها وأنواعها، فإذا ما طرح أمر ما على بساط البحث فلابد أن يوزن بِميزان الشرع، فما وافق الشرع أَيَّده وإلا رفضه؛ كالثقة بالحكومة، والقسم على تأييد الدستور ونحو ذلك!!

❊ وأما رجالات البرلمان! فلعلكم تعنون: ما موقف النواب الإسلاميين من رجالات البرلمان الآخرين؟ فإن كان ذلك مرادكم فلا شك أنه يجب على المسلمين نوابًا وناخبين أن يكونوا مع من كان منهم على الحق؛ كما قال رب العالمين: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

❊ وأما السؤال الخامس والسادس: فجوابُهما يُفهم مِمَّا تقدم من الأجوبة.

ونضيف إلَى ذلك أن لا يكون هَمُّكم -معشر الجبهة الإسلامية!- الوصول إلَى الحكم قبل أن يصبح الشعب مهيَّئًا لقبول الحكم بالإسلام، ولا يكون ذلك إلا بفتح المعاهد والمدارس الَّتِي يتعلم فيها الشعب أحكام دينه على الوجه الصحيح، ويربَّى على العمل بِها، ولا يكون فيهم اختلاف جذري ينشأ منه التحزب والتفرق، كما

هو الواقع الآن مع الأسف في الأفغان، ولذلك قال ربنا في القرآن: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢]. وقال رسول الله ﷺ: «لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا إخوانًا كما أمركم الله». رواه مسلم.

فعليكم إذن بالتصفية والتربية بالتأنّي؛ فإن «التأني من الرحمن، والعجلة من الشيطان» كما قال نبينا -عليه الصلاة والسلام-[1]، ولذلك قيل: من استعجل الشيء قبل أوانه ابتلي بحرمانه، ومن رأى العبرة بغيره فليعتبر، فقد جرب بعض الإسلاميين من قبلكم في غير ما بلد إسلامي الدخول في البرلمان بقصد إقامة دولة الإسلام، فلم يرجعوا من ذلك ولا بخفي حنين! ذلك لأنهم لَمْ يعملوا بالحكمة القائلة: "أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم في أرضكم". وهكذا كما قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». رواه مسلم.

فالله ﷻ أسأل أن يلهمنا رشدنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، ويهدينا للعمل بشرعة ربنا، متبعين في ذلك سنة نبينا ومنهج سلفنا، فإن الخير كله في الاتباع، والشر كله في الابتداع، وأن يفرج عنا ما أهمّنا وأغمّنا، وأن ينصرنا على من عادانا، إنه سميع مجيب.

عمان صباح الأربعاء ١٩ جمادى الآخرة سنة (١٤١٢هـ).

وكتب

محمد ناصر الدين الألباني أبو عبد الرحمن[2].

---

(١) حديث ثابت، رواه أبو يعلى والبيهقي، انظر: الصحيحة برقم (١٧٩٥).

(٢) انظر: مجلة الأصالة العدد الرابع (ص: ١٥-٢٢).

* قلت: لقد استغل بعض الحزبيين كلام الشيخ ليدّعي أنه يرى جواز دخول البرلمان والانتخابات! مع أن هذا الذي نقلته هنا عن الشيخ من أوضح الواضحات في نفي ذلك، لكن خوفًا من أن ينطلي أمرهم على السذج أقول: إن الشيخ يرى تحريم دخول البرلمان وما يتبعه من انتخاب لدليلين قد =

ذكرهما هو نفسه هنا، وهما:

الأول: أنه بدعة؛ إذ وسائل الدعوة في مثل هذه توقيفية، انظر إن شئت: "**الحجج القوية على أن وسائل الدعوة توقيفية**" لعبد السلام بن برجس، على أن هذا لا يختلف مع قوله بأن أدواتها -لا وسائلها- تحكمها المصالح المرسلة عمومًا؛ وكثيرًا ما كان الشيخ يردِّد كلام ابن تيمية من اقتضاء الصراط المستقيم (ص:٢٧٨): "فكلُّ أمر يكون المقتضي لفعله على عهد رسول الله ﷺ موجودًا لو كان مصلحة ولَمْ يُفعل، يُعلَم أنه ليس بمصلحة ... ونحن نعلم أن هذا ضلالة قبل أن نعلم نَهيًا خاصًّا عنها، أو أن نعلم ما فيها من المفسدة".

* **قلت**: وقد سبق أن نقلت كلام الشيخ في أن هذا التحزب للعمل السياسي مُخالف لهدي النَّبي ﷺ الذي دُعي بمكة للمشاركة في السلطة فأبى، لأنه أصَّل عمله على التربية العقدية والخلقية بادئ ذي بدء، كما هو معلوم، هذا في الكلام عن قيام المقتضي مع ترك الفعل، وأما العلم بالنهي فواردٌ أيضًا، ويُبَيِّنه كلامُ الشيخ بعد هذا، وأما العلم بالمفسدة في هذا العمل، فبيانه منه -رحمه الله- في ملاحظة قريبة، والله ولي التوفيق.

والثاني: أنه تشَبُّهٌ بالكفار؛ إذ لا يختلف اثنان في أنه نظام مستورد منهم.

فهذان الأمران يدلان على أن الشيخ لَمْ يُحرِّمه لمفسدة زمنية أو مكانية يمكن نسخها بِمصلحة زمنية أو مكانية، كلا! بل حرَّمه لذاته، فتنبه! ولا يلتبسن عليك أن جوَّز الشيخ الانتخاب لبقية المسلمين بما فيهم النساء؛ لأن هذا قاله الشيخ في حالة ما إذا تعنت الإسلاميون وأبوا إلا دخول البرلمان، فحينئذ ما داموا داخلين -وإن رغمت فتاوى أهل العلم- فقد رأى الشيخ أنه لابد على غيرهم من المسلمين أن ينتخبوا أقرب حزب إلى الإسلام، من باب دفع المفسدة الكبرى بالصغرى، ولكن الشيخ ينهى عن الدخول معهم في التحزب والتنظيم ... وكثيرًا ما سُجِّل للشيخ قوله لهذه الجبهة وغيرها: "إن ركبتم رءوسكم وأبيتم إلا أن تكونوا كبش الفداء فعلى المسلمين الآخرين أن يَختاروا من هذه الأحزاب أقربَها إلى الإسلام؛ لا لأنَّهم سيُقدِّمون خيرًا، ولكن من باب التقليل من شرِّهم" هذا هو رأي الشيخ فليُعلم!

* **ملاحظة**: والغريب أن ينقل عبدُ الرحمن عبد الخالق في (ص:٧٣) من كتابه "مشروعية =

الدخول إلَى المجالس التشريعية" كلام الشيخ الألباني هذا مبتورًا ليدَّعي أن منع الشيخ دخول هذه المجالس: "إنَّما من باب أنه خلاف الأولى" كذا قال -هداه الله- مع أنه لا يخفى عليه ولا على غيره أن الشيخ -رحمه الله- ما اشتدّ انتقادُه عليه -هو بالخصوص- كما اشتد فِي هذه المسألة بعينها، يوم أن دعاه إلَى بيته للمناقشة فيها، فلم يستجب له! وقال له الشيخ: "يا عبد الرحمن! إنِي أعظك أن تكون من الجاهلين!"، كما فِي شريط من سلسلة "الهدى والنور" (١/٧٠٠ - وجه ب).

* قلت: ولولا خشية التلبيس ما كلفت نفسي نقل هذا الآتي:

جاء فِي شريط مسجَّل من سلسلة الهدى والنور رقم (١/٣٥٢) أن سائلاً قال للشيخ الألبانِي: سمعنا أنك قلت -يا شيخ!-: يَجوز (أي دخول البرلمانات) ولكن بشروط؟!

قال الشيخ: "لا! ما يجوز! هذه الشروط -إذا كانت- تكون نظرية وغير عملية، فهل أنت تذكر ما هي الشروط الَّتِي بلغتك عني؟".

قال: الشرط الأول: أن يُحافظ الإنسان على نفسه.

قال الشيخ: "وهل يُمكن هذا؟!".

قال: ما جرَّبتُ!

قال الشيخ: "إن شاء الله ما تُجرِّب! هذه الشروط لا يمكن تَحقيقها؛ ونَحن نشاهد كثيرًا من الناس الذين كان لَهم منطلق فِي حياتِهم -على الأقل- فِي مظهرهم ... فِي لباسهم ... فِي لحيتهم .. حينما يدخلون ذلك المجلس -أي: مجلس البرلمانات- وإذا بظاهرهم تغيَّر وتبدَّل! وطبعًا هم يبرِّرون ذلك ويسوِّغونه: وأن هذا من باب المسايرة ...

فرأينا ناسًا دخلوا البرلمان باللباس العربي الإسلامي، ثُمَّ بعد أيام قليلة غيَّروا لباسهم وغيَّروا زيَّهم!! فهذا دليل الفساد أو الصلاح؟!".

قال السائل: الشيخ يعني الإخوة فِي الجزائر وعملهم هذا ودخولهم المعترك السياسي؟

قال الشيخ: "ما ننصح! ما ننصح فِي هذه الأيام بالعمل السياسي فِي أي بلد من بلاد الإسلام...".

وفِي السلسلة نفسها برقم (١/٣٥٣) قال الشيخ: "ولهذا فأنا لا أقول كما قلتُ آنفًا: لا أرى الجهاد، بل أحذِّر من الجهاد؛ لأن الوسائل النفسية والمادية لا تساعد المسلمين على القيام بأي =

❊ أقول: فالصدق الصدق -يا سلمان!- قبل يوم تعذر الاعتذار، قال الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة:١١٩].

قال سلمان: "وكذلك اجتمعنا مع سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز منذ زمن من منذ نحو شهرين- وكان الشيخ متعاطفًا معهم، وحدثنا أنه يهمُّ بإرسال رسالة إليهم لتأييدهم والدعاء لَهم، ودعوة المسلمين إلَى تأييدهم، وذلك قبل أن يَجري ما جرى، ولكنني علمتُ فيما بعد أن الشيخ لَمْ يفعل ذلك لبعض الأسباب الخاصة!!".

❊ النقد: إن ما نقلته عن الشيخ هنا لا يستدعي النقد، لأنك نقضت أوله بآخره فلم تأت بشيء، وأستدرك هنا فأقول: لَمْ تأت بشيء من العلم، وإلا فقد أتيت عظائم، لأنك تنسب ما لا حقيقة له إلَى العلماء، وأي علماء! لا تُغفِل -يا سلمان!- أنك تتحدث عمن حمى الله بِهم دعوة السلف؛ لا تُغفِل -يا سلمان!- أنك تتحدث عمن لا يُعرف لَهم نظير فِي العالَم الإسلامي؛ لا تُغفِل -يا سلمان!- أنك تُخبر عمن قيَّض الله لفتاواهم نقلة أمناء، ينفون عنهم تزوير المزوِّرين، وتَحريف الغالين.

لو رأيتنا -يا سلمان!- ونحن نتردد على الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز -رحِمه الله- ثلاث مرات؛ نسأله عن أوضاع الجزائر، وفِي كل مرة لا يزيد على قوله: "الله

جهاد فِي أي مكان كان ...".

وقال: "نحن ننكر تَحزب المسلمين فِي دائرة الإسلام؛ فأن يكون حزب إسلامي يسمى كذا، وحزب إسلامي يسمَّى كذا، هذا التحزب -مع أنَّهم جميعًا يعملون فِي دائرة الإسلام وفِي صالح الإسلام والله أعلم بِما فِي نفوسهم- مع ذلك فنحن لا نرى أنه يَجوز لدولة مسلمة أن تسمح لمثل هذا التكتل وهذا التحزب، ولو فِي دائرة الإسلام؛ لأن هذا ليس من صنيع المسلمين، بل هو من عادة الكافرين، ولذلك قال رب العالمين: ﴿وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢]".

أعلم، حتَّى تنظر اللجنة الدائمة للإفتاء".

❊ **قلت:** الله أكبر! هذا ورع مفتي المسلمين، بل هذا هو العلم، قال ابن مسعود ﷺ: «يا أيها الناس! اتقوا الله، من عَلِم منكم شيئًا فليقل به، ومن لَمْ يعلم، فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله ﷻ قال لنبيِّكم ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٩]»[1].

ثُمَّ أبى الله ﷻ إلا أن يتم نوره ولو كره المهرِّجون، وكما بينت آنفًا تكذيب العلامة الألباني لما نسبه إليه سلمان، أبيِّن الآن تكذيب الشيخ ابن باز لما نسبه إليه هو نفسه؛ فقد سئل بمكة يوم (٢٦) من ذي الحجة (١٤١٤هـ) - وهو مسجل في التوعية الإسلامية- عما يأتي:

السؤال الأول:

الجماعة الإسلامية المسلحة بالجزائر قوّلتكم أنكم تؤيدون ما تقوم به من اغتيالات للشرطة وحمل السلاح عمومًا، هل هذا صحيح؟ وما حكم فعلهم مع ذكر ما أمكن من الأدلة، جزاكم الله خيرًا؟

❊ **الجواب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز:**

"بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه. أما بعد:

فقد نصحنا إخواننا جميعًا في كل مكان -أعني الدعاة- نصحناهم أن يكونوا على علم وعلى بصيرة، وأن ينصحوا الناس بالعبارات الحسنة والأسلوب الحسن والموعظة الحسنة، وأن يُجادلوا بالتي هي أحسن، عملاً بقول الله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]. وقوله سبحانه: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦].

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٨/٣٧٠ رقم ٤٧٧٤-الفتح)، ومسلم (٤/٢١٥٥ رقم ٢٧٩٨).

فالله -جل وعلا- أمر العباد بالدعوة إِلَى الله وأرشدهم إِلَى الطريقة الحكيمة، وهي الدعوة إِلَى الله بالحكمة -يعنِي: بالعلم- قال الله ... قال رسوله ... وبالموعظة الحسنة وجدالهم بالَّتِي هي أحسن، عند الشبهة يَحصل الجدال بالتي هي أحسن والأسلوب الحسن حَتَّى تزول الشبهة.

وإن كان أحد من الدعاة فِي الجزائر قال عني: قلت لَهم: يغتالون الشرطة أو يستعملون السلاح فِي الدعوة إِلَى الله هذا غلط ليس بصحيح بل هو كذب!

إِنَّما تكون الدعوة بالأسلوب الحسن: قال الله.. قال رسوله.. بالتذكير والوعظ والترغيب والترهيب، هكذا الدعوة إِلَى الله كما كان النَّبِي ﷺ وأصحابه فِي مكة المكرمة قبل أن يكون لَهم سلطان، ما كانوا يدعون الناس بالسلاح، يدعون الناس بالآيات القرآنية والكلام الطيب والأسلوب الحسن؛ لأن هذا أقرب إِلَى الصلاح، وأقرب إِلَى قبول الحق.

أما الدعوة بالاغتيالات أو بالقتل أو بالضرب فليس هذا من سنة النَّبِي ﷺ ولا من سنة أصحابه، لكن لَما ولاه الله المدينة وانتقل إليها مهاجرًا كان السلطان له فِي المدينة، وشرع الله الجهاد وإقامة الحدود، جاهد -عليه الصلاة والسلام- المشركين، وأقام الحدود بعدما أمر الله بذلك.

فالدعاة إِلَى الله عليهم أن يدعو إِلَى الله بالأسلوب الحسن: بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وإذا لَمْ تُجدِ الدعوة رفعوا الأمر للسلطان ونصحوا للسلطان حَتَّى ينفذ، السلطان هو الذي ينفذ، يرفعون الأمر إليه فينصحونه بأن الواجب كذا.. والواجب كذا .. حَتَّى يَحصل التعاون بين العلماء وبين الرؤساء من الملوك والأمراء ورؤساء الجمهوريات، الدعاة يرفعون الأمر إليهم فِي الأشياء الَّتِي تحتاج إِلَى فعل: إِلَى سجن، إِلَى قتل، إِلَى إقامة حد، وينصحون ولاة الأمور ويوجّهونَهم إِلَى الخير بالأسلوب الحسن والكلام الطيب، ولِهذا قال -جل وعلا-: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ

﴿الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦]. فلو ظلم أحد من أهل الكتاب أو غيرهم فعلى ولي الأمر أن يعامله بما يستحق.

أما الدعاة إلى الله فعليهم بالرفق والحكمة؛ لقول النبي ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزَع من شيء إلا شانه**»[1]. ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «**من يُحرَم الرفق يُحرم الخير كله**». فعليهم أن يعظوا الناس ويذكروهم بالآيات والأحاديث ومن كان عنده شبهة يجادلونه بالتي هي أحسن: الآية معناها كذا .. الحديث معناه كذا .. قال الله كذا .. قال رسوله كذا .. حتَّى تزول الشبهة وحتَّى يظهر الحق.

هذا هو الواجب على إخواننا في الجزائر وفي غير الجزائر، فالواجب عليهم أن يسلكوا مسلك الرسول -عليه الصلاة والسلام- حين كان في مكة والصحابة كذلك، بالكلام الطيب والأسلوب الحسن؛ لأن السلطان ليس لَهم الآن بل لغيرهم، وعليهم أن يناصحوا السلطان والمسئولين بالحكمة والكلام الطيب والزيارات بالنية الطيبة حتَّى يتعاونوا على إقامة أمر الله في أرض الله، وحتَّى يتعاون الجميع في ردع المجرم وإقامة الحق؛ فالأمراء والرؤساء عليهم التنفيذ، والعلماء والدعاة إلى الله عليهم النصيحة والبلاغ والبيان، نسأل الله للجميع الهداية".

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

السؤال الثاني:

قامت الجماعة الإسلامية المسلحة بتهديد أئمة وزارة الشئون الدينية بالجزائر، الذين لا يصرحون بسب الحكام على المنابر؛ إما توقيف صلاة الجماعة والجمعة وإما القتل بحجة أنه موظف لدى الطواغيت، وقد نفذوا القتل في مجموعة من الأئمة الذين لَمْ يستجيبوا لَهم كما تعطلت صلاة الجماعة في بعض المدن فما حكم هذا الفعل؟

---

(١) رواه والذي بعده مسلم.

❊ الجواب: "ما يصلح هذا! هذا أيضًا غلط، هذا ما يصلح! الواجب على الدعاة أن ينصحوا الناس بالكلام الطيب، ينصحوا الخطباء وينصحوا الأئمة حَتَّى يستعملوا ما شرع الله، أما سب الأمراء على المنابر فليس من العلاج، فالعلاج الدعاء لَهم بالهداية والتوفيق وصلاح النية والعمل وصلاح البطانة، هذا هو العلاج؛ لأن سبهم لا يزيدهم إلا شرًا، لا يزيدهم خيرًا، سبهم ليس من المصلحة، ولكن يُدعى لَهم بالهداية والتوفيق والصلاح حَتَّى يقيموا أمر الله فِي أرض الله، وأن الله يصلح لَهم البطانة أو يبدلهم بِخير منهم إذا أبوا، أن يصلحهم أو يبدلهم بخير منهم، أما سبهم ولعنهم أو سب الشرطة أو لعنهم أو ضربُهم أو ضرب الخطباء كل هذا ليس من الإسلام!

الواجب النصيحة والبلاغ والبيان، قال الله -جل وعلا-: ﴿هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٥٢]. فالقرآن بلاغ والسنة بلاغ، قال -جل وعلا-: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]. قال -جل وعلا-: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ﴾ [إبراهيم:٤٤]. ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود:١٢].

فالعلماء هم خلفاء الرسل، ينذرون الناس، ويُحذرونَهم من عقاب الله، ويرشدونَهم إلَى طاعة الله، ويأمرونَهم بتقوى الله، ويُحذرونَهم من معاصي الله، وينصحون ولاة الأمور من الأمراء وغيرهم، ينصحونَهم يوجهونَهم إلَى الخير ويدعون لَهم بالهداية، لأن هذا أقرب إلَى النجاح وأقرب إلَى الخير حَتَّى تنتشر الدعوة، وحَتَّى يتفقه الناسُ فِي الدين، وحَتَّى يعلموا أحكام الله، أما إذا عوملوا بالضرب أو بالوعيد للخطباء وغيرهم كان هذا من أسباب ظهور الشر وكثرة الشر وقلة الخير، لا حول ولا قوة إلا بالله! نعم".

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

السؤال الثالث:

كما قامت هذه الجماعة بقتل بعض النساء اللائي أبين ارتداء الحجاب، فهل يسوغ لَهمْ هذا؟

❋ الجواب: "هذا أيضًا غلط، لا يسوغ لَهم هذا، الواجب النصيحة، النصيحة للنساء، حَتَّى يَحتجبن والنصيحة لمن ترك الصلاة حَتَّى يصلي، والنصيحة لمن يأكل الربا حَتَّى يدع الربا، والنصيحة لمن يتعاطى الزنا حَتَّى يدع الزنا، والنصيحة لمن يتعاطى شرب الخمر حَتَّى يدع شرب الخمر، كل يُنصح، ينصحون: قال الله .. وقال رسوله .. بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويحذرونَهم من غضب الله ومن عذاب يوم القيامة.

أما الضرب أو القتل أو غير ذلك من أنواع الأذى فلا يصلح للدعاة، هذا ينفر من الدعوة، ولكن على الدعاة أن يتحلوا بالحلم والصبر والتحمل والكلام الطيب فِي المساجد وفِي غيرها، حَتَّى يكثر أهل الخير، ويقل أهل الشر، حَتَّى ينتفع الناس بالدعوة ويستجيبوا".

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

السؤال الأخير:

يا شيخ! سؤال أخير -بارك الله فيكم-: لعل بعض الإخوة ممن يميل إلَى السلفية، ويحب العلماء يصغي إلَى كلام العلماء، فماذا تنصحون من تورط فِي هذه الاغتيالات أو شيء من هذا يا شيخ؟

❋ الجواب: "أنصحهم بالتوبة إلَى الله، وأن يلتزموا الطريقة الَّتِي سار عليها السلف الصالح، بالدعوة إلَى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتِي هي أحسن، الله يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [فصلت:٣٣]. فلا يورطون أنفسهم فِي أعمال تسبب التضييق على الدعوة وإيذاء الدعاة وقلة العلم،

لكن إذا كانت الدعوة بالكلام الطيب والأسلوب الحسن كثر الدعاة وانتفع الناس بِهم، وسمعوا كلامهم، واستفادوا منهم، وحصل فِي المساجد وفِي غير المساجد الحلقات العلميّة والمواعظ الكثيرة؛ حَتَّى ينتفع الناس.

الله يهدي الجميع، نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق". اهـ.

❋ نصيحة:

إِنَّنِي أهتبلها فرصةً لإسداء النصح الخالص للأخ سلمان العودة خاصة، ولسائر إخواني المسلمين عامة، أن يتدبَّروا سبب تورُّطهم فِي مثل هذا الكذب على أهل العلم، كالكذب هنا على الشيخين ابن باز والألباني فِي ادِّعاء تأييدهما لثورة الجزائر الحديثة!

ألا وهو الدين الحركي الذي أحدثه "الإخوان المسلمون"؛ لأن لهؤلاء قاعدة فِي استحلال الكذب لمصلحة الدعوة!!

وهذا يدلُّ على رقَّة الدين وضعف التوحيد، ولا غرو فِي ذلك؛ فإنَّ الحركيِّين لا يهتمون بالتوحيد، الذي هو أقوى زاجر عن مباشرة الموبقات.

وقد سبق لي أن بيَّنتُ كيف تمكَّن هؤلاء -أقصد الإخوان الوافدين- من قلوب شباب الجزيرة العربية، حَتَّى زهَّدوهم فِي علمائهم، وورَّطوهم فِي الوقوع فِي التكفير بالكبيرة من حيث لا يُحبُّون أن يُكفِّروا!!

وهأنتم هنا وقعتم فِي حبالِهم؛ فكلما أردتم تنفيقَ بضاعة ثورية نسبتم القول بِها إِلَى هؤلاء الأفاضل، ومثله فعلتم مع العلامة ابن عثيمين كما سيأتي.

وليست بأُولى الافتراءات عليهم؛ فإنَّ سلمان لَمَّا اخترع حكاية التفريق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة؛ ابتغاء صرف الشباب عن أهل الحديث الذين يُضايقون الحركيِّين، وأن يدخل من شاء من أهل البدع فِي الطائفة المنصورة، لَمْ يَجد بُدًّا من أن يقول: وافقني على ذلك الشيخ عبد العزيز بن باز!!

هذا الذي اضطر الشيخ إِلَى أن يُكذّبه!

فماذا استفاد سلمان؟!

ولَمَّا قامت فتنة معروفةٌ بين بعض العلماء السلفيِّين وبعض الشباب الحركي، قام الشيخ ابن باز بإلقاء كلمة إصلاح عامة سُمِّيت "البيان"، فإذا بالأخ سلمان يطير بها -مع أولئك الشباب سفر وعائض والعمر- ليُوهِموا الناس أن الشيخ معهم على أولئك العلماء! وأنه يقصدهم بالرد!! وجمعوا بين كلامه وكلامهم، بِحيث لا يشك أحد أن الأمر كان كما نسجته أيديهم!!

وقد استمعتُ إِلَى الشريط المسجَّل فِي ذلك، فاستغربتُ من جرأة هؤلاء الناشئة على أهل العلم فِي وصفهم لَهم بالنفاق! وتسمية بعضهم -لعلماء المدينة النبوية- بالمرجفين فِي المدينة...!! وغيرها من الكلمات الشديدة الَّتِي لو كان صاحبُها فِي حالة صحو لأيقن أنه فِي سكر الهوى![1].

وقد سئل الشيخ ابن باز عن مراده بالبيان الصادر عن سماحته فِي تاريخ (٢٨/ ٧/١٤١٢هـ).

* فاجاب بقوله: ".. فالبيان الذي صدر منا المقصود منه دعوة الجميع: جميع الدعاة والعلماء إِلَى النقد البنَّاء، وليس المقصود إخواننا أهل المدينة من طلبة العلم والمدرِّسين والدعاة، وليس المقصود غيرهم فِي مكة أو الرياض أو فِي جدة، وإنَّما المقصود العموم.

وإخواننا المشايخ المعروفون فِي المدينة ليس عندنا فيهم شك، هم أهل العقيدة الطيبة، ومن أهل السنة والجماعة، مثل الشيخ مُحمَّد أمان بن علي، ومثل الشيخ ربيع بن هادي، أو مثل الشيخ صالح بن سعد السحيمي، ومثل الشيخ فالح بن نافع، ومثل الشيخ محمد بن هادي، كلهم معروفون لدينا بالاستقامة والعلم والعقيدة الطيِّبة ..."

(١) وكرَّر ذلك سلمان فِي شريط: تحرير الأرض أم تحرير الإنسان؟

من شريط بعنوان: توضيح البيان.

فماذا استفاد الأخ سلمان ومن معه من ذلك سوى قول الشيخ عقب كلامه السابق: "ولكن دعاة الباطل وأهل الصيد فِي الماء العكر هم الذين يشوِّشون على الناس، ويتكلَّمون فِي هذه الأشياء، ويقولون: المراد كذا وكذا! وهذا ليس بِجيِّد؛ الواجب حملُ الكلام على أحسن المحامل". من المصدر السابق.

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصِّدق؛ فإن الصدق يهدي إِلَى البرِّ، وإن البر يهدي إِلَى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق، ويتحرَّى الصدق، حَتَّى يكتب عند الله صدِّيقًا، وإيَّاكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إِلَى الفجور، وإن الفجور يهدي إِلَى النار، ولا يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب، حَتَّى يكتب عند الله كذَّابًا». رواه البخاري ومسلم.

قال ابن القيم فِي بيان أسباب قبول التأويل الفاسد:

"السبب الثالث: أن يعزو المتأوِّل تأويله إِلَى جليل القدر، نبيل الذِّكر من العقلاء، أو من أهل بيت النَّبِي ﷺ، أو من حصل له فِي الأمة ثناء جميل ولسان صدق، لِيُحلِّيه بذلك فِي قلوب الجُهَّال، فإنه من شأن الناس تعظيم من يعظم قدره فِي نفوسهم...

فانتموا إليهم، وأظهروا من مَحبَّتهم وإجلالهم وذكر مناقبهم ما خُيِّل إِلَى السامع أنَّهم أولياؤهم، ثُمَّ نفقوا باطلهم بنسبته إليهم"[1].

قال سلمان: "والجبهة -فِي حقيقة الأمر- ما كانت مؤيِّدة للعراق!!".

* النقد: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء:٣٦].

أما سمعت أو رأيت فِي الرائي والجرائد الكثيرة علي بن حاج فِي بدلة عسكرية إفرنجية، ومعه مُحمَّد سعيد الونّاس والهاشمي سحنوني وغيرهم، يسوقون قطيعًا كبيرًا من الأتباع الحاملين العلم العراقي متوجّهين إِلَى وزارة الدفاع بالجزائر، طالبين السلاح

(١) مختصر الصواعق (١/٩٠).

للقتال مع العراق؟! رافعين أصواتهم بهتافات السب للسعودية والكويت؟! ومنهم من كان يَحمل صورة الخميني؟!!

أما سمعت بالجيش الغفير الذي بعثته جبهة الإنقاذ إلى العراق للجهاد تحت راية صدام؟!

لَمْ أكن أدري -يا سلمان!- أن غفلتك عن واقع الجزائر بلغت بك هذا الحد! أما تدري أن هذا الجيش -عند مروره بالأردن- صلى الجمعة بمسجد خطب فيه أسعد التميمي، ووصف يومها الشيخ ابن باز -في خطبة نارية تهجميا- بأعمى البصر والبصيرة، بل بالكفر المخرج من الملة بزعم موالاة الكفار!!

ولَمْ ينكر ذلك أحد بتصريح أو كتابة .. لا الناطق الرسمي للجبهة ولا نائبه! بل تغدى جمع من "الجيش الإسلامي!" عنده في انبساط وغرور كبير، ووقع في تلك الغزوة!! من منكرات سرقات الأموال وغيرها ما لا أحب ذكره. أخبرنا به أعضاء الجبهة أنفسهم حين تنبهوا، وهو خبر متواتر بالجزائر، على الرغم من تواصي مسئوليهم بالكتمان.

أما سمعت -يا سلمان!- خطبة علي بن حاج في أول جمعة ألقاها بعد رجوعه من رحلته هذه -أيَّام الاحتلال العراقي للكويت- في مسجد السنة بباب الوادي، وأول درس ألقاه في اليوم نفسه بين المغرب والعشاء في مسجد الشافعي بالحرَّاش بالجزائر العاصمة؟

لقد وصف مشايخ السعودية -بدون استثناء- بعلماء البلاط، ولعله نسي أن يستثنيك منهم فاعذره!!

وقال مُخاطبًا لَهم بلهجة شديدة -ما معناه-: "أنتم تتورّعون من التكفير؛ لأنكم تزعمون أنكم أتباع الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب، فلماذا في قضية الخليج صرتم تكفرون صدَّامًا؟!".

وقنت فِي صلاة الجمعة ودعا فيها للعراق بالنصر، ودعا على آل صباح وآل سعود بالهلكة، وكان من دعائه المسجوع: اللهم عليك باليهود، وآل سعود!! وبكى بكاءً شديدًا وناح، تَحول فيه المسجد كله إِلَى نَحيب وعويل، أشد مِمَّا عرف عن الشيعة عند حسيْنياتهم!

كل هذا مسجل فِي أشرطة يوزِّعونَها.

وقال فِي الشريط نفسه: "عندي حل: فِي هذا الحج نَمشي جَميعًا إِلَى البيت الحرام، ونعتصم به فلا نَخرج حَتَّى تَخرج أمريكا من الخليج وآل سعود!!". أو كلمة نَحوها[1].

وكذب عندها على الشيخ الألبانِي حين نسب إليه تراجعًا عن فتياه فِي قضية الخليج! وأن الشيخ الآن يرى وجوب الخروج إِلَى العراق لنصرتِهم، وأطلقَ الأمر هكذا ليوهم أنه ناقش الشيخ حَتَّى أقنعه بوجوب القتال مع العراق! فكيف إذا جمعك الله به عنده: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطلاق:٩].؟!

ثُمَّ ساق قطعانه إِلَى العراق بِهذا التمويه، الذي كان من أكبر أسباب نفير كثير من السلفيين معه إِلَى العراق؛ استبعادًا منهم لكذبه، كما أن كذب سلمان العودة على الشيخين الألبانِي، وابن باز -المنقول آنفًا- كان سببًا فِي انْخراطهم فِي صفوف جبهة الإنقاذ، قال الله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة:٧٨].!

وأزيدك علمًا بأن خطبته هذه نقلت مباشرة بالتلفزيون العراقي، وفيها شبه ابن حاج صدَّامًا بِخالد بن الوليد! ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

---

(١) وقد كلمنا -يومها- الشيخ الألبانِي فزعًا؛ وأخبرنا أن ابنه سمع هذا من إذاعة إسرائيل، وسألنا عن صدقه، وأمرنا بقوة أن نتصدى لِهذا الشاب كي لا يُلحد فِي الحرمين الشريفين، جزاه الله خيرًا.

فهل فقهت هذا الواقع يا سلمان؟!

قال سلمان: "مِمَّا تُتَّهم به جبهة الإنقاذ أنَّها تثير الفتن وتدعو إِلَى العنف .. عجيب...! جبهة الإنقاذ ... لا زالت تملك نفسها تدعو الناس إِلَى الصبر ... لا تُصغ إِلَى هذا الكلام ...".

❊ النقد: مسكين أنت -يا سلمان!- إذ تقول هذا الكلام عقب قول بعض دعاة الجبهة: "إن دم الرئيس الشاذلي حلال!" فِي خطاب عام بساحة أول ماي بالعاصمة أيام الإضراب، وجُنْدُ الرئيس يلاحظون ويسمعون من قرب!

وقال عباسي مدني -واعْجَبْ مِمَّا قال، ولا عليك إن أنكرت عقلك-: "لو وقع انقلاب للحكومة الحالية(١) لخرجنا نساءً وأطفالاً ورجالاً و... وأعلنا الجهاد!!".

لقد خسرت الجبهة كثيرًا من المسئولين لما رأوا منها تركيزها على العنف من أول يوم، بل لَمْ تعرف الهدوء قط إلا حين فازت بالانتخابات البلدية، فأضحى دعاتُهم -الذين أنشئوا حزبَهم هذا على التكفير للحكومة إِلَى أقصى حد- يقولون: "أخطر شيء على الدعوة جماعة التكفير!".

حَتَّى علي بن حاج الذي قلنا له مرارًا: "احذر جماعة التكفير وحذر منهم!" فكان يقول: "بل هم إخواننا قد قاموا فِي وجه الطاغوت!".

فلما تفتحت الحكومة مع الجبهة بعد تلك الانتخابات، وكفرته هذه الجماعة تبرم لَها، فما أعز المخلصين للدين فِي دفاعهم عنه، لا عن النفس!

كيف تدعي -يا سلمان!- أنَّها لَمْ تقُم على العنف، وقد كتب سعيد مَخلوفي أحد المشبوهين من رءوس الجبهة- كتاب: "العصيان المدني"، جمع فيه بين الطريقة الشيوعية والطريقة الديمقراطية فِي الانقلابات من "التحزب والاعتماد والانخراط والترشيح والدعاية والمظاهرة والتجمع والمسيرة والورقة السياسية والاعتصام بالساحات العامة

---

(١) حكومة الشاذلي بن جديد آنذاك.

والإضراب بكل أشكاله: أي: عن الطعام وعن العمل .. والخروج ...؟"

وقد أشاد بفضل هذا الكتاب علي بن حاج فِي أول درس ألقاه فِي مسجد الشافعي -الذي سبق ذكره- بعد قفوله من "غزوة العراق!"، وخاطب فيه مَجلس القضاء: "بأنه مقرٌّ بكل ما فيه! فإن حاكمتم مؤلفه فحاكموني معه!"، وأخذت الجبهة تشُقُّ طريقها على ما رسمه لَها هذا المؤلِّف.

فكيف يُزعَم أن الجبهة ما لجأت إلَى العنف إلا مضطرة، أي حين أقصيت من الانتخابات، وقد أُلِّف هذا الكتاب قبل الإقصاء؟! الأمر الذي يدلّ على أنّهم كانوا يُعدون للعنف عدته من أول يوم.

ثُمَّ هل تدري -يا سلمان!- أن الجماعة الإسلامية المسلحة منعت صلاة الجمعة فِي بعض المساجد، وأرسلت إليها بيانًها تقول فيه: "تُتْرَك صلاة الجمعة حتَّى يسقط النظام وإلا ....!"، وفِي بعض النسخ: "والجماعة أيضًا!!".

وقد تعطّلت الجمعة فِي كل مساجد ولاية "البويرة" من الأسبوع الثانِي لشهر شعبان (١٤١٤هـ)، ومن قبلها فِي مدينة "الأخضرية"، وبعدها فِي مدينة "القادرية" و"الخميس مليانة" و"برج منايل" بل وفِي بعض المساجد الكبيرة فِي العاصمة وغيرها ...

وهكذا الضلال يَجُرُّ بعضه بعضًا؛ وكذلك كان ضلال الخوارج والشيعة الروافض فِي ترك الجمعة والجماعة!

كما أنّهم قتلوا بعض الأئمة الرسميين على الرغم من أنه لا علاقة لَهم بالسياسة لا من قريب ولا من بعيد!

أما تَهديد الدعاة السلفيين بالقتل فهذا أشهر من أن يذكر.

والله وحده المستعان على ما تصف به الجبهة بأنّها سلفية يا سلمان[1]!

---

(١) إنّهم استحلوا دماء هؤلاء الدعاة السلفيين! لأنّهم لَمْ ينخرطوا فِي جبهة الإنقاذ، ولا يرون التحزّب! حتّى أضحى أكثرهم لا يستطيع أن يصلي الفجر والمغرب والعشاء فِي المسجد يخاف =

على نفسه الاغتيال، لا يخاف من جند الدولة بقدر ما يخاف من جند "إخوة الإسلام!!" حتَّى قال بعضهم: "لقد صرنا كالمنافقين في ترك الفجر والعشاء مع الجماعة!" فهل تتحمل نتائج تحريضك هذا؟ قُرَى لا تُصلَّى فيه الجمعة! ودعاة حجبوهم في بيوتهم أو شردوهم في الأرض تيهًا، ومنعوهم من تعليم الناس دينهم! وآخرون ذبَحوهم؛ لأنَّهم لَمْ يستجيبوا لَهم! بدءًا بمذبَحة "بو سليماني" الرجل الثاني عند الإخوان، والدعاة والخطباء السلفيين أمثال مُحمَّد الأمين الجلفاوي وعباس طيبون بمدينة "بلعباس"، والخطيب عبد القادر مختاري يقتله بعضُ تلاميذ حلقات إقرائه بعد التمثيل به!! وغيرهم كثير جدًّا... وإِلَى اليوم يسقط السلفيون على أيدي هؤلاء واحدًا بعد الآخر، فأي يوم ينتظر هذه الأمة إذا هلك معلِّموها؟! ونساء متبرجات قتلن لأنَّهن أبين ارتداء الحجاب ليكنّ عبرة للأخريات! وموظفون في الضرائب والجمارك وباعة السجائر ترسل إليهم خطابات التهديد بالقتل إن واصلوا عملهم!

والغريب، أن من أخذته الدولة للخدمة العسكرية لأداء ما يُسمى بـ"الخدمة الوطنية" يُقتل من قبل هذه الجماعة بلا استتابة! ولو كان مُكرَهًا!! ولو كان صوامًا قوامًا نائيًا يرابط عند الثغور!! وأعرف منهم من له يد بيضاء في الدعوة السلفية، لا يخرج الآن من بيته لا إِلَى جماعة ولا إِلَى جمعة بعد أن أنْهَى خدمته العسكرية! وآخرين خرجوا من البلاد مباشرة: من الثكنة إِلَى المطار! ومنهم من قتل أباه بحجة أنه كان يؤوي ابنه في إجازته العسكرية!! وسلفيون لَمْ يشاركوا ببنت شفة في التحزب والقتال هم الآن في غياهب سجون النظام؛ لأن "مُجاهدي الجبهة!" يتعمَّدون الوشاية بهم ليستروا أصحابَهم لأدنى مضايقة تقع! بل أعرف منهم من يتقصد بيوت السلفيين لإجراء العمليات المسلحة عندها حتَّى يورطهم!! وكذا قتل الرضيع وهو يلقم ثدي أمه!!! بزعم أن هذا الشعب صار كافرًا لموالاته النظام!.

ولئن زعموا أنَّها تصرفات فردية!

قلنا: إذن فصفوفكم مهزوزة، فأي جهاد هذا؟!

ثُمَّ لعلك -يا سلمان!- لَمْ تكن تتصور هذا؟ لأنك لست عالِمًا حتَّى تتصوره كما تصوره الشيخ الألباني، والشيخ ابن باز وغيرهما ممن ينطق بحكمة الشارع، لا بلطمة السوقة وخناق الواقع، فليتك لَمْ تقحم نفسك فيما هو أكبر منك.

قال ابن تيمية موضحًا أن العالم المتبحر هو وحده القادر على بيان وقت وجوب الجهاد من عدمه:
"وفي الجملة فالبحث في هذه الدقائق من وظيفة خواص أهل العلم .." منهاج السنة (٥٠٤/٤).
* **قلت:** ولذلك فإن اعتماد الشباب اليوم على فتاوى طلبة العلم في أبواب الجهاد، أو ما يسمونه: (قضايا مصيرية) من أعظم الغبن؛ لأنهم لا يفعلون هذا إلا لسوء ظنهم بحملة الشريعة، وقد قيل: إن من إجلال الشريعة إجلال أهل الشريعة، ولأنهم إذا فعلوا ذلك أحدثوا في الأمة ما لا قبل لهم به، وقد قيل: من استعان بأصاغر رجاله على أكابر أعماله فقد ضيَّع العمل وأوقع الخلل.

لعلك لا تدري -يا سلمان!- أن علي بن حاج كتب في هذه المدة الأخيرة كتابًا سماه: "فصل الكلام في مواجهة ظلم الحكام"، ذكر في آخر صفحة منه أنه لو كان خارج السجن لكان جنديًّا بسيطًا تحت إمارة عبد القادر شبوطي! يقصد أمير الجبهة المسلحة كما يقال!! ما أتعس الجهل! وما أتعس من لا يفكر في عواقب ما يقول!

ولئن قلت -كما قيل-: لعل هذه التصرفات من قبل النظام نفسه لتشويه الدعوة؟

قلنا لك:

- لعل هذه تقابلها لعل أخرى، هذا أولاً.

وثانيًا: من فتح الباب للنظام حتى يشوه الدعوة؟ لماذا لَمْ يستطع ذلك ولَمْ يفعله أيام كانت الدعوة تعرف أين تضع خطاها؟! لو لَمْ تُسمعوا الناس في خطبكم أنكم ستقاتلون الممتنعين من الشرائع -وتهديدات علي بن حاج نفسه معروفة- ما كان للنظام سبيل إلى تشويه دعوتكم، وإلا فهو تعاون منكم مع النظام على الإثم والعدوان من حيث لا تشعرون، وهو دليل على غفلتكم؛ لأنكم استُغللتم، فاختاروا! وقد قيل: لا تفتح بابًا يُعييك سدُّه، ولا ترْم سهمًا يُعجزك ردُّه!

وثالثًا: لو لَمْ يكن لهذه التصرفات أصل عند الجبهة المسلحة فما الذي يمنعها من الإنكار، وهي تملك "إذاعة الوفاء"، بل تصرح فيها بأنها مسئولة عن كثير منها، بل وتُهدد أيضًا بالقتل وتأمر به.

والذي يدلك -أخي القارئ- على أن هذه التصرفات صادرة عن قناعة من زعماء جبهة الإنقاذ وليست مِمَّا تفرد به "الجماعة المسلحة"، قول زعيمهم الذي لا يُشق له غبار علي بن حاج في

رسالة سرية أرسلها إلى المجاهدين عامة والأمراء خاصة في ق (١):
"بسم الله الرحمن الرحيم إلى الإخوة القادة المجاهدين أجمعين دون استثناء، هذه رسالة نُصح في الله من أخيكم السجين أبي عبد الفتاح من زنزانة الظلم والطغيان رقم (٠٩) بالسجن العسكري البُليدة بتاريخ (٢٠ صفر ١٤١٥هـ): ... تعلمون جميعًا أنه قد كتبتُ مجموعة من الرسائل ... وضمنتُ تلك الرسائل نصائح في وحدة الصف، وأعلنتُ في بعضها مشروعية جهاد النظام القائم والمساندة للمجاهدين، ولم أفرق بين الجماعة المسلحة ولا جيش الإنقاذ ...".
بل صرح بأن التفريق بين جيش الإنقاذ والجماعة الإسلامية المسلحة لا حقيقة له فقال: "... لأن النظام الكافر وقوة المكر في الخارج تريد أن تفرق بين الجماعة الإسلامية المسلحة والجيش الإسلامي للإنقاذ، وهذا قمة المكر ...".
* **قلت:** فهل بقي لأحد مجال للتفريق بين الجيشين المذكورين وقد صرَّح رأسُ هذه الفتنة الحقيقي ومُمِدُّ هذه الجماعات في الغي من أول مهدها: علي بن حاج بأنَّهما جماعة واحدة؟
ثم أقول: إن عُشاق الثورات، ولاسيما المتظاهرين منهم بالحياد -كلما واجههم واقعٌ مرٌّ من مَخازي هؤلاء السفاكين للدماء- يحاولون إلصاق ذلك بالحكومة! ولا ريب أنه قد اندس في صفوف هذه جماعة من كبار المجرمين الشيوعيين، وأنه عند وقوع الفتن يُمكن أن يحدث كل شيء! وقد حدث ما يدل عليه، منه أن جماعة من الحاقدين على الإسلام استغلوا الوضع لحلق لِحَى المتديِّنين وخلع ثيابهم الإسلامية ومُحاولة القضاء على كل مظهر من مظاهر الإسلام؛ بزعم أنه مظهر أفغاني أو إيراني يُحدِث الرعب في الناس ...!! هذا مثال واحد، ومعه أشياء أخرى يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها، وما كل ما يعلم يقال وليست العبرة في سردها، وإنما العبرة في التأكيد على أن هذا أحدُ النتائج التي كان العلماء يُحذر منها في أبواب الخروج على الولاة، وأنه من النتائج الَّتي لا يُمكن ضبطها، وأن متولِّي كبرها هو أول من سنَّها، كما مر.
فإن لَمْ يكن لَهم أدلة على اتِّهام الدولة بذلك لجئوا إلَى إلصاقها بإحدى الجماعات الإسلامية ويصفونَها بالشذوذ حتى يَخدعوا السذج!! فإن أعياهم ذلك بأن فضحهم واحد منهم -كما فعل الهاشمي سحنوني منتقدًا، وكما فعل ابن حاج مفتخرًا كما سبق هنا- قالوا: هذه تصرفات فردية!! وهكذا ...

=

ثُمَّ أعود إِلَى رسالة هذا الشاب المذكور، فأقول: هذا تصريحه المجمل، وبأنبك الآن تصريحه المفصل الذي يدلك على أن علي بن حاج وراء الكثير من عمليات التحريق للمؤسسات العلمية والشركات التجارية والوزارات والنكسات الاقتصادية والاغتيالات للأجانب وغيرهم ...

قال فِي هذه الرسالة فِي ق (٣): "والنظام الكافر فِي الجزائر أقسى الضربات عليه هي ضرب القوات الأمنية كسلطة لا كأشخاص! وكذا عملاء بع ... (كلمة ممسوحة من الأصل) التثبت الشرعي!! وضرب الأجانب خاصة من فرنسا وضرب الاقتصاد وضرب السياحة؛ هذه مقاتل النظام وهنا تقع النكاية، ولا شك أن المسلمين يضربون هذه الأهداف وفِي ذهنهم التخطيط للإعمار والبناء إذا انتصروا!!! وليس هذا من التخريب!!".

* **تنبيهان:**

الأول: كان مكتوبًا في رسالته هذه رمز عملية زائد المعروف في لغة الحساب بعد كل فقرة من فقراتها الأخيرة، فاستعضت منه بواو العطف -كما تلاحظ- لأن ذلك الرمز الحسابي صليب وإن سموه بغير اسمه. فعن عائشة ﵂: «أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه». رواه أحمد (٦/٥٢، ٢٣٧)، والبخاري (٥٩٥٢)، ولا يزال علماؤنا على هذا؛ ولقد رأيتُ -يومًا- على مقدِّمة وكذا مؤخِّرة سيارة العلامة الأثري عبد العزيز بن باز صليبًا الذي زعم صانعوه أنه مُجرد رمز للشركة! فكان الشيخ كُلِّم فِي ذلك؛ لأنه كفيف -زاده الله بصيرة- فرأيته من غده يركب سيارته تلك وليس عليها شيء من رموز دين الكفار! فجزاه الله خيرًا، وهو معروف -رحمه الله- بسرعة الأوبة إِلَى الحق وتعظيم حرمات الله. كما ذكر لي الثقة أنه رآه يومًا وقد ابيضت لحيته، فقال له: "يا شيخ عبد العزيز! أين سنة النَّبِي ﷺ: الخضاب!!". قال: "فما مضت عليه ليلته إلا ولحيته حمراء تلألأ!!".

الثاني: لعلك -أخي القارئ- فهمت من قوله: "ضرب القوات الأمنية كسلطة لا كأشخاص" أنه يعني قتل المسئولين المباشرين للإجرام دون غيرهم من الذين هم أكلة خبز في وظيفتهم.

فأقول: إنه يعني قتل كل شرطي من غير استثناء، بدليل قوله في رسالته التِي وجهها إِلَى وزير الانصال -وقد سبق تصوير قطعة منها- في ق (٥٧): "فالمجاهدين (هكذا) الذين يقاتلون أعوان الظلمة لا يقاتلونهم لذوات أشخاصهم؛ ولكن لأنهم السياج الذي يحتمي به المستبد الطاغية، =

فالذين يقتلون أعوان الأمن والجيش والدرك يقاتلونهم بهذا الاعتبار، ولو تخلى هؤلاء عن الطواغيت لانهار كل طاغية مستبد".

* قلت: لا ريب حينئذ أن يكون نصيب كل شرطي الموت؛ لأن جميعهم سياج للمسئولين كما هو معلوم! ولذلك جاءت ثمرة هذه الكلمات أننا رأيناهم يقتلون بلا تمييز! بحسب كل شرطي من الإثم أن يلبس البدلة العسكرية، ولو كان يعمل في الأحوال المدنية كالبلدية وغيرها!! بل يكفي أنه كان منهم، فيقتلونه ولو تقاعد من زمن بعيد، ناهيك عن أنواع التعذيب عندهم؛ فلقد ذكر لنا من كان معهم ثم فارقهم أشياء يعجز القلم عن تدوينها ... وهذه -والله- من الدواهي التي تشيب منها الرءوس -وقد شابت!- ولولا أنّها أضحت عند جميع الشعب من الأخبار المتواترة لأمكن التكذيب أو إلصاقها بغيرهم، وأنّى هذا؟! وما من أحد إلا وهو يعرف من أقاربه أو من أصحابه من يباشر شيئًا من هذه الشناعات؟! وكم هم الذين تابوا من معارفنا فصدَّقوا هذا كله، بل زادوا عليه ...!!

ثُم أعود إليك -يا سلمان!- لأقول: كتبتُ هذا وأنا حسن الظن بك، ثُم إذا بظنّي يخيب حين وحدتك في شريط: مهرجان بريدة، تبارك هذه المجزرة الدموية التي ذهب الشعب الجزائري ضحيتها، حيث قلت بعد الربع الأول من الوجه الأول من الشريط الثاني: "أتدرون كم دفعت الجزائر كدولة وكأمة؟ كم دفعت ثمنًا للعدوان على رجال الإسلام: على عباسي مدني وعلى علي ابن حاج وعلى غيرهم من رموز الدعوة ورموز الإسلام؟ فقط عشرة آلاف قتيل!!! منهم الأجانب!!!".

* قلت: في هذا الكلام المتهافت أمران أحدهما يدل على الآخر، وهما:

الأول: أن سلمان ربط هذه التضحيات وهذا القتل بسبب إلقاء القبض على الدعاة الذين سمى، فإذا كانت هذه الآلاف مباركة لأنّها كانت في سبيل الدعاة! فلماذا لَم يربط تضحيتها بسبب إقصاء الشريعة من الحكم، مع أن هذا الداعي الأخير كان قائمًا قبل أن يولد هؤلاء المقبوض عليهم؟! لماذا لا يُتحدَّث عن التضحيات إلا حين يُقصَى الدعاة من ساحة الدعوة؟! فأين هذه التضحيات وقد أُقصيت الشريعة قبل ذلك؟! فعُلِم حينئذ أن هذه الدعوة دعوةٌ إِلَى تقديس العباد وأفكارهم لا تقديس دين رب العباد! ثُمَّ تضاعف هذا العدد اليوم أضعافًا مضاعفة! فأي قلب

هذا الذي يفرح لخراب ديار المسلمين؟! انظر هنا (ص:٤٣٦) تحسُّر الشيخ ابن عثيمين على هلاك هذه الآلاف الَّتي فرح بها سلمان، وطلب التأسي بها متمنيًا أن تكون أكثر كما رأيت!!
الثاني: لعلك لاحظت -أخي القارئ- أن سلمان يريد بهذا تحصين نفسه -إذا قبض عليه- بسد دموي أغزر من مَجزرة الجزائر، لأن هذه كان فيها "فقط عشرة آلاف قتيل!!" فهو لا يتكلم عن الجزائر إلا ليمثل بها لوضعه في السعودية، ودليلي عليه قوله بعده بقليل: "قضيتنا -أي: في السعودية- أكبر من هذا البلد -أي: الجزائر- ولكن هذا البلد أيضًا من ضمن قضايانا!!!".
* قلت: فتدبر! ولو ربط هذه الآلاف بإقصاء الشريعة من الحكم أو الانحراف عنها -في زعمه- لما فهم الأتباع ما يجب عليهم تجاه الدعاة !!! فتنبه! وقد قال رسول الله ﷺ: «.. ومن خرج من أمتي على أمتي يضرب برَّها وفاجرها؛ لا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي بذي عهدها، فليس مني». رواه مسلم.
هذا وقد بدا لي أن أنقل هاهنا قصة عن الخوارج الأوَّلين، وما عندهم من معتقد فاسد وعمل كاسد ومحنة للمسلمين؛ لأن كل من يقرؤها من أهل الجزائر يشعر أنه يقرأ ما يراه في بلده اليوم -مع الأسف- لا يكاد يجد فرقًا بينهم وبين أجدادهم، ولكل قوم وارث.
قال علي بن المديني: حدثنا هشام بن يوسف الصنعاني أبو عبد الرحمن قاضي صنعاء، قال: أخبرني داود بن قيس قال: "كان لي صديق من أهل بيت خَوْلان من حَضور يقال له: أبو شَمِر ذو خولان، قال: فخرجت من صنعاء أريد قريته، فلما دنوت منها وجدت كتابًا مختومًا في ظهره: "إلى أبي شمر ذي خولان"، فجئته فوجدته مهمومًا حزينًا، فسألته عن ذلك، فقال: قدم رسول من صنعاء، فذكر أن أصدقاء لي كتبوا إلي كتابًا فضيعه الرسول، فبعثت معه من رقيقي من يلتمسه من قريتي وصنعاء فلم يجدوه، وأشفقت من ذلك. قلت: فهذا الكتاب قد وجدته. فقال: الحمد لله الذي أقدرك عليه، ففضه فقرأه. فقلت: أقرئنيه. فقال: إنِّي لأستحدث سنك. قلت: فما فيه؟ قال: ضرب الرِّقاب. قلت: لعله كتبه إليك ناس من أهل حروراء في زكاة مالك؟ قال: من أين تعرفهم؟ قلت: إنِّي وأصحابًا لي نُجالس وهب بن منبه.
فيقول لنا: احذروا أيها الأحداث الأغمار هؤلاء الحروراء، لا يُدخلوكم في رأيهم المخالف، فإنَّهم =

غُرَّةَ هذه الأمة، فدفع إلي الكتاب فقرأته فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم إلى أبي شمر ذي خولان سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له، فإن دين الله رُشد وهدى في الدنيا، ونجاة وفوز في الآخرة، وإن دين الله طاعة، ومخالفة من خالف سنة نبيه وشريعته، فإذا جاءك كتابنا هذا فانظر أن تؤدي -إن شاء الله- ما افترض الله عليك من حقه، تستحق بذلك ولاية الله وولاية أوليائه، والسلام عليك ورحمة الله.

فقلت له: فإنِّي أنهاك عنهم، قال: فكيف أتبع قولك، وأترك قول من هو أقدم منك؟ قال: قلت: أفتحب أن أُدخلك على وهب بن منبه حتَّى تسمع قوله ويخبرك خبرهم؟ قال: نعم! فَنَزلت، ونزل معي إِلَى صنعاء، ثُمَّ غدونا حتَّى أدخلته على وهب بن منبه، ومسعودُ بن عوف والٍ على اليمن من قبل عروة بن مُحمَّد -قال علي بن المديني: هو عروة بن مُحمَّد بن عطية السعدي، ولاؤنا لَهم من سعد بن بكر بن هوازن- قال: فوجدنا عند وهب نفرًا من جلسائه، فقال لي بعضُهم: من هذا الشيخ؟ فقلت: هذا أبو شمر ذو خولان من أهل حَضور وله حاجة إِلَى أبي عبد الله، قالوا: أفلا يذكرها؟ قلت: إنَّها حاجة يريد أن يستشيره فِي بعض أمره، فقام القوم، وقال وهب: ما حاجتك يا ذا خولان؟ فهرج وجبُن من الكلام، فقال لي وهب: عبِّر عن شيخك. فقلت: نعم يا أبا عبد الله! إن ذا خولان من أهل القرآن، وأهل الصلاح فيما علمنا، والله أعلم بسريرته، فأخبرني أنه عرض له نفرٌ من أهل صنعاء من أهل حروراء فقالوا له: زكاتك الَّتِي تؤدِّيها إِلَى الأمراء لا تُجزي عنك فيما بينك وبين الله؛ لأنَّهم لا يضعونَها فِي مواضعها، فأدِّها إلينا؛ فإنا نضعها فِي مواضعها، نقسمها فِي فقراء المسلمين ونقيم الحدود، ورأيت أن كلامك يا أبا عبد الله! أشفى له من كلامي، ولقد ذكر لي أنه يؤدي إليهم الثمرة للواحد مائة فرق على دوابه ويبعث بِها مع رقيقه. فقال له وهب: يا ذا خولان أتريد أن تكون بعد الكبر حروريًا -يعني: خارجيًّا من الخوارج؟!- تشهد على من هو خير منك بالضلالة؟! فماذا أنت قائل لله غدًا حين يقفك الله ومن شهدت عليه؟! الله يشهد له بالإيمان، وأنت تشهد عليه بالكفر؟! والله يشهد له بالهدى، وأنت تشهد عليه بالضلالة؟! فأين تقع إذا خالف رأيُك أمر الله وشهادتُك شهادةَ الله؟! أخبرني يا ذا خولان! ماذا يقولون لك؟ فتكلم عند ذلك ذو خولان، وقال لوهب: إنَّهم يأمرونني =

أن لا أتصدق إلا على من يرى رأيهم، ولا أستغفر إلا له، فقال له وهب: صدقت، هذه مِحنتهم الكاذبة!

فأما قولهم في الصدقة فإنه قد بلغني أن رسول الله ﷺ ذكر أن امرأة من أهل اليمن دخلت النار في هرة ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، أفإنسان ممن يعبد الله ويوحِّده، ولا يشرك به شيئًا أحب إلَى الله من أن يُطعمه من جوع أو هرة؟! والله يقول في كتابه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾. يقول: يومًا عسيرًا غضوبًا على أهل معصيته لغضب الله عليهم، ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ﴾. حتَّى بلغ: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان:٨-١٩].

ثُمَّ قال وهب: ما كاد -تبارك وتعالى- أن يفرغ من نعت ما أعد لَهم بذلك من النعيم في الجنة.

وأما قولهم: لا يُستغفر إلا لمن يرى رأيهم! أهم خير من الملائكة؟ والله تعالى يقول في سورة: ﴿حم عسق﴾: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥]. وأنا أقسم بالله ما كانت الملائكة ليقدروا على ذلك ولا ليفعلوا حتَّى أُمروا به؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٧]. وأنه أُثبتت هذه الآية في سورة: ﴿حم عسق﴾. وفسرت في "حم" الكبرى؛ قال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر:٧]. الآيات، ألا ترى يا ذا خولان؟! أنِّي قد أدركت صدر الإسلام، فوالله ما كانت للخوارج جماعةٌ قط إلا فرقها الله على شرِّ حالاتِهم! وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه! وما اجتمعت الأمة على رجل قط من الخوارج! ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت السبلُ، وقُطع الحج عن بيت الله الحرام! وإذن لعاد أمر الإسلام جاهلية حتَّى يعود الناس يستعينون برءوس الجبال كما كانوا في الجاهلية، وإذن لقام أكثر من عشرة أو عشرين رجلاً ليس منهم رجل إلا وهو يدعو إلَى نفسه بالخلافة، ومع كل رجل منهم أكثر من عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضًا! ويشهد بعضهم على بعض بالكفر! حتَّى يُصبح الرجل المؤمن خائفًا على نفسه ودينه ودمه وأهله وماله، لا يدري أين يسلك أو مع من يكون؟! غير أن الله بحكمه وعلمه ورحمته نظر لهذه الأمة فأحسن النظر لَهم، فجمعهم =

وألف بين قلوبهم على رجل واحد ليس من الخوارج، فحقن الله به دماءهم، وستر به عوراتهم وعورات ذراريهم، وجمع به فرقتهم، وأمَّن به سبلهم، وقاتل به عن بيضة المسلمين عدوهم، وأقام به حدودهم، وأنصف به مظلومهم، وجاهد به ظالمهم، رحمة من الله رحمهم بها قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ إِلَى ﴿الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١]. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ حتَّى بلغ ﴿تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣]. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى ﴿الأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١]. فأين هم من هذه الآية؟! فلو كانوا مؤمنين لنصروا! وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣]. فلو كانوا جند الله غلبوا ولو مرة واحدة في الإسلام، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ حتَّى بلغ ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]. فلو كانوا مؤمنين نُصروا!، وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ حتَّى بلغ ﴿لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور:٥٥]. فأين هم من هذا؟! هل كان لأحد منهم قط أخير إِلَى الإسلام من يوم عمر بن الخطاب بغير خليفة ولا جماعة ولا نظر، وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح:٢٨]. وأنا أشهد أن الله قد أنفذ للإسلام ما وعدهم من الظهور والتمكين والنصر على عدوهم، ومن خالف رأي جماعتهم. وقال وهب: ألا يسعك يا ذا خولان! من أهل التوحيد وأهل القبلة وأهل الإقرار لشرائع الإسلام وسننه وفرائضه ما وسع نبي الله نوحًا من عبدة الأصنام والكفار إذ قال له قومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾ حتَّى بلغ ﴿تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء:١١١-١١٣]؟! أوَلا يسعك منهم ما وسع نبي الله وخليله إبراهيم من عبدة الأصنام إذ قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ حتَّى بلغ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦]؟!

أوَلا يسعك يا ذا خولان! ما وسع عيسى من الكفار الذين اتخذوه إلهًا من دون الله؟! إن الله قد رضي قول نوح وقول إبراهيم وقول عيسى إِلَى يوم القيامة ليقتدي به المؤمنون ومن بعدهم، يعني: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]. ولا يخالفون قول أنبياء الله ورأيهم فيمن يقتدي إذا لَمْ يقتد بكتاب الله وقول أنبيائه ورأيهم، واعلم أن دخولك عليَّ رحمة لك إن سمعت قولي وقبلت نصيحتي لك، وحجة عليك غدًا عند الله إن =

قال سلمان: "الجبهة الإسلامية فازت في الانتخابات البلدية، فدخلت مع الناس ... وأصبحت تجد رئيس البلدية يصلي بالناس إمامًا، ويتحدث معهم، ويعطيهم

تركت كتاب الله وعُدت إلَى قول حروراء.

قال ذو خولان: فما تأمرني؟ قال وهب: انظر زكاتك المفروضة، فأدِّها إلَى من ولاه الله أمر هذه الأمة وجمعهم عليه، فإن الملك من الله وحده وبيده، يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء، فمن ملكه الله لَمْ يقدر أحد أن ينزعه منه، فإذا أديت الزكاة المفروضة إلَى والي الأمر برئت منها، فإن كان فضلٌ فَصِلْ به أرحامك ومواليك وجيرانك من أهل الحاجة وضيف إن ضافك.

فقام ذو خولان فقال: أشهد أني نزلت عن رأي الحرورية، وصدقتُ ما قلتَ، فلم يلبث ذو خولان إلا يسيرًا إلا مات".

رواها ابن عساكر فِي تاريخ دمشق (١٧/ق ٤٧٨-٤٨٣)، وأوردها المزي فِي تهذيب الكمال (٣١/١٥٠-١٥٦)، والذهبي فِي السير (٤/٥٥٣-٥٥٥).

* قلت: ولهذه الجماعة أعمال أخرى تشبه تمامًا ما كان يقوم به الخوارج قديمًا، منها:

- تشبههم بشرطة النظام؛ ليمتحنوا من يستجيب للنظام فيذبحونه مباشرةً بمنشار أو يُفجّرون مُخه بساطور! وانظر مثله عند أجدادهم فِي الكامل للمبرد (٣/٢٤٤-٢٤٥).

- زيادة الاغتيالات والجرائم فِي شهر رمضان بشكل رهيب جدًّا؛ بزعم أنه شهر غزوات! لكنهم لا يغزون الكفار، وإنَّما يغزون المسلمين تقربًا إلَى الله!! وانظر مثله عند أجدادهم يوم أن تعاهدوا على قتل خيرة البشر -فِي أيامهم-: علي بن أبي طالب وعمرو بن العاص ومعاوية ﷺ فِي ليلة (٢١ من رمضان) انظر المصدر السابق (٢/٢٩٦).

- قتل المستضعفين من النساء والولدان، وانظر مثله عند الخوارج الذين قتلوا عبد الله بن خباب ﷺ وبقروا بطن جاريته عن ولدها وهي حامل فِي طبقات ابن سعد (٥/٢٤٥-٢٤٦)، ومسند أحمد (٥/١١٠) وغيرهما، وهو صحيح.

* ملاحظة: لَمْ أورد هنا الوثائق الَّتِي فيها هذه الجرائم المذكورة إشفاقًا على البقية الباقية من المسلمين هناك من أن تنالهم أيدي الإجرام بسوء، الذين: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان» كما أخبر -عليه الصلاة والسلام- وهو حديث متفق عليه.

دروسًا فِي التوحيد والفقه والحديث، ويعلمهم الحلال والحرام وآداب الصلاة وغير ذلك ...!".

* النقد: كم يرجو كل مسلم أن يكون الأمر كما قلت، ولكنه اليوم رجاء كالأمنية، وقد قيل:

من كان مرعى عزمه وهمومه   روض الأماني لَمْ يزل مهزولاً

أقول هذا؛ لأن الأمر كان خلاف ذلك مع الأسف، أما تدريس التوحيد والفقه والحديث فلا أدري من تَحلمه فِي منامه!

وأما تعليم الحلال والحرام، فسل البلديات الإسلامية عن تعاملها مع بنوك الربا؟! وسلهم بأيِّ قضاء إسلامي كانوا يفصلون فِي الخصومات؟ وسل أيَّ جزائري عن أموال البلديات أين تسربت؟ وعن المساكن والأراضي الشعبية والعقارات بأي عدل قُسمت؟!!

وأما الصلاة وتعلم آدابِها، فكم سمعنا منهم من يتململ قائلاً: اشتقت إِلَى الجلوس فِي حلقة المسجد، فمنذ أن نَجحنا فِي الانتخابات لَمْ نعرف مَجلسًا للعلم فِي بيت الله، وكم هم الذين كانوا يجمعون الصلوات فِي المساء؛ لأنَّهم شُغلوا بدولتهم عن ربِّهم! ومن كان يَحفظ نصيبًا من كتاب الله أُنسيه، وكان المدعو شراطي -قبل الجبهة- يعلم أحكام تلاوة القرآن برواية ورش -الرواية المقروء بِها فِي الجزائر- حَتَّى نفع الله به خلقًا كثيرًا، مع التنبيه على أنه كان -تقريبًا- الوحيد على هذا فِي الجزائر كلها، مِمَّا أنعش التلاوة الصحيحة، وما أن جاءت الجبهة حَتَّى انْخرط فيها هذا الشيخ، وذهبت حلقاته كأن لَمْ تكن بالأمس، ونسأل الله تعالى أن لا يكون قد سلبه كتابه من صدره.

أي علم هذا الذي علمته الجبهة وقد كان الرجل -يومها- ليستحي أن يَحمل معه كتابًا للعلوم الشرعية؟ إنَّما هي جريدة المنقد يتأبَّطها أحدهم كدليل على

الولاء!! على أنه لا ضير على من يقتني الجرائد العلمانية؛ لأنه دليل التفقه على الواقع، بشرط أن يبقى بينه وبين حزبه كل الوفاء!!!

ولقد جاءني من مسئوليهم من يبكي ويقول: لَمْ أترك الصلاة إلا لَمَّا أصبحت عضوًا بارزًا في بلدية الجبهة ...

بل قال لي أحد الثقات: عملت في البلدية العلمانية ثُمَّ الإسلامية فلم أُمنع من الصلاة في مسجد الحي القريب جدًّا من البلدية إلا في البلدية الإسلامية بحجة أن بها مسجدًا، وأن وقتنا ضيق، وأن الصلاة جائزة في كل مكان، وأن العمل لدولة الإسلام عبادة، وأنَّها مصلحة عامة وغير ذلك من القواعد غير المؤسسة، وصدق الله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة:١٠٩].

هذا وكان يُكتب على مدخل بلديتهم بلون ذهبي: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر:٤٦].

* وأقول بصراحة: لولا أن الله قدر ما قدر لأوشك الناس على بغض كل ما يقال له: "إسلامي"؛ من أجل ما يرون عليه المستوى الإسلامي، بدءًا بالاختلاسات البلدية، وانتهاءً بخطب الجمعة الَّتِي لا تزيد على الشتائم النابية!

ومن علامات استصغارهم العلوم الشرعية أن ترى المسئولين الذين وصفتهم -يا سلمان- لَمْ يُختاروا على أساس درايتهم بالشرع، ولكن على أساس الدراية بالعلوم المدنية، وهذا برز بشكل كبير جدًّا حين هجمت "الجزأرة" على الجبهة، فلم نر من المرشحين للبرلمان إلا طبيبًا أو مُهندسًا أو رياضيًّا أو إداريًّا سياسيًّا؛ بزعم الخبرة بالعلوم المدنية!

فأخروا ذوي الشهادات الشرعية خجلاً من أن تضحك عليهم الحضارة، وهذا نعرفه من النخالة السياسية الَّتِي دنست حرم العلم الشرعي؛ إذ غالب الحركات

الإسلامية على هذا التنقص، وإن صرخت باسم الشرع، وهو عين التفريق بين الدين والدولة؛ لأنهم يتشددون فِي اشتراط المعرفة بالعلوم العصرية لمن ينصب رئيسًا للدولة الإسلامية، وأما فِي الدين فيكفي فيه عندهم شيء من العاطفة الإسلامية فقط!!

ومن الدواهي أن "الجزأرة" يمنعون الثوب السعودي؛ لأنه دليل على الرواسب السلفية والتأثر بالغزو الوهابي، ولكن لا بأس عندهم بالبدلة الفرنسية؛ لأنَّها دليل على التحضر وبُعد النظر وسعة الأفق!!

وكم يستروحُون إلَى بعض الأساتذة الإسلاميين الذين درسوا عليهم؛ لأنَّهم وفدوا إليهم بلباس الكفار، ولا يستنكفون أن يلبسوه فِي الديار الَّتِي لا تفرضه عليهم، كالبلاد المحافظة على الزيّ الإسلامي! مع أنَّهم متخصِّصون فِي الغزو الفكري!!

فهل هذا عنوانٌ لتحدي سلفية الجزيرة الَّتِي يُسمونَها سلفية البدو؟

وكأنه قد قيل لَهم: البسوه، ولا تَخشوا الغزو! ولو كان فيه قول النَّبِي ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم!». رواه أحمد، وهو حسن.

ولا تسارع إلَى إنكار هذا؛ لأنك ربَّما رأيت من الجزأريين من لبس الثوب السعودي فِي السعودية؛ فإن قاعدتَهم عندكم قاعدة أهل الغربة الذين قال فيهم الشاعر:

إن تُلْقِكَ الغربةُ فِي معشـــر	قد أجمعوا فيك علـــى بغضهـــم
فدارهم ما دمت فِي دارهم	وأرضهم ما دمت فِي أرضهم[1]

وحقيقة هؤلاء أنَّهم دخلوا فِي صراع مع الحضارة وهم ضعفاء علمًا وتقوى، فأشعرتْهم بالنقص، وأصيبوا بعقدة حضارية! مع أن الله تعالى يقول: ﴿فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُو إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [مُحمَّد:٣٥].

(١) لمحمد بن مُحمَّد الرامشي كما فِي بغية الوعاة للسيوطي (١/٢١٨).

هذا خبر ما عندنا -يا سلمان!- وذاك خبر مَنْ عندكم، فكيف تقول بعده: "أحيانًا يقولون: إنكم تتحدثون عن قضايا لا تدركون أبعادها، ولا تعرفون مراميها ولا خلفياتها؟!".

يا سلمان! يقول الله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام:١٥٢].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

فقه واقع الجزائر عند سفر الحوالي

وأما سفر الحوالي فقد تكلَّم عن أحداث الجزائر فِي شريط رقم (٢/٢٢٧) من أسئلة على شرح العقيدة الطحاوية بتاريخ (١٤١١/١٢/٢٥هـ).

قال فيه: "نحن لا نعرف الكثير عن هذه الجبهة الإسلامية! وبالنسبة لقائديها الشيخ عباسي مدني وعلي بن حاج: ما نعرفهما!! ولَمْ نقابلهما، ولَمْ نرهما!!!".

❊ النقد: كيف تتكلم -يا سفر!- عمن لا تعرفه والله يقول: ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]؟! بل كيف تُجادل عنه وتَحتج له والله يقول: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٦٦]؟!

والدعوات كلها تقوَّم بأصحابِها؛ قال ابن تيمية: "إن الطائفة إنَّما تتميزُ باسم رجالها أو نعت أحوالها"(١).

❊ قلت: لأن جميع الناس قادرون على ادعاء الإسلام والتلبيس بِمعسول الكلام، وهل المنافقون إلا مندسون فِي الصفوف يُمَوِّهون حتَّى ينخدع بِهم من يمشي بعقليتك هذه؟! بل قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون:٤].

❊ ثُمَّ أقول: لو كنت مشتركًا مع أحد من الناس فِي تِجارة أو ما شابَهها من رخيص متاع الدنيا، أكنتَ مكتفيًا بِهذا الوصف الذي وصفت به شيوخ الجبهة، أم أنك تُشحّ بمالك، وتحتاط لدنياك؟! فكيف والأمر دين وجنة أو نار؟! كما قال حذيفة بن اليمان ﷺ: «ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت؛ لئن كان مسلمًا

(١) منهاج السنة (٢/٥١٨).



ليردَّنَّه عليَّ دينه، ولئن كان نصرانيًّا أو يهوديًّا ليردَّنَّه عليَّ ساعيه، وأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا». متفق عليه.

هذا الاحتراز من أجل الدنيا؛ لأن المقصود بالمبايعة فِي كلام حذيفة البيع والشراء، فكيف بالدين الذي هو أول ما نرجو أن يُقيمه لنا من نبايعه على بيع الله ورسوله؟!

مع هذا تريد من المسلمين أن يُؤيِّدوا دعوة رجلين مَجهولين عندك! إن هذا لشيء عُجاب!! ورحمة الله على ابن بطة؛ إذ يقول: "فإنا لله، وإنا إليه راجعون! فلقد عشنا إِلَى زمان نشاهد فيه أقوامًا يُقلِّد أحدُهم دينه ويأتمن على إِيمانه من يتَّهمه فِي كلمة يَحكيها! ولا يأمنه على التافه الحقير من دنياه!!"(١).

ورحمة الله على ابن سيرين؛ إذ يقول: "إن هذا العلم دينٌ، فانظروا عمن تأخذون دينكم" رواه مسلم فِي مقدمة صحيحه.

قال سفر: "لكن من منطلق ما أمر الله تعالى به من العدل، أنا أمامي رجلان، أمامي مدَّعيان، وهما جبهتان فِي الحقيقة: الجبهة الإسلامية، وجبهة التحرير الحاكمة، جبهتان مدَّعيان، وأنا بِمنْزلة القاضي المأمور بالعدل".

❊ النقد: لقد شققت على نفسك فِي طلب منصب القضاء وعدم الاكتفاء بمنصب الفتيا؛ لأنه يُكلفك ما لا طاقة لك به من جهتين:

١- خطورة هذا المنصب، إذ يفرض عليك الإصغاء إِلَى المتخاصمين جميعًا لقول النَّبي ﷺ لعلي: «يا عليّ! إذا جلس إليك الخصمان فلا تَقْضِ بينهما حَتَّى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول؛ فإنك إذا فعلت ذلك تبيَّن لك القضاء» رواه أحمد وغيره وهو صحيح، وقد قيل:

لقد كُلِّفتَ يا مسكينُ أمرًا ... تضيق له قلوبُ الخائفينا

(١) الإبانة (٢/٥٠٩).

أتعلم أن رب العرش قاضٍ وتقضي أنت بين العالمينا

ومن عجيب تناقضك اعترافك بأنك تقضي من غير أن تعرف أحدًا من المقضي لَهم!! وهذا هو الجور بعينه.

فإن قلت: اكتفيتُ بِما تنشره الصحف، فقد عرفت ما فيه إن كنت قرأت هذا الكتاب من أوله؛ لأن الصحف ليست عندنا مصدرًا من مصادر التلقي، ثُمَّ الصحف نفسها لَمْ تعد اليوم معبِّرة عن رأي النظام؛ لأن الكُتاب أضحوا يعبِّرون عن رأيهم الخاص فِي ظل الديمقراطية والتعددية الحزبية، وإن كنت أنت لا تزال تعيش زمن الاشتراكية فِي الجزائر، فاعلم أن هذا قد مضى من سنوات قبل بروز جبهة الإنقاذ، وعجيب ألاّ تدري وأنت اتَّهمت علماء بلدك بالقصور فِي اطلاعهم على الواقع؟!!

٢- القضاء السياسي أخطر أنواع القضاء، ولا نعرف أنك أهل للقضاء فضلاً عن أهليتك للحديث فِي السياسية!! لما بيَّنتُه فِي هذا الكتاب من اشتراط بلوغ درجة الاجتهاد لذلك، بل الذي نعرفه أن علماء بلدك نَهَوْك عنها، بل منعوك من التدريس نفسه، كما ستقرأ بيانَهم هنا -إن شاء الله-.

قال سفر: "وأنا بِمنْزلة القاضي ... كلٌّ منا كذلك".

❊ النقد: فيه تجريء عامة الناس على القضاء، وعلى الدخول فِي السياسة، وهو أسوأ شيء يتعلّمونه منك[1].

---

(١) وهذا المنهج المعروف اليوم عند من يركِّز فِي دعوته على السياسة، يعود عليه فِي آخر الأمر، ومثاله عندنا فِي الجزائر؛ فإن الذين يقومون اليوم بأفظع الجرائم هم أشباه الأعراب من المؤيِّدين لجبهة الإنقاذ، الذين لا نصيب لَهم من العلم الشرعي؛ كان أشباه سفر يوغلونَهم فِي السياسة وينفخون فيهم عاطفة إسلامية فارغة، فلما وجد منهم بعضُهم هذه التصرفات رجع إلَى بعض رشده، وحاولوا أن يتراجعوا عن بعض ما هم فيه من عمل مسلح إجرامي، فقابلهم هؤلاء الأعراب بالتهديد، ونفذوا فِي بعضهم القتل؛ محتجين عليهم بِما كانوا يسمعون منهم: "أنتم دعاة فقط! أما السياسة، فكلنا سياسيون!!"، ورموهم بِما كانوا يرمون به السلفيين: "إنكم ما نكلتم =

وقال: "الآن مشكلة موجودة، يُطلب منا أن نحكم فيها، مُختصمان متنازعان نحكم بينهما كيف نحكم، هنا السؤال.

قال أحدهما -ونحن لا نعرفه-: أنا أريد الإسلام وأريد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ... وقال عن خصمه: هذا خصمي جبهة التحرير: حزب اشتراكي علماني تابع لفرنسا وللغرب، قادته وزعماؤه فرضوا الاشتراكية على البلاد ...

ماذا يجيب المسلم؟! ماذا يقول المسلم الذي يَخاف الله ويؤمن بالله، ويؤمن بالإسلام؟ مع أيهما يكون؟ وإن لَمْ يعرفهما ولا علاقة له بهما، لكن من الذي تكون أو تميل أو فرض الله -تبارك وتعالى-، فرض الله عليك أن تكون معه وأن تنصره وأن تؤيِّده؟ هل هذه المسألة -أنا أسألكم جميعًا- هل هذه فيها خيار لنا؟ هل فيها خيار؟ وإلا نحن الآن أمام إلزام وحكم قاطع صريح من الله؟

إلزام؛ يجب علينا أن نكون مع الفجار وإلا مع المتقين؟ مع المتقين.

مع الكافرين وإلا مع المؤمنين؟ مع المؤمنين ...".

* **النقد: أعتقد أن عرض المسألة بهذه الصورة الساذجة هو أكبر أخطاء سفر هنا؛** لأنه صوَّر المشكلة في اختيار الإسلام على الكفر أو العكس!

وليس الأمر كذلك؛ لأنَّ المسلم لا يساوم بشريعة الله ولا يرضى بِها بديلاً، لكن المشكلة في الطريق الموصل إلى تحكيمها، فطرحه السؤال على المسلمين: "هل

عن متابعة الجهاد إلا لجبن فيكم! وقد كنتم بالأمس القريب للمنابر تُرعدون، وللمتردِّين عن متابعتكم من الجماهير تُرعِبون؟! لا! بل أنتم معنا إلى آخر رمق!!".

وقد ذكر لنا من فر منهم وفارقهم أن الإمارة انتقلت إلى هؤلاء "الأعراب"، وأضحى دعاتُهم تحت قيادتهم لا ينبسون ببنت شفة! قد انقلب أعوانُهم أضدادهم، وأتباعهم أعداءهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩]. وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].

يختارون الإسلام أو الكفر؟" اتِّهامٌ للمسلمين؛ لأن هذا السؤال لا يُطرح إلا على من: ﴿ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٥]! هذه واحدة.

والثانية: أنَّك -بهذا- حدت عن منشأ الخلاف، ومعروف أن الحيدة عن نقطة البحث تضيِّع البحث، وقد تعطي نتائج معكوسة.

والثالثة: أنك أُتيت من المفهوم الخاطئ للعدل الذي دندنت حوله؛ حيث ظننت أنه يكمن فِي مُجرد معرفة الشعار الذي يرفعه هؤلاء، وهذا خطأ فادح؛ لأن للعدل ميزانين:

أحدهما: هو الإخلاص لله.

والثاني: هو المتابعة لرسول الله ﷺ.

وأنت لَمْ تزن هذه الدعوة لا بهذا ولا بذاك؛ إذ كونك تقنع بمجرد الشعار المرفوع يدل على عدم تقصي البحث فِي الوصول إلَى غلبة الظن فيما يَخص إخلاص القوم.

وأما متابعة الرسول فِي هذا الطريق الذي سلكوه، فلم تعرِّج عليه تمامًا! مع أن الله يعطي عليهما؛ كما قال سبحانه: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢].

فقوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾. يعني به الإخلاص.

وقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يعني به اتباع السنة، كما بيَّنه ابن تيمية -رحمه الله-[1].

فالقضية شرعية وليست عاطفية، وإلا فما قولك فِي مُحاسبة الله المؤمنين لما عصوا رسول الله ﷺ فِي أُحد، مع أنَّهم هم المؤمنون وعدوهم وثني كافر! والله ﷻ قد تركهم ينكشفون أمام عدوهم، وقال: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٦٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧٥/٢٨).

وبِعَدْلك هذا -يا سفر!- اتبعت الحركاتُ الإسلامية الدعوات الباطنية الهدامة؛ لأنَّهم اكتفوا منهم بما ظهر لَهم من شعارهم، كما اكتفيت أنت بذلك! وغفلوا كما غفلت ولا أحب أن أقول: تغافلت- عن إمرارهم على الغربال الثاني ألا وهو متابعة السنة!

إذن فلماذا يُلام من اتَّبع الخميني حين رآه يرفع شعار قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص:٥]؟!

ولماذا يُلام من انْخَدع بصدام حسين؛ وقد رآه كتب على صواريخه أسْماء الصحابة وتاب توبة سياسية، حتَّى قال فيه عِلي بن حاج فِي كلمته الَّتِي ألقاها يوم رجع من العراق -وقد سبق ذكر شيء منها-: "الرجل تاب! ويريد الإسلام وسوف يُطبِّق الشريعة!! فهل شققنا على قلبه حتَّى نكفِّره؟!".

هكذا قال الرجل الذي شبَّهه سلمان العودة بابن تيمية!! فهل تتصوَّرون يومًا ابن تيمية يتبع صدامًا، أو أنه يقول مثل هذا فِي جنكز خان؟!! فاللهم رحماك.

هؤلاء وأذنابُهم كلهم تأثروا بقوم وجدوهم يحملون شعارات إسلامية فِي وجوه كفار خلَّص، فما أغنى عنهم جمعهم وما كانوا يستكثرون.

عدلُك هذا -يا سفر!- هو الذي حَرَمك من فهم معنى الولاء حتَّى احتضنت شر المبتدعة، بل إنك جعلته قاعدة -ويا بئس ما قعَّدت له!- حين قلت فِي الربع الأخير من الوجه الثانِي للشريط نفسه:

"يجب أن نأخذ قاعدة: ميزة الدعوات الإسلامية فِي العالم كله على ما فيها من تفاوت، وما بينها من أخطاء، ميزتُها أنَّها تنبع من داخل الأمة! يعني يدعو إلَى الإسلام حتَّى لو عند بعضهم انحرافات! إما إلَى المعتزلة! وإما إلَى الخوارج! وإما إلَى الرافضة! كما تعلمون، فهو يأخذها من واقع الأمة ومن تاريخها، من تراثها!!!".

❊ قلت: الله أكبر! هذه بلية عظيمة!!

وقد قيل: ما فيك يظهر على فيك! وصدق الله الذي قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [مُحمَّد:٣٠].

ثُمَّ أخذ يشرح هذا التأصيل الفاسد بقوله:

"أما الحكومات العلمانية والحاكمون بالقوانين الوضعية، فقطعًا -لا ريب عندنا ولا شك- أنَّهم أخذوا هذا من خارج الإسلام، وخارج الأمة الإسلامية، وخارج التاريخ الإسلامي، لا نسبة بين هذا وهذا ... أصلاً ... فنقول: مَنْ يدعو إلَى الإسلام عندهم أخطاء، عليهم ملاحظات، ما نزكي، ما نبرئ هؤلاء، هاتها تُعرَضَ وتُنقَد، لكن لا شك أن من يدعو الناس إلَى الكتاب والسنة ... إلَى الإسلام -وإن أخطأ فِي فهم بعض أصوله- لا شك أنه لا نسبة أن يقارن ..."إلخ.

* قلت: هذا هو دين ردود الفعل! وهو دين الموازنات الجائرة!

وهو من أوضح الأدلة على أن أخطاء سفر هذه ليست سقطات يقوم منها صاحبها إذا نُبِّه، وإنَّما هي ناتجة عن تأصيل فاسد عنده.

أنصحك -يا سفر!- أن تتعلَّم عقيدة الوَلاء والبراء، وأن تدرس كتب السلف لترى موقفهم من المبتدعة؛ وإلا فلو عملنا بقاعدتك "الإخوانية" السابقة لجرَّأنا الخلق على الطعن فِي السلف؛ لأننا نظرنا فيما كتبوه فوجدناهم جمعوا بين جهاد المبتدعة وجهاد الكفار، ولَمْ تضق صدورهم بالجهادين جميعًا، ولَمْ يمنعهم جهادُهم الحقيقي للكفار -وكانوا أصحاب فتوحات- عن مُجاهدة أهل البدع، بل لقد وجدنا مصنفاتِهم فِي ذمِّ البدع وأهلها أكثر بكثير مِمَّا كتبوه فِي الكفار.

وإن بقي عليك غبش من رواسب الإخوان فعُدْ إلَى فصل "الرد على المخالف" من هذا الكتاب، والله الهادي.

وعَذُلك هذا -يا سفر!- هو الذي ربَّى من الشباب المسلم عواطف سرعان ما تنقاد للكائد، وتنخدع للصائد؛ لا يفهم من عدوِّه إلا ما يفهمه الثور الأسود من الخرقة الحمراء

ينطحها، حَتَّى إذا أُثخن بالجراح نودي بوَبْرَته إِلَى الجزار يسلخها.

فالله! الله! فِي هذه الأمة يا سفر!؛ فكم من دماء جَرَت منها أنهارٌ بفتواكم هذه!! وكم من مؤمنة أرملت، وكم من فقيدة أيتمت!! ولو كُشف لكم الغطاء لجأرْتم إِلَى الله تائبين؛ وهَلاً من أن تكون هذه الدماء كفلاً عليكم يوم القيامة!!

❊ تناقض: فِي هذا الشريط يرى سفر أنه يكفي فِي مناصرة قوم أن نعرف منهم الشعار الذي يرفعونه، وفِي شريط آخر من شروحه للعقيدة الطحاوية برقم (٢٥٢) يتحدث عن شعارات جبهة الإنقاذ، ويقول: "نعم! لا تغرنا الشعارات! مُجرد الشعارات؛ لأن الله ﷻ يريد منا إيْمانًا حقيقيًّا وقلبًا صادقًا مُخلصًا، وليس مُجرد الشعارات!!!".

ثُمَّ إذا به ينقض هذا الكلام مباشرة فيقول: "وإن كانت شعارات حق! -على فكرة- تدرون ما هو شعار الجزائريين؟ شعارهم -يَجولون ويتحركون- يقولون: "لا ميثاق ... لا دستور، قال الله ... قال الرسول ...!!".

أليس كذلك -إخواننا الجزائريين-؟ هذه فِي الأشرطة ... ويقولون: "لا إله إلا الله! عليها نَحيا! وعليها نَموت! وفِي سبيلها نُجاهد!...".

قال سفر: "قالت جبهة التحرير الحزب الحاكم: نَحن حزب اشتراكي نؤمن بالاشتراكية".

❊ النقد: حكاية الاشتراكية عن جبهة التحرير قديمة؛ تركتها أيام أمينها العام الشاذلِي بن جديد، وقبل ميلاد جبهة الإنقاذ كما سبق.

أما اليوم فهم يرفعون شعارات أخرى أترك المجال لفقهك لواقع الجزائر حَتَّى يدركها، وحَتَّى تعيش مع المسلمين أوقاتهم الحالية! هذا مع أن زعمك بأن الصراع دائر بين الإنقاذ والتحرير تصوير قاصر جدًّا، فأرجو مراجعة الأوراق.

وقال بأن جبهة التحرير تقول: "نَحن حزب علمانِي، وهذا فِي الدستور، لا

يخفونه أبدًا".

❁ النقد: أقول لك -يا سفر!- كلمة ليست دفاعًا عن جبهة التحرير -معاذ الله!- ولكن من باب قول الله تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨]. أتحداك أن توجد لنا هذا النص من الدستور الجزائري! ولو قلنا: إنَّهم كذلك. لقلنا: هم أمكر من أن يسجِّلوه فِي دستورهم لتعثُر عليه أنت بسذاجتك هذه، ألا شيء من الفطنة يا قوم!

وجعل سفر يعدِّد حجج جبهة الإنقاذ ناقلاً عنها قولها: "وأنا عندي ثمانين بالمائة من الشعب كلهم يريدون الإسلام، هذا برنامجنا وهذا تطبيقنا، وأنا طلبت من الناس أن يطالبوا ببقاء نظام الانتخاب كما هو ...".

❁ النقد: ذكر هذه النسبة المئوية والمطالبة بالنظام الانتخابي سلوك للطريق الديمقراطي؛ لأنه تحكيم للشعب كما لا يخفى، فلماذا يذكره سفر على أنه حجة من غير إنكار، بل تكراره له ثلاث مرات دليل على الإقرار، بل لقد صرَّح بأنه ينصر جبهة تريد تحقيق الديمقراطية، حَتَّى لكأنَّك تسمع كلام رجل عريق غريق فِي الديمقراطية، وذلك قوله عن جبهة الإنقاذ: "...وأنَّها تريد تحقيق الذي يزعمون أنه ديمقراطية، وتريد أن ترشح وتصوِّت!!".

❁ قلت: هكذا يصرِّح سفر بأنه زعمٌ عند أولئك، لكنه إرادة عند الجبهة! بل جمع بين الحق والباطل، فقال: "وأيُّهما الذي وقف ضد الحق وإرادة الشعب؟!".

❁ قلت: إذا كانت هذه حججًا، فيا ليت شعري ما محلُّ دعوة الأنبياء من الشرعية وقد قلَّ تابعُهم، وكثُر مخالفُهم، حَتَّى يأتِي النَّبي وليس معه أحد؟!

وقال عن جبهة التحرير: "هؤلاء نَحَّوا كتاب الله ﷻ عن الحكم".

❁ النقد: هذا من أخطائك الواقعية؛ لأن الذي يسمعه يظن أنَّهم وجدوا كتاب الله يحكم الناس فعمدوا إِلَى إقصائه، وليس الأمر كذلك؛ لأنه من يوم

الاستقلال لَمْ يُحكِّم كتاب الله، وثَمَّ فرق واضح بين من يعمد إِلَى تنحية شريعة الله، وبين من يَجد شريعة الشيطان تَحكم ولا يغيِّرها، فمن العدل إذن أن يقال: وجدوا قوانين وضعية فلم يغيِّروها.

ولا نقول هذا مُجادلة عن الأثيم، وإنَّما لأنه قد يوجد فِي بعض البلاد الإسلامية من الحكام من لو نادى بتحكيم شرع الله لداهمهم العدو من ساعتهم، ولذلك عذر أهل العلم النجاشي حين لَمْ يغير شريعة النصارى الكافرة لعجزه[1].

ثُمَّ لو رجعنا إِلَى التاريخ لوجدنا أن الذين نَحَّوا كتاب الله قبل الاستعمار الفرنسي هم المتصوفة، ولستُ الآن بصدده، لكن لعلَّ هذا لا يهم سفرًا؛ لأن المتصوِّفة عنده يتبعون من داخل الأمة! كما قال هو فِي كلمته الَّتِي سبق أن نقلتها.

وبعد ذكر الثمانين بالمائة قال: "الآن الشعب أفاق واستيقظ كما استيقظت -والحمد لله- الأمة الإسلامية فِي كل مكان، يريدون كتاب الله، يريدون أن يعودوا إِلَى إيْمانِهم وأصالتهم الَّتِي نزعت منهم قهرًا".

❊ النقد: هل يعني هذا أن من دخل مساجد الجزائر فِي صلاة الفجر وجد ثمانين بالمائة من الشعب مستيقظًا يؤدي الصلاة؟! فإن كان كذلك فهي يقظة صادقة، وهي أعظم المبشرات بالنصر، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٨٧]. ولكنك تعني باليقظة تصويتًا لإسلام لا يُعلم ولا يُعمل به، أضفيت عليه هالة من الوصف السياسي الخدَّاع، مع أنَّهم لو كانوا صادقين فِي رجوعهم إِلَى دينهم فمن الذي قهرهم حتَّى لا يؤدُّوا هذه الفريضة؟!

ومن الذي منعهم من أداء زكواتهم؟!

ومن الذي منعهم من تَحجيب نسائهم؟!

---

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (١١٣/٥).

بل وأشد من ذلك: من الذي أجبرهم على ارتكاب الشرك من الطواف بالقبور والاستغاثة بأهلها...؟!

ومَن ... ومَن ..؟!

أمور واقعية نعدها ولا نعدِّدها، لا يُنكرها أحد، فكيف غفل عنها فقهاء الواقع؟!!!

فدعك -يا سفر!- من حديث السياسيين، وحدِّث الناس بالشرع؛ فإن الفلاح كله فيه.

ولقد حُدِّث الشيخ الألباني عن هذه اليقظة وعددها الهائل، فسارع إِلَى سؤال شرعي عن معرفة هؤلاء لربِّهم، وهو قصة الاستواء الَّتِي مرت بنا فِي بداية الكتاب، فتأمل تصرف سفر، وتصرف الشيخ الألباني تدرك قيمة أهل العلم، ثُمَّ لَمْ يطل الزمن حَتَّى أخبرنا أهل الجزائر فِي هذه السنة (١٤١٧هـ) بالإجماع أن الناس هناك وصلوا إِلَى درك من التفسخ الأخلاقي ما عرفوه من قبل قط! فأين هي الثمانون بالمائة يا سفر؟! قال الله ﷻ : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩].

ويُقرّ الإضراب المستورد من الكفار قائلاً: "لما جاءت جبهة إسلامية قالت: نريد الانتخاب يبقى نظامه كما هو، ويتعجل بها فِي موعدها، ونحن نريد أن ندخل انتخابات، قالوا: لا! غيِّروا النظام، فقالوا: إذن يا ناس! يا من ستَنْتَخِبون: مَنْ تنتخبون؟ اعتصموا وأضربوا! لأن القانون قد تغيَّر؛ قانون الانتخابات، ولا تستخدموا القوة!! ... إذن هذا واضح أنَّها دعوة سلمية!".

❋ النقد: لماذا لَمْ يكن حديثك عن حكم الإضراب؟! عن حكم من يناشد النظام لاسترجاع ما يناقض الشرع وهو قانون الانتخاب؟! أم أن دخول ذلك المعترك لا يُبقي للشرع اعتبارًا؟

يا سفر! إن التشبه بالكفار أمارة الخسران، كما قال الله ﷻ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٩-١٥٠].

إن كان خفي عليك حكم الشرع فِي هذه الأعمال، أو كَبُر عليك أن تكون بدعةً وتشبُّهًا بالكفار الأنذال، فلا أَقَلّ من أن تَجود على إخوانك بفقهك للواقع الذي لَمْ تعرف منه إلَى يومك هذا دولة للإسلام قامت على أعقاب الانتخاب، وأن لا تنخدع بدعوى ترك العنف، فهل رأيتَ "إضرابًا إسلاميًّا" بلا ضراب؟! مع أنه سبق تزييف دعوى ترك العنف عند الجبهة.

ووصف سفر عنف النظام قائلاً: "أين دبابات الجيش وهي تدكُّ المساجد؟! ... مساجد تدكها المدافع والدبابات!! ... جيش يدكّ عواصم ...؟!".

❁ **النقد:** لا نُجادل فِي أن الدبابات نزلت بالشوارع، ولكن دكّها لعاصمة ما كذب، فكيف وهي عواصم فِي زعم سفر!!

أما دكّ المساجد فلا أدري لماذا إذا تكلمتم عن هذه الأنظمة الجائرة لَمْ تُحسنوا التثبت؟! وتبالغون حَتَّى توصفوا بالجهل بالواقع.

كلُّ ما هنالك إغلاق بعض المساجد الَّتِي تسمى "مصليات" فِي عرف الناس، أبَى أهلها المتحزِّبون أن يرتِّبوا لَها إمامًا؛ لأن جبهة الإنقاذ لا تجد من الأئمة كفايتها، ولا من يصبر على إدارتِها كما أمر الله، والحقيقة أن غالب هذه المساجد اتُّخذ ملاجئ سياسية وتكايا حزبية، حَتَّى (سهلت الفوضى السياسية الإسلامية) للمكر المتربص أن يُحطِّم بعض هذه "المصليات"، ولقد لطف ربُّك أن لَمْ يمكِّنهم إلا من القليل النادر.

وثَمَّ شيء لابد من التنبيه عليه، وهو أن هذا الذي ذكرته لَمْ يكن قد وقع يوم تكلم سفر بِما نحن بصدد نقده، مِمَّا يدلكم على أن أخباره لا علاقة لَها بالواقع

تمامًا، فليعلم.

ومن أخطائه الواقعية أيضًا زعمه أن بين الجبهة وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين علاقة!! وقد سبق الرد على هذا الادِّعاء فلا نعيده، لكن الذي يلفت الانتباه هو التواطؤ على هذا الخطأ: منه ومن سلمان ومن القرني ومن بشر البشر ومن مُحمَّد سرور -كما سيأتي- فعلى ماذا يدل هذا؟!

ومن فضائح هذه الأخطاء الواقعية الَّتِي تعجَّبت منها جدًّا قوله: "وحَتَّى الجبهة ليست حزبًا سياسيًّا اسألوا من يعرف الأحزاب، اقرءوا فِي (الحياة) أو فِي غيرها!!!".

* النقد: هذا لَمْ يدَّعه حَتَّى أهل الجبهة، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود:٧٢].

وقال عن الجزائر: "هذا البلد إذا سمع أن أهل البلاد الطاهرة المقدسة الذين يدينون الله تعالى بعقيدة التوحيد -والحمد لله!- وعندهم العلماء! وفِي بلادهم الحرمان الشريفان! أن موقفهم منهم هو نفس موقف الإعلام الفرنسي والغربي يسقط فِي أيديهم! والله! يشعرون بالمرارة ... فالمفروض أن يروا منا التأييد والتشجيع...".

* النقد: اعلم -يا سفر!- أنه لا يَجوز لك أن تُجامل من حسَّن ظنَّه فيك حَتَّى تسكت عن أخطائه، بل أنت مطالب بكلمة الحق وافقت منه رضًا أو سخطًا، واعلم أن ما ادعيته عنهم من إحسان الظن بعلماء المملكة ليس بصحيح؛ لأنَّهم عندهم موضع تُهمة خاصة بعد قضية الخليج، كما بيَّنتُه، ولا يعبئون بفتاواهم إطلاقًا؛ لاسيما بعد وصفك لعلماء المملكة بِمجاملة السلطان والخرف!!

ألا ترى أن عباسي وابن حاج حين زارا السعودية تَحاشيا جهدهما لقاء هيئة كبار العلماء؟! لأنَّهما تصوَّرا باب التحزب موصدًا من أصله فِي دار الإفتاء، وإلا فهاتوا لنا شيئا مكتوبًا أو مسموعًا بينهما وبين هيئة كبار العلماء! وفِي الوقت الذي قلت فيه ما قلت -يا سفر!- كان "الجزْأَربون" قد احتووا الجبهة، وهم القائلون: "كل ما أتانا من السعودية فهو مُجروح حَتَّى يأتينا بشاهدي عدل!!".

* الخلاصة: إنه ليس في الجزائر من يُجلُّ علماء المملكة إلا السلفيون غير المتحزبين؛ للرحم العقدية الَّتي بينهم، ولعلمهم بأن هذا البلد آخر معاقل الإسلام، وهو الوحيد اليوم في تأييد الدعوة السلفية تأييدًا رسميًا، فتدبر!

ومن أخطائه الواقعية قوله: "الجزائر أيام أحداث الخليج جميع صحف الجزائر كما بلغنا وجاء الحجاج ورأيتموهم- كل الصحف الجزائرية وكل الأحزاب في الجزائر والحكومة في الجزائر كانت ضد موقف المملكة من حرب الخليج".

* النقد: موقف الحكومة الجزائرية لَمْ يكن واضحًا؛ لأنَّها كانت متكتمة، فمن أين أخذت ما قلتَ؟! والصحافة الحكومية وغير الحكومية ليست لسان الحكومة، كما هو معلوم من النظام الديمقراطي، ويبدو أنك وقعت في هذا الخطأ لسببين، هما:

الأول: أنك تعيش جزائر الاشتراكية القديمة، وأنك لا تدري أن ذلك قد مضى عليه دهر، على الرغم من أنك صاحب وعي وفقه للواقع فيما يقال!!

والثاني: أنك أردت أن تدفع التهمة الحقيقية عن الجبهة لتلصقها بالحكومة، وتأتي بأكبر فضائحك الواقعية فتقول:

"أما المسلمون الإسلاميون فما بلغنا وما قرأنا أنه .. أن (هكذا) قضيتهم التعاطف مع الشعب العراقي -هكذا عبَّروا- ضد الأمريكان، وهم يكرهون أشد الكره صدام (هكذا) ويعتقدون كفر حزب البعث!".

* النقد: فقد سبق عند الرد على سلمان نقل كلمة علي بن حاج في زعمه أن صدَّامًا قد تاب، وأنه ينوي تحكيم الشريعة!![1].

وأزيد هنا قائلاً: إنك نفيت عن الإسلاميين بعامة أن يكونوا أيَّدوا الحكومة

---

(١) أذكر بهذه المناسبة أن الشيخ الألباني ذكر -يومها- أن أول شرط في توبة صدام أن يخرج من الكويت، فهل هذا هو الذي يعنيه ابن حاج؟!!.

العراقية ضد السعودية، والصحيح أنك خالفت إجماعهم على تخطئة الموقف السعودي، ومِمَّا اشتهر اشتهارًا رسميًّا أن حزبين منها أقاما مسيرات واسعة لتأييد العراق، وهما: جبهة الإنقاذ كما سبق، وحزب الإخوان المسلمين: حماس، بقيادة محفوظ نحناح الذي حشد الناس من أجل ذلك فِي تجمُّع صاخب، وإن كان هو لا يحب أن يعرف عنه هذا "إخوان الخليج"؛ ليبقى موصول العطاء موفور الجانب!

ولولا أن السلفيين خالفوا هذا الإجماع لكان اتفاقًا على الضلال، والمنة لله وحده.

❋ تناقض: نفى سفر أن يكون قد عرف عن الإسلاميين التعاطف مع العراق، وإذا به يقول بعدها بثوان: "هذا الأمر، أخطأ فيه كثيرون وأصاب كثيرون! فتنة عمياء التبست على أكثر الأمة! وهذا الحال ليس خاصًّا بالجزائر، بل معظم العالم **الإسلامي تعاطف لا حبًّا فِي صدام أبدًا، ولكن من أجل أمريكا!!".**

أقول: إذا كانت فتنة عمياء يُعتذر فيها للمخطئ، فهل يصدق الاعتذار للحكومة الجزائرية بمثل ما قلت؟! أم أنك بِهذا تعتذر لنفسك عن خطئك الجسيم الذي صدر عنك يومها؟!⁽¹⁾.

ومن طريف الموافقات أن هؤلاء "الثمانين بالمائة" الذين اعتذر لَهم سفر بأنَّهم استيقظوا وقاموا ضد أمريكا فِي قضية الخليج، ما كادت تنقضي الأزمة بأيام حتَّى جعلت أمريكا دعاية للهجرة إِلَى بلادها، فإذا بك ترى جيوشًا جرارة من هؤلاء "المستيقظين" عند السفارة الأمريكية يسألونَها تأشيرة العمل، وكأنه لَمْ يتخلف منهم أحد!

مع ذلك فهؤلاء عند سلمان لَمْ يثوروا من أجل الخبز!! وعند سفر يريدون الإسلام!!

ولا أدري هل حقيقة تجهلون واقع أمتكم أم أنكم تتجاهلونه بدافع التفاؤل السياسي؟!

---

(١) انظره هنا بعد صفحتين.

وليس العجب أن يصدر من أمريكا هذا الاستهزاء، ولكن العجب أن تعجزوا عن إدراك ما عَلِمْتَه هي من واقع أمتكم!!

ومن الأخطاء الواقعية قوله: "ودستور الجزائر الذي تسير عليه الجبهة الحاكمة دستور كفري إلحادي، من عجائب هذا الدستور أنه يتيح لفرنسا التدخل إذا اقتضى الأمر فِي الجزائر".

* النقد: هات لنا -يا سفر!- هذا النص من الدستور إن كنت من متتبِّعي الواقع، فنحن عشنا أيام تدوينه فِي الجزائر وما قرأنا ما قرأت!! هذا أولاً.

وثانيًا: إن كنت علمت بطريقتك الخاصة أن فرنسا قد تتخذ ذلك ذريعة لاستعمار الجزائر، فلماذا ضننت على إخوانك بِهذا الواقع المؤلم، ولَمْ تُحذِّرهم من الدخول فِي معركة غير متكافئة العدة، ولَمْ تُخبرهم بأن الأمر لعبة عليهم حَتَّى لا يدخلوا فيه؟! بل زدتَهم إغراقًا فيه بمثل ما قلت، فعجبًا لثور الخرقة الحمراء!!

وأخيرًا أقول: إن الذي بدا لي من كلامك أنك عند دراستك للمسائل تَخلط الأوراق كما يقولون، وتجمع بين الواحدة ونقيضها حَتَّى يتميع البحث ويُنسى أصل الموضوع، ولا يزال ظهرُ التأويل حينئذ ذلولاً. وقد سمعتك تنهج هذا النهج فِي غير ما شريط، إذ تُزوِّج بين مسألة سلفية وأخرى خلفية -بعد الطلاق الثلاث- بلا ولي ولا نكاح محلل، لتحتفل بعقيقة خنثى مشكل، قد استبان السلفيون جنسه الخلفي، وظلَّ غيرهم فِي حيرة: أفيه شاة أم شاتان؛ لأن جنسه خفي؟

ومعناه أنك تُخرج المسألة من موقعها الشرعي إلَى موقع سياسي للرأي بل للتفلت من قيود الشرع فيه مسرح، وهذا منهج خطير جدًّا؛ لأنه أقرب إلَى تلبيس الحق على الناس بالباطل، بل وكتمانه، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

وإنَّما نبَّهت على خطورته؛ لأن بعضهم يغره بعضُ الحق الذي يكون مع المرء،

ويتحاشى انتقاده ناظرًا منه التصريح بالباطل!

والحقيقة أنه لا يمكن لمن كان من هذه الملة أن يأتي بباطل خالص، فلذلك يغتر بصاحبه من يغتر، وبهذا يُهدم الحق.

قال ابن تيمية: "وكل مَنْ سوى أهل السنة والحديث من الفرق فلا ينفرد عن أئمة الحديث بقول صحيح، **بل لابد أن يكون معه من دين الإسلام ما هو حق، وبسبب ذلك وقعت الشبهة؛ وإلا فالباطل المحض لا يشتبه على أحد،** ولهذا سُمي أهل البدع أهل الشبهات، وقيل فيهم: إنَّهم يلبسون الحق بالباطل، وهكذا أهل الكتاب معهم حق وباطل ..."[١]. ومنه:

١- **قولك هنا:** "نحن لا نُحكِّم الشعب أصلاً، ولكن من حيث الواقع الشعب مع من؟".

❊ **النقد:** إذن فثَمَّ حكم الشرع الذي يُحرِّم التحاكم إلى الشعب، وثَمَّ حكم الواقع الذي يبيحه أو يوجبه أو يستحبه، ولا مفرّ من واحدة من هذه الأحكام الثلاثة المتبقية؛ لأنك تقول بعدها مباشرة: "ثمانين في المائة من الشعب ...". وتقول على لسان الجبهة: "وندخل جميعًا الانتخابات، فإن فزنا فنحن نَحكم البلاد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن فازوا قلنا: إنا لله وإنا إليه راجعون! والشعب قد اختار الاشتراكية علينا".

❊ **قلت:** بأي حكم أبَحت لَهم دخول الانتخابات؟ أبالشرع أم بالواقع؟!! والله المستعان.

٢- **قولك:** "فإذا قيل: لماذا تتكلمون عن هذه الجبهة؟ قالوا: لأنَّها وقفت في حرب الخليج غير موقفنا، قال هو: كلهم في غير موقفنا ... بل معظم العالم الإسلامي تعاطف -لا حُبًّا في صدام أبدًا- ولكن من أجل أمريكا!!".

---

(١) منهاج السنة (١٦٧/٥).

* النقد: هذا هو دين ردود الفعل! يُفهم منه أن مخالفة الموقف السعودي يُعدّ مُخالفة شرعية، ولكن من أجل أمريكا فلا! مع أنك مقر في أشرطتك أيام الفتنة بأن خطورة البعث أشد من خطورة أمريكا؛ كخطورة الشرك بالنسبة للنصرانية!!

كما يفهم منه أن سفرًا كان مع الموقف السعودي، وهو خلاف ما صرَّح به يومها، وإذا كان كما قلت أنت: "فتنة التبست على كثير من الناس!"، فلعلك تناقضت هذا التناقض؛ لأنك كنت طرفًا في هذا التلبيس بما كنت تُرعد وتُزبد! **ويومها اتُّهمت هيئة كبار العلماء بالقصور في فقه الواقع!!**[1] واليوم تُحدِّثنا سرًّا: "إن موقف الشيخ الألباني أقرب إلى الشرع، وموقف علمائنا أقرب إلى الواقع!!!".

---

(١) قاله سفر في شريط "ففروا إلى الله" يوم سئل عن سبب سكوت علماء المملكة عن فضح الأحزاب المعاصرة كحزب البعث إلا لما كانت أزمة الخليج؟ فقال: "لماذا نضع اللوم دائمًا على جهة معينة؟ وخاصة الذي يعيش معترك معين (هكذا!) وظروف "هكذا" معيَّنة تحتم عليه مُجاملات!! وأوضاع (هكذا) صعبة! نحن الذين في بحبوحة أن نقول الحق في بيوتنا، في مساجدنا..!! علماؤنا يا إخوان! كفاهم! كفاهم! لا نبرِّر لهم كل شيء، لا نقول هم معصومون!! ... نحن نقول: نعم! عندهم تقصير في معرفة الواقع، عندهم أشياء نحن نستكملهم! ليس من فضلنا عليهم، لكن عشنا أحداث (هكذا) وهم ما عاشوها بحكم الزمن الذي عاشوا! أو بأحكام أوضاع أخرى!!!.. ومع ذلك أقول: المسئولية الأساس علينا نحن طلبة العلم بالدرجة الأولى! وبعض هؤلاء العلماء قد بدأ يسلِّم الأمر؛ لأنه -يعني- انتهوا في السن!!! أو إلى مرحلة..!؟.

* قلت: ما أشد هذا الكلام؛ إذ هو ظلمات بعضها فوق بعض! أراد أن يُسقط العلماء؛ لينفرد بالفتوى السياسية دونهم، فجعل يُلمِّح ثُمَّ يُغلب فيُصرِّح، ثُمَّ يُسرِّح كلمة ويُلجم أخرى، ولئن خفي هاهنا على الأغبياء ذمه للعلماء في صيغة المدح، فلن يخفى عليهم رميُه لَهم بالجهل بالواقع، وبالتخريف، وبمجاملة الأمراء، واجتهاده في تصويرهم مأسورين تحت ضغط النظام، ثُمَّ أمره صراحة الحضور بأن يرجعوا إليه وإِلَى أمثاله من الأحداث؛ بحجة أنَّهم عاشوا الأحداث!!!
ومن استمع إِلَى الشريط كلّه تبيَّن له منهج سفر الذي أنا بصدده الآن، إذ مدح العلماء بطريقة ما! ثُمَّ أجهز عليهم بما سبق ذكره، كالذي يُسمِّن كبشه ليعبِّد به!! نسأل الله لنا وله الهداية.

اعلم -يا أخانا سفر!- أن الألباني مجتهد خالف علماء المملكة في القضية، عن اجتهاد لا عن هوى، ثُمَّ هو قال فيهم من التوقير قولاً حسنًا، خاصة منهم الشيخ ابن باز -حفظ الله الجميع-.

٣- قولك: " القضية الَّتِي نتكلم عنها ليست مُجرد فلان ولا فلان، إن كان من أولياء الله فالله ولي المتقين وسينصرهم ولو بعد حين، وإن كانوا غير ذلك فقد جاءهم عُجلت إليهم بعض ذنوبهم، لكن ليست هذه هي المشكلة، لماذا تصوَّر القضية بِهذا الشكل، القضية قضية إسلام يُحارَب".

❊ **النقد:** تأمل كيف يمشي بك مشية سلفية إذا كنت قاب قوسين من النتيجة أو أدنى صرفك عنها بدندنة خلفية، كأنه اكتشف جديدًا حين علم أن القضية قضية إسلام يُحارب!! وكأنه إذا كان الإسلام يُحارَب لَمْ يصحّ الحديث عن التقوَى والإيْمان؛ لأنه يعوق "الجهاد!!" وكأنه لا يجب أن تصوَّر القضية بالشكل الشرعي؛ لأنَّها تُخذِّل عن الصراع السياسي!! بل ولا بأس عنده من الصبر على الهزيمة من أجل إشعار الخصم بأننا له بالمرصاد!! فلا إله إلا الله! ما أغرب هذا الاضطراب المنهجي الديني! وإنني لمشفق على أهله منه.

٤- ومنه قولك في شريط (٢٥٢) من شرح الطحاوية: "نعتقد كذلك أن قيام الإسلام فِي الأرض ليس بِهذه الطرق وهذه الوسيلة بالضرورة -أي: الوسيلة الديمقراطية- بل الطريق الصحيح والمنهج الحق هو الدعوة وطلب العلم ونشر الفقه فِي الدين وتربية الناس على ذلك ...".

❊ **قلت:** إن أسارير البشر الَّتِي تظهر على مُحَيا السلفي حين يسمع هذه الكلمات سرعان ما تتحول إِلَى حيرة وعبوسة قاتمة، وهو يسمع نقيضه منه بعد ثوان فقط؛ وهو قوله: "لكن نحن نتكلم عن واقع، عن قضية واقعة!!".

❊ **قلت:** كأن المنهج الإسلامي الذي قرره أولاً يُعنى بعالم الخيال، وأما المنهج

المخالف فواقعي!!

ويزيد الأمر فداحة حين يتمنَّى من هذا المنهج المخالف بل الكافر أن يقيم له دولة الإسلام؛ فيقول: "..... فوالله إنه لفتحٌ كبير أن تقوم دولة لـــ"لا إله إلا الله" على منهج السلف الصالح والخلافة الراشدة فِي الجزائر!!!".

❊ قلت: تأمل كيف ينفي أن يكون مسلكًا شرعيًّا، مع ذلك فهو يأمل منه قيام الخلافة الراشدة؟!!

ترجو النجاة ولَمْ تسلك مسالكها ، إن السفينة لا تجري على اليَبَس

ومن الغريب أنني استمعتُ إلَى شريط مسجَّل مع سفر، فيه اعترافه -بعد فداحة النتائج- أنه يعلم أن جبهة الإنقاذ لَمْ تبْن عملها على الأساس الذي اعتمده النَّبِي ﷺ فِي دعوته وجهاده؛ فقد قال: "ولكن هل مرَّ هذا الشعب -يعني: الجزائري-، ومرت هذه الدعوة بمرحلة التمحيص والتربية على منهج علمي عقدي دعوي متوازن شامل، كما مرت الجماعة الإسلامية الأولى فِي عهد النَّبِي ﷺ، وكما ينبغي أن تمر كل الدعوات؟ ... **حقيقة إن الوضع فِي الجزائر كان فيه نوع واضح من التعجل فِي قطف الثمرة!** وربَّما كان هناك شيء من الإعجاب أو شيء من الأخذ بهذه الجماهير المتجمِّعة الَّتِي لا ينقصها فِي الحماس، ولا نشك -إن شاء الله- فِي حماسها، **لكن الحماس وحده لا يكفي، ولابدَّ من المرور بهذا المنهج والتمحيص فيه؛** ولذلك نجد من نكص على عقبيه، من خرج عن الصف الإسلامي بالكلية، من باع نفسه للسلطة، من فعل ... من فعل... **أفعال كثيرة تدل على ان الصف لَمْ يُمحَّص فِي الأصل ...!!**"[1].

ثُمَّ تأمل -أخي القارئ!- ما يدلُّك على أن هذه الأخطاء صدرت منه عن علم؛ فقد قال بعد أن بين شيئًا من سيرة النَّبِي ﷺ فِي تنقية الصفوف وتمحيصها:

(١) من شريط حوار مع الشيخ سفر الحوالي.

"فما لَمْ يصل من دقة التربية وترسيخ مفاهيم العقيدة وتصحيحها في الناس إلَى مثل هذا فإنا لا نتوقع إلا نتائج سريعة، وأيضًا هذه النتائج السريعة تتقوّض سريعًا ...".

* قلت: فلم غرَّرتَ بِجماعتنا -يا سفر!- وأنت تعلم كل هذا؟! نعوذ بالله من أن يُضلَّنا الله على علم، وصدق من قال: "لقد ضرهم من غرهم!".

إن هذا ليدل على أحد أمرين:

- إما أنك شاكٌّ فيما تقول، ومرتاب فِي سيرة النَّبِي ﷺ.

- وإما أنك كنت كاتِمًا هذا عن المسلمين؛ تزج بِهم فِي ليل من الشرور حالك، وأنت تدري أنَّهم لا يَخرجون منها إلا بين معطوب وهالك!!

والذي يترجح لديّ أن كلاهما عليك وارد؛ بدليل أنك ما كنت تقول هذا أيام نشاط الجبهة، وإنَّما قلته بعد هزيمتها السياسية، وقد سبق أن نقلتُ كلامَ بعض السلف فِي أن التنقل من رأي إلى رأي من شك القلوب، كما سبق أن ذكرتُ كلام بعض أتباع السلف بحق -كالشيخ الألباني- فِي الجبهة قبل الهزيمة وبعد الهزيمة، بل وحتَّى أيام انتصارها السياسي: كلام واحد لا تُزعزعه النتائج!

وبِهذا يتبيَّن القارئ معنى الرسوخ فِي العلم؛ قال الحسن البصري: "إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كلُّ عالم، وإذا أدبرت عرفها كلُّ جاهل"[(١)].

* قلت: لأنه لا فائدة من معرفتها بعد وقوعها وصيرورة المرء عبرةً لغيره، بل وإهلاكه العباد بفتاواه المرتَجلة! وهذا كلام الحسن فيمن عرف أنَّها فتنة بعدما رأى نتائجها الوخيمة؛ أي أنه سماه جاهلاً!

فما قوله -رحمه الله- فيمن لَمْ يعرف بعدُ أنَّها فتنة، وقد رأى من نتائجها ما شيَّب الرءوس! من تسلط الكفار الشيوعيين، واستضعاف المؤمنين، وانتهاك الأعراض، وانتشار الشرك بصفة رسمية، وتفشي القتل والسرقة، وتعذر الأمر بالمعروف والنهي

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (١٦٥/٧).

عن المنكر بعد أن كان ممكنًا وكثرة الانتكاسات الدينية، والمجاهرة بالفجور وشرب الخمور بعد أن توارت في كثير من المدن، وخراب المساجد من عمَّارها بعد أن كان التورك في الصلاة متعذِّرًا لشدة الزحام!!!...

ولنا أن نتمثَّل بما كان يتمثَّل به ابن عباس ﷺ؛ إذ يقول:

فما الناسُ بالناس الذين عهدتُهم ولا الدارُ بالدار الَّتي كنت أعرف![١]

ماذا يقول الحسن فيمن عرف هذا وزيادة، ولَمْ يفهم بعد أنه فتنة؟!

بل يُصرّ على أنه تقدم!! فيقول:

"وأنا في الحقيقة في تقويمي العام أعتبر أن ما حدث في الجزائر أو غيرها هو تقدم بالنسبة للعالم الإسلامي، لو لَمْ يكن فيه إلا التجربة!!!".

❊ **قلت:** هذا كلام سفرا وهو الذي جعلني أُصدِّق فيه الأمر الثاني الذي ذكرتُه آنفًا، وإنه لتناقض مُحيِّر جدًّا! لا يكاد يصدر من عاقل؛ لأن الرجل يبني من مقدِّمات خاطئة -في واقع الجبهة- نتائج صائبة في خياله، تعد تقدُّمًا عنده! لكنك -أخي القارئ!- إذا عرفت أن هذا الفكر إرث "إخواني" لَمْ تستغربه من سفر؛ فكثيرًا ما رأيته يمزج بين السلفية -الَّتي هي دعوة بيئته الأصيلة- والإخوانية الوافدة عليه وعلى بيئته، خاصة من مُحمَّد قطب، وهذا هو التلبيس! ولذلك كان لبس الحق بالباطل أخا الكتمان، كثيرًا ما يجتمعان، كما قال الله تعالى: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧١].

قال ابن تيمية: "فمن لبس الحق بالباطل كتم الحق ...".

إلى أن قال: "وجمع بينهما -أي في الآية السابقة- بدون إعادة حرف النفي؛ لأن اللبس مستلزمٌ للكتمان، ولَمْ يقتصر على الملزوم؛ لأن اللازم مقصودٌ بالنهي"[٢].

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (٧٢١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/٢١٩-٢٢٠).

ثُمَّ لعلك لَمْ تنتبه إِلَى قوله: "لو لَمْ يكن فيه إلا التجربة!" فإنّ هذه التجارب الَّتِي يوقعها "الإخوان المسلمون" على الشعوب الإسلامية فِي أعراضهم وأموالهم ودمائهم بل وفِي دينهم هي من أصولِهم المعلومة، كأن هذه الشعوب بَهائم فِي مُختبر الباحثين عن النتائج الصحيحة بعد تيه طويل!! ثُمَّ هم يسمون الخطأ صوابًا، والتأخر تقدمًا، والانتكاسة يقظة حَتَّى لا يفطن لَهم، ولا يُدرك غور الجرح الذي أصابوا به الأمة!

ومن أصولِهم أيضًا ضرورة التضحية بِجيل أو أجيال للوصول ... كأن هذه الشعوب البريئة ملكٌ خاص لَهم!! وكل هذا ورثوه من الشيوعيين، من خلال تجاربهم فِي "الواقع" كما أشرت إليه عند الرد على سلمان الذي صرح -بلا تورية- بأنه متأثر بِهم جدًّا.

والذي يظهر أن سبب هذا التخبط هو الخطأ فِي فهم الولاء للمؤمنين؛ وهو الأمر الثانِي -بعد العدل- الذي بنى عليه سفر محاضرته -الَّتِي ذكرتُ شيئًا منها فِي مطلع هذا الرد، خاصة فِي مقدمتها، وما دام قد بيَّنتُ هذا الأمر فِي بداية الكتاب عند أصل "الرد على المخالف" فلا أعيده، بل أكتفي بأن أنقل هنا رد الشيخ مُحمَّد البشير الإبراهيمي على من أنكر على جمعيته ما ينكر علينا اليوم.

قال -رحِمه الله-: "ولو أنصف خصومنا لعلموا أن إنكارنا عليهم هو دليل أخوتنا لَهم، بل دليل صدقنا فِي هذه الأخوة؛ فلو لَمْ يكونوا إخواننا فِي الدين لما أنكرنا عليهم ما أنكره الدين، وأن الدين الذي أوجب علينا أن ننكر المنكر، يوجب عليهم الفيئة إِلَى الحق، ويوجب علينا جميعًا التحاكم إِلَى كتاب الله وسنة نبيه والرضا بحكمهما والتسليم لَهما والرجوع إِلَى سبيلهما الجامعة، وقد دعوناهم إِلَى هذا ولا نزال ندعوهم ..."[(١)].

٥- **قولك:** "وحَتَّى الجبهة ليست حزبًا سياسيًّا..!".

---

(١) من آثاره (١/١٥٠).

❊ النقد: هل تلجأ إلى هذا التناقض؛ لأنك خائف على الجبهة من أن ترشقها سهام السنة الَّتي ما تذر من التحزب شيئًا أتت عليه إلا جعلته كالرميم؟!

هذا لا يعفيك -يا سفر!- من تأصيل مُحاضرتك عن حكم الله فِي التحزب والإضراب، والمظاهرة والانتخاب، ومن قبل هذا كله عن حكم العمل السياسي، خاصة من أمثالكم من الشباب[1].

ومن أخطاء سفر الواقعية الَّتي يضحك منها أتباعُ الجبهة أنفسهم: زعمه فِي آخر شريط رقم (٢٥٢) -المشار إليه آنفًا- أنه لا "جزأرة" فِي جبهة الإنقاذ!! بل أمره قبله بقليل بِمحاربتها وفضحها وسائر الأحزاب الأخرى، حيث قال: "... وبيان القومية الَّتي يسمونها: "الجزأرة" أو أيًا كانت!!".

❊ النقد: اعلم -يا سفر!- أن انتقادك "الجزأرة" يعني: انتقادك "الجبهة"؛ لأنَّها تَحمل شعارها، ولأنَّها تواجه الأعداء أنفسهم الذين تواجههم الجبهة، فبأي شرع تؤيِّد هؤلاء وترد على أولئك؟!

ثُمَّ لقد كانت "الجزأرة" منفصلة عن جبهة الإنقاذ عند ميلاد هذه، ثُمَّ أخذت تتوغل فيها شيئًا فشيئًا حَتَّى اقتحمتها بقوة، وأضحى رئيسها مُحمَّد سعيد يمثل الرجل الثالث من الجبهة، ولا يكاد الناس ينسون صورة خروج علي بن حاج فِي بدلة عسكرية مع الهاشمي سحنوني ومُحمَّد سعيد الوناس هذا وغيرهم متماسكي الأيدي فِي مظاهرة تضامن مع العراق!!

وبعد أن سجن ابن حاج وعباسي مدني تولى مُحمَّد سعيد رئاسة الجبهة، وخطب لأول مرة فِي مسجد الجبهة!!

فِي هذا الوقت الذي أضحى فيه حل مُنَظِّري ومنظمي ومستشاري ومرشَّحي

---

(١) ولو كنت -يا سفر!- بعلي بن حاج وجماعته رحيمًا لبيَّنت لَهم حكم الإضراب عن الطعام الذي تواتر عنهم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩].

الجبهة من الجزأرة، وفي الليلة نفسها الَّتِي كان هؤلاء يفوزون فِي الانتخابات البرلمانية يتكلم سفر بكلمته تلك، وينفي وجود "الجزأرة" فِي صفوف الجبهة!!!

ودليل تأريخ كلمة سفر هذه أنه قال فيها: "وإِلَى الآن شيوخها فِي السجن؛ الشيخ عباسي مدني والشيخ علي بن حاج ...". ثُمَّ يتحدث عن نتائج الانتخابات، فيقول: "فالحزب الحاكم ستة عشر مقعد (كذا)، والجبهة مائتين واثنين وقد تزيد، وقد تصل الليلة -يمكن- مائتين وعشرة".

❊ قلت: إن هذا الذي وقعت فيه -يا سفر!- يفسَّر بأحد أمرين:

- إما أنك لا تدريْ أن الجبهة و"الجزأرة" اسمان لمسمى واحد؛ لأنَّهما روحان اتَّحدا، فحرمك الله حسن التوفيق فِي قضية قفوت فيها ما ليس لك به علم!

- وإما أنك تدري ولكنك .. وأنا لا أحب لك هذه؛ لأن كبيرة الكذب شيمة تشين صاحبها، ولكن أرى أن تقنع بالأولى، ألا وهي أنك تكلمت عن واقع لا تفقهه، وهذا أصغر الكبيرتين، نسأل الله أن يتوب علينا وعليك.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

فقه واقع الجزائر عند بشر البشر

قال بشر البشر فِي شريط: "جراح المسلمين" فِي بداية الوجه (أ): "... وذلك لأن أوضاع الجزائر خافية على الكثير ..! أيها الأحبة جذور الجبهة الإسلامية للإنقاذ تمتد إِلَى جمعية العلماء الذي أسسها العالم السلفي عبد الحميد بن باديس!!".

وقال: "وفِي الجبهة -أيها الأخ الكريم!- علماء! علماء!! فيها مجموعة طيبة من أهل العلم تأخذ الجبهة بأقوالهم وترجع إليهم فِي معرفة الأحكام الشرعية، وهذه ميزة فريدة تتميز بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ عن كثير من الجماعات الإسلامية الَّتِي -مع الأسف- تَخلو من العلماء!!".

❊ النقد: هذا هراء على هراء، قد سبق أنه نفخ فِي الهواء، أو رقمٌ على الماء!

وهو يقول هذا بعد أن مدح الشيخ أحمد سحنون، وهذا الأخير هو القائد الشرفي لا الحقيقي لـــ"الجزأرة"، الذين استغلوا طيبة نفسه وكبر سنه حَتَّى كرَّهوا إليه السلفية، وما زالوا يراودونه حَتَّى كان يأتِي المدينة النبوية فيجمع الطلبة الجزائريين قائلاً لَهم: "لا تنسوا شخصيتكم الجزائرية! ومذهبكم المالكي! وعقيدتكم الأشعرية!!".

والطلبة عندكم، فاسألوهم إن كانوا ينطقون؟

وهذا الرجل كان قد نَهى رءوس الجبهة عن تكوين حزبهم، وبعث إليهم تلميذه الحميم مُحمَّد سعيد يوم تأسست الجبهة، وقال بأن الوقت غير ملائم لتكوين هذا الحزب، فقام فِي وجهه بعض رءوس الجبهة، وحرَّض الغوغاء عليه حَتَّى كادوا يوقعون به، لولا أنه أُخرج من المسجد باكيًا مشتومًا ...

فإذا كنت تعتبر سحنونًا من العلماء، بل من أعضاء الجمعية كما قلتَ، فلماذا

لَمْ يأخذوا بفتواه، وهم بنوا حزبَهم على مشورة العلماء كما زعمت؟!

وقال: "فمن العلماء الشيخ الأخضر الزاوي وهو شيخ جليل كبير السن".

* النقد: هذا الرجل أشعري مالكي متعصب، فأين السلفية؟

السلفيُّ من جمع أمرين هما:

١- متابعة السلف -لا الأشاعرة المتأخِّرين- في إخلاص الدين لله تعالى؛ في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته.

والأشاعرةَ قد سطوا على جملة من صفات الله ﷻ وأسْمائه فسلبوه إياها، ثُمَّ حرَّفوها عن معناها الذي أراده الله باسم التّنزيه! والله يقول: ﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]. هذا بعض ما عندهم!

٢- تَجريد المتابعة للرسول ﷺ، والمتعصب للمذهب لا يتبع إلا المذهب! ولئن اتبع المذهب بعد الاطلاع على الدليل فهو لا يزيد على دليل مذهبه؛ أي أنه لا يتبع الدليل لكون الرسول ﷺ قاله، ولكن لكون صاحب المذهب قال به؛ بدليل أنه يهون عليه ترك العمل بالحديث إذا خالف المذهب! ويعتذر بكون إمامه قد اطلع على هذا الدليل، وله في تركه مسالك ...!

قال: "ومن علمائها الشيخ طاهر آيت علجت، وهو عالم كبير القدر كبير العمر من علماء جمعية العلماء".

* قلت: هذا الشيخ رجل فاضل لولا أشعرية فيه وتفويض! وهو -وإن كان بيني وبينه حسن جوار- فإنني لا أحابي في التوحيد أحدًا.

ثُمَّ إن عذري في إثارة هذا كعذر من جاء فيه المثل العربي القائل: "قال الجدار للوتد: لِمَ تَشُقّني؟ قال: سل من يَدُقّني".

ومن طريف ما أذكره لك أخبرنيه أحد أقربائه أنه أسمعه كلام هذا المحاضر، فاستنكره الشيخ، وأنكر أن يكون يومًا ما قد انخرط مع جبهة الإنقاذ!

ولو أذن لنا هذا القريب أن نذكر اسمه لفعلنا، ولكن اتصل بالشيخ نفسه فهو خطيب بمسجد الغزالي بحي سيلي -حيدرة- الجزائر، ومن وصل تفقّهه للواقع إلى أمريكا وأبعد من أمريكا لا يعييه طلب التحقق ببرقية يكتبها إلى هذا العنوان!

قال: "ومن علمائها الشيخ يخلف شرّاطي ومن علمائها الشيخ أحمد الزاوي ... وأعرف أنا الشيخ مُحيي الدين درويش ..".

❊ النقد: أما الرجل الأول فقد انتهى به الأمر في آخر أيامه إلى أن صار رأسًا في التكفير، وكان لبياناته الأخيرة اليد الطولى في إراقة الدماء بشكل فظيع جدًّا، وكذا إضلال الشباب عن سواء السبيل!

وعلى كل حال فقد سبق الحديث عنه.

وأما الآخران فهما من حزب "الجزأرة"، وما أدراك ما "الجزأرة!" ولَهما يدٌ معروفة في منع السلفيين قديمًا وحديثًا من أي نشاط في مساجدهما، وهُما معروفان بانتقاصهما أهل الحديث، وانتصارهما للكوثري وأبي غدة ومنهجهما.

قال: "إنِّي أؤكد لك -يا أخي!- أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ تعتبر من أعداء الرافضة، لا أقول لك، ليس فيها شيعي، بل هي من أعداء الرافضة!".

❊ النقد: كسابقه في نقد سلمان.

ثُمَّ هؤلاء الذين سمَّاهم علماء لا يعرف عنهم أي استنكار على الشيعة، بل كثيرًا ما كانوا ينكرون علينا انتقادنا الشيعة، ويقولون: "عليكم مسحة سعودية!" وهم يقصدون: سلفية؛ لأنَّهم تخرَّجوا من جامعات السعودية!!

وقد اضطرني كلامه هذا إلَى أن أُخبر القارئ بأن للشيخ أحمد سحنون -الذي عده من علماء الجبهة- رثاء لرأس الضلالة الخميني، هذه هي صورته بتوقيعه؛ لا على أنه شيعي، ولكن بيانًا للواقع لفقهاء الواقع!.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

هذه صورة رثاء أحمد سحنون للخميني الرافضي

هوى النسر !!

07 جوان

مهداة إلى روح الإمام الخميني رحمه الله .

من الذي مات يا «غماري» ؟ يا «مصطفى» كن أخا اصطبار
مات الخميني الإمام حقًّا يا «مصطفى» الشعر لا تمارِ
لقد هوى النسر من علاه وكان يعلو بلا انحدار !
مات الإمام فمن تراه يا مصطفى حامي الديار ؟
مات كأن لم يعش طويلا وهكذا تختفي الدراري
غاب الخميني تبًّا لدنيا نُصاب بالموت والدمار
لكن مجد الإمام يبقى بلا زوال ولا اندثار .
ما مات من كان كالخميني قد عاش للمجد والفخار
وإن يكن موته المفاجي أصاب بالثكل كل دار
فمخ أخا الشعر كل لحن يليق بالقادة الكبار
وإنما الشعر نبض قلب ينبي عن لاعج الأوار
وومض وحي ونبع حب بلا حدود ولا قرار
يا قاهر «الشاه» يا مبيد طرد العدو من الديار
يا صادق العزم يا معبئ ضحى الشعوب إلى انتصار
يا صانعا صحوة أحالت عزّ الطغاة إلى اندحار !
عش في قلوب الشعوب حيا يبقى مدى الليل والنهار !
وكن منارا إلى المعالي أعظم بذكراك من منار !
طهران بعدك سوف تمضي تقفو خطاك بلا عثار
من هذه العقبات فافرح واسترح من شعرك يا «غماري»
يا رب لا تحرم «الخميني» من خير دار وخير جار
ولا تعذبه يا إلهي بزمهرير ولا بنار !
فإنه عاش في جهاد بلا هدوء ولا قرار .

أحمد سحنون

هذا رثاء أحمد سحنون للخميني الرافضي (هوى النسر!!)
مهداة إلى روح الإمام الخميني -رحمه الله- (١٤٠٩/١١/٣هـ)

من الذي مات يا "غُماري"[(١)]؟ — يا "مصطفى" كُن أخا اصطبار

(١) هو مصطفى الغماري أستاذ بكلية الأدب بجامعة الجزائر، كان من "الجزأرة"، ثُمَّ جاءت ثورة الخميني فجرفه سيلُها حتَّى صار رافضيًّا محترقًا! ولاسيما يوم أن زار إيران، وأغدقوا عليه بالهدايا الثمينة! فهناك خلع عقيدته إلَى عقيدتهم!! وله نظم شعري فِي مَجلاتهم!! مع ذلك فلا يزال شاعر "الجزأرة!!" اجتمعت به يومًا فِي مدينة المدية، فسمعته يطعن فِي الشيخ الألباني طعنًا شديدًا، فقال له أحد تلامذة مُحمَّد قطب -وهو من أصحابه!-: لكن لا تنس أن الذين قاموا على آل سعود بالسلاح فِي الحرم المكي سنة (١٤٠٠هـ) هم تلاميذ الألباني !!! فقال مباشرة: "عجيب! إذن فالشيخ عالِم!! ما كنتُ أدري أن الشيخ بِهذا المستوى العالي!!!".

* قلت: تأمل هذا المستوى العالي عند الروافض!!

وهذا الذي نُسب للشيخ الألباني يوهم أنه كان بأمر منه أو برضا منه! ولا يصحّ؛ فالشيخ لا يتحمل خطأ غيره، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾ [الزمر:٧]. ثُمَّ إنني سمعت الشيخ الألباني يُسأل عن هذه الجماعة الخارجة؟ فكان من جوابه أن سماهم: "خوارج!" من شريط مسجل فِي سلسلة الهدى والنور رقم (٧٥١/أ) فِي ترجمة الشيخ.

وقال الشيخ فِي الصحيحة (٢٧٨/٥): "واعلم أيها الأخ المؤمن! أن كثيرًا من الناس تطيش قلوبُهم عند حدوث بعض الفتن، ولا بصيرة عندهم تِجاهها ... ومثل جماعة (جهيمان) ... الذي قام بفتنة الحرم المكي على رأس سنة (١٤٠٠) هجرية، وزعم أنه معه المهدي المنتظر! وطلب من الحاضرين فِي الحرم أن يبايعوه، وكان قد اتَّبعه بعضُ البسطاء والمغفلين والأشرار من أتباعه، ثُمَّ قضى الله على فتنتهم بعد أن سفكوا كثيرًا من دماء المسلمين، وأراح الله تعالى العباد من شرِّهم".

وقد تعمَّدتُ هذا النقل عن الشيخ للرَّدِّ على جماعتين:

الأولى: قومٌ رأوا أن الشيخ قد وُضِع له القبول فِي الأرض، فتعمَّدوا الكذب عليه تسويقًا لبضاعتهم الثورية الخارجية!! وقد عرفهم القارئ هنا.

والثانية: قومٌ يبحثون عن سبيل لإسقاطه؛ من شدة بغضهم للحق الذي يدعو إليه! فطالما حاولوا إلصاق هذه الجماعة الخارجة فِي الحرم المكي به تنفيرًا للمسئولين عنه فِي العالم كله!!

=

مـات الخمـيني الإمام حقًا ... يـا "مصطفى" الشعر لا تمار
لقـد هوى النسر من عُلاه ... وكـان يعلـو بلا انحدار!
مـات الإمـام فمـن تُـراه ... يـا "مصطفى" حامي الديار!
مـات كـان لَمْ يعش طويلاً ... وهكـذا تختـفي الدراري
غـاب الخمـيني تـبًّا لدنيا ... تصـاب بـالموت والدَّمـار
لكـن مَجـد الإمـام يبقى ... بـلا زوال ولا اندثـار
مـا مات من كان كالخميني ... قـد عـاش للمجد والفخار
إن لَـمْ يكـن موته المفاجي ... أصـاب بالـشكل كـلَّ دار
فصُـغ أخا الشعر كل لحن ... يلـيق بالقـادة الكـبار
وإنَّمـا الشِّـعر نبض قلب ... ينبـئ عـن لاعـج الأوار
وومـض وحـي ونبع حب ... بـلا حـدود ولا قـرار
يـا قاهـر "الشاه" يا مجيدًا ... طـرد العـدو مـن الديار
يـا صـادق العزم يا محيلاً ... ضـعف الشعوب إلَى انتصار
يـا صـانعًا صحوة أحالت ... عـز الطغـاة إلَـى اندحار!
عش فِي قلوب الشعب حيًّا ... يـبقى مـدى الليل والنهار!
ودمْ مـنارًا إلَـى المعـالي ... أعظـم بذكـراك من منار!
طهـران بعدك سوف تمضي ... تقفـو خطـاك بـلا عـثار
مـن هـذه القبسات فاقدح ... واستَوح من شعرك يا "غماري"

وهما محتنان يُبتلى بهما أهل العلم؛ فقديمًا حرص القدريةُ على التعلُّق بالحسن البصري؛ روى أبو داود (٤٦٢٢)، واللالكائي فِي شرح أصول الاعتقاد (١٢٥٣) بإسناد صحيح عن أيوب قال: "كذب على الحسن ضربان من الناس: قومٌ القدَرُ رأيهم، وهم يريدون أن ينفقوا بذلك رأيهم، وقومٌ له فِي قلوبهم شنآنٌ وبغض، يقولون: أليس من قوله كذا؟! أليس من قوله كذا؟!".

يـــا رب لا تحرم "الخميني" مـــن خـــير دار وخـــير جار
ولا تعذبـــه يـــا إلهـــي بزمهريـــــر ولا بـــــنار
فإنه عـــاش فِي جهـــــاد بـــــلاِ هـــدوء ولا قـــرار

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

هذه صورة تعزية رابطة الدعوة الإسلامية الجزائرية للشعب الإيراني إثر هلاك الخميني والتي من أعضائها: عباسي مدني وعلي بن حاج ومحمد سعيد الوناس

بسم الله الرحمن الرحيم

تعزية

« إنا لله وإنا إليه راجعون ».

إن اللجنة التحضيرية لرابطة الدعوة الإسلامية لتقف متعاطفة مع الشعب الإيراني الشقيق اثر وفاة قائد الثورة الامام آية الله الخميني .

وإننا لندعو الله أن يقيض للشعب الإيراني الشقيق اماما في مستوى تحديات العصر وآمال المسلمين في التعاون لإقامة كيان سياسي جامع للأمة الاسلامية ، ولاستئناف وظيفتها الرسالية في ظل منهج النبوة

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه ، وعوض منه اماما يعمل لتحقيق مطامح الأمة الاسلامية

عن اللجنة التحضيرية لرابطة الدعوة الاسلامية

الشيخ أحمد سحنون .

الجزائر مسجد أسامة { ٠٥ من ذي القعدة ١٤٠٩ هـ / ٠٧ من جوان ١٩٨٩ م }

الإخوان المسلمون وراء رثاء الخميني الرافضي

ومن طريف تربص الأحزاب بعضها ببعض أن سحنونًا -على الرغم من اعترافه بأنه أديبٌ وليس عالِمًا بالشرع -يعتذر بأن الذي وسوس إليه بأن ينظم هذه المرثية المخزية هو محفوظ نحناح أمير الإخوان المسلمين، فهل يريد نحناح أن يلعب على الحبلين كما هي عادته؟ حتَّى إذا أحرجته معارفه بإيران بسؤاله عن موقف الإخوان من موت الخميني، قال: "ألَم نكن معكم؟! وهذه قصيدة شاعرنا سحنون تعبِّر عما فِي نفوسنا من ألَم!!".

وإذا جاء يوم الجداد من عند دول الخليج، سواء ليجمع الأموال باسم السلفية -وقد فعله- أو باسم "الإخوان" عند "الإخوان"، قال: "أرأيتم حين انشقت "الجزأرة" المحلية من أمها العالمية هبط بِها المستوى إلَى حد رثائهم الرافضة!!".

* قلت: وقديْمًا قيل: "مصارع الرجال تحت بروق الطمع"، بل قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة:٤٩-٥٠][1].

---

(١) وهذا الرجل معروف بكثرة الاستهزاء بالمتديِّنين، السُّنِّيِّين منهم خاصة! ولا أحد من أتباعه أو غيرهم يُنكِر أنه كان يُشبِّه المرأة المتنقبة بِمُمثِّل كافر يدعى "زورو" "Zorro"؛ لأنه كان لا يكشف من عينيه إلا سوادهما!!

ويسمي السواك الذي أمر به المصطفى ﷺ ورضي به الربُّ "عود مكنسة!!!"، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة:٤١].

وكان يُنكِّت بالدولة السعودية بُغية الطعن فِي علمائها السلفيين فيقول: "في السعودية حوت مذبوح على الطريقة الإسلامية!!"؛ يقول هذا ليوهِم الناس أن الدولة السعودية تستغفل علماءها بذلك!! هذا. وقد سُرَّ سنة (١٤١٧هـ)؛ إذ غنم صاحبه بالحزب من البرلمان بصيد، ألا وهو وزارة =

قال عن الجمعية: "ومن مشاهير علمائها الشيخ عمر العرباوي -رحمه الله- الذي مات في الإقامة الجبرية في أول عهد ابن جديد، وهو شيخُ العالم السلفي الشهير علي بن حاج -كشف الله كربته-!".

* النقد: الشيخ العرباوي -رحمه الله- توفّي قبل ميلاد جبهة الإنقاذ! فهل

الصيد البحري!!

ثُمَّ إنه في هذه السنة (١٤١٨هـ) مدّ يديه إلَى البرلمان كرة أخرى فرمى إليه بعظم: ألا وهو وزارة السياحة! بمركباتها السياحية! وما أدراك ما المركبات السياحية!! ولاسيما ما كان منها على شواطئ البحار؛ حيث الاختلاط الذي لا يتوارى دونه عار! ناهيك عن تقديم الخمور: أمّ الأدواء! في مراقصها ذات الليالي الحمراء! فكيف رضي لنفسه أن يتحوّل خادمًا لفنادقها؛ يقدِّم لها حُوت وزارته الأولَى ويسقي شعبه خمرًا؟! آحوتٌ مذبوحٌ على الطريقة الإسلامية -على تعبيركم- شر أم التوقيع على انتهاك هذه الحرمات على "الطريقة الإسلامية!"؟!

فأين فلسفتكم الوهمية في "أسلمة الأجهزة الإدارية؟!".

أم عندكم "رقص إسلامي غير عاهر؟!" و"غناء إسلامي غير ماجن؟!" واختلاط إسلامي بريء؟! فأين "سراب البديل الإسلامي؟!!".

هذا ناهيك عن تشييد زوايا الصوفية، وصون القبور المبنية داخل المساجد! فإنه موكول إلَى وزارتكم، والمحافظة عليها مطلبٌ تراثيٌّ شعبيٌّ، تزول معه الفوارق العقديَّة!! وهذا -والله!- شرٌّ مما سبق عند من شرح الله صدره للتوحيد.

هذا مع أنه ينزل كلَّ سنة تحت الضيافة الملكية في هذا البلد الأمين، وهو يعرف المثل الذي يقول عندنا: "يأكل الغلّة ويسب الملّة!!".

وهكذا فإن الذنب لا يُنسى؛ قال الله تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة:٦].

وأخبار محفوظ هذه محفوظة في أشرطة دروسه عند عامة الناس، بل أخبار محفوظ يجدها يوم القيامة: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢٢]. يوم لا ينوح على نحناح أحد، بل سيكون يومئذ هو وحده "النحناح" ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل:١١١]. يا له من يوم: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٩].

يدري هذا ما يقول؟! وأي ارتباط بين الجبهة وبين جمعية العلماء؟!

وقد مات في بيته عزيزًا مكرَّمًا، ولَمْ يكن تحت الإقامة الجبرية، وكان يزاول عمله الدعوي بكل حرية.

ومن فراسة هذا الشيخ، أنه كان يقول عن عباسي مدني قبل ميلاد الجبهة -لأنه توفي قبلها بنحو أربع سنين-: "أحذِّركم هذا الغِر!".

كما أن علي بن حاج كان يلقي أحيانًا دروسه بمسجده والشيخ كاره، فكيف يكون شيخًا له؟! وقد تقدَّم أنه لَمْ يتتلمذ على يديه، وإنَّما كان يأوي إليه أحيانًا لبعض المشاكل الاجتماعية بينه وبين خاله ...

وما كان من حضوره القليل عند الشيخ، كان لغرض الانتقاد عليه والاستدراك!

قال: "أحب أن أذكركم بأمر وهو أن إخوتنا الجزائريين قد استفتوا الشيخين الإمامين العالمين: الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ مُحمَّد بن عثيمين في ذلك، فقالوا لَهم: إذا كان هذا يُحقق مصلحة الإسلام، ويتم من خلاله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه لا بأس أن تدخلوا الانتخابات البرلمانية، وهذه -كما حدثني أحد الإخوة الثقات الجزائريين- مسجلة في أشرطة".

❊ النقد:

أما ما يَخص استفتاء الشيخين من قبل الجبهة فهذا لا يلجئون إليه إلا كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور:٤٩]. لأنَّهما عندهم عالِمَان قد صُنعا على عين أمريكا، لا يخرجان من أبواب الحيض والنفاس!

ويعلم الله كم وقعوا فيهما، لاسيما في قضية الخليج، وعلى رأسهم عباسي مدني؛ فهو شديد البغض لَهما، وكذا علي بن حاج على تستر وتقية!

أما مُحمَّد سعيد الوناس وأصحابه "الجزأريون"، فإنَّهم يعتبرونَهما بدوًا! لا جهاد لَهما، ويعيشان القرون الوسطى، على حد اعتقاد مُحمَّد الغزالي فيهما وما

يلمزهُما به!![1].

أما ما يخص ابن باز فقد مضى.

وأما الشيخ ابن عثيمين -رحِمه الله- فصحيح أنه جوّز لَهم دخول البرلمان، لكن لابدَّ من التنبه إلَى أنّهم لَمْ يستفتوا الشيخ إلا بعد أن دخلوا فِي العمل السياسي بنحو سنتين!

---

(١) كنت ذكرت فِي فصل سبق أن أول من نبز أهل العلم بـ"علماء الحيض والنفاس!" هم "الإخوان المسلمون"، وأستدرك على نفسي هاهنا لأقول: بل هم أول من ركز على تلقيبهم بذلك فِي هذا العصر، وإلا فهم قد ورثوا هذا الضلال من أهل البدع المتكلّمين الذين كانوا لا يرفعون رأسًا بفقه الكتاب والسنة، ويوم أن كان علماؤنا الأوائل ينكرون بشدة الفلسفة الَّتِي كانت تستورد من اليونان وقوانين الفرس والرومان وغيرها من البلاد الكافرة، كان خصومهم يرمونَهم بِما يُرْمَى به أتباعُهم اليوم أصحابُ الأثر، وهو "أنكم جامدون! ولا تحاولون الاتصال بالعالَم الخارجي لتُفيدوا من علومه! ونحن نفعل ذلك لندرك واقع عدوّنا ..."، وقد نبه فضيلة الشيخ علي بن ناصر الفقيهي -حفظه الله- فِي ندوة أقيمت بالجامعة الإسلامية فِي المدينة النبوية ليلة الخميس (١١ صفر ١٤١٧هـ) على أن هذه البدعة ليست جديدة، وذكر هناك كلامًا للشاطبي من الاعتصام (٢/ ٢٣٩) كأنه استلّه بالمنقاش؛ إذ فيه: "وروي عن إسماعيل بن علية قال: حدثني اليسع قال: تكلم واصل بن عطاء يومًا -يعني: المعتزلي- فقال عمرو بن عبيد: ألا تسمعون؟! ما كلام الحسن وابن سيرين -عندما تسمعون- إلا خرقة حيض ملقاة!! وروي أن زعيمًا من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل الكلام على الفقه، فكان يقول: إن علم الشافعي وأبي حنيفة جملته لا يخرج عن سراويل امرأة!!".

قال الشاطبي: "هذا كلام هؤلاء الزائغين، قاتلهم الله!".

* قلت: فماذا يكون قول الشاطبي لو أدرك أهل زماننا من الحركيِّين الحزبيِّين وهم يتفكهون بأعراض أهل العلم ورثة الأنبياء؟! "ولكل قوم وارث !!".

أما أثر عمرو بن عبيد فقد رواه العقيلي فِي الضعفاء (٣/٢٨٥)، وابن عدي فِي الكامل (٥/ ١٧٥٦)، وهو حسن.

فلو كانوا طلاب حق لعلموا قبل أن يعملوا؛ كما قال البخاري: "باب العلم قبل القول والعمل!".

ولو كانوا طلاّب حقٍّ لأخذوا بعين الاعتبار الشروط الّتِي اشترطها الشيخ فِي ذلك، وهي قيود أربعة، وليست واحدة كما زعم بشر، لو تأملتها لرأيت أن الشيخ قد قيدهم بوثاق شديد لا يَخطون به خطوة واحدة، وإليكموها، قال:

– أولاً: لا يَجوز الخروج على الأئمة ومنابذتُهم إلا حين يكفرون كفرًا صريحًا لقول النَّبِي ﷺ: «إلاَّ أن تروا كفرًا بواحًا ...». الحديث متفق عليه.

– ثانيًا: العلم بكفرهم، والعلماء هم الذين يقدّرونه، وأنا لا أقدر على أن أحكم على حكوماتكم؛ لأنني لا أعرفها، وفِي الحديث السابق: «عندكم فيه من الله برهان».

– ثالثًا: تَحقق المصلحة فِي ذلك وانتفاء المفسدة، وتقديرها لأهل العلم أيضًا.

– رابعًا: القدرة لدى المسلمين على إزاحة الحاكم الكافر.

ثُمَّ قدم نصيحة ذهبية –رحِمه الله– فقال ما معناه: "وعلى كل حال، فهذا الكلام نظري؛ لأن الغالب أن الشوكة والقوة لهذه الحكومات، وأنا أنصح بالروية والدعوة بالحكمة، وترك الدخول فِي هذه المواجهات ...إلخ"[1].

– قيد خامس مهم: وهو أن الشيخ يشترط فيمن يمارس السياسة أن يكون من أهل العلم الذين بلغوا درجة أهل الاستنباط؛ بدليل قوله: "السياسية لَها قوم، والدين له قوم؛ وقد أشار الله إلَى هذا فِي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ

---

(١) وهذه النصيحة لَمْ ترق جبهة الإنقاذ، لذلك ففي نهاية سنة (١٤١٢هـ) أخبرت أن شريطًا للشيخ يباع قيل: فيه فتواه في تأييد دخول البرلمانات ... إلخ، فلما سألت عن الشريط فإذا جماعة الجبهة لم ينشروا منه إلا ربع ساعة التي فيها ما يوافق أهواءهم، مع أن مدة الشريط ساعة إلا ربعًا تقريبًا.

وللشيخ أيضًا كلام مطوَّل في شريطين آخرين لا يخرجان عما كتبته هنا.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]... وليس قولي هذا فصل السياسة عن الدين أبدًا! الدينُ نفسه سياسة"[1].

* قلت: وهذا قيد في غاية الأهمية؛ لأن جُلّ -إن لَمْ أقل كل- الذين يريدون خوض غمار السياسة اليوم لا يصلح أن يقال لَهم: "طلبة علم!" فكيف يقال لَهم: "علماء؟!" أم كيف يتصوَّر فيهم "علماء مستنبطون؟!" وكل منصف يفهم هذا الكلام.

- قيد سادس: نقول لهؤلاء: لو تنزَّلنا معكم جدلاً إلَى أنكم سألتم الشيخ فأيدكم فيما أنتم فيه، فلماذا تلجئون دائمًا إلَى العنف بعد أن تستنفدوا قواكم فِي لعبة "البرلمان؟!" فهلا سألتم الشيخ عن ذلك أيضًا؟! لماذا لا تسألونه عن حملكم السلاح ضد النظام الحاكم أو ضد الأحزاب الَّتِي تواجهكم؟!

والجواب هو: لأنكم لا تسألون سؤال متعلِّم! وإنَّما تسألون سؤال من حمل معتقدًا، ويبحث له عن مؤيِّد!! والدليل على ذلك هو أنكم إذا قيل لكم: اسألوه: هل هذا العنف جهاد؟

قلتم: الشيخ لا يعرف واقعنا!!

وإذا قيل لكم: إذن وضِّحوا له واقعكم!

قلتم: الشيخ مداهن لأنظمة الطواغيت!!

فهذه ثلاثة أشياء:

- الأول: ليس فيكم علماء مجتهدون.

- الثاني: تتخذون من فتوى الشيخ متكأً للوصول إلَى التكفير، ثُمَّ إلَى العنف الذي تُبيِّتونه!

وأنتم تعلمون أن الشيخ يُخالفكم فيهما جميعًا؛ ولكنه الهوى...

---

(١) من شريط مسجل باسم: "لقاء أبي الحسن المأربي مع الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين".

❊ الثالث: أن الشيخ عندكم لا يعرف واقع الحكومات! أو مغفَّل! أو هو مداهن! فمنكم من صرَّح ومنكم من ينتظر!! وما بدلتم تبديلاً!

ثُمَّ يشاء الله أن يتأخَّر نشر هذا البحث حَتَّى يُسمعني أحد الإخوة شريطًا سُجِّل مع الشيخ فِي شوال (١٤١٤هـ) فيه قول السائل:

وهل كذلك أنكم قلتم باستمرار المواجهة ضد النظام بالجزائر؟

فأجاب: "ما قلنا بشيء من ذلك!".

قال السائل: في اشتداد هذه المضايقات هل تُشرَع الهجرة إلَى بلاد الكفر؟

قال: "الواجب الصبر؛ لأن البلاد بلاد إسلام، يُنادَى بِها للصلوات، وتقام فيها الجمعة والجماعات، فالواجب الصبر حتَّى يأتِي الله بأمره".

❊ قلت: فلم هذا التمويه، وهذه الخيانة فِي النقل؟!

ألا يعلمون أن الله لا ينصر إلا الصادقين؟! قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [مُحمد:٢١].

أما يَخافون أن يكون الشيخ خصمهم يوم القيامة؟!

ما هذه الغفلة عن المعاد؟! ﴿أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:٤-٦].

هؤلاء -يا مُحاضرنا!- هم ثقاتك؟! وعلى كواهلهم تقوم وزارة الإعلام فِي دولة الإسلام؟! وهذا هو فقه الواقع؟!

ثُمَّ لما كان احتراف الكذب لتأييد الرأي صنعة الحزبيين، ولمعرفتِي بأنه قد نُسب للشيخ إباحةُ المظاهرات والاعتصامات وغيرها من مبتدعات الغرب الكافر، فلابد من نقل كلامه -رحِمه الله- فِي ذلك، فقد سئل فِي مُحرم (١٤١٦هـ) عما يأتِي:

- ما مدى شرعية ما يسمونه بالاعتصام في المساجد وهم -كما يزعمون- يعتمدون

على فتوى لكم في أحوال الجزائر سابقًا أنّها تجوز إن لَم يكن فيها شغب ولا معارضة بسلاح أو شبهه، فما الحكم في نظركم؟ وما توجيهكم لنا؟

- فأجاب: أما أنا، فما أكثر ما يُكْذب عليَّ! وأسأل الله أن يهدي من كذب عليَّ، وألا يعود لمثلها!

والعجب من قوم يفعلون هذا، ولَم يتفطّنوا لما حصل في البلاد الأخرى التي سار شبابُها على مثل هذا المنوال! ماذا حصل؟ هل أنتجوا شيئًا؟

بالأمس تقول إذاعة لندن:

إن الذين قُتلوا من الجزائريين في خلال ثلاث سنوات بلغوا أربعين ألفًا! أربعون ألفًا؟!! عدد كبير خسرهم المسلمون من أجل إحداث مثل هذه الفوضى! والنار -كما تعلمون- أولها شرارة ثُم تكون جحيمًا؛ لأن الناس إذا كره بعضُهم بعضًا، وكرهوا ولاة أمورهم حملوا السلاح -ما الذي يَمنعهم!- فيحصل الشر والفوضى ...

وقد أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- من رأى من أميره شيئًا يكرهه أن يصبر، وقال: «من مات على غير إمام مات ميتة جاهلية».

الواجب علينا: أن ننصح بقدر المستطاع، أما أن نظهر المبارزة والاحتجاجات علنًا فهذا خلاف هدي السلف، وقد علمتم الآن أن هذه الأمور لا تَمت إلَى الشريعة بصلة ولا إلَى الإصلاح بصلة، ما هي إلا مضرّة ... الخليفة المأمون قتل من العلماء الذين لَم يقولوا بقوله في خلق القرآن، قتل جمعًا من العلماء، وأجبر الناس على أن يقولوا بهذا القول الباطل، ما سَمعنا عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة أن أحدًا منهم اعتصم في أي مسجد أبدًا، ولا سَمعنا أنّهم كانوا ينشرون معايبه من أجل أن يَحمل الناس عليه الحقد والبغضاء والكراهية...

ولا نؤيد المظاهرات أو الاعتصامات أو ما أشبه ذلك، لا نؤيِّدها إطلاقًا، ويُمكن الإصلاح بدونها، لكن لابد أن هناك أصابع خفية داخلية أو خارجية تُحاول بث مثل هذه الأمور"[١].

---

(١) جريدة المسلمون عدد (٥٤٠) (ص:١٠)- الجمعة (١١ المحرم ١٤١٦هـ).

فقه واقع الجزائر عند عائض القرني

أما عائض القرني، فقد وقع فِي الخطأ الذي تواصوا به جميعًا، وهو زعمهم أن جبهة الإنقاذ امتداد لجمعية العلماء الجزائريين!

وقال فِي خطبة جمعة: "والذي نفسي بيده لقد خرج فِي الجزائر فِي يوم واحد سبعمائة ألف امرأة مسلمة متحجبة يطالبن بتحكيم شرع الله!!!".

* النقد: يا لَها من مصيبة حين يهون عليك اسم الله فتُقسم به على عدد وهميّ خيالي! وتُقسم على قضية خاسرة دنيا وأخرى!!

أفي المظاهرة الموروثة من الكفار والشيوعيين يُبذل اسم الله الأعظم؟! ألم يقل الله: ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:٩٤].

أبأمة انقرض ذكورها حتَّى خرج إناثها تفتخر أيها الخطيب؟!

أبالخروج من البيت تحكم المرأة بشرع الله؟! أليس فِي شرع الله قول الله ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب:٣٣].

كان عليك أن تقول لهن: ابدأن بأنفسكن فحكّمن الشرع، ثُمَّ طالبن غيركنّ بذلك بالطريق المشروع، أم أن السياسة الوضعية لَمْ تترك لك مَجالاً -أيها الخطيب!- ولا لمن افتخرت به لتفكروا فِي حدود الشرع؟!

لقد خرجت عائشة رضي الله عنها يوم الجمل فلم يَحمدها عليه الصحابة ولا هي حمدت فعلها، فقد قال ابن حجر: "وقد أخرج الطبري بسند صحيح عن أبي يزيد المديني قال: قال عمار بن ياسر لعائشة لما فرغوا من الجمل: «ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليكم! يشير إلَى قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، فقالت: أبو اليقظان؟

قال: نعم! قالت: والله! إنك ما علمتُ لقوّالٌ بالحق. قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك»[1].

❊ قلت: أما بلغك أن عائشة رضي الله عنها كانت تبكي على خروجها هذا بكاءً شديدًا؟ فعن قيس بن حازم قال: «لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلاً فنبحت الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوْأب. قالت: ما أظنني إلا راجعة. فقال بعض من كان معها: **بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم**. قالت: إن رسول الله ﷺ قال لَها ذات يوم: **كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب**». رواه أحمد وابن حبان وصححه هو والحاكم والذهبي وابن كثير، وقال ابن حجر: وسنده على شرط الصحيح"[2]، وقال الألباني: "إسناده صحيح جدًّا"[3].

فتأمل قوله: «فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم» وما بين هذه النية ونية المتظاهرات في أن يراهن الناس فيتشجع بِهن المؤمنون، ويتصاغر المجرمون في زعمهن، مع الفرق الواضح بين فعل عائشة هذا الذي لم تبتغ به سوى الإصلاح بين أبنائها المؤمنين وحقن دمائهم، وبين فعل المتظاهرات الداخلات في السياسة!

وقال الزيلعي: "وقد أظهرت عائشة الندم، كما أخرجه ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب عن ابن أبي عتيق وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال: قالت عائشة لابن عمر: «يا أبا عبد الرحمن! ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً غلب عليك -يعني ابن الزبير- فقالت: أما والله لو نَهيتني ما خرجت»[4].

---

(١) الفتح (٦٣/١٣).

(٢) الفتح (٥٩/١٣).

(٣) انظر: الصحيحة رقم (٤٧٤).

(٤) نصب الراية (٤/٦٩-٧٠).

قال الذهبي: "وذكره، ثُم ذكر رواية أخرى منه فيها أن خروجها هذا جعلها تعدل عن تحديث نفسها بالدفن في حجرتها كما كانت تأمل، فعن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال: قالت عائشة وكانت تُحدِّث نفسها أن تدفن في بيتها، فقالت: «إنّي أحدثتُ بعد رسولِ الله ﷺ حدثًا، ادفنوني مع أزواجه، فدُفنت بالبقيع ﵂».

قال الذهبي: "قلت: تعني بالحدث مسيرها يوم الجمل، فإنها ندمت ندامة كليَّة وتابت من ذلك، على أنّها ما فعلت ذلك إلا متأوِّلة قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبد الله، والزبير بن العوام، وجماعة من الكبار، -رضي الله عن الجميع-"[1].

ولا تنس أن عائشة أم المؤمنين جميعًا، فأين هؤلاء منها؟! ولذلك روى البخاري عن أبي مريم عبد الله بن زياد الأسدي قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلَى البصرة، بعث عليٌّ عمار بن ياسر وحسن بن علي، فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه، وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه، فسمعت عمارًا يقول: إن عائشة قد سارت إلَى البصرة، والله إنّها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله -تبارك وتعالى- ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي؟ .

ورحم الله زمانًا كان أهله يستنبطون حكم الله في المسائل السياسية بمجرد دخول النساء فيها، ويَجزمون بفسادها ولو كان فيها أم المؤمنين؛ فقد روى البخاري أيضًا عن أبي بكرة ﷺ قال: «لقد نفعني الله بكلمة سمعتُها من رسول الله ﷺ»، أيام الجمل بعد ما كدتُ أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملَّكوا عليهم بنت كسرى قال: لن يفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة».

فكيف يزعم سفر الحوالي في شريط رقم (١٨٥) من شرح العقيدة الطحاوية: "أن المظاهرة النسوية أسلوب من أساليب الدعوة والتأثير؟! هذه داهية الدواهي!!

---

(١) السير (١٩٣/٢)، وأثر عائشة هذا رواه ابن سعد في الطبقات (٥٩/٨)، والحاكم (٦/٤).

وهذا سلمان يُسرُّ بخروج النساء للمظاهرة! فيقول فِي شريط للنساء فقط!: "إننا سمعنا فِي البلاد الأخرى أخبارًا سارة عن العودة الصادقة -خاصة فِي أوساط الفتيات- إِلَى الله ﷻ، كل الناس سمعوا بالمظاهرة الصاخبة فِي الجزائر، وقادتها مجموعة من النساء، وبلغ العدد فيها ما يزيد على مئات الألوف!!!".

وتالله إن أمر هؤلاء لعجب! من كان يتصور أن جزيرة العرب -بعد دعوة الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب رحِمه الله- سوف تلد أمثال هؤلاء!!

أبعد حياة العفة الَّتِي حافظ عليها مسلموها يَجيء سفر وسلمان والقرنِي إِلَى النساء ليخرجوهن من بيت عزِّهن؛ تكثُّرًا بِهن، وتقويًا بالقوارير؟!

سفر يبيِّن الأثر العميق فِي خروج المرأة للمظاهرة!

والقرنِي يؤكِّده بالقسم!!

وسلمان يهيجها لتصبر على الدبابات!!!

يا له من دين غريب![1].

---

(١) ومن ضحايا هذا الفكر رجل يقال له مَجالي البوق، كان له شريط مسجل كثير الذيوع عندنا وهو خطبة جمعة، استفتحها بالحديث الموضوع عند بعض العلماء والضعيف عند آخرين: «من لَمْ يهتم بأمر المسلمين فليس منهم». انظر: الضعيفة للألباني رقم (٣٠٩). وتعرض فيه لفتنة الجزائر فقال: "وإنه من المؤسف جدًّا أن تُنقل إلينا الأخبار على غير وجهها؛ وما ذلك إلا لأن الذي يسيطر على وكالات الأنباء فِي العالم هم اليهود أو نصارى أو الذين يأخذون عنهم، أذناب لَهم، فيأخذون عنهم الأخبار، ومن ثَمَّ يعلنونَها لنا بالليل والنهار ...". قال -هداه الله-: "وقد كان يوجد بقية باقية من علماء رابطة السلف -يعني: الجمعية- الشيخ سحنون!".

وقال: "هل تعرفون -أيها الإخوة الكرام!- أن الجزائر الآن ربَّما كانت فِي حال أحسن من حالنا فِي هذه البلاد فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟! لقد بلغني عن طريق الثقات!! أنه لا يستطيع شخص أن يعلن بيع أشرطة الفيديو ... لا يستطيع أحد أن يَجرؤ على بيع الآلات الموسيقية جهارًا عيانًا ... إذا كان فيديو، ما يَجرؤ الآن على بيع أشرطة الفيديو!! ونحن مع الأسف الفيديو عندنا ...".

* النقد: ترك النقد هاهنا هو الأولى؛ لأن الرجل يبكي على همه، فاختلط عليه هم غيره حتَّى =

شبهتان والرد عليهما

* الأولى: كثيرًا ما نلقى بعض المخلصين لدعوة الإسلام، المشاركين المسلمين أحزانَهم إذا أبلغناهم حقيقة الدعوة بالجزائر، يصابون بيأس وصدمة حَتَّى ينقدح فِي نفوس ضعاف الأخلاق منهم أن بياننا هذا تعويق لمسار الدعوة وتعطيل للجهاد، أو خرجوه مَخرج حسد الأقران حَتَّى لا يُتّهموا بالعناد، خاصة وأن كلمتهم وكلمة دعاتِهم الَّتِي بينا مُخالفتها للشرع والواقع قد طارت فِي الآفاق، ولا تتحمل صدورهم تخطئتهم؛ لأن ذلك إضعاف لمصداقيتهم السياسية، وتشكيك فِي الدعاية لَهم بالفطنة وسعة الاطلاع على أحوال المسلمين.

فيقولون إما مجاملة لنا أو بعد أن لَمْ يكن بد من تصديق أخبارنا-: "على كل حال أنتم ترون أن وقت الجهاد لَمْ يَحن بعد، وغيركم يُخالفكم فِي ذلك، والمسألة اجتهادية، فلا معنى لأن ينكر بعضكم على بعض؛ لأن من أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر، والعدو لا يرضى منكم إلا بالخلاف..."، وغيره من زخرف القول الذي يُجهضون به النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأحسن الظن بِهم أنَّهم -مع إخلاصهم إن شاء الله- يعيشون اضطرابًا فِي منهجهم الدعوي، أي: إخلاص مع جهل بالطريق الإصلاحي الذي سلكه رسول الله ﷺ، وإلا فلو عرفوا شروط الجهاد، وضموا لإخلاصهم متابعة الرسول ﷺ بعد معرفتها لانكشف عنهم كثير من الغبش، ولكان عمدتُهم خطوات الرسول ﷺ لا

جعل قضية الجزائر الكاذبة بطاقة ضغط على حكومته ولو كانت أحاجي ثقاته!

وكم ذا بمصر من المضحكات　　　ولكنه ضحكٌ كالبكاء

التخمينات والتجارب والنتائج المتخيلة.

* فنقول: أولاً: كيف جعلتم دماء المسلمين ودعوة الإسلام في مُختبر تجربة طلبة العلم؟ وبأي شرع سوغتم لهم الاجتهاد؟

كلاّ! لا يكون الاجتهاد في المقامرة بأرواح المسلمين، والمغامرة بدعوة الإسلام.

ثُمَّ هاك ثانيًا الجواب العلمي المفصل: قال الشافعي -رحمه الله-: "ومن تكلف ما جهل وما لَمْ تُثبته معرفته كانت موافقته للصواب -إن وافقه من حيث لا يعرفه- غير مَحمودة والله أعلم، وكان بخطئه غير معذور، إذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب"[١].

وقال ابن تيمية -رحمه الله- "فإن من الناس من يكون عنده نوع من الدين مع جهل عظيم، فهؤلاء يتكلم أحدهم بلا علم فيخطئ، ويُخبر عن الأمور بخلاف ما هي عليه خبرًا غير مطابق، ومن تكلم في الدين بغير الاجتهاد المسوغ له الكلام وأخطأ فإنه كاذب آثم؛ كما قاله النَّبي ﷺ في الحديث الذي في السنن عن بريدة عن النَّبي ﷺ أنه قال: «القضاة ثلاثة قاضيان في النار، وقاض في الجنة، رجل قضى على جهل فهو في النار، ورجل عرف الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ورجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة»[٢]. ثُمَّ قال في الرجل الأول: فهو الذي يجهل وإن لَمْ يتعمد خلاف الحق فهو في النار، بخلاف المجتهد الذي قال فيه النَّبي ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر»[٣]. فهذا الذي جعل له أجرًا مع خطئه؛ لأنه اجتهد فاتقى ما استطاع، بخلاف من قضى بما ليس له به علم، وتكلم بدون الاجتهاد المسوغ له الكلام، فإن هذا كما في الحديث عن ابن عباس عن النَّبي ﷺ أنه قال:

(١) الرسالة رقم (١٨٧).

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه وهو صحيح.

(٣) متفق عليه.

«من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». وفي رواية: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ، ومن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار»[(١)].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكنه يقبضه بقبض العلماء، فإذا لَمْ يبق عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فَضَلُّوا وأَضَلُّوا». وفي رواية للبخاري: «فأفتوا برأيهم».

وهذا بخلاف المجتهد الذي اتقى الله ما استطاع، وابتغى طلب العلم بحسب الإمكان، وتكلم ابتغاء وجه الله، وعلم رجحان دليل علي دليل فقال بموجب الراجح، فهذا مطيع لله مأجور أجرين إن أصاب، وإن أخطأ أجرًا واحدًا...

والمقصود: أن من تكلم بلا علم يسوغ، وقال غير الحق فإنه يسمى كاذبًا ... ويطلق عليه الكذب، كما قال النبي ﷺ: «كذب أبو السنابل»، ومثل هذا كثير"[(٢)].

* قلت: جاء -بالإسناد الصحيح بعد حديث: «القضاة ثلاثة ...»- قول قتادة: فقلت: لأبي العالية: "ما بال هذا الذي اجتهد رأيه في الحق فأخطأ؟ قال: لو شاء لَم يَجلس يقضي وهو لا يُحسن يقضي"، وعند البغوي: "ذنبه ألاَّ يكون قاضيًا إذا لَم يعلم"

قال البيهقي: "تفسير أبي العالية على من لَم يُحسن يقضي دليل على أن الخبر ورد فيمن اجتهد رأيه وهو من غير أهل الاجتهاد، فإن كان من أهل الاجتهاد فأخطأ فيما يسوغ فيه الاجتهاد رُفع عنه خطؤه -إن شاء الله- بحكم النبي ﷺ في حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة رضي الله عنهما وذلك يرد، وبالله التوفيق".

يريد هنا حديث: «إذا اجتهد الحاكم ...».

---

(١) انظر: ضعيف الجامع (٥٧٤٨، ٥٧٤٩).

(٢) الرد على الأخنائي (٩-١١) نقلاً عن: "منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف" (٧٧-٧٩) للشيخ ربيع المدخلي.

وقال البغوي: "قوله: «إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار». أراد به إذا كان اجتهاده على غير علم، فأما من كان من أهل الاجتهاد ففرضه الاجتهاد فيما يَعِنُّ له من الحوادث، والخطأ فيه عنه موضوع"(١).

وبعد، فهل آن لإخواننا المجتهدين اليوم في السياسة -بغير الاجتهاد المسوِّغ لَهم ذلك- أن يعتبروا فيتأنوا ويتنحّوا ويعطوا القوس باريها؟!

فإن قالوا: هذا الكلام منصب على غيرنا؛ لأننا لَمْ نتكلم في واقع أمة إلا بعد الإحاطة به، ألا ترون أن أخبارنا جديدة، وأن متابعتنا لوسائل الإعلام شديدة؟

قلنا: لئن زعمتم أن وسائل الإعلام مغنيتكم شيئًا من الحق فلقد أخطأتم مرتين:

- الأولى: هذا دليل غفلة شديدة؛ إذ كيف يتصور مسلم أن عدوه يأتيه بنبأ يقين؟ وتتبعكم لأخباره متصورينه موضوعيًّا، وبناؤكم الأحكام عليه دليل على أنكم لا تفقهون من واقع عدوكم شيئًا.

- الثانية: لا يمحص الأخبار ويَحكم عليها بما تستحق من صحة أو ضعف إلا أهل الحديث أو من أمسك بغربالهم، وقد رأيناكم لا تفعلون شيئًا من ذلك، بل أعماركم في تتبُّعها تضيع، وتُدوَّن فتاواكم فيها ويوم القيامة تشيع، قال سبحانه: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩].

ثُمَّ أيضًا قد دلَّت التجربة على أن خطأكم في نقل الواقع أكثر من إصابتكم، كما بيَّنتُه لكم في رقعة واحدة من العالم الإسلامي فقط! فكيف لو تتبَّعناكم في غيرها وأنتم لا تتورّعون عن الخوض في أخبار العالم بأسره!! وقد قيل: "هن ثمارهم تعرفونَهم!".

وقد تبيَّنَّا خطورة مسلككم هذا حين وجدناكم وراء كل فتنة، مغرِّرين بأهلها بتسميتها جهادًا، ونِهايتها سحق الدعوة الإسلامية!

---

(١) انظر هذه الروايات والأقوال في: أخبار القضاة لوكيع (١٨/١)، وسنن البيهقي (١١٧/١٠)، وشرح السنة للبغوي (٩٣/١٠) ط. المكتب الإسلامي.

❊ الشبهة الثانية: فإن قيل: إذا كان لا يفتي في الأحكام السلطانية أو ما يسمى بالقضايا السياسية إلا عالم متبحر، فكيف يُعرف، وهل يعرف نفسه أنه كذلك؟

❊ الجواب: كما اصطفى الله تعالى من البشر رجالاً فجعلهم مرجع الناس فقال: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج:٧٥]. فإن الرسول ﷺ -أيضًا- قد اصطفى لنا قدوتنا في العلم والتقوى حين قال: «**خيرُ الناس قرني، ثُمَّ الذين يلونهم، ثُمَّ الذين يلونهم ...**» متفق عليه.

ولا يزال أهل العلم من هؤلاء يزكون من يجيء من بعدهم، وما أظن أن ما يسمى بـ"الإجازة" يَخفى عليكم، فإنه لحفظ هذا الدين من أن يقول فيه من شاء ما شاء، قد درج أهل العلم على إجازة النابغين من تلامذتهم، إما إجازة خاصة، وإما عامة، إما في فنٍّ، وإما في أكثر.

وقد قال الإمام مالك -رحمه الله-: "ما أفتيت حتَّى شهد لي سبعون أنِّي أهل لذلك"[١].

وقال: "لا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتَّى يسأل من كان أعلم منه"[٢].

وينبغي أن يراعى دقة التعبير في هذه الإجازات؛ فإن تزكية امرئ بالتقوى لا تغنيه كبير شيء في التبليغ عن دين الله تعالى، كما أن تزكيته بالعلم عمومًا وبإجمال لا تغنيه كثيرًا في فقه النوازل، وقال ابن سيرين : "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم" رواه مسلم في مقدمة الصحيح.

قال ابن رشد في شروط من يتصدى للفتوى في النوازل:

- "أن يراه الناس -أي: العلماء كما سيأتي في كلام الشاطبي- أهلاً لذلك.

---

(١) رواه أبو نعيم (٣١٦/٦)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٤١- العزازي)، وهو صحيح، وروى نحوه ابن ناصر الدين في إتحاف السالك (ص:٥٨).

(٢) رواه أبو نعيم (٣١٦/٦)، والبيهقي في المدخل (٨٢٥)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٤٢).

- الثاني: أن يرى نفسه قد جمع شروط الاجتهاد.

فإذا اجتمعت فيه هذه الخصال مع العدالة والخير والدين صحَّ استفتاؤه فيما ينزِل من الأحكام ..."[1].

وأوضح هذا الشاطبيُّ بأبدع بيان حيث قال: "والعالِم[2] إذا لَمْ يشهد له العلماءُ فهو فِي الحكم باق على الأصل من عدم العلم حَتَّى يشهد فيه غيره، ويعلم من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم العلم أو على شك، فاختيار الإقدام فِي هاتين الحالتين على الإحجام لا يكون إلا باتباع الهوى؛ إذ كان ينبغي له أن يستفتي فِي نفسه غيره، ولَمْ يفعل! وكان من حقه أن لا يقدم إلا أن يقدِّمه غيره، ولَمْ يفعل!".

قال الألباني فِي المصدر السابق: "هذه نصيحة الإمام الشاطبي إلَى (العالِم) الذي بإمكانه أن يتقدم إلَى الناس بشيء من العلم، ينصحه بأن لا يتقدَم حَتَّى يشهد له العلماءُ، خشية أن يكون من أهل الأهواء، فماذا كان ينصح -يا تُرى- لو رأى بعض هؤلاء المتعلّقين بِهذا العلم فِي زمننا هذا؟! لا شك أنه كان يقول له: (ليس هذا عُشك فادرجي)، فهل من معتبر؟! وإنِّي -والله- لأخشى على هذا البعض أن يَشملهم قوله ﷺ: «ينزع عقول ذلك الزمان، ويخلف لَها هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنَّهم على شيء، وليسوا على شيء!!»[3].

وقال ابن القيم -رحِمه الله-: "من أفتى الناس وليس بأهل للفتوى فهو آثم عاص، ومن أقره من ولاة الأمور على ذلك فهو آثم عاص.

وقال أبو الفرج بن الجوزي: "ويلزم ولي الأمر منعهم كما فعل بنو أمية، وهؤلاء

---

(١) البيان والتحصيل (٣٣٩/١٧).

(٢) قال الألباني هاهنا بعدما أشار إلَى الاعتصام (٩٩/٣): "تأملوا لَمْ يقل: طالب العلم!" كذا فِي الصحيحة (٧١٣/٢- الاستدراك رقم ١١).

(٣) وهذا الحديث صححه فِي صحيحته (١٦٨٢).

بمنزلة من يدل الركب وليس له علم بالطريق، وبمنزلة من لا معرفة له بالطب وهو يُطبُّ الناس، بل هؤلاء أسوأ حالاً من هؤلاء كلهم. وإذا تعين فعلى ولي الأمر منع من لَمْ يُحسن التطبب من مداواة المرضى، فكيف بمن لَمْ يعرف الكتاب والسنة ولَمْ يتفقه في الدين.

قال: وكان شيخنا -أي: ابن تيمية- شديد الإنكار على هؤلاء فسمعته يقول: قال لي بعض هؤلاء: أجعلت مُحتسبًا على الفتوى؟ فقلت له: يكون على الخبازين والطباخين مُحتسب، ولا يكون على الفتوى مُحتسب؟!"[١].

* * * * *

(١) إعلام الموقعين (٢١٧/٤).

دعوة: ﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾

وبعد هذا كله أدعو الدكتور سفر الحوالي وسلمان العودة ومن هو على منهجهما أن يدعوا الإفتاء في النوازل، وبتعبير أبين لبني عصرنا: أن يدعوا الإفتاء في القضايا السياسية لأهلها، وقد سمينا لكم في غضون هذا البحث بعضهم كالشيخ الألباني، والشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ الفوزان[١] وغيرهم -حفظهم الله-؛ لأنه لا معنى لدخولكم في هذا الأمر وهيئة كبار العلماء بين أظهركم، ثُمَّ "إن **أحدكم ليفتي في المسألة لو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر**"[٢].

---

(١) أرجو ألا نختلف في هذه الأسماء لأن ما يجمع بيننا من معتقد السلف أمتن من أن يذرى تحت أدراج رياح الحزبية، وأرجو أن يكونوا عندكم فقهاء يصلحون للفتوى فيما يسمى اليوم بالقضايا المصيرية، أرجو أن نكون صادقين في هذا الوصف، وألا يغالط بعضُنا بعضًا بأن يظهر توقيرهم ويبيِّت في نفسه أو حزبه ما لا يرضى ربنا من القول، كما فعل في هذه الأيام من ترجم للشيخ ابن باز -متع الله المسلمين بحياته- في مجلة سياسية، فإن من يقرؤها لا يتصور الشيخ إلا شيخ زاوية أو تكية، يدخل عليه الناس فيكرمهم بالطعام والشراب، ويَخرجون! ويأتيه الطلبة فيسخو عليهم بما آتاه الله، أما "القضايا المصيرية" -كما يقولون- فالشيخ عنها بمعزل حَتَّى يخرج من غفلته!! هذا هو شيخ البركة؛ لا يُعمل بفتياه إلا في العبادات والمعاملات الخالية، أما السياسة فلا! إلا ما وافقوه عليه، أو ما سبقوا به غيرهم إليه من التمويه على خلاف الواقع حَتَّى يفتيهم بما يحبون! ما أشبه هؤلاء بحالة المقلدة الذين يتبركون ويستسقون بقراءة صحيح البخاري، عن عبادة بن الصامت ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من أمتي من لَمْ يُجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**». رواه أحمد، وهو صحيح.

(٢) هذه الكلمة قالها أبو الحُصين الأسدي، انظر: تهذيب الكمال للمزي (١٩/٤٠٦)، ونحوها عن الحسن والشعبي كما في صفة الفتوى لابن حمدان (ص:٧).

وقد بان لكم -إن شاء الله- أنكم تُحدثون بكل شيء مِمَّا أوقعكم فِي الإخبار بخلاف الواقع، ومنها التحليل على غير مراد الشارع.

وقد قال الإمام مالك -رحِمه الله- لابن وهب: "اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إمامًا أبدًا وهو يحدث بكل ما سمع" رواه مسلم.

خاصة وليس لكم إجازة من قبل هيئة كبار العلماء للتكلم فِي هذه القضايا، بل قد نَهَوكم عنها صراحة وعلى رأسهم العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحِمه الله- كما فِي هذا البيان الآتِي، وقد صورته كما هو.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

هذه صورة الوثيقة التي فيها بيان هيئة كبار العلماء
بالمملكة العربية السعودية في توقيف سفر الحوالي وسلمان العودة

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
دار الإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم: ٩٥١/٢
التاريخ: ٢٠/٤/١٤١٤هـ
المشفوعات: ١٨

« سري »

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير المكرم نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية . وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

فأشير الى كتاب سموكم الكريم رقم(م/ب/٤/١٩٢/م ص) وتاريخ ٢١، ٢٢/٣/١٤١٤هـ المتضمن توجيه خادم الحرمين الشريفين حفظه الله بعرض تجاوزات كل من/سفر بن عبدالرحمن الحوالي وسلمان بن فهد العودة . في بعض المحاضرات والدروس على مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الحادية والأربعين المنعقدة بالطائف إبتداء من تاريخ ١٨/٣/١٤١٤هـ ضمن ماهو مدرج في جدول أعماله .

وأفيد سموكم أن مجلس هيئة كبار العلماء إطلع على كتاب سموكم المشار اليه ومشفوعه ملخص لمجالس ودروس المذكورين من أول محرم ١٤١٤هـ ونسخة من كتاب/ سفر الحوالي « وعد كيسنجر » وناقش الموضوع من جميع جوانبه واطلع كذلك على بعض التسجيلات لهما . وبعد الدراسة والمناقشة رأى المجلس بالاجماع : « مواجهة المذكورين بالأخطاء التي عرضت على المجلس - وغيرها من الأخطاء التي تقدمها الحكومة - بواسطة لجنة تشكلها الحكومة ويشترك فيها شخصان من أهل العلم يختارهما معالي وزير الشئون الإسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد . فإن إعتذرا عن تلك التجاوزات والتزما بعدم العود الى شئ منها وأمثالها فالحمدلله ويكفي . وإن لم يمتثلا مُنعا من المحاضرات، والندوات والخطب والدروس العامة والتسجيلات حماية للمجتمع من أخطائهما هداهما الله وألهمهما رشدهما ». إهـ .

وقد طلب اليّ المجلس ابلاغ سموكم رأيه هذا .. وأعيد لسموكم برفقه كتابكم المشار اليه ومشفوعاته .

وأسأل الله أن يوفق خادم الحرمين الشريفين وسموكم لما يحبه ويرضاه وأن يعين الجميع على كل خير انه سميع قريب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ....

مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وادارة البحوث العلمية والإفتاء

وأنصح إخواننا السلفيين ألا يوسعوا الرقعة ويبعدوا الشقة، فتضيق صدورهم بالخلاف الفقهي خاصة منه السياسي بين من سميت من العلماء السلفيين؛ لأن الاختلاف سنة الله في خلقه، وقد كان مثله بين الصحابة فلم يضرهم، لأنَّهم أحسنوا استقباله فلم يطمع فيهم عدو.

وأما أن يلقبكم المبتدعة اليوم بالبازيِّين وإخوانكم بالألبانيِّين، وفيكم سمّاعون لَهم، فلا غَرْو أن تنتشر بينكم الفرقة.

فاحذروا رحمكم الله! فإنه لا يزال هؤلاء المشايخ يزكي بعضهم بعضًا بلسان صدق -إن شاء الله-، ومناقبهم قد ملأت الآفاق.

لكن قومًا لَمْ تَهنأ أفئدتُهم بمحبتهم، يسعون جاهدين لصرف وجوهكم عنهم، وأنا أبيِّن لكم أمارتَهم:

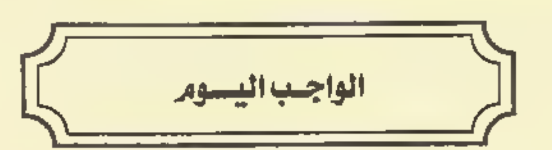
فإنكم تجدون من يثير بعض الخلاف الفقهي بين الشيخين الألباني وابن باز، وقد تكون مسألة القبض بعض الرفع من الركوع! -فإنَّهم في مثلها لا يفرِّطون مهما دقَّت- فيسقطون إحدى الجهتين: إما جهة الألباني بزعم الجهل بالفقه، وإما جهة ابن باز بزعم الجهل بالحديث!

وبقي أن يُجندوا للجهة الأخرى من الشباب من يتهمها بالجهل بالواقع وعدم النضج السياسي!

فيُسقطون الجميع ليخلو لَهم وجه الناشئة، والله حسيبهم.

وآخرون يتربَّصون بالعلماء ريب المنون، لا يدركون أن مستقبلهم بعدهم غير مأمون؛ لأن هؤلاء العلماء هم بقية السلف، يذهبون ويتركون أحزاب الشباب يتامى بين هرج وتلف، قد ألهكهم اختلاف الآراء، وتراجموا بِها تراجم الصبيان بالحصباء، والله المستعان على ذلك اليوم!

❊ فلذا أقول في خاتمة هذه الكلمة: لو لَمْ يكن من جني بَحثي إلا أنني حببت إليكم أهل العلم لكفاني ذخرًا عند ربِّي ﷻ الذي قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١].


الواجب اليوم

أعقد هذا الفصل ليعلم أولئك الذين سميتُ في هذه الدعوة، بما ينبغي أن يشغلوا به هذه الثروة الهائلة من شباب دعوة الإسلام.

وأنقل إليكم كلمات من غرر الحكم عن ابن القيم وعبد الرحمن السعدي -رحمهما الله-، وأرجو أن تتأملوها جيدًا -بارك الله فيكم-.

❊ **إصلاح الوقت لإصلاح الحال:**

قال ابن القيم -رحمه الله- في فصل "كيف تُصلح حالك؟"[1].

"هلُمَّ إلى الدخول على الله ومُجاورته في دار السلام بلا نصب ولا تعب ولا عناء! بل من أقرب الطرق وأسهلها؛ وذلك أنك في وقت بين وقتين، وهو في الحقيقة عمرك، وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل.

فالذي مضى تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق، إنَّما هو عمل القلب".

❊ **قلت:** ما مضى من وقتك في معصية الله يمكنك استرجاعه، مهما قيل: "الوقت كالسيف إن لَمْ تقطعه قطعك"، وهي حكمة صحيحة إلا أن الله استثنى منها التائبين، فمهما ضيعوا من وقت في زنا، بل في قتل، بل في شرك، فإن من تاب منها استدرك وقته، ليس صحيفة بيضاء فحسب، بل قد كُتب عليها الحسنات بدل السيئات، كأنَّ وقته قد عُمِّر بها، والله لا يعجزه شيء وهو القائل: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ

(١) الفوائد (ص:١١٥-١١٦).

وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

وقال: "وتمتنع فيما يُستقبل من الذنوب، وامتناعك ترك وراحة ليس هو عملاً بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنَّما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك، فما مضى تصلحه بالتوبة، وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية".

❊ قلت: وبهذا يتبين لك سر اقتران التوبة بالاستغفار في مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٧٤].

فالاستغفار على معنى ترك ما مضى، والتوبة على معنى عدم الإصرار في المستقبل، وقد جمع الله بينهما في آية واحدة فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥].

قال -رحمه الله-: "وليس للجوارح في هذين نصبٌ ولا تعبٌ، ولكن الشأن في عمرك، وهو وقتك الذي بين الوقتين، فإن أضعته أضعت سعادتك ونَجاتك، وإن حفظته مع إصلاح الوقتين اللذين قبله وبعده بِما ذُكر نَجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم".

❊ قلت: وهذا يدلك على سر اشتراط الله تعالى الإصلاح مع التوبة الَّتي إذا أُطلقت دخل فيها الاستغفار كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٤]. وكقوله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٥].

فالإصلاح حينئذ يكون على معنى إصلاح الوقت الحاضر، وقد قيل:

ما مضى حُلْم والمؤمَّل غيبٌ ... ولك الساعة الَّتِي أنت فيها

وهذا يُبيِّن لك وجه ذكر "الإصلاح" بعد آيات التوبة، والله أعلم.

قال -رحمه الله-: "وحفظه أشق من إصلاح ما قبله وما بعده، فإن حفظه أن تلزم نفسك بما هو أولى بها وأنفع لَها، وأعظم تَحصيلاً لسعادتها، وفي هذا تفاوت الناس أعظم تفاوت، فهي -والله!- أيامك الخالية الَّتِي تَجمع فيها الزاد لمعادك، إما إلَى الجنة وإما إلَى النار ...".

* قلت: من تدبر القرآن وجد دعوته لا تَخرج عن هذه الأوقات الثلاثة، قال الله تعالى: ﴿الـر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود:١-٣].

أي: إنَّما أحكم الله كتابه وفصله لتعبدوه فِي هذه الأوقات الثلاثة بِما أمر.

فقوله: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾. لعبادة الوقت الحاضر، إذ التوحيد أنفع الطاعات وأصلحها وأولاها، وألزمُها مصاحبةً لصاحبه.

وقوله: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾. للماضي.

وقوله: ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾. للمستقبل[1].

وسبب التركيز هاهنا على التوحيد لإصلاح الحاضر أمران:

- الأول: أنه لا يَجوز أن يَخلو وقت من الاهتمام به، وهو الجامع لتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسْماء والصفات.

- الثاني: أنه أصل كل عمل صالِح؛ ألا ترى أن الأعمال الصالحة من مكملاته الواجبة أو المستحبة؟! ولذلك كان أول شيء دعا إليه الأنبياءُ -عليهم الصلاة والسلام-؛ لأن من رسخ التوحيدُ فِي قلبه ظهرت بشاشته على سائر جوارحه،

(١) وهو أحد الأقوال الَّتِي فسِّر بها الاستغفار والتوبة اللذان فِي الآية كما حكاه الشوكاني فِي "فتح القدير" (٤٨١/٢)، وهذا التفصيل الذي ذكره ابن القيم فِي تقسيم الأوقات ليس نتاج فكر مجرد! بل أخذه -رحمه الله- من هدي السلف؛ فانظر لذلك آثارًا لَهم فِي كتاب "الزهد الكبير" للبيهقي (ص: ١٩٦).

وأنبتت شجرتُه أطيب الثمار؛ كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٥].

وهذه الدعوة الثلاثية تكررت في السورة نفسها عدة مرات، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾ [هود:٥٠]. إلى أن قال: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود:٥٢].

وقال: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

وقال: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ إلى أن قال: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود:٨٤-٩٠].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا! فقتله فكمل به مائة! ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم! ومن يَحول بينه وبين التوبة؟ فانطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء، فانطلق حتَّى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مُقبلاً بقلبه إلى الله تعالى. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم -أي: حكمًا- فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة». متفق عليه.

في هذه القصة يظهر جليًّا إصلاحُ هذا الرجل للأوقات الثلاثة، فبعد أن تاب من ماضيه، وعزم على التوبة في مستقبله، اشتغل بما يُصلح حاضره فورًا ألا وهو

الهجرة من دار الفساد، ولَمْ يترك لطول الأمل مَجالاً، ولذلك لَمْ تَجد له الملائكة من عمل صالح إلا هجرته هذه، ولما كانت هي عبادة الوقت غفر له، لأن التزامه بها دليل على الإخلاص للحق -جل وعلا-، ومنه يظهر أنه كان موحِّدًا.

وعن البراء قال: «أتى النَّبِي ﷺ رجلٌ مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله! أقاتل أو أُسلم؟ قال: أسلم ثُمَّ قاتل. فأسلم ثُمَّ قاتل فقتل! فقال رسول الله ﷺ: عمل قليلاً، وأجر كثيرًا». متفق عليه.

وإنَّما ذكرت هذه القصة هنا لأمرين:

الأول: أن النَّبِي ﷺ لَمْ يقبل منه الجهاد إلا بعد التوحيد، ولكن قبل منه جهاده قبل الصلاة.

الثاني: أن بعض الناس يستدل به على التهوين من شأن الصلاة والعمل الصالح، وأنه ليس شرطًا فِي جهاد المسلمين، وهو صحيح لو أن وقت الصلاة كان دخل مع وقت القتال فقدَّم القتال، وهذا ليس لَهم عليه دليل، ويرده بوضوح تشريع صلاة الخوف وقت المسايفة، وإنَّما كل ما فِي الأمر أن وقت عبادة الجهاد كان قد دخل، وأما وقت عبادة الصلاة فلم يَحن بعد، فأُمر أن يشغل وقته بعبادته المناسبة، ولما كان التوحيد عبادة كل وقت لَمْ يأذن له النَّبِي ﷺ فِي تأخيره، ولذلك كان من ثاقب فهم البخاري -رحمه الله- أن بوب له بقوله: "باب: عمل صالح قبل القتال، وقال أبو الدرداء: إنَّما تقاتلون بأعمالكم". فتدبر هذا تكن من الراشدين.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وله عليه -أي: لله على العبد- فِي كل وقت من أوقاته عبودية تقدِّمه إليه وتقرِّبه منه، فإن شغل وقته بعبودية الوقت تقدَّم إلى ربه، وإن شغله بهوى أو راحة أو بطالة تأخر. فالعبد لا يزال فِي تقدم أو تأخر، لا وقوف فِي الطريق ألبتة، قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر:٣٧]"[١].

(١) الفوائد (ص:١٨٧-١٨٨).

وقال: "فإن لَمْ يكن فِي تقدم فهو متأخر ولابدَّ؛ فالعبد سائر لا واقف، فإما إلَى فوق، وإما إلَى أسفل، وإما إلَى أمام، وإما إلَى وراء ... ما هو إلا مراحل تُطوَى أسرع طي إلَى الجنة أو إلَى النار، فمسرع ومبطئ، ومتقدم ومتأخر، وليس فِي الطريق واقف ألبتة، وإنَّما يتخالفون فِي جهة المسير، وفِي السرعة والبطء"(١).

* قلت: ويدل عليه قول النَّبِي ﷺ: «كلُّ الناس يغدو، فبائعٌ نفسه: فمعتقها أو موبقها». رواه مسلم، وفِي رواية: «يا كعب بن عجرة! الناس غاديان ...»(٢).

* قلت: كلهم يغدون، فمن لَمْ يبع نفسه لله الذي قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١]. باعها للشيطان المترصد(٣)؛ وذلك لأن الله خلق للإنسان وقتًا، وأمره بعبادات مناسبة لوقته، فليست "الواجبات أكثر من الأوقات" كما زعم حسن البنا(٤).

ومن لَمْ يعمر وقته بما أُمِر به افترسه الشيطان ولَمْ يمهله، قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف:١٧٥].

قال ابن القيم: "إن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولِهذا قال:

---

(١) مدارج السالكين (٢٦٧/١).

(٢) رواه عبد الرزاق (٢٠٧١٩)، وعبد بن حميد (١١٣٨)، وأحمد (٣٢١/٣)، وابن حبان (٧٤٩٧)، وصححه ابن حجر في الأمالي المطلقة (ص:٢١٤).

(٣) أشار ابن تيمية إلَى هذا المعنى، كما فِي فتاواه (٥١/٧)، وابن القيم فِي الدواء الشافي (ص:١٢٣- الريان).

(٤) مجموعة رسائل حسن البنا، فِي أواخر رسالة التعاليم (ص:٣٠)، وهذه الكلمة الَّتِي فحواها اتِّهام الله بالظلم -كما ترى- قد جُعلت من وصايا الإمام، وكثيرا ما توزَّع فِي المحافل العامة. هذا وإن كنا نعلم أنَّهم يقصدون بِها استنهاض الهمم للقيام بالواجبات الحركية! فنحن لا نعلم إلا الواجبات الشرعية بيسرها وسماحتها، والحمد لله المتفرِّد بالحكم؛ وإلا فلو كان الأمر لهؤلاء لأرهقونا بواجبات ما أنزل الله بِها من سلطان!

﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾. ولَمْ يقل تبعه؛ فإن في معنى: (أَتْبَعَهُ) أدركه ولحقه وهو أبلغ من تبعه لفظًا ومعنًى"(١).

* قلت: تأمل حسن موضع الفاء بين ﴿انسَلَخَ مِنْهَا﴾. و(أَتْبَعَهُ). لأنَّها تفيد ترتيب الإتباع على الانسلاخ بلا مهلة، و﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾ [هود:٤٣].

هذا في حق من شغل وقت الطاعة بالمعصية أو على الأقل يقال: ترك الطاعة، بل وحتَّى في حق من شغل وقته بطاعة خالصة لله لكن لَمْ يَحن وقتها بعد، ولذلك كان الجهل بما يصلح الوقت من عبادة يَحرم النفس زكاتَها ورقيها في درجات الصلاح، يدل عليه آية وحديث:

* أما الآية: فهي قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلاَ أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء:٧٧].

فهؤلاء نُهوا عن القتال، وأُمروا بعبادة الصبر، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، فشغلتهم عبادة الجهاد عن عبادة الصبر، ومن ثَمَّ لَمْ يُحكموا عبادة الصلاة والزكاة، فعوجلوا بعقوبة قلوبهم، كما صرحت الآية.

* وأما الحديث: فهو ما رواه أحمد والبخاري عن أبي سعيد بن المعلى ﷺ قال: كنت أُصلي، فمر بي رسول الله ﷺ فدعاني، فلم آته حتَّى صليت، ثُمَّ أتيته، فقال: «ما منعك أن تأتي؟ ألم يقل الله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٥]؟!».

---

(١) الفوائد (ص:١٠٠).

ما أبلغها من موعظة! عبد يؤخر إجابة الرسول مشتغلاً بصلاة النافلة يهدِّد بنقصان حياة قلبه! فكيف لو كان فِي لهو ولعب؟!

فكيف لو استدرك على الله حين يأمره بالصبر على عدوه أيام الاستضعاف، فلا يتسحيي أن يُخالفه متظاهرًا بِحب الجهاد؟!(1).

* حكمة ذلك: لعل الحكمة فِي هذا كله ما أشار إليه الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- حين قال: "يرشد الله عباده من جهة العمل إلَى قصر نظرهم على الحالة الحاضرة الَّتِي هم فيها ... وهذه القاعدة الجليلة دعا إليها القرآن فِي آيات عديدة، وهِي من أعظم ما يدل على حكمة الله، ومن أعظم ما يرقي العالمين إلَى كل خير ديني ودنيوي؛ فإن العامل إذا اشتغل بعمله الذي هو وظيفة وقته، قصر فكره وظاهره وباطنه عليه فينجح، ويتم له الأمر بِحسب حاله، وإن تشوقت نفسه إلى أعمال أخرى لَمْ يَحن وقتها بعد، شُغل بِها ثُمَّ استبعد حصولها ففترت عزيمته، وانْحلت همته، وصار نظره إلَى الأعمال الأخرى كليلاً، ينقص من إتقان عمله الحاضر وجمع الهمة عليه، ثُمَّ إذا جاءت وظيفة العمل الآخر جاءه وقد ضعفت همته وقل نشاطه"(2).

* قلت: ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة:٧٥-٧٧].

وقال أيضًا: "وربَّما كان الثاني متوقفًا على الأول فِي حصوله أو تكميله، فيفوت الأول والثانِي".

* قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ [مُحمَّد:٢٠].

---

(١) راجع: منهاج السنة لابن تيمية (٥/٢٥٤....).

(٢) القواعد الحسان (ص:١٣٦)؛ وقد أشار فيها إلَى الآية الآتية.

أي: تأمر بالقتال، قال: ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد:٢٠-٢٣].

فتدبر كيف كان عاقبة السيئة السوآى؛ إذ تولوا عن القناعة بأمر الله لَهم بالصلاة والزكاة، وطمحت نفوسهم إلَى جهاد عدوهم قبل أن يكتب عليهم، فلما كُتب عليهم الجهاد تولوا، فأصابتهم لعنة الله؛ لأن ذلك الطموح كان حَمَاسة عجول، أو دفاع منتقم، أو استشفاء متغيظ متحرف لقتال متحيز إلَى نفسه، إلَى غير ذلك مِمَّا ترشح به قلوب الحركات الإسلامية اليوم.

ولذا نرى المسلمين اليوم -على وعيهم الكبير لما يدور حولهم ويُدبر لَهم فيما يقال- لا ينقطع سؤالهم عن سبب تأخر الصلاح عن المشتغلين بالدعوة؟

وقد يكونون ذوي نشاط وتنظيم كبيرين، فِي حين يقرءون عن الصحابة سيرة شبيهة بالخيال فِي عالم الكمال، وهم لا يتنبهون إلَى هذه القاعدة ألا وهي: اشتراك جل الحركات الإسلامية فِي الاشتغال بما لا يعنيهم فِي حاضرهم هذا، ألا وهو السياسة، والبحث عن قتال الأعداء، وهم لَمْ يُحاربوا أنفسهم العادية.

فهل تراهم خلَّصوا بجتمعاتهم بل وأنفسهم من الشركيات.

وهل عرفوا ربَّهم كما عرفه السلف من غير تَحريف للأسْماء والصفات؟

وهل ترى مساجدهم مكتظة بأهلها فِي صلاة الفجر عند تَنَزُّل الملائكة من السموات؟ فإن الله يقول: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ...﴾ [المائدة:١٢].

وصدق رسول الله إذ يقول: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». رواه الترمذي وهو حسن.

فلن يَحسن إسلامنا ما أقمنا على ما لا يعنينا في وقتنا هذا[١].

ومن أسرار الكتاب العزيز أن تُرتب هذه الآيات على آية فيها الأمر بإصلاح الوقت الحاضر بالتوحيد، وإصلاح الماضي والمستقبل بالاستغفار، وذلك قول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [مُحمَّد:١٩].

وما أحسن خاتمتها حين قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [مُحمَّد:١٩].

وينبه الله تعالى على ما في هذا المنهج من ثبات على الدين، فيقول: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء:٦٦]. أي بمقاتلة العدو، ثُمَّ يقول: ﴿أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ [النساء:٦٦]. أي: بالهجرة من الأوطان الحبيبة.

ثُمَّ كانت النتيجة كما قال: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء:٦٦].

ثُمَّ قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦].

فأخبر سبحانه أن ترك الاشتغال بمجاهدة العدو بالسيف، وتعويضه بمجاهدة النفس في ذلك الوقت هو أشد ما يثبِّت على هذا الدين، وإلا فقد قال الحسن -رحمه الله-: "من علامة إعراض الله عن عبده أن يَجعل شغله فيما لا يعنيه"[٢].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) لا يكبر عليك استدلالي بهذا الحديث في الباب؛ فإنني تابعٌ لأهل العلم؛ فقال العلامة الشيخ ابن عثيمين في نظيره: "إن مخاطبة المسئولين في الدولة من على هذا المنبر لا يقتضيه العقل، ولا يأمر به الشرع؛ لأنه لا يُجدي شيئًا، وما لا يُجدي شيئًا فقد قال النَّبي ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ...». من فتوى حول فتن الجرائد والمجلات (ص:١٢).

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٠٠)، والرسالة المغنية لابن البناء (ص:٦٢).

العبـادة الفضـلى

سرُّ المسألة يتمثل فِي معرفة العبادة الفضلى الَّتِي يركز عليها، وتستوعب وقت المرء، وحول هذا جدل معروف لست بصدده، وإنَّما أذكر ما أعتقده حقيقًا بالتحقيق ناقلاً عن ابن القيم -رحمه الله- قوله: "من لَمْ يكن وقته لله وبالله فالموت خير له من الحياة، وإذا كان العبد وهو فِي الصلاة، ليس له من صلاته إلا ما عقل منها، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله ولله!"[1].

❊ **قلت**: أما أن يكون الوقت لله فهو استنفاد العمر فِي العبادة على تنوعها؛ حتَّى لا يكون للشيطان منه نصيب، ومن فعله فقد حقق قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥].

وأما أن يكون الوقت بالله فهو ألا تشغل وقتك إلا بعبادة تناسبه، تستوحيها من الشرع الحنيف، ومن فعله فقد حقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

قال ابن القيم: "أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب فِي كل وقت بِما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته"[2].

فأفضلها عند جهاد العدو جهاده، ولو آل ذلك إلَى ترك قيام الليل وصيام النهار؛ قال الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:٢٠].

وأفضلها عند نزول الضيف القيام بِحقِّه؛ لقول النَّبِي ﷺ: «إن لِزَوْرك عليك

---

(١) الداء والدواء (ص:١٨٦) بتصرف يسير.

(٢) مدارج السالكين (٨٨/١) وتفصيل ما يأتي فمنه، إلا الأدلة.

حقًّا». رواه مسلم.

وأفضلها عند سماع الأذان أن تترك ما أنت فيه من ذكر، وأن تُجيب المؤذن؛ لقول النَّبي ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ...». إلَى آخر الحديث الذي رواه مسلم.

وأفضلها عند أوقات الصلوات المبادرة إلَى الجامع والنصح فِي أدائها على أكمل وجه؛ لقول الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور:٣٧].

وأفضلها عند السَّحر تلاوة القرآن والدعاء والاستغفار والصلاة؛ لقول الله تعالى: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران:١١٣]. ولقوله: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٨].

وأفضلها عند ضرورة المحتاج إغاثته بالجاه أو البدن أو المال؛ لقول النَّبي ﷺ: «أطعموا الجائع، وعُودُوا المريض، وفكوا العاني». رواه البخاري.

وأفضلها عند لقاء أخيك التسليم عليه ولو أدى إلَى قطع الذكر.

وأفضلها عند مرضه أو موته عيادته وتشييع جنازته؛ لقول النَّبي ﷺ: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس». متفق عليه.

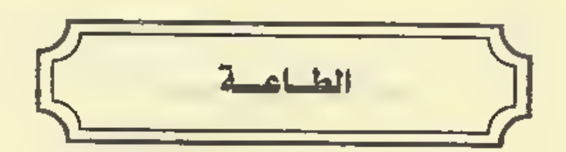
وأفضلها عند أذاة الناس لك أداء واجب الصبر، مع خلطتك لمجتمعهم دون الهرب منه؛ لقول النَّبي ﷺ: «المؤمن الذي يُخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يُخالط الناس ولا يصبر على أذاهم». رواه ابن ماجه، وهو حسن.

هذا فِي أذية نفسك.

أما إذا خفت منهم على دينك فأفضل العبادة اعتزالهم؛ إذ خلطتهم فِي الشر شر، ودين المرء رأس ماله؛ لقول النَّبي ﷺ: «كيف بك يا عبد الله بن عمرو! إذا بقيت

في حثالة من أناس مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فصاروا هكذا -وشبك بين أصابعه-. قال: قلت: يا رسول الله! ما تأمرني؟ قال: عليك بخاصة نفسك، ودع عنك عوامهم». رواه ابن حبان، وهو صحيح.

* * * * *



الطاعة

تعمدت ذكر هذه الأمثلة بأدلتها من الكتاب والسنة لسببين:

- الأول: أن تنوع العبادات تابع لأدلة الوحيين، لا غير.

- الثاني: أن انتقال العبد من عبادة إِلَى أخرى بِحسب وقت كل منها دليل على أنه عبد حقيقي لله؛ لأنه لا يتحرك بِهواه ولا بنتائج عقله ولا بعادة قومه، وإِنَّما يقوم ويقعد بالله، فهو: "صاحب تعبد مطلق، ليس له غرض فِي تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت ... فهو لا يزال متنقلاً فِي منازل العبودية ... فإن رأيت العلماء رأيته معهم، وإن رأيت العباد رأيته معهم، وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم، وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم، وإن رأيت المتصدقين الْمحسنين رأيته معهم ... فهذا هو العبد المطلق؛ لَمْ يكن عمله على مراد نفسه وما فيها لذتُها وراحتها من العبادات، بل هو على مراد ربه، ولو كانت راحة نفسه ولذتُها فِي سواه، فهذا هو المتحقق بـ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]. حقًّا، القائم بِها صدقًا، ملبسه ما تَهيأ، ومأكله ما تيسر، واشتغاله بِما أمر الله به فِي كل وقت بوقته، ومَجلسه حيث انتهى به المكان ووجده خاليًا ... حر مُجرد، دائر مع الأمر حيث دار، يدين بدين الآمر أنَى توجهت ركائبه، ويدور معه حيث استقلت مضاربه، يأنس به كل مُحق، ويستوحش منه كل مبطل، كالغيث حيث وقع نفع، وكالنخلة لا يسقط ورقها، وكلها منفعة حَتَّى شوكها، وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله، والغضب إذا انتهكت مَحارم الله، فهو لله وبالله ومع الله، قد صحب الله بلا خَلق، وصحب الناس بلا نفس، بل إذا كان مع الله عزل الخلق عن البين، وتَخلى عنهم، فواهًا له ما أغربه بين الناس! وما أشد وحشته منهم! وما أعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكونه إليه! والله المستعان، وعليه التكلان"[١].

---

(١) مدارك السالكين (١/٨٨).

الصدق في الطاعة

قد يبدو الناس كثيرين في طاعة الله، خاصة عند أول الحماسة.

وإذا حقت الحقائق وابتلي المؤمنون تميز النفيس من الخسيس، وبان من هو على الطاعة حريص ممن هو في الصف دسيس!

وكم هم الذين استعاروا ثوب السلفية، فإذا رأوا من المهرجين الضعفاء من يحكي صولة الأسد، جاءوه هرعين قد نفضوا أيديهم من التصفية والتربية، وحدثاء الأسنان في غرة شبابهم يوعدون ويُمنون زورًا: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [النساء:١٢٠].

وحرف المسألة: في الصدق، وتالله! ما أتيت الحركات الإسلامية اليوم إلا من جهة عدم صدق معظمها في إظهار الطاعة وحب التحاكم إلى الكتاب والسنة؛ ألا ترى أنّهم يؤمرون من قبل الطائفة المنصورة -العلماء السلفيين- بالصبر والتحمل وعدم استعداء الأعداء عليهم بالتهييج السياسي، وتتلى عليهم الآيات البينات والأحاديث الصحيحات فيأبون إلا تحكيم عواطفهم؟!

كما فعل أشياعهم من قبل؛ مُحتجين بشمولية الإسلام لكل جوانب الحياة، مع أنّهم -في حقيقة أمرهم- قد حصروا الإسلام في دائرة الحكم، وإذا وصلوا إلى الحكم فلا إسلام[1].

ومُحتجين بأن الجهاد بالسيف من الدين، غاضين الطرف عن أننا مطالبون باتباع أحسن ما أنزل من الدين، وليس في ذلك اتباع لمسلك الذين جعلوا القرآن عضين، أليس من تنزيل رب العالمين قوله: ﴿اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٥].؟! وقوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ

(١) وتلك هي بصماتُهم في إيران وأفغانستان والسودان ...

فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر:١٨]؟! وقوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف:١٤٥].

والقتال إذا لَمْ يحن وقته فليس أحسن ما أُنزل وإن كان مِمَّا أُنزل ولا شك، ولهذا حذر الله تعالى الفئة المؤمنة الأولى من استعجال القتال، فقال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [مُحمَّد:٢٠].

ثُمَّ نبه على أن مشكلة المستعجلين فِي تنكبهم الطاعة الحاضرة، فقال: ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ ۝ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [مُحمَّد:٢٠-٢١].

ثُمَّ نبه على أن حرف المشكلة فِي الصدق، فقال سبحانه: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [مُحمد:٢١]. لأنه أثبت للمرء على الحق، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢].

وسر إضافة القدم إِلَى الصدق أمران:

- الأول: أنه دليل على الثبات، إذ يعبَّر عنه بثبات القدم؛ لأنه لا يثبت إلا قائم على قدميه.

- الثاني: أنه دليل على السير الحثيث إِلَى الله من غير التفات إِلَى المعوقات؛ لأن السير لا يكون إلا بالقدم، كما يعبَّر عن النعمة باليد؛ لأنَّها المعطية، وعن الثناء باللسان؛ لأنه المعبِّر[1].

فدلَّ هذا كله على أن الثبات على الدين والسبق إِلَى ربِّ العالمين إنَّما هما بالصدق فِي الطاعة[2].

فعاد الأمر حينئذ إِلَى القلب؛ لأنه وعاء الصدق، قال ابن القيم عند قوله تعالى:

---

(١) تفسير القرطبي (٨/٣٠٧).

(٢) انظر إن شئت: "روح المعاني" للألوسي (١١/٦٢-٦٣)، و"زاد المسير" لابن الجوزي (٤/٥-٦).

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال:٢٤]: "وفي الآية قول آخر أن المعنى أنه سبحانه قريب من قلبه، لا تخفى عليه خافيةٌ؛ فهو بينه وبين قلبه، ذكره الواقدي عن قتادة، وكان هذا أنسب بالسياق؛ لأن الاستجابة أصلها بالقلب فلا تنفع الاستجابة بالبدن دون القلب؛ فإن الله سبحانه بين العبد وبين قلبه، فيعلم هل استجاب له قلبه، وهل أضمر ذلك أو أضمر خلافه"[1].

روى أبو داود وأحمد بإسناد صحيح عن وهب قال: سألت جابرًا عن شأن ثقيف إذ بايعت؟ قال: اشترطت على النَّبِي ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد! وأنه سمع النَّبِي ﷺ بعد ذلك يقول: «سيتصدقون ويُجاهدون إذا أسلموا».

* **قلت:** فتأمل سياسة رسول الله ﷺ مع قوم ظهر صدقهم من إخبارهم بتقصيرهم وعدم الغش في بيعة الإسلام والطاعة، فلا عجب أن يحسن إسلامهم، وأن يثبتهم الله مع أبي بكر الصديق في حروب الردة حين قل النصير، واشتد من الحبيب النكير.

وأعجب منه ما رُوي عن المغيرة بن شعبة ﷺ أنه قال: «**فدخلوا في الإسلام، فلا أعلم قومًا من العرب بني أب ولا قبيلة كانوا أصح إسلامًا ولا أبعد أن يوجد فيهم غشٌّ لله ولكتابه منهم!**»[2].

ولهذا كله يظهر لك سرٌّ في كتاب الله، حيث إن الله تعالى في كل آيات الباب ينبه عقبها على الصدق في الطاعة بعد آيات الطاعة.

ففي آية النساء الَّتِي أمر الله تعالى فيها بكفّ الأيدي عن القتال، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ...﴾ [النساء:٧٧]. بين بعدها فضل الطاعة؛ لئلا يتجاوزوها متحمّس، فقال: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ

---

(١) الفوائد (ص:٩٠).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣١٣/١).

عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠]. ولما كان للنفس حظوظًا في المواجهة -غير ما يُتظاهر به من الجهاد في سبيل الله- حذر من عدم الصدق في الطاعة بما أخبر عن المنافقين، فقال: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء:٨١].

وفي آية سورة مُحمَّد ﷺ بين الطاعة بقوله: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [مُحمَّد:٢١]. ثُمَّ بين الصدق فيها فقال: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [مُحمد:٢١].

وفي الآية الأخرى من سورة النساء بين الله الطاعة بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا﴾ [النساء:٦٦]. ثُمَّ بين فضل الصدق فيها، فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

وإنَّما جعلته على معنى الصدق؛ لأن الصدق في الطاعة تابع للصدق في المحبة، كما روى الطبراني في "الصغير" بسند قوي لشواهده، عن عائشة قالت: «جاء رجل إلى النَّبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إنك لأحبُّ إليَّ من نفسي، وإنك لأحبُّ إلي من أهلي ومالي، وأحبُّ إلي من ولدي، وإنِّي لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتَّى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين، وإنِّي إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك؟ فلم يرد عليه النَّبي ﷺ شيئًا حتَّى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾».

* قلت: بأي شيء صاروا لهؤلاء المنعم عليهم رفيقًا وهم أضعف منهم إيْمانًا؟

الجواب: بالحب الصادق الذي في قلوبهم، فعن ابن مسعود قال: «جاء رجل إلى النَّبي ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف تقول في رجل أحب قومًا ولَمْ يلحق بهم؟ فقال: المرء مع من أحب». متفق عليه.

وقد قيل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمري فِي القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته   إنَ المحب لمن يُحب مطيــع

* * * * *

الخلاصة

أكثر القراء -في زمن الوهن العلمي- يَخطبون من فهارس الكتب الأخبار، خاصة إذا زيَّنتها السياسة!

فبعضهم لا يتمالك عندها حَتَّى لعله لا يعلق بذهنه منها إلا هي!

وبعضهم ينثني عن متابعة القراءة، لأنه انتقد له فيها متبوعه، وما أقل من ينتصر للحق قبل الرجال!

فكل هؤلاء لا يستفيدون من الخير إن وجد في كتابي هذا؛ لأن أخبار الناس عُرفت أو أنكرت لا تغيرها: ﴿فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ [الكهف:٢٢].

فأرجو حينئذ من القارئ إمعان النظر في الأصول والقواعد العلمية الَّتي نقلتها عن أهل العلم، والَّتي منها:

١- أنني بذلت نصحي للمتصدين للدعوة أنه بدلاً من أن يستجيبوا للاستفزازات السياسية، ويضيِّعوا مواهبهم في المهاوشات الحزبية، فليُعنوا بتعظيم الشريعة: تعلُّمًا وتعليمًا؛ حَتَّى يُخرج الله منهم أو من أصلابهم علماء مجتهدين، يكونون على مستوى ما استعجلوه الآن، **ليحققوا الأصل الذي من أجله ألفت هذا الكتاب، ألا وهو ألا يفتي في النوازل السياسية إلا عالم مُجتهد.**

وما تَغَوُّل سفلة من رجال القانون للتوغل في هذا الميدان -بزعم أن الشريعة ليست حكرًا على أحد- إلا عدوان عظيم؛ جرَّءوا به نوابت من شباب الإسلام على ولوج هذا الباب، زاعمين أن الشريعة أمرت كل مسلم بالاجتهاد في كل المستجدات!

٢- ومنها ما جعلته مدخلاً لكتابي، وهي:

- أن الطريق الذي ارتضاه لنا ربنا واحد.

- وأن هذا الطريق منضبط بفهم السلف الصالح للكتاب والسنة.
- وأن المتمسك بالسنة فِي أمن من الهزيمة والكفر.
- وأن الرد على المخالف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- وأن نيل السؤدد منوط بالعلم.
- وأن تفصيل ذلك بسلوك سبيل التصفية والتربية.

لا الثورات! وتعدد الجماعات! وتكفير المسلمين والمسلمات!

٣- بينت أن الزجَّ بالشباب فِي خنقة التحزب هو سبب الجناية على هذه الأصول، ومن حُرم الأصول حرم الوصول.

قال الشيخ مُحمَّد البشير الإبراهيمي -رحِمه الله-: "**العلم.. العلم.. أيها الشباب! لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب ينفخ فِي ميزاب! ولا داعية انتخاب فِي المجامع صخاب! ولا يلفتنَّكم عنه معللٌ بسراب، ولا حاوٍ بجراب، ولا عاوٍ فِي خراب يأتمُّ بغراب[1]، ولا يفتننكم عنه مُنْزَوٍ في خنقة، ولا ملتوٍ في زنقة[2]، ولا جالس في ساباط[3] على بساط يُحاكي فيكم سنة الله في الأسباط[4]**".

---

(١) لعله يريد قول الشاعر:

ومن يكن الغراب له دليلاً   يمر به على جيف الكلاب

(٢) الزنقة: بالتحريك، هي السكة الضيقة، كما فِي لسان العرب مادة: زنق، ولا يزال أهل المغرب إلَى اليوم يستعملونَها كثيرًا لكن بتسكين النون.

(٣) الساباط: "سقيفة تحتها ممر نافذ" المصباح المنير مادة: سبط.

(٤) سنة الله فِي الأسباط هي التفرق، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف:١٦٠].
وما أصدق هذه الأوصاف الَّتِي ذكرها الشيخ على التحزب! لذا لَمْ يكن هذا السجع كسجع الكهان؛ لأن الكهان يكذبون، وهذا حق مثلما أنكم تنطقون، فإنه وإن بدا التحزب واصلاً جامعًا، فإنه لا يلبث أن يكون ممزقًا قاطعًا. وإن بدا أنه يحيي فِي الناس الغيرة على المحارم، فإن حقيقته أن يحيي فيهم الغيرة على "مَحارم الحزب" ويقتل فيهم الغيرة على محارم الله؛ ألا ترى
=

فكلٌ واحد من هؤلاء مشعوذ خلاب! وساحر كذاب! إنكم إن أطعتم هؤلاء الغواة، وانصعتم إلى هؤلاء العواة، خسرتم أنفسكم وخسركم وطنكم، وستندمون يوم يجني الزارعون ما حصدوا، ولات ساعة ندم"[١].

٤- كما بيَّنت أن تضييع الدعوة إلى الدين الحق وتنكب طريق الأنبياء سببه تفسيرُ أكثر الدعاة اليوم الدين تفسيرًا سياسيًّا وحصر الدعوة في السبيل السياسية أو التركيز عليها؛ يخيل إليهم من سحرها أنَّها تسعى!! مع أنَّها تزيدهم كل يوم نكسة، وترجع بهم القهقرى، وهذا أيضًا من إفرازات الحزبية التي كثيرًا ما تخدع، حتى يظن الظان أن الطرق مسدودة إلا بمخالفة الأنبياء!!

٥- لذا بذلت وسعي في ربط هذه الأمة بعلمائها: علماء الكتاب والسنة لا علماء ضرائر كتب العلم: الجرائد ...

ولعل القارئ يلاحظ أنه ليس لقلمي في هذا المؤلَّف سوى النقول عنهم؛ أبيِّن هذا كي لا يقال: كيف تكتب في السياسة ولست من أهل الاجتهاد؟!

هذا، وشباب الدعوة مع هذه المؤلفات في أمر عجب!

الواحد منهم إذا انتقد قطب حزبه كيف يفارق، وتحيا فيه معاني البراء؟! وإذا جاءه الطاعن في الصحابة فلا بأس أن يعانق، ويذكر معه معاذير الولاء؟! بل لا يمانع من التقارب مع الطاعن في صفات ربه بخنجر التأويل والتحريف، أو بتسليط سيف التكذيب والتكييف. وهكذا يجمع الحزبُ ما صفا وكدر من المعتقد، كما يجمع الميزاب من الماء ما صلح وفسد، كما أن التحزب تغرير بسراب الأماني، وحسبك أنه حرب على العلم؛ كما يظهر من أول كلام الشيخ ثُمَّ إنني حين كنت أعد الكتاب للطبع جاءني الخبر المتواتر بأن الثوار عندنا وصل بهم الحد إلى منع التعليم الشرعي؛ فأقفلوا المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر زمنًا؛ لأنه مؤسسة من مؤسسات دولة الطاغوت!! فاللهم رحماك.

(١) آثاره (٢/٣٥٠-٣٥١).

فمنهم من أقعده العجز عن طلب معالي الأمور، وطمع في دخول حمى غيره، فزعم أن باب الاجتهاد قد أُقفل! فالكل إذن يتكلم في السياسة؛ لأنَّهم في مستوى واحد!!!

ومنهم من يعبد الله على حرف، فلا يرضى بانتقاد المخلين بمنهج الأنبياء؛ حتَّى ينظر لعلهم يصلون إلَى الحكم!

أما نحن؛ فلو رأيناهم يتقلَّبون في كل بلاد الله، يطيرون من مُلْك إلى ملك لقلنا كما أمر الله نبيه ﷺ أن يقول: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأنبياء:١١١].

ومنهم الهالك في باطن الإثم، فيرى أن هذه الكتابة في زمن الجهاد تثبيط! ولا يكتب فيها إلا "عميل" صُنع على عين تخطيط!!

ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم، كلما صاح باطلٌ لَم يُسمع لهم حس، وإذا نطق فيه حقٌّ بحقٍّ قاموا ولَم يقعدوا، وضجوا ولَم يسكتوا: ليس ذا الوقت! وليس ذا الأسلوب! هذا تنفير! ما الفائدة من هذه الكتابات والفتنة قد غلت مراجلها، وأُضرمت نارها !!!

وهؤلاء يتظاهرون بالرجوع إلى المنهج الحق كلما طاردتْهم الأدلةُ أو غالبتهم مطارقُ الأنظمة، ولا يؤتمنون؛ لأنَّهم ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ [النساء:٩١].

ومن أبرز أماراتهم قولُهم: لماذا لا يرد على الحكومة كما ردَّ على إخوانه؟! ومنهم .. ومنهم .. ولله في خلقه شئون.

❊❊❊❊❊

الخاتمـة

الله وحده يعلم أنني ما كتبت ما كتبت تتبعًا للعورات، ولا تفكهًا بالسوءات، ولا طلبًا للنِّزال، ولا حبًّا فِي الجدال، ولا نصرة لأنظمة الباطل، ولا خذلانًا للقائمين فِي وجه الصائل.

ولكنني رأيت شباب الإسلام فِي زهرة عمره، وقوة نشاطه، أقبل على العلم، وربَّما ضاقت عليه دياره حتَّى هان عليه مفارقتها "كالنحلة ترحل إلَى المكان السحيق، لترجع إلَى خليتها بالرحيق" وكلما لاحت على محياه مخايلُ النجابة مدت إليه يدٌ عجلى لتقطع عنه الطريق، بإشغاله بالسياسة العصرية الَّتِي أضحت حيلة كل محتال، وحلية كل بطَّال، يلقط فتات الأخبار، من موائد إعلام الكفار، يبلعها بلا هضم، ثُمَّ يتقيّؤها على أنه المحلل الفهم!

فتارة يطيع عاطفة غير معصومة، وتارة يتبع مصلحة موهومة، فتأسى به منهم من صارت السياسة عنده غرامًا، فقلت: لابد من التخبيب بينهما، وإلا كانت الفتنة لزامًا بتبيان منهج السلف -عليهم من الله رضاه-، بِما لا مطمع فِي طرق حماه، وربط الأمة بعلمائها، عصمة لَها من أن يَسُوقَها الرويبضة سَوْقَ النعاج إلَى حتفها.

فيا طلبة العلم! اصبروا على طلب العلم كتابًا وسنة؛ فإنكم على خير!

ولا تستبطئوا الوصول فقد جد بكم السير، ولا تحقروا ما أنتم عليه؛ فإنه الجهاد الأكبر!

قال ابن القيم -رحِمه الله-: "فقوام الدين بالعلم والجهاد، ولِهذا كان الجهاد نوعين:

- جهاد باليد والسنان، وهذا المشارك فيه كثير.

- والثاني: الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين؛ لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه، قال تعالى في سورة الفرقان وهي مكية: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥١-٥٢]. فهذا جهاد لهم بالقرآن، وهو أكبر الجهادين، وهو جهاد المنافقين أيضًا[١]؛ فإن المنافقين لَمْ يكونوا يقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم في الظاهر، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم، ومع هذا فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم:٩]. ومعلوم أن جهاد المنافقين كان بالحجة والقرآن ..."[٢].

وفي "جامع بيان العلم" لابن عبد البر قول بعضهم[٣]:

ومداد ما تجري به أقلامهم	أزكى وأفضل من دم الشهداء
يا طالبي علم النَّبي مُحمَّد	ما أنتم وسواكم بسواء

تم تبييض أصله في الجزائر في شعبان ١٤١٤هـ

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

* * * * *

(١) أي جهاد المسلمين للمنافقين.

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٧٠).

(٣) (١/٣١).



الفهرس



فهرس الكتاب

ستة أصول

